الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية

حرب على الإسلام باسم الحرب على الإرهاب
(صناعة الإسلاموفوبيا)

يوسف العاصي الطويل



الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية

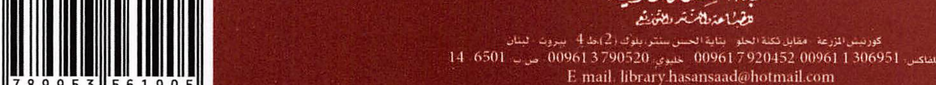
الدين الإسلامي بما يمتلكه من مرونة وفاعلية تجاه أتباعه وتجاه الغير دفع الدول الغربية إلى رسم هالة من الدسائس حول إمكانية عرقلة مسيرة هذا الدين أو وقفه. ومن هنا بدأت الاتهامات تتزايد، وأخذ من يحمل سمات هذا الدين ودعاته، نصيبه من هذه التهم، والتي يمكن إيجازها بتهمتين أساسيتين هما: الأصولية، والإرهاب.

ومصطلح الأصولية الإسلامية، يعد من أكثر المصطلحات التي انتشرت على الساحة، في عهد ما بعد الحرب الباردة وتم ربطها بالعنف والإرهاب حتى أصبح كشتيمة سياسية، بهدف الإساءة إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة، وفي نفس الوقت التغطية على الأصولية المسيحية المتطرفة التي تشن حربا صليبية على الإسلام منذ فترة طويلة، كان من نتاجها القضاء على الخلافة الإسلامية وتقسيم الدول العربية، وإقامة إسرائيل، واحتلال أراض عربية، وإشغال الأمة العربية والإسلامية بحروب عديدة استنزفت قواها وطاقاتها المادية والمعنوية.

ومن خلال هذه الدراسة بينا أنه لا يوجد شيء اسمه أصولية إسلامية، لان المصطلح لا يعدو أن يكون محاولة لئيمة لوصم الحركات الإسلامية بصفات التطرف والإرهاب ومعاداة الحضارة الحديثة، لإبعاد الناس عن أي طرح إسلامي، ولاعطاء ذريعة للصليبية الجديدة للقضاء على الإسلام وترويضه حسب ما يهوى اليهود ويريدون. فأهداف الأصولية المسيحية التي تهودت، تجاه الإسلام والمسلمين، واضحة لا لبس فيها في سعيها لتدمير الإسلام والمسلمين، باعتبارهم الوحيدين اللذين يمكن أن يقفوا حجر عثره في طريق مخططاتهم. ولذا فأنهم يحاولوا محاربة الإسلام بكافة الوسائل، ومنها ما يمكن أن نسميه حرب المصطلحات والألقاب، حيث ان مصطلح الأصولية ليس وليد العربية الإسلامية، أنما ظهر أولا في الغرب، ونحن لا نجد في معاجمنا القديمة، ذكرا لهذه النسبة، الأصولية، لانها صفة مسيحية غربية بحتة أطلقت في الغرب على المسيحيين الذين اعتقدوا بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، ويؤمنون بالعصمة الحرفية لكل كلمة فيه، ويدعون التلقي المباشر عن الله، ويعادون العقل، والتفكير العلمي، ويميلون إلى استخدام القوة والعنف، حيث أدى بهم ذلك إلى الاعتقاد بضرورة قيام دولة إسرائيلية في فلسطين، وتجميع يهود العالم فيها وقيام معركة هرمجيدون بين قوى الخير والشر، كمقدمة ضرورية تمهد للمجيء الثاني للمسيح، الذي سيحكم العالم من مقره بالقدس، ليبدأ العصر الالفي السعيد.

وفي محاولتها تبرير حملتها الصليبية على العالم الإسلامي، لجأت أمريكيا إلى استخدام مبررات مختلفة، مرة بدعوى محاربة المد الشيوعي، وأخرى بدعوى الحرص على تطبيق الديمقراطية والحفاظ على حقوق الانسان، وأخيرا جاء الشعار الجديد، وهو محاربة التطرف الإسلامي أو الأصولية الإسلامية، من أجل إظهار العرب والمسلمين بصوره بشعة وغير إنسانية لتبرير العدوان عليهم واستباحة مقدراتهم، حيث لعبت الأصولية المسيحية والصهيونية العالمية وإسرائيل دورا واضحا وجليا في التحريض على الإسلام والمسلمين، وقامتا بعملية تشويه مستمر لصورة العرب والمسلمين، لدى الرأي العام الغربي، وبتضخيم متواصل لخطر الإسلام عموما، وخطر الإسلام الأصولي خصوصا، على أساس أنه البديل الحالي عن الخطر الشيوعي.





ISBN: 978-9953-561-90-5

9 789953 561905

كورنيش المزرعة - مقابل ثكنة الحلو - بناية الحسن سنتر بلوك (2) ط 4 - بيروت - لبنان
تلفاكس: 00961 1 306951 - 00961 7 920452 خليوي: 00961 3 790520 ص.ب: 6501 - 14
E mail. library.hasansaad@hotmail.com

الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية

حرب على الإسلام باسم الحرب على الإرهاب

(صناعة الإسلاموفوبيا)



الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية

حرب على الإسلام باسم الحرب على الإرهاب

(صناعة الإسلاموفوبيا)

يوسف العاصي الطويل



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى	:	1438هـ/2017م
عنوان الكتاب	:	**الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية**
تأليف	:	يوسف العاصي الطويل
عدد الصفحات	:	384
قياس الكتاب	:	24 x 17
الناشر	:	مكتبة حسن العصرية
العنوان	:	بيروت – لبنان
هاتف خليوي	:	009613790520
تلفاكس	:	009617921862 – 009617920452
ص.ب.	:	6501 – 14 بيروت – لبنان
الترقيم الدولي	:	978-9953-561-90-5

E-mail: Library.hasansaad@hotmail.com

Printed in Lebanon 2017 طبع في لبنان

المحتويات

إهداء 7

شكر وتقدير 9

تقديم 13-11

تمهيد 16-14

الفصل الأول : التأصيل النظري لمصطلح الأصولية 59-17

الفصل الثاني: الأصولية المسيحية نشأتها وتطورها. 99-60

الفصل الثالث: الإسلام والأصولية 142-100

الفصل الرابع: التجديد الديني بين الصحوة والتطرف (الأصولية) 198-143

الفصل الخامس: الأصولية المسيحية وحربها الصليبية على الإسلام. 248-199

الفصل السادس: الغرب والصحوة الإسلامية . (مصطلح الأصولية).... 297-249

الفصل السابع: الأصولية المسيحية وظاهرة الإسلاموفوبيا 358-298

خاتمة 362-359

المراجع 383-363

تعريف بالمؤلف 384

إهداء

أخى الحبيب محمود

لقد كنتُ طفلاً عندما كنت تحضر لي الحلوى بعد عودتك من تدريب شاق في قوات التحرير الفلسطينية

وكنتُ طفلاً أيضاً عندما أندلعت حرب 67.. حيث قمت بارتداء عتادك العسكرى واتجهت مسرعاً لجبهة القتال

لقد كنا جميعاً أطفال عندما خدعنا بأكاذيب النصر.. وصدقنا أن قواتنا احتلت تل أبيب

أما الذين لم يصدقوا ولم ينخدعوا بهذه الأكاذيب أمثالك.. وصمدوا على خط النار..

فكان مصيرهم كمصيرك.. الشهادة.. فكانوا أحياءً عند ربهم يرزقون..

أما نحن فبالرغم من أننا كبرنا وهرمنا..فقد بقينا أطفالا.. يخدعنا الغرب كل يوم..

وأصبحنا على شفا حفرة من النار.. ولا منقذ منها.. لأن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين

إلى روحك الطاهرة

وإلى أرواح شهداء أمتنا العربية والإسلامية

أهدى هذا الكتاب

أخوك

يوسف العاصي الطويل

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساعد في خروج هذا الكتاب بهذه الصورة ولو بعد حين، وأخص بالذكر المجمع الثقافي في أبوظبي، وكافة العاملين فيه، والذى كان له فضلٌ كبير في إتاحة مصدر العلم والمعرفة خلال فترة أعتبرها من أفضل فترات حياتي العلمية (1986-1990)، حيث أتاحت لى مكتبة المجمع الثقافي جو هادئ للمطالعة والقراءة، مع توفر العديد من الكتب والمراجع، يضاف إلى ذلك الندوات الثقافية والمعارض التى كان يقيمها المجمع بصورة منتظمة والتى وفرت لي زاداً معرفياً لازلت أنهل منه حتى الآن.

ولا أنسى في هذه المناسبة معالي أحمد خليفة السويدى مستشار رئيس دولة الأمارات، والذى كان يرأس مجلس أمناء المجمع الثقافي، حيث كان لمتابعته الدائمة لنشاط المجمع دور كبير في تميز خدماته، وتحويله قبلة لأهل العلم والمعرفة.

كما لا أنسى بالتأكيد زمالتى في تلك الفترة لأصدقاء أعزاء وأخوة، كان لصداقتهم ومجالستهم دور مهم في حياتي العلمية، وأخص بالذكر منهم صديقي الشاعر عثمان حسين، وصديقى الدكتور / بشير أبو القرايا، والأستاذ / معين خليفه، والدكتور الفاضل/ عبد الله أبو عزة وغيرهم كثر.

وأتوجه بالشكر الجزيل أيضاً إلى أخى عماد الذى كانت لمناقشاته دور كبير في إثراء هذا الكتاب وخروجه بهذه الطريقة.

وأخيراً لا أنسى فضل أسرتى التى تحملت انشغالي عنهم خلال فترة إعداد هذه الدراسة، وهيئوا لي الجو المناسب لذلك.

يوسف الطويل

تقديم

في ثمانينات القرن الماضي تزايد الإهتمام الغربي بالحركات الإسلامية، وبالذات بعد الثورة الإسلامية في إيران، حيث ظهرت العديد من الدراسات التى حاولت توصيف ما يحدث، وكيفية مواجهته... فهل هى صحوة إسلامية كما يرى كثير من العلماء المسلمون.. أم هى حركة إحيائية أو تجديدية كما يرى فريق آخر.

وكعادة الغرب الذى لا يترك فرصة أو مناسبة للكيد للإسلام والمسلمين، وجد أن الأفضل والأنسب له ولمخططاته أن يطلق على هذه الصحوة الإسلامية مصطلح الأصولية الغربي، ليسهل عليه صبغ ما يحدث في العالم الإسلامي من حراك للعودة إلى الدين، بصبغة الإرهاب والتطرف، قياساً على تجربة الغرب مع الحركات الدينية المسيحية التى ظهرت في الغرب مع حركة الإصلاح الدينى في القرن الخامس عشر.

وللأسف أخذ كثير من الكتاب والإعلاميون في عالمنا العربي والإسلامي في تداول مصطلح الأصولية الإسلامية وإطلاقه على كل من يطالب بعوة الإسلام إلى صدارة المشهد في الدول الإسلامية، سواء صدر ذلك من حركات سياسة أو من كتاب، أو حتى من خلال آراء فردية.

وأذكر أنني في تلك الفترة (1986-1990) كنت في بداية طريقي في مجال البحث العلمي والكتابة والتأليف، ولفت نظرى ازدياد استخدام هذا المصطلح والترويج له في وسائل الاعلام المختلفة، حيث لم يرق لى المصطلح، لما صاحبة من نيه واضحة لوسم الحركات الإسلامية بالإرهاب والتطرف والتخلف، حيث كان يستخدم اللفظ في سياق يراد به تحقير الجهات الموصوفه بهذا الوصف.

وقد زاد من اهتمامي بهذا الموضوع هو أنني كنت في تلك الفترة مهتماً بدراسة الأبعاد الدينية للتحيز البريطاني والأمريكي لإسرائيل، والذى كانت تغذية الصهيونية المسيحية، أو الأصولية

المسيحية، حيث اطلعت على المعنى الحقيقى للأصولية المسيحية والذى كان يعنى الفهم الحرفي للنصوص الدينية، وبالذات العهد القديم (التوراة)، والذى أدى إلى تهود المسيحية على يد البروتستانت، الذين نشروا التطرف والإرهاب والتعصب في أوروبا وأمريكا، وبدأوا في سعيهم الذى لا يكل ولا يمل من أجل تحقيق ما يرونه من نبوءات توراتية تسبق وتمهد للعودة الثانية للمسيح كما يزعمون، وما يستتبع ذلك من إقامة دولة إسرائيل، وضرورة تدمير قوة الإسلام والمسلمين بكافة الطرق والأساليب.

لذا قررت أن أقوم بكتابة دراسة صغيرة عبارة عن عدة مقالات لنشره في بعض الصحف التى كنت أنشر بها بعض كتاباتي، محاولاً الربط بين الصحوة الإسلامية ومحاولات الأصولية المسيحية إكمال آخر فصول حربها ضد الإسلام، من خلال الصاق تهمة التطرف والإرهاب بالإسلام والمسلمين ليسهل عليهم تنفيذ مخططاتهم الجهنمية بدون أى اعتراض من أحد، حيث وجدوا افضل طريقة لذلك من خلال حرب المصطلحات، بإلصاق تهمة الأصولية بالحركات الإسلامية، محاولين الأيهام والتدليس على الناس بأن ما أنطبق على الأصولية المسيحية من إرهاب وتطرف وجمود، ينطبق على الحركات الإسلامية الحالية، وفي نفس الوقت أرادوا أن يسيئوا إلى أجل العلوم الإسلامية وهو علم أصول الدين.

وفعلا قمت بكتابة الدراسة وأرسلتها إلى أحدى الصحف التى اكتب بها، وكان ذلك في نهاية الثمانينات، ولكن لم يتم نشر الموضوع في تلك الفترة لأسباب لا أعلمها، ولذلك لم احاول نشره مره أخرى لإنشغالى التام بدراسات أخرى، ولكن عاد اهتمامي بهذا الموضوع بعد هذه الهجمة الشرسة التى يتعرض لها الإسلام والمسلمين في كل مكان بدعوى التطرف والإرهاب، والتى وصلت إلى مستويات متقدمة من التخطيط والتنفيذ، والتنسيق بين الدول الأوربية وعلى رأسها أمريكا، وبين دول عربية وإسلامية لمحاربة كل ما هو إسلامي بدعوى محاربة الأصولية الإسلامية وتنظيمات صنعوها بأيديهم وسموها، ثم جاءوا ليحاكموا كافة المسلمين في العالم بجرائرها.

لقد قررت إعادة نشر هذه الدراسة مع إضافة فصول أخرى لها لتكون بداية لدراسات أخرى في مجال العلاقة بين الحركات الإسلامية والغرب، والذى عمل على استخدام بعض هذه الحركات كرأس حربة لمحاربة الإسلام والمسلمين، كما يحدث الآن مع تنظيم داعش وقبله تنظيم القاعدة وغيرها من التنظيمات والحركات المصنعة في الغرب من أجل تفتيت المسلمين والإساءة للدين الإسلامي ووصفه بالإرهاب والتطرف، في حين تختبئ الأصولية المسيحة (رأس الأفعى) بعيداً عن الأنظار، لا يدري أو ينتبه أحد لمؤامراتها ومكائدها ضد الإسلام والمسلمين، بل ضد البشرية جمعاء.

من هنا كانت هذه الدراسة التى أتمنى أن تفي هذه الدراسة بالغرض منها لتكون مقدمة لدراسات أخرى أعمق وأشمل، سأحاول من خلالها إلقاء الضوء على جذور الحرب على الإسلام منذ ظهوره وحتى بداية الغزو الإستعماري، وكيف تمكن الغرب من السيطرة على ديار المسلمين وتمزيقها وتفتيتها وإضعافها، وخلق هذا الكم الهائل من الفرق التى لا تخدم إلا فكر وأهداف الصليبيين الجدد وحلفائهم اليهود والصهاينة.

يوسف العاصي الطويل
أبوظبي يناير 2016

تمهيد

لأول وهلة سيستغرب كثير من القراء اختيارى لهذا العنوان: "الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية ". ووجه الغرابة لن يكون متعلقاً بالمقطع الثاني من العنوان: "الصحوة الإسلامية "؛ لأن هذا المصطلح شائع ومتداول في كافة الأدبيات والكتابات الإسلامية المعاصرة التى حاولت وصف الحالة التى وصلت إليها حركة الإحياء الإسلامي خلال القرن الماضي وحتى الآن.

ولكن الغرابة تكمن في المقطع الأول من العنوان، وهو: "الأصولية المسيحية". فهذا العنوان سيبدو غريباً وجديداً على كثير من القراء الذين تعارفوا وتعودوا على سماع وقراءة مصطلحات مثل "الأصولية الإسلامية "، "والحركات الأصولية "، والتى أصبحت من أكثر المصطلحات انتشاراً وشيوعاً في وسائل الاعلام المختلفة، والتى حاولت وصف نشاط الحركات الإسلامية المعاصرة.

بل أن شيوع هذه المصطلحات وصل لدرجة أنه عندما يقال: الأصولية أو الأصوليون، فإن القارئ أو المستمع لا مجال أمامه إلا أن يستحضر الحركات الإسلامية وكانها هى المعنية بهذه التسمية، حتى أصبحت كلمة "أصولية" أو "أصولى" وكانها مرادفة لكلمة "إسلامية" أو "إسلامي".

وعندما اخترت عنوان هذه الدراسة كنت أدرك بأن الكثيرون سيستغربون ذلك، ولكن كان لابد من إبقاء العنوان كما هو عليه لعدة أسباب :

أولاً: لكشف الحقيقة التى تحاول وسائل الاعلام الغربية تزييفها وإخفائها، وهى أن مصطلح الأصولية FUNAMENTALISM أطلق في الأساس على الحركات المسيحية التى انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية نتيجة لحركة الإصلاح الدينى في القرن السادس عشر، حيث أقامت هذه الحركات دعوتها الإصلاحية على أساس الدعوة إلى العودة إلى أصول العقيدة المسيحية النقية، وهو الكتاب المقدس، واعتباره المصدر الوحيد للعقيدة المسيحية، ولهذا رفضت هذه الحركات الأعتراف بعصمة البابا وتفسيراته اللاهوتية للكتاب المقدس، كما رفضت قرارات المجامع المسكونية التى تتخذها الكنيسة، واعتبرت أن الكتاب المقدس وحده

هو المعصوم من الخطأ. كما أن هذه الحركات دعت إلى العودة إلى أصول الحياة المسيحية الأولى ببساطتها، حيث كان المسيحيون الأوائل يعيشون حياة بدائية ومشاعية رافضين تأسيس دولة أو إنشاء حضارة.

ثانياً: لكى نبين أن مصطلح أصولى أو أصوليين بمعناه الإسلامي، وكما استخدم في الكتابات الإسلامية القديمة والحديثة، يختلف كل الإختلاف عن معناه المستخدم الآن في بعض الكتابات ووسائل الاعلام المختلفة، والتى أضفت على المصطلح صفات الإرهاب والتخلف والعنف والرجعية لأهداف سنوضحها.

ثالثاً: كان لابد من إبقاء العنوان كما هو عليه لتسليط الأضواء على الأصولية المسيحية المعاصرة، وحربها الخفية التى تمارسها ضد الصحوة الإسلامية، وضد كل ما هو إسلامي وعربى مستخدمة في ذلك كافة الوسائل والذرائع.

وهذه المقدمة كانت ضرورية قبل الدخول في صلب موضوعنا، لأن تناول قضايا ومفاهيم معينة أصبحت، بحكم التعود عليها وتداولها في وسائل الاعلام والكتابات المختلفة، وكانها أمور بديهية، يضع صعوبات كثيرة أمام أى باحث يحاول ضبط وتحديد مدلولها، وبالذات إذا كانت وسائل الاعلام تلك مسيطرة، وتمتلك إمكانيات هائلة لترويج بضاعتها وتجد من يسّوق لها تلك البضاعة بكل سهولة من غير أن يحاول ضبط هذه المفاهيم، وتحديد مدلولها لبيان الهدف من وراء ترويجها والإلحاح عليها.

والدراسة التى بين أيدينا ستحاول توضيح العلاقة بين الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية، من خلال سبعة فصول، حيث سنقوم في الفصل الأول بعمل تأصيل نظرى لمصلح الأصولية وبيان معناه اللغوى والأصطلاحي، ومتى كان ظهور المصطلح؟ وكيف ظهر وعلاقته بالأديان والأيدولوجيات المعاصرة؟ وفي الفصل الثاني سنتناول الأصولية المسيحية نشأتها، وتطورها، وأهم مبادئها، وأماكن انتشارها وأهم فرقها.

وفي الفصل الثالث: سنتحدث عن حرب المصطلحات، وصلتها بظهور مصطلح الأصولية، وأن كان هناك دعوات أصولية في الإسلام بالمعنى الذى كان موجوداً لدى الغرب. ثم بعد

ذلك نحاول توضيح الفرق بين الأصولية بمعناها الإسلامي والأصولية بمعناها الغربي، ونعرض لسمات وخصائص الفكر الأصولي، وتفسير المستشرقين لظاهرة الأصولية .

وفي الفصل الرابع سنلقي الضوء على حركات التجديد الدينى في العصر الحديث وعلاقتها بالصحوة الإسلامية مع توضيح معنى كلاً منهما. وبعد ذلك سنحاول تعريف الصحوة الإسلامية وأهميتها ودورها في تحقيق تطلعات الأمة والصعوبات التى تواجهها، وعلاقتها بالإسلام السياسي، وأسباب الخلط بينه وبين الصحوة والأصولية والتطرف، وسماته التي تميزه عن التجديد والصحوة الإسلامية :

وفي الفصل الخامس سنحاول إلقاء مزيد من الضوء على الأصولية المسيحية في العصر الحاضر وحربها المسعورة ضد الإسلام والمسلمين وسعيها إلى تنفيذ النبوءات التوراتية المتعلقة بالدول العربية والإسلامية تمهيداً للمعركة الخاتمة (هرمجدون) والتى ستمهد لعودة المسيح ليحكم العالم من مقره في القدس، مع توضيح للمخططات الأصولية التوراتية تجاه المنطقة والتى بدأ تيار المحافظون الجدد الذين يسيطرون على مقاليد الحكم في أمريكا تنفيذها.

وفي الفصل السادس سنلقي الضوء على أسباب اهتمام الغرب وأمريكا بالصحوة الإسلامية وموقفهم منها، وهدفهم من وصم الصحوة الإسلامية بالأصولية، وموقف علماء المسلمين من هذا المصطلح، وما اقترحوه من مصطلحات بديلة له. وفي الفصل السابع نعرض لمفهوم الإسلاموفوبيا ومعناه وتاريخ ظهوره، وكيف أصبح الخوف من الإسلام في الغرب خوف مرضي لا مبرر له، إلا لأن جهات معينة لازالت تفكر بعقلية صليبية استعمارية تحاول تقييد حركة المسلمين في الغرب، وترغب في إعادة السيطرة على ديار المسلمين، فلم تجد وسيلة لذلك إلا من خلال صناعة الإسلاموفوبيا لتخويف المواطن الغربي العادي من الإسلام والمسلمين، والأخطر من ذلك هو أن الأصولية المسيحية المتصهينة في حربها الصليبية الجديدة واستعداداً لمعركتها الحاسمة (هرمجدون) تعمل كل ما بوسعها لحشد مزيد من الحلفاء لمواجهة المسلمين والقضاء عليهم، ولذا كانت الإسلاموفوبيا خوفاً غير مبرر وحرباً استباقية بامتياز ضد الإسلام والمسلمين، للقضاء عليهم.

الفصل الأول

التأصيل النظري لمفهوم الأصولية

بمتابعة كثير من الأدبيات والكتابات في هذا العصر، يعثر المرء على مصطلحات جديدة صنعت أغلبها في المختبرات الغربية- الصهيونية، وصُكّت مع الإسلام في قالب مصطلحي وأحد، لتضاف إلى قواميس اللغة، وأهم تلك المصطلحات ما يلي: الإسلام الرسمي، الإسلام التقليدي، إسلام الحركات الإسلامية، الإسلام السياسي، الإسلام الأصولي، الإسلام الأخواني، الإسلام الوهابي، الإسلام السلفي، اليسار الإسلامي، الإسلام القديم، الإسلام الراهن، الإسلام الحضاري، الإسلام المتطرف، الإسلام الباكستاني، الإسلام الأوربي[1]، الإسلام الأمريكي..إلخ.

ويعد مصطلح الأصولية الإسلامية، من أكثر المصطلحات التى انتشرت في الساحة، حيث أصبح موضوع الأصولية الإسلامية في العالم العربي حديث الساعة وموضوع اهتمام الكثير من الباحثين، وزاد من أهميته تناول وسائل الاعلام العالمية والمحلية له وفقاً للتصورات الأيديولوجية والسياسية لكل بلد[2]. ويمكن استعراض عشرات المؤلفات الحديثة التي تعالج ظاهرة الأصولية بأقلام كتاب مرموقين من أمثال: محمد أركون، محمد شريف فرجاني، محمد عبد المطلب الهوني، عبد الوهاب المؤدب، غسان تويني، كمال عبد اللطيف، مالك شبل وآخرين[3]، وبحيث غذت الأصولية الإسلامية إحدى أهمّ الظواهر التي برزت إلى السطح في عهد ما بعد الحرب الباردة. فبعضهم سماها الصحوة، والإسلاموية، والسلفية والرجعية، وهي كلمات ومفاهيم جديدة ظهرت في العقود الأربعة الماضية، خصوصاً مصطلح الأصولية الذي ازداد استعماله في السنين القليلة الماضية، وارتبط بالعنف والإرهاب حتى أصبح كشتيمة سياسية.

---

(1) انظر: المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها!، ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي- مولاي المصطفى البرجاوي

(2) الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي- تأليف: رضوان احمد شمسان الشيباني- دار النشر: مكتبة مدبولي

(3) معضلة الأصولية الإسلامية- هاشم صالح- دار الطليعة للطباعة والنشر2006/ قراءة لعبد الله المطيري، الرياض، 2006/10/5- http://www.alriyadh.com/2006/10/05/article191838.html

كما ظهرت في الأونة الأخيرة حركاتٌ متطرفة، وجماعات شبابية في العالم الإسلامي، تبنَّت أفكارًا وآراء تدَّعي بها نسبًا إلى الأصول الأولى للإسلام، واختلفت هذه الجماعات في الاجتهادات والاستنباطات، واتَّسعت دائرة الخلاف بينها، بحيث صار لكل منها منهجٌ يختلف في أصوله ومظاهره عن الآخرين، وكان لكل منها موقفٌ متميّز من المجتمع ومشكلاته، والحكم ونظامه، والإنسان ومنهج تربيّته، وزاد عدد هذه الجماعات، وتَبع ذلك بالضرورة زيادةُ الأجتهادات والأراء[1].

وهنا، من حقنا أن نسأل، ما هي الأصولية الإسلامية ؟ وما هي آفاقها الحقيقية؟ وما هي جذورها التاريخية؟ هل الأصولية مصطلح محمود أم مذموم؟ وهل الأصولية لها أصل في الثقافة الإسلامية ؟ أم صنيع الفرق المسيحية البروتستانتية المتطرفة في الغرب؟ وما العلاقة بين مفهوم الأصولية وأصول الفقه؟ وما مدى موضوعية هذا المصطلح؟ وهل ثمة صفات أساسية لكل الحركات الأصولية ؟ وما مدى فائدة استخدام مصطلح "الأصولية " في التصنيف الغربي والعلماني؟ وما هي المصطلحات القرآنية والنبوية المقابلة لمفهوم الأصولية التي تروج لها الثقافة الغربية؟ وما مدى صحة إطلاق هذا الاسم على الحركات الإسلامية الداعية إلى العودة إلى تحكيم الإسلام في حياة المسلمين في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية؟..

معنى الأصولية في اللغة:

كلمة الأصولية تعود في أصلها اللغوى إلى كلمة أصل، والتى تعني في اللغة ما يبنى عليه غيره، أو المحتاج إليه، وما يستند تحقيق الشيء إليه، أو ماهية الشئ ومنشأه[2]. فقد جاء في المنجد في اللغة والاعلام عن مادة أصل الأتى: أصل يأصل أصالة: كان له أصل، أو كان من أصل شريف، أو رسخ أصله، فهو أصيل، وأصل رأيه: جاد، فرأيه أصيل. فأصالة الرأي جودته. والأصيل: الشريف الأصل، أو من يتصرف عن نفسه دون وكيل. والأصل: المصدر أو الوالد أو الحسب. وأصَّله: جعله ذا أصل، بيّن أصله أو أصالته. تأصَّل، صار ذا أصل.

---

(1) بين الأصولية والتطرف- د. محمد السيد الجليند- 2008/11/11 م

(2) راجع المعاجم اللغوية - لسان العرب لابن منظور- لسان البلاغة للزمخشرى

ولم يظهر مصطلح الأصولية في لغتنا العربية كرمز وعَلَم على جماعة معينة، أو فرقة ذات مبادئَ وأصول ومواقفَ متميزةٍ، إلا في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي، لأن هذا المصطلح ليس وليدَ العربية الإسلامية، أنما ظهر أولاً في الغرب، وفي لغته، ثم نقل إلى لغتنا العربية، حاملاً معه تجربةَ الغرب، وهمومَه، وملابساته، ولذا فإننا لا نجد في معاجمنا القديمة، لغوية كانت أو كشافات للمصطلحات، ذكراً لهذه النسبة، "الأصولية "، وما سنجده هو الأصل اللغوي للكلمة كما سيأتي ذكره:

الأصل: قال الفيومي في المصباح المنير: "أصل الشيء: أسفله، وأساس الحائط أصله، واستأصل الشيء: ثُبت أصله وقوى. يقال: قعد في أصل الجبل وأصل الحائط، وقطع أصل الشجر، ثم كثر حتى قيل أصل كل شيء، أي ما يسند وجود ذلك الشيء إليه، وجمعه أصول[1]. فالأب أصل الولد. والنهر أصل الجدول. وقال ابن منظور: "الأصل: أسفل كل شيء، وجمعه: أصول، وأصل الشيء: صار ذا أصل".

قال أمية الهذلي:

وما الشغل إلا أنني متهيب　　　لعرضك ما لم تجعل الشيء يأصل

وأصل الشيء: "قتله علماً، فعرف أصله"[2]. وأصل النسب أصالة: شرف، فهو أصيل. وأصّلته تأصيلا: جعلت له أصلاً ثابتاً يبنى عليه. وقولهم: لا أصل له ولا فصل، أي: الحسب والنسب، والأصل: العقل. والأصيل: وقت العشي، والجمع: أُصُل وآصال. والأصلة: من دواهي الحيات، قصيرة عريضة. واستأصلته: قلعته بأصوله. ومنه قيل: استأصل الله الكفار: أهلكهم جميعاً"[3]. وجاء في المعجم الوسيط: "أصّل الشيء أصلًا: استقصى بحثه حتى عرف أصله. والأصالة في الرأي: جودته. وفي الأسلوب: ابتكاره. وفي النسب: عراقته"[4].

وقال الشريف الجرجاني في التعريفات: "الأصل: هو ما يبتنى عليه غيره. والأصول: جمع أصل، وهو في اللغة عبارة عما يفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع: عبارة عما يبنى

---

(1) عبد الله البستاني، الوافي، معجم وسيط للغة العربية، بيروت :مكتبة لبنان، 1980 م، ص14)

(2) ابن منظور: لسان العرب: مجلد1: ص 155

(3) المصباح المنير: للفيومي، ج1،ص 16.

(4) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية: ج1: ص 20.

عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره. والأصل ما يثبت حكمه بنفسه، ويبنى عليه غيره"[1]. وقد جاءت كلمة أصل وما اشتق منها في القرآن الكريم في عشرة مواطن تقريباً[2]، منها: قوله تعالى: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ﴾ (إبراهيم: 24) وقوله: ﴿مَا قَطَعْتم مِنْ لِينَةٍ أو تَرَكْتموها قائِمَةً عَلى أصولها﴾ (الحشر: 5)، وقوله تعالى: ﴿إنها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: 64)، وغير ذلك.

والفرق بين الأصل والأساس: أن الأصل ما يبنى عليه شيء، وهذا المعنى أنها يتحقق بعد تحقق الفرع، فهو أمر نسبي، وليس بمفهوم مستقل، وهذا بخلاف الأساس، فهو مفهوم مستقل، لا يحتاج إلى وجود غيره، فيقال: أنه أسس أساس الظلم، وأسّس أساس البيت، ولا يقال: أصّله[3]. ومن كل ما سبق عرضه نخلص إلى أن مصطلح الأصولية اللغوي، يدور حول معنيين: أساسه الذي يقوم عليه، وجذوره ومنشؤه الذي ينبت منه. وأصول العلوم، هي: قواعدها التي تبنى عليها الأحكام.

والأصلي: ما كان أصلاً في معناه، ويقابل بالفرعي أو الزائد أو الاحتياطي أو المقلد. والأصول: أصول العلوم، وقواعدها التي تبنى عليها الأحكام[4]، أي المبادئ، كأصول الشرع الدولي، وأصول الفلسفة، أي المعلومات الأولية عن مصدر المعرفة[5].

والأصولي: هو المتكلم الذى يبحث في الأصول، أى القوانين والقواعد التى يبنى عليها العلم، أي العالم المتعمق في أصول العلوم المتمسك بالأصول، أو السالك بمقتضاها. فرجل أصيل: له أصل ومتمكن في أصله، وثابت الرأي عاقل، ورأي أصيل: له أصل، ومجد أصيل: أي ذو أصالة، والأصل كذلك القرار، وجاء في مختار الصحاح للرازي: "ورجل أصيل: أي، محكم الرأي"[6].

---

(1) الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات: ص 28.

(2) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص 34.

(3) انظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي: 94-95

(4) إبراهيم مصطفى وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1 ، اسطنبول:دار الدعوة، 1989 م، ص20

(5) أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة،ط1 ، بيروت :دار المشرق، 2000 م، ص

(6) مختار الصحاح، للرازي: ص 32.

والأصول هى القوانين والقواعد التى يبنى عليها العلم (أصول الدين، أصول العلوم). وكلمة الأصل (جمع أصول) ما يقابل الفرع (جمع فروع)، والتى تعني في اللغة ما يُبنى عليه، سواء كان حسياً كالجدران على الأسس، أو عقلياً كابتناء المعلول على العلة، والمدلول على الدليل[1].

الأصولية في الاصطلاح:

من الجاري في مصطلحات العلوم الشرعية، مصطلح أصول الدِّين، ويُقال: الأصل، ويقصد به: علم التوحيد. ومنها: أصول التفسير، أصول الحديث، أصول الفقه. وإلى هذا اشتهرت النسبة للمبرز فيه بلفظ: الأصولي. وعنهم أَلَّفَ المراغي كتابه "طبقات الأصوليين[2]. وكلمة أصل في الأصطلاح تعنى الدليل. والتأصيل يعنى البحث عن الأصول، أى عن القوانين والقواعد. لهذا فإن علم أصول الفقه في الأصطلاح يعني العلم الذى يبحث في القواعد التى يوصل البحث فيها إلى استنباط الأحكام من أدلتها"[3]. والأصولى أو الأصوليون في الأصطلاح، هم كل من يتكلم أو يبحث في علم الأصول، والذى تتوافر فيه أهلية تجعله قادراً على استنباط الأحكام من أداتها وهم المجتهدون. وكثيراً ما نقرأ في كتب الفقه والعقيدة، عبارات مثل: أصل هذه المسألة الكتاب والسنة، أى أن أساسها الكتاب والسنة، أو عبارة مثل:" السنة في اصطلاح الأصوليين هى كذا..." أى أن العلماء والباحثين في أصول السنة اصطلحوا على تعريف السنة بكذا..

أما مصلح أصولية، فبرغم من أنه يعود في أصله اللغوى إلى كلمة أصل، إلا أنه لم يرد ذكره في الكتابات والأدبيات الإسلامية القديمة والحديثة مجرداً هكذا "أصولية"، بل جاء مضافاً إلى لفظ آخر، مثل، "المدارس الأصولية " و"المسائل الأصولية " و"القواعد الأصولية ". وقد ظهرت مثل هذه المصطلحات نتيجة اهتمام المسلمين بعلم الأصول، حيث نشأت عدة مدارس أصولية أهمها مدرسة الأمام الشافعى، وتسمى مدرسة المتكلمين، ومدرسة الأمام أبو حنيفة، وتسمى بمدرسة الفقهاء. وقد كان لكل مدرسة من هذه المدارس الأصولية منهجهًا وأسلوبها في دراسة واستنباط المسائل والقواعد الأصولية . والأصولية في الإسلام تعنى التمسك

---

(1) المنجد في اللغة والإعلام- مادة اصل

(2) العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، معجم المناهي اللفظية.

(3) الكتاب والسنة - محمد البنا ص 5 - اصدارات معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة

بأصول الدين. والأصوليون هم العلماء المختصون بعلم أصول الفقه أو أصول الدين. والأصولي هو مرجع القواعد دراية، وفهماً، واستنباطاً[1]، وعلى هذا فهو أحد اثنين أو كليهما:

الأول : المتصرف وفق الأصول فلا يحيد عنها في قول أو عمل، ولذلك فهو حسن التصرف، طيب السلوك، جيد الرأي، لا يخرج في شيء من ذلك عن أصول العلم أو أصول الدين أو أصول الفقه أو أصول السلوك. والثاني: المتكلم في الأصول، أصول الدين، أو أصول الفقه، أو أصول العلم، أو أصول السلوك، فيكشف قوانينها، ويبين قواعدها، ويرسخ أسسها، ليقيم عليها بناء الفروع. وعلى هذا فالأصولية هي التصرف أو التكلم وفق الأصول المرعية دينياً، أو علمياً، أو أخلاقياً، أو قانونياً، أو وراثياً، أو ما إلى ذلك، مع الألتزام بمقتضاها، دون تحريف أو تزييف. وهكذا، فوصفة الأصولي تطلق – دون تحديد موقف فكري محدد – على المشتغل بأصول الدين، أو أصول الفقه، أو المهتم بدراسة أصول القضأيا والظواهر عامة[2].

وهكذا، فإن أهم المعاني التي تنطوي عليها «الأصولية » في الثقافة العربية الإسلامية ، معنى «التأصيل»، أي إرجاع الأحكام العملية الجزئية إلى القواعد الكلية، وإضفاء صفة الشرعية، أي موافقة الشرع، على الأعراف والقوانين والموضوعات وأنماط السلوك الاجتماعي والسياسي التي يفرضها التقدم وتغيُّر الأحوال، حتى تصبح جزءاً من حياة المجتمع المعني. ويتم ذلك بإرجاع كل منها إلى أصل من الأصول المعروفة في مرحلة التأسيس، أو إلى قاعدة من القواعد الكلية التي لا يدأنيها الشك، كإرجاع الديمقراطية إلى الشورى، مثلاً. وهذا الأرجاع هو نوع من تأسيس ديني وفقهي للأفكار والمفاهيم الجديدة يقوم على تضمين المفهوم الجديد معنىً تراثياً، وتحميل الأصل القديم دلالة توحي باحتمال تفرّع الجديد عنه واشتقاقه منه.

علم أصول الدين

الأصل يطلق على القانون والقاعدة المناسبة المنطبقة على الجزئيات، وعلى الحالة القديمة، كما في قول علماء أصول الفقه: الأصل في الأشياء الأباحة والطهارة، والأصول: المبادئ المسلمة. وعند علماء "الأصول" يطلق الأصل على معان، أحدها: الدليل يقال: الأصل في

---

(1) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، محمد إبراهيم الشربيني: ص 28-29 بتصرف.

(2) إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية: بحث مقدم إلى مؤتمر (الإسلام والتحديات المعاصرة) المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-3/4/2007م. إعداد: أ.د. عمر سالم سعد الله العبيدي.ص:9.

هذه المسألة الكتاب والسنة، وثانيها: القاعدة الكلية، وثالثها: الراجح، أي الأولى والأحرى.

ولقد تبلورت في الحضارة الإسلامية علوم "أصول الدين" وهو علم الكلام (التوحيد) الفقه الأكبر، و"أصول الفقه"، وهو العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، "وأصول الحديث" ويقصد بها علم مصطلح الحديث، ومن التعاريف المشهورة في هذا الباب ما يلي:

1 - يعرف الغزالي هذا العلم بقوله: "هو عبارة عن أدلة الأحكام، وعن معرفة وجوه دلالاتها على هذه الأحكام"[1].

2- أبو الحسين البصري يعرف علم الأصول بقوله: "هو طرق الفقه على طريق الإجمال، وكيفية الاستدلال بها، وما يتبع كيفية الأستدلال بها.

3- يقول الشيخ أبو زهرة: "أصول الفقه هو العلم بالقواعد التي ترسم المناهج لاستنباط الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية"[2].

فعلم الأصول إذن، هو المعين على فهم النصوص الشرعيَّة سواء في ذلك نصوص الكتاب أو السنَّة، وعليه مدار الأحكام الفقهية، التي ما وضع علم الأصول الأ لأجلها، وما استنبطت الأ على أساسه وقواعده، وهذا العلم، من أهم وأجل العلوم الشرعية لما له من فوائد عملية في الحياة الإسلامية، ومن هذه الفوائد:

1. توظيف قواعده لمعرفة الأحكام الشرعية العملية المنظمة لحياة الناس.
2. معرفة مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام، وأسباب اختلافهم في المسائل الفقهية.

وقد ظهر مصطلح الأصول و«أهل الأصول» (الأصوليين) بوضوح عند الشهر ستأني في" الملل والنحل" الذي صنفهم فرقاً ومذاهب متقابلة تَقَابُل التضاد. ولم يخلُ هذا الأختلاف في العقائد والأفكار من وظيفة اجتماعية سياسية أو توظيف سياسي مقترن بالتعارضات الاجتماعية والنزاعات السياسية التي وسمت مرحلة طويلة من التاريخ العربي الإسلامي. بيد أن «علم الأصول» تأسس بصفته علماً على يد الأمام الشافعي، وذلك في رسالته الشهيرة باسم

---

(1) المستصفى جا1 ص4-5.

(2) أصول الفقه لأبي زهرة ص7.

"رسالة في الأصول" (الرسالة)، واشتمل على بيان القواعد التي يحتاجها الفقيه، للتوصل إلى الأحكام الشرعية، ثم تتابع التدوين بعد ذلك، ومن أشهر الكتب المؤلفة فيه:

1- المستصفي من علم الأصول، لأبي حامد الغزالي من علماء القرن السادس الهجري.

2-كشف الأسرار على أصول البز دوى، لعبد العزيز البخاري، من علماء القرن الثامن الهجري.

3-أصول الفقه، لمحمد أبي زهره، وهو جزء واحد.

4-أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف، وهو جزء واحد[1].

الأصولية في الفقه الإسلامي

الأصولية اصطلاحاً جاءت من «الأصول» المتعلقة بعلوم الدين. ويطلق لفظ «الأصول» على مصطلحات مختلفة أشهرها ما يدل على ثلاثة من العلوم الإسلامية هي: أصول الدين، وأصول الحديث، وأصول الفقه. ويسمى علم أصول الفقه، غالباً، علمَ الأصول، ويعرَّف بأنه العلم بقواعد الفقه الإسلامي، وبالأدلة التي تؤدي إلى تقرير الأحكام الشرعية وبمناهج استنباطها. ولكلمة أصول التي ينسب إليها الأصولي، في الفقه الإسلامي خمسة معان هي:

• ما يقابل الفرع: الخمر أصل النبيذ، أي أن حكم النبيذ مستفاد من حكم الخمر.

• ما يدل على الرجحان: الحقيقة أصل المجاز، أي إذا تردد الأمر بين حمل الكلام على الحقيقة وحمله على المجاز، كان الحمل على الحقيقة أرجح.

• الدليل، أي الكاشف عن الشيء والمرشد إليه.

• القاعدة، أي الركيزة التي يرتكز الشيء عليها: "بني الإسلام على خمس"[2]، أي على خمس قواعد.

• ما يُجعل لتشخيص بعض الأحكام الظاهرية أو الوظيفية.

والقاعدة الأصولية، بخلاف القاعدة الفقهية، لا تنتج إلا حكماً كلياً، ولا يتوقف استنتاجها على قاعدة فقهية بخلاف العكس. ولا تتصل بعمل العامة، بل بعمل المجتهدين أو العلماء.

---

[1] المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! (ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي) المصطفى البرجاوي -مريرت 2008م ص 78

(2) صحيح البخاري (1/ 11).

ولـمّا كانت العقائد، في الإسلام، ثابتة بطريق قطعي هو القرآن الكريم، إذ هو المقطوع به وحده في الجملة والتفصيل، فإن الآراء المتباينة في العقائد تسمى «مذاهب». وأتباع كل مذهب يعتقدون أن مذهبهم صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيرهم خطأ يحتمل الصواب. والغلاة في كل مذهب يعتقدون أن مذهبهم صواب لا يحتمل الخطأ، ومذهب غيرهم خطأ لا يحتمل الصواب. ويوصف هؤلاء وأولئك بالأصوليين، مع فارق التعصب والغلو. ويرى بعضهم أن الحق يتعدد في المسائل الاجتهادية، أما الحق في المسائل الاعتقادية فواحد لا يتعدد، وكل ما سواه باطل. لذلك أدّى الاختلاف في أمور العقائد إلى تعدد المذاهب وتفرق الفرق في جميع الأديان بلا استثناء. ولكل مذهب أصوله وأصوليوه.

وفي الإسلام الحنيف تجتمع المذاهب والفرق على القرآن الكريم، على اختلاف في التفسير والتأويل، وعلى السنة النبويّة، على اختلاف في التعديل والتجريح، وعلى إجماع الصحابة والتابعين. فالأصول عند أهل السنَّة والجماعة، مثلاً، هي القرآن الكريم والسنة النبوية، وما أجمع عليه الصحابة والتابعون، أو ما استقرت عليه المذاهب الأربعة: المالكي والشافعي والحنبلي والحنفي. وعند الشيعة الأمامية، إضافة إلى ذلك، «الأصول الأربعمئة»، وهي الأحاديث التي رويت عن جعفر الصادق الذي ينسب إليه المذهب الجعفري[1].

وهكذا يخلو تراث الإسلام وحضارته، وتخلو معاجم العربية وقواميسها من مصطلح "الأصولية "، ومن المضامين التي عرفها الغرب لهذا المصطلح، وحتى في فكرنا الإسلامي المعاصر، الذي استخدم بعض علمائه مصطلح "الأصولية " في مباحث علم أصول الفقه- وجدناه يعني: "القواعد الأصولية التشريعية التي استمدها علماء أصول الفقه من النصوص التي قررت مبادئ تشريعية عامة وأصولاً تشريعية كلية، مثل: المقصد العام من التشريع، وما حق الله وما حق المكلف؟، وما يسوغ الاجتهاد فيه، ونسخ الحكم، والتعارض والترجيح، ولا علاقة لأي منها بمضامين مصطلح "الأصولية " في الحضارة الغربية وفكرها النصراني[2].

---

(1) الموسوعه الحره – وكيبيديا

(2) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون 09/11/09 - د. محمد عمارة المصدر: مدارك / إسلام أونلاين نت

مفهوم الأصولية في البيئة الغربية

صفة "الأصولية" هي صفة مسيحية غربية بحتة أطلقت في الغرب على المسيحيين الذين اعتقدوا بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، حيث أدى بهم ذلك إلى الاعتقاد بضرورة وجود دولة إسرائيلية في فلسطين يتجمع فيها يهود العالم كمقدمة ضرورية تمهد للمجيء الثاني للمسيح، وبالتالي للمملكة الألفية السعيدة التي سيحكمها[1]، وبعبارة أخرى: هي صفة أطلقت على حركة بروتستانتية التوجه، أمريكية النشأة، أنطلقت في القرن (19) من صفوف حركة أوسع هي الحركة الألفية[2]، وبتعبير أدق: الحركة البروتستانتينية التي أطلق عليها وصف الأصولية نشطت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى، وإن كانت جذورها تعود إلى النصف الأول من القرن (19)، ويقوم فكر هذه الحركة على أساس الدعوة القوية بالعودة إلى أصول المسيحية الأولى، والتمسك الحرفي بما جاء في الكتب المقدسة والتبشير، بعودة المسيح...الخ. وأطلق على أعضاء تلك الحركة إسم FUNTAMENTALISTS، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ الأصوليون يطلقون على أنفسهم إسم الإنجيليون"[3].

ولعل أهم الظروف المحيطة بهذه الحركة والدافعة لبروزها نجد ظاهرة تراجع تأثير الكنيسة على الأفراد في المجتمعات الغربية بصفة عامة وفي المجتمع الأمريكي بصفة خاصة، لا سيما أمام انتشار مظاهر العصرنة، وانتشار القيم المادية مقابل تراجع القيم الروحية، وهذا ما دفع ببعض الأصوليين البروتستانت إلى الهجوم، والدعوة لضرورة العودة والتمسك بالكتاب المقدس، وبالتفسير الحرفي له باعتباره كلام الله المتضمن للإجابة عن كل المسائل المطروحة، ولعل حدة التيار قد اشتدت بعد قيام مجموعة من رجال الدين الأحرار بالتشكيك في صحة الكتاب المقدس ودقته، واستخدموا الأبحاث التاريخية للتشكيك في بعض العقائد النصرانية الراسخة، وحاولوا تعديل اللآهوت النصراني، ليتوافق مع الاكتشافات العلمية الحديثة خاصة

---

(1) محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق، دمشق :دار الفكر، 2001 م، ص292) -293

(2) محمد عمارة، المرجع السابق الذكر، ص42)

(3) عبد الغفار دويك، أنبياء إسرائيل الجدد رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، ط 1 ، القاهرة : ميريت للنشر والمعلومات،2003 .ص154

في علمي الأحياء والبيولوجيا[1] حول النشوء والأرتقاء، والتي نجد على رأسها النظرية التطورية الداروينية[2]، وقد سميت حركة هذا التيار بالحركة العقلانية، ومن جملة ما دعت إليه الاعتقاد بعالم منظم يمكن تفسيره بالعقل والمبادئ العلمية، كما دعت كل المذاهب إلى الاتفاق على أفكار أساسية تتمثل في الإيمان بإله عالم حكيم والإيمان بوجود الروح، وبحتمية الجزاء والعقاب في الحياة الآخرة، ولكنها رفضت الإنجيل والكنيسة كمصدرين للحقيقة [3].

وكلمة «أصولية» هي ترجمة حرفية لكلمة فاندا منتاليزم Fundamentalism، وهي مأخوذة من كلمة فاندمنت Fundament التي تعني «الأساس» أو «الأصل»، وكلمة «أصولية» الأنجليزية استُخدمت أول ما استخدمت في سياق مسيحي، وتعني «حركة بروتستانتية أمريكية» تهدف إلى إعادة تأكيد بعض ما يتصور أنه عقائد ثابتة وأصلية مسيحية مثل قدسية الكتاب المقدَّس، وأنه صائب تماماً (بل قد ارتبطت كلمة أصولية بالتفسير الحرفي والمباشر لنصوص الكتاب المقدس)، والإيمان بالمعجزات (وخصوصاً الحمل بلا دنس)، والبعث الجسدي للمسيح. ثم طبقت هذه الكلمة على الاتجاهات التجديدية في الإسلام، ثم الحركات الدينية المتطرفة في اليهودية[4].

وهكذا، فأن مصطلح الأصولية في بيئته الأصلية الغربية يشير إلى فرقة من البروتستنت (اليمين المسيحي أو الصهيونية المسيحية التي تمثل الآن التفكير الإستراتيجي الأمريكي الساعي إلى تدمير العالم المارق) وتؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة في "الكتاب المقدس" ويدّعي أفرادها التلقي المباشر عن الله، ويعادون العقل، والتفكير العلمي، ويميلون إلى استخدام القوة والعنف في سبيل هذا المعتقد الفاسد[5]. وتقول موسوعة (روبير اللغوية) أن كلمة "fundamentalism" صيغت عام 1920م من كلمة "fundamental"، وتعني

([1]) لموسوعة العربية العالمية، الحرف أ، العدد 2، الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع1999 ص 259

([2]) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ط2 ، الرياض :مكتبة العبيكان، 1997 - ص 107

([3]) الموسوعة العربية العالمية، الحرف ع، الجزء25 ، الرياض :مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999 - ص71

([4]) "الأصولية اليهودية/ موسوعة اليهود واليهودية _ عبد الوهاب المسيري- موقع بيت العرب للتوثيق والنظم

[5] ريتشارد هرير دكمجيان:الأصولية في العالم العربي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع –المنصورة، ص: 12، بتصرف يسير.

تياراً لاهوتياً محافظاً، أصله بروتستانتي، نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة أثناء الحرب العالمية الأولى، متمسك بالتعريف الحرفي للنصوص الإنجيلية.. وقد جاءت كلمة (أصل وما يشتق منها) في الكتاب المقدس، في سبعة وخمسين موضعا[1]، منها:

ما ورد في سفر حزقيال: "فنبت، وصار كرمة منتشرة قصيرة الساق. انعطفت عليها زراجينها، وكانت أصولها تحته، فصارت كرمة. وأنبتت فروعاً، وأفرخت أغصاناً" (حزقيال: 6/17). وجاء في إنجيل متى: "والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر" (أنجيل متى: 10/3)، وجاء في أنجيل لوقا: "والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهم أصل، فيؤمنون إلى حين، وفي وقت التجربة يرتدون" (أنجيل لوقا: 8:13).

أما اللفظ الفرد "أصولية"، والذى يقصد به تيار أو حركة أو مذهب دينى تبنى الدعوة للعودة للأصول، فإنه جاء كترجمة للمصطلح الإنجليزى fundsamntalism، وقد أطلقت الكلمة كما جاء في قاموس المورد، على اتباع مذهب العصمة الحرفية البروتستانتى الذى يؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ، لا في قضايا العقيدة والأخلاق فحسب، بل أيضاً في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب، كقصة الخلق وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدى"[2].

أما كلمة (الأصولي) "fundamentalist" فقد اشتقت عام 1966م، لتعني معنيين: أولهما: معنى عام، هو: من يقوم بأبحاث في الأصول. والثاني: معنى ديني، هو: من ينتمي إلى الأصولية [3]. حيث ظهر في عشرينات القرن الماضي، تعبير الأصولية في الصحافة الأمريكية[4]، وأغلب الظن أن الذي سكّ المصطلح الأنجليزي " fundamentalism" أي: الأصولية، هو رئيس تحرير مجلة "نيويورك وتشمان" حيث قال عن الأصوليين: بأنهم أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل الأصول. كما شهدت الحركة الأصولية عددا من المؤتمرات التي أفضت إلى عدد من المنظمات أبرزها: جمعية الكتاب المقدس 1920، المؤسسة

([1]) فهرس الكتاب المقدس، جورج بوست: ص 22-23.

[2] قاموس المورد – منير البعلبى

([3]) انظر: أ.د. زينب عبد العزيز: هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة: ص 67.

([4]) محمد كمال إيهاب، الفرقان البديل الأمريكي للقرآن، القاهرة:الحرية للنشر والتوزيع، 2005م، ص 137

العالمية للأصوليين المسيحيين1919، الاتحاد الوطني للأصوليين[1]. وقد مهدت سلسلة كتيبات سميت "الأصول أو الأساسيات"، لإزدهار هذا المعنى، والتي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة 1910. 1915 م، وبلغ عددها اثني عشر كتيباً، وبلغ توزيعها بالمجان ثلاثة ملايين نسخة أرسلت إلى القساوسة، والمبشرين، واللاهوتيين، ومدارس الأحد، وسكرتيري الشبان المسيحية، والشابات المسيحية. ويمكن تصنيف ما تحتويه هذه الكتيبات على النحو التالي:

1- أصول الإيمان مثل حقيقة جهنم ومجيء المسيح الثاني.

2- مهاجمة تيار نقد الإنجيل، وهو تيار يدور حول اعتبار العهد القديم تسجيلاً لتطور ديني.

3- الإرساليات التبشيرية في مختلف أنحاء العالم .

4- نقد النظريات العلمية، وبالأخص الداروينية، الناقدة لقصة الخلق الواردة في سفر التكوين[2].

وقد وردت هذه الأفكار كرد فعل ضد علماء اللاهوت الليبراليين الذين دارت أفكارهم على مسألتين هما: التشكيك في قصة الخلق الوارد في سفر التكوين، بسبب ما أحرزته علوم الجيولوجيا والبيولوجيا من تقدم، والنظر إلى خطيئة الإنسان كما وردت في سفر التكوين، على أنها مجرد تفكير بدائي وصبياني، إذ ليس ثمة وجود لما يسمى: آدم وحواء. ومن هنا، فإن الأصولية تطلق على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات لمجمل الحياة بما في ذلك الشئون السياسية، وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى إستعادة إسرائيل والعوده الثانية للمسيح[3].

---

(1) ألكسي مالاشينكو، الإسلام الثابت الحضاري والمتغيرات السياسية، ط1 ، دمشق :دار الحادث، 1999 م، ص 18)

(2) الأصولية والعلمانية: مراد وهبة دار الثقافة، القاهرة، 2005،: ص 23

(3) الأصولية المسيحية الأمريكية- دراسة في الأبعاد الفلسفية- بقلم "جورج المصري - مجلة الإنسان، ع.(8)، محرم 1413، أغسطس 1992 ص.:42. 46."

وتقول الموسوعة الكاثوليكية عن كلمة "fundamentalism": أنها اتجاه لبعض الأوساط البروتستانتية خاصة في الولايات المتحدة، والتي تحافظ بصرامة وتشبث على العقيدة التراثية ضد تيار الحداثة، بل ضد أية محاولة تأخذ في الأعتبار بالوقائع التاريخية أو العلمية، وقد تكونت هذه الحركة في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1918م، باسم "الجمعية الأصولية المسيحية العالمية". وتشير إلى مذهب ديني ثم التعبير عنه في وثيقة من خمس نقاط هي: اعتبار النصوص الإنجيلية نصوصاً منزلة، والإيمان بأُلوهية المسيح، والإيمان بمولده العذري، والإيمان بمعنى وأهمية الفداء في وفاة يسوع، والثقة يقيناً في عودة المسيح قريباً ليحاكم البشر، وانتشر هؤلاء الأصوليون عن طريق المؤسسات الإنجيلية، في معظم البلدأن الآنجلوسكسونية[1].

ويقول قاموس المورد في تعريف الأصولية : "الأصولية fundamentalism"- مذهب العصمة الحرفية – حركة عرفتها البروتستانتية، في القرن العشرين، تؤكد على أن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) معصوم عن الخطأ، لا في قضايا العقيدة فحسب، بل في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب، كقصة الخلق، وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدي [2].

اما "هربرد كمجيان" (أستاذ العلوم السياسية في جامعة نيويورك) فيرجع أصل الأصولية إلى فرقة من ف التي تؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة في «الكتاب المقدس»، ويدعي أفرادها التلقي المباشر عن الله، بالأضافة إلى معاداتهم للتفكير العلمي، وميولهم إلى استخدام العنف والقوة لغرض فرض معتقداتهم[3].

ولم يبرز مصطلح الأصولية في المعاجم والموسوعات الغربية حديثاً، فهو لم يظهر في معجم "روبير الكبير" سنة 1966، ولم يظهر في الموسوعة العالمية في 1968 سوى ما ورد في قاموس "لاروس" الصغير سنة 1966؛ وبكيفية عامة جداً حيث يقول: «أن الأصولية هي موقف أولئك الذين يرفضون تكييف عقيدة مع الظروف الجديدة». وفي قاموس لاروس الجيب

---

(1) بلي جراهام: أشهر واعظ أصولي في الولايات المتحدة الأمريكية، انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني: د. يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1977م، ص: 10.

(2) الموسوعة الميسرة: ج2، ص 974. قاموس المورد، منير البعلبكي، ط11، ص 383.

(3) رتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم الغربي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار الوفاء،المنصورة –مصر

الصادر في 1979، اقتصر المفهوم على الكاثوليكية وحدها، حيث ورد «أنها استعداد فكري لدى بعض الكاثوليكيين الذين يكرهون التكيف مع ظروف الحياة الحديثة". [1]

ويرى البعض أن مصطلح الأصولية مصطلح غربي يرادف ومترجم عن كلمة الراديكالية[2] واصلها كلمة Radical التي تعني بالعربية: أصل، جذر. فالأصولية التي جذرها كلمة (أصل) ترجمة حرفية (للراديكالية) التي جذرها (راديكال Radical)، وعلى هذا فالراديكالية - كالأصولية تعني العودة إلى الأصول والتمسك بها، والتصرف أو التكلم وفقها[3].

ولكن الغرب صبغ مصطلح الراديكالية بمعنى آخر هو التطرف، وربما أضاف إليه معنى العنف والإرهاب، لإيجاد جو كبير من الرعب والتخوف من الدين، ومقاومة من يدعو إليه، في أي ديانة كانت، مستمداً ذلك من سلوك الحركات الغربية، سواء منها السياسية الشوفينية، أو العرقية التي قاومت استيطان العناصر الغريبة عنها على أرضها، أو الدينية المنبثقة عن النصرانية واليهودية في صراعها فيما بينها أولاً، وفي مقاومتها للمدنية الغربية وتمردها عليها ثانياً... وهكذا، فالمعنى اللغوي معاكس للمعنى الأصطلاحي.

والموسوعة الميسرة عرفت الأصولية بأنها: "حركة بروتستنتية ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد مؤتمر نياجرا عام 1895م، لتحيي من جديد أفكار أصحاب عقيدة المجيء الثاني للمسيح مجيئاً حقيقياً حرفياً. وقد ظهرت لهم كتيبات بعنوان (الأصوليات) دعوا فيها إلى التمسك بالتعاليم الدينية القديمة، والقول بألوهية المسيح، وعصمة الكتاب المقدس عن الخطأ، ووجوب الأخذ به حرفياً، وولادته - عليه السلام – من مريم، كما دعوا إلى الفدية من الأعمال المنكرة، وإلى الإيمان بقيامة المسيح من بين الأموات بجسمه، وعودة تجسده ثانية،

---

(1) انظر: هدم الاسلام بالمصطلحات المستوردة (الحداثة والاصولية) – د. زينب عبد العزيز- دار الكتاب العربي – دمشق القاهرة – ط1 2004- ص66

(2) الراديكالية لغة، نسبة إلى كلمةRADICAL الفرنسية وتعني الجذر، واصطلاحاً تعني نهج الأحزاب والحركات السياسية الذي يتوجه إلى إحداث إصلاح شامل وعميق في بنية المجتمع، والراديكالية هي على تقاطع مع الليبرالية الإصلاحية التي يكتفي نهجها بالعمل على تحقيق بعض الإصلاحات في واقع المجتمع، والراديكالية نزعة تنظر إلى مشاكل المجتمع ومعضلاته ومعوقاته نظرة شاملة تتناول مختلف ميادينه السياسية والدستورية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية، بقصد إحداث تغير جذري في بنيته ومصطلح الراديكالية يطلق الآن على الجماعات المتطرفة والمتشددة في مبادئها .

(3) المستشرقون والاسلام–معالجه منهجية خاطئة-إبراهيم جواد- مجلة النبأ-عدد51- تشرين 2 2000-

بالإضافة إلى رفض كل النظريات العلمية الحديثة في علم اللاهوت، وكذلك الدراسات التي تنتقده أو تناقض ما فيه - ولذلك عرفت بمذهب العصمة الحرفية - كما ترفض الفصل بين الدين والدولة، ما يؤدي إلى زيادة اهتمامها بالجانب السياسي، والسعي إلى تكوين الأحزاب السياسية، والوصول إلى السلطة بغية سن القوانين والشرائع المؤيدة لمذهبهم، ويمكن أيضا إضافة اعتقادهم بالنبوءات الإنجيلية التي تقود حسب اعتقادهم إلى استيلاء اليهود على فلسطين، والقدس، شرطاً للعودة الثانية للمسيح"[1].

وفي الفترة من عام 1895م إلى عام 1910م خبت حركة الأصوليين، وأن ظلت حيوية في البعثات التبشيرية للبلدان غير المسيحية، إلا أنها عادت للازدهار ثانية عقب الحرب العامة الأولى، وخاصة في الفترة من عام 1920م إلى عام 1930م، حين اتّحدت مختلف التيارات المسيحية لتخليص المدارس والكنائس من المدرسين والرعاة الذين يدافعون عن التطور، ولمحاربة تدريس الداروينية في التعليم العام. ثم تبلورت سمات الأصولية في بداية القرن العشرين على النحو التالي:

1- التسليم بأن ثمة حلولاً قادرة على إحراز انتصار دولي، وعلى حل المشكلات الاجتماعية، وأن أي فشل يلحق بأي أصولي فمردود إلى مؤامرات الأشرار.

2- التسليم بأن المؤسسات السياسية للدول الرأسمالية جزء من المؤامرة الشيوعية، ومن ثم، فقيادتها مشكوك في وطنيتها.

3- أي تنازل عن المبادئ الأساسية خيانة للحق.

4- رفض أي تأويل للنص الديني[2].

المضمون الغربي لمصطلح الأصولية

مما تقدم اتضح لنا أن الأصولية هي مصطلح يستخدم شعبياً لوصف التقيد الصارم لبعض المذاهب المسيحيه استناداً إلى التفسير الحرفي من الكتاب المقدس، وبالذات الحركة البروتستانتية التي عارضت إقامة العقيدة المسيحية بالإستناد إلى النظرية العلمية الحديثة

---

(1) وجيه كوثراني، مستقبل المشروع السياسي الإسلامي:أصولية أم حزبية إسلامية، ملف مستقبل الأصولية في العالم العربي، معلومات (بيروت) العدد: 3 مايو، 1993م. ص: 2-6.

(2) الأصولية والعلمانية: مراد وهبة: ص 24.

والفلسفة، مع بعض الاختلافات فيما بينها. والأصوليين يصرون على الإعتقاد في عصمة الكتاب المقدس.

ولعل أبرز باحث عُني بدراسة ظاهرة الأصولية في العصر الحديث، هو المفكر والفيلسوف الفرنسي المسلم " رجاء غاروديَ الذي تتبع بروز وتطور المصطلح في المعاجم الفرنسية، أي من منبعه ممثلاً في الثقافة الغربية-، فتوصل إلى أن أول ما ظهر المصطلح كان في قاموس " لاروس الصغير" لسنة 1966م، وكان معناه عامًّا غير محدد ولا دقيق، وكان يُرمز به إلى: "مواقفَ عامةٍ لمجموعة الكاثوليك الذين دأبوا على التمسُّك بالماضي، ورفْضِ كل جديد، وعدم القدرة على تكييف عقيدتهم مع ظروف الحياة وتطوراتها الجديدة في فرنسا"، أما في سنة 1979 فنجد نفس القاموس، لكن من النوع الصغير "لاروس الجيب" يعرف المصطلح واصفاً به تيار الكاثوليك: هي استعداد فكري لدى بعض الكاثوليكيين الذين يكرهون التكيف مع ظروف الحياة الحديثة" [1].

وفي سنة 1984م ظهر "المعجم الكبير" في اثني عشر جزءًا (لاروس)، وقد أخذ المصطلح يتحدد معناه بشيء من الدقة والضبط والوضوح، فهو يعني داخل الحركة الدينية: "موقف الجمود والتصلب، والمعارضة والرفض لكل جديد ولكل تطور"، وكل الأمثلة التي ذكرها "لاروس" في معجمه توضيحاً لمفهوم مصطلح الأصولية، كانت مأخوذة من مواقف الكاثوليك في فرنسا، والتي جسدت حركة الكفاح في ظل بيوس العاشر بفرنسا، من سنة 1903م - 1914م. وفي عصر الحداثة شهد المصطلح تطوراً كبيراً، خاصة بعد مؤتمر الفاتيكان الثاني، ثم انتقل المصطلح من مجال الدراسات الدينية الكاثوليكية، إلى مجال السياسة والاجتماع، حيث أريد به "المذهب المحافظ والمتصلب في موضوع المعتقد السياسي". وكان جاك ديبور يطلقه على "جماعة الكاثوليك الذين يرفضون كلَّ تطور وجديد، ويعلنون تمسكهم بالتراث"[2].

وهكذا فأن كلمة أصولية قد أُوجدت في الخطاب الأوروبي خصيصا عند وصول معركة الكنيسة ضد الحداثة إلى ذروتها الطاحنة. اى أنها كلمة يرتبط معناها الأساسي بالصراع الكنسي

---

(1) رجاء غارودي، "الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها"، باريس: دار عام ألفين،2000، ص13)

(2) محمد السيد الجليند، الأصولية والحوار مع الآخر، القاهرة :دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1999 م، ص 11)

حفاظاً على الأصول التى ثم نسجها، وكتبها بشر على مر العصور، وعبثت بها الأيدي عبر المجامع وفقاً للأغراض السياسية والمصالح البابوية.[1] وبالتالي، ومن خلال كل هذه التعاريف، يمكن القول بأن مصطلح الأصولية يرتكز على ثلاث محددات: الجمود في وجه كل تطور، والعودة والانتساب للماضي، والانغلاق والتصلب وبالتالي عدم التسامح [2].

أما جيمس يبير، فيؤكد المعاني السابقة لمصطلح الأصولية في الغرب عموماً، وفرنسا خصوصاً، وأضاف: يطلق المصطلح على فرقة من البروتستانت تؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة وردتْ في الكتاب المقدس، لأن أفرادها يدَّعون أن الأباء يتلقَّوْن مباشرة عن الله، ويرفضون العقل، ويردُّون أحكامه وأحكام العلماء، ويرفضون التفكير العلمي، ويرونه احتقاراً للكنيسة التي تختص بكلمة الرب، ويميلون إلى العنف واستخدام القوة لبسط آرائهم ومعتقداتهم على الجميع[3]. ويرى "ماليس روتنين" مصطلح الأصولية في كتابه (الأصولية البحث عن معنى). بأنه يطلق على تطورات معينة في العصر الحديث، وتحول إلى مصطلح يراد به إلصاق تهم سلبية بجهة أو فكر، ويعنى طريقة وأسلوب ديني للحياة يظهر نفسه في استراتيجية يحاول من خلالها المتدينون المحافظة على هويتهم المتميزة كشعب أو مجموعة في وجه العلمانية[4].

مما تقدم اتضح لنا أن مصطلح الأصولية تنوعت التعاريف المسندة إليه، وأنه مصطلح ينتمي لحقل العلوم الاجتماعية التي يندر فيها الأجتماع على تعريف موحد للمصطلحات، والأخص من ذلك أنه مصطلح غامض في أصله، ولهذا نورد االتعاريف التالية[5]:

---

(1) هدم الاسلام بالمصطلحات المستوردة (الحداثة والاصولية) – د. زينب عبد العزيز- دار الكتاب العربي – دمشق القاهرة – ط1 2004- ص70-71

(2) رجاء غارودي، المرجع السابق الذكر، ص13)

(3) نظر: ''الأصولية في العالم العربي''، ريتشارد هرير، ترجمة عبدالوارث سعيد، دار الرقاء، ص 34.

(4) المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! (ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي) المصطفى البرجاوي -مريرت 2008م ص 70-72

(5) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة'' من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م ص36

- الأصولية هي المبالغة في التدين والإيحاء بصور التعصب وأساليب التفكير الساذجة القائمة على الاعتقاد بتعليم ديني محدد المعالم، أو بتقليد ديني متمسك بتفسيرات معينة للنصوص المقدسة[1].

-الأصولية هي الالتزام بالطقوس والشعائر لدرجة الانصراف الكلي عن المجتمع، أو هي العمل بجهد وإخلاص يصلان إلى حد التضحية بكل شيء من أجل تحقيق تغيير جذري في المجتمع، وإعادة بنائه بحسب ما يمليه المصدر "السامي" للقيم المطلقة التي يصدرون عنه سلوكهم[2].

- يعرف الفيلسوف "رجاء غارودي" الأصولية بقوله: أنها تقوم على معتقد ديني أو سياسي مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي تمكنت من ارتدائه في عصر سابق من تاريخها، وهكذا تعتقد أنها تمتلك حقيقة مطلقة، وأنها تفرضها، كذلك يقول: الأصولية هي موقف أولئك الذين يرفضون تكييف عقيدة مع الظروف الجديدة".وهي مرض جميع الأديان، وهي ادّعاء أصولي قائل بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة، وأنه يمتلك، من ثم، لا الحق فحسب، بل والواجب أيضا في فرض تلك الحقيقة على الجميع، ولو بالحديد والنار"[3] .

-عرف "يوسف الحسن" الأصولية قائلاً: "الأصولية تطلق على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، سواء العهد القديم أم العهد الجديد، والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات لمجمل الحياة بما في ذلك الشؤون السياسية "[4].

- الكاتب "محمود الهاشمي" عبر عن معنى الأصولية قائلاً: " أن مصطلح الأصولية مصطلح جديد في كل لغات العالم ظهر في بداية القرن العشرين، وهو في اللغة العربية ترجمة للكلمة الإنكليزية "fundamentalism" وكلمة الأصولي "fundamentalist" مأخوذة

---

(1) جورجي كنعان، الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، ط1 ، بيروت :بيسان للنشر والتوزيع، تموز 1995 م،) ص14

(2) جورجي كنعان، المرجع السابق الذكر، ص14)

(3) رجاء غارودي، المرجع السابق الذكر، ص11)

(4) يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي - الصهيوني، (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية) ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1990، ص10.

من اسم مجلة برزت في سياق هذا الاتجاه تدعى (الأصول) " fundamentals" بمعنى الأسس والقواعد، وقد ظهرت بين سنة 1910-1915، فالأصولي، في بداية الأمر، اعتبر مؤيدا لما تدعوا إليه هذه المجلة... وهكذا راح يطلق مصطلح (الأصولي) على من يمتلك الحقائق الرسمية من خلال التقييد الحرفي بالنص"(1)

- الشيخ "محمد حسين فضل الله، ربط الأصولية بالسلفية بقوله: "عندما نستنطق الأصولية كمصطلح غربي، فإننا نلاحظ أن الغربيين يحاولون أن يعطوا الأصولية أكثر عناصر السلفية لأنهم يجعلونها في دائرة الاستغراق في الجذور من دون الانفتاح على الأفاق، التي يمكن أن تنمو فيها حركة هذه الجذور على الأرض، كما يحاولون أن يعطوها صفة العنف التي تنطلق في إلغاء الأخر بالمستوى الذي تبتعد فيه عن الانفتاح عليه في دائرة الحوار، لذا أن الأصولية هي حركة عنف تعمل على تغيير الواقع لمصلحة الإسلام بطريقتها الخاصة "(2).

-تعرف الموسوعة العربية العالمية المصطلح على النحو التالي: هي اتجاه فكري اعتقادي يدعو إلى العودة إلى الأصول أو الأسس لدين أو مذهب معين تخلصاً من بعض المعتقدات أو أنواع السلوك التي استحدثت في ذلك الدين أو المذهب، ولا يكاد يخلو دين من الأديان الرئيسية أو مذاهبها أو التيارات الفكرية وغير الفكرية من نوع من أنواع الأصولية "(3).

- يعرف الخبير الفرنسي "أوليفر روي"، الإسلام الراديكالي، بأنه يعني عودة المسلمين جميعا للأحكام الحقيقية للاسلام (وتدعى عادة السلفية - درب الأسلاف - أو "الأصولية، ويعني تشدداً سياسياً يدعو للجهاد بمعنى الحرب المقدسة على أعداء الإسلام، والذين قد يشملون الحكام المسلمين. ويحدد روي التأسلم باعتاره ضرباً من الأصولية المعاصرة التي تسعى من خلال العمل السياسي إلى إقامة دولة إسلامية عن طريق فرض الشريعة الإسلامية أساساً

---

(1) محمود منقذ الهاشمي، الكارثة المنتظرة "التيارات الأصولية في الفكر الغربي المعاصر"، في مجموعة باحثين، العنف الأصولي (نواب الأرض والسماء) ، ط1، دار الريس للنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ص ص255-256.

(2) غسان بن جدو، خطاب الإسلاميين والمستقبل، حوار مع سماحة الشيخ محمد حسين فضل الله، ط1، دار الملاك للطباعة، بيروت، 1995، ص23.

(3) .الموسوعة العربية العالمية، الحرف) أ) ، المرجع السابق الذكر، ص259)

لكافة قوانين المجتمع. ويرى المتأسلمون أن الإسلام ليس مجرد دين، وأنها هو أيديولوجية سياسية ينبغي أن تندرج في كافة مناحي المجتمع[1].

– من التعاريف الأخرى للأصولية هي مناقضة الليبرالية، حيث تتميز الأصولية بأعمال المفاهيم والفكر بمبدئي التعميم الجماعي وعدم السماح بمناهضة مبادئها. ومن أهم السمات الأساسية في الأصولية التعصب والغلو في الدفاع عن برامجها، والتشدد المفرط في تطبيق خططها (الراديكالية)، والتعميم في مناقضة غيرها من الأفكار والمفاهيم. والأصولية ممدوحة في تطبيق الخصال والأخلاق الحسنة والتعصب لها، ومذمومة في محاولة فرض نفسها على غيرها بالقسوة والعنوة.

وفي هذه الإشارات التي تناولت تاريخَ ظهور المصطلح في الغرب، وما يحمله من خصائص وصفات اتصفت بها الكاثوليكية أو البروتستانت، نرى مفيدًا أن نضع أمامنا الحقائقَ التالية، ونحدد المرتكزات التى تقوم عليها الأصولية، وتتلخص فيما يأتي:

1- أول ما ظهر استعمال أصولية، كان في الغرب، وكان يقصد به فرقة من الكاثوليك أو البروتستانت.

2- من لوازم الأصولية رفضُ التطور، ومحاربة العلم، وعدم التكيف مع ظروف الحياة المعاصرة.

3-الجمود وعدم التكيف مع ظروف الحياة المعاصرة.

4- العودة إلى الماضي، والتشبث به كمرجع أساسي في مواجهة الحداثة المعاصرة، وهذا يستلزم:

أ- الانغلاق والتحجر، وبالتالي عدم التسامح ورفض الآخر.

ب- العنف واستعمال القوة في بسط الرأي والمعتقد الذي تدين به [2].

5-الأساس الذي تقوم الأصولية للدفاع عنه، قد يكون الدين، أو العرق، أو مذهب معين.

---

(1) التارخ السرى لتآمر بريطانيا مع الأصوليين -مارك كورتيس- ترجمة كمال السيد- المركز القومي للترجمة- ط2- عدد 1915/2 - القاهرة-ص31

(2) محمد السيد الجليند، المرجع السابق الذكر، ص12)

فهي إذا جمود في مواجهة التطور، وجنوح إلى الماضي في مواجهة التكيف مع الواقع، ومواجهة العلم والعلماء بآراء الكنيسة وفكر الآباء، وانغلاق على الذات في مواجهة الانفتاح على الغير.

الأصولية .. وسياقها التاريخي

أن العودة إلى ما تعدُّه جماعة معيّنة أو أمة معينة أساساً لهوِّيتها الثقافية، هي عودة تمليها الحاجة إلى توكيد الهوية الثقافية والحضارية، والدفاع عنها إزاء تحدٍ أو انتهاك خارجيين. وبحسب مقتضيات العودة إلى الأصول وإلى مرحلة التأسيس، أو «العصر الذهبي»، تكون الأصولية إما: سلفية قوامها الحنين إلى الماضي الذي يصير معياراً ذاتياً ينكشف في ضوئه فساد الحاضر انحطاطه، أو تكون إصلاحية ومستقبلية قوامها تأصيل المنجزات الثقافية والعلمية والتقنية والأفكار والمفاهيم السياسية المعاصرة بغيةَ إدماجها في المجال الثقافي الخاص بالجماعة أو الأمة المعنية، لتحقيق ضرب من التكيُّف مع العصر، وضرب من التواصل التاريخي، يمنحان الجماعة أو الأمة شعوراً بذاتيتها واستقلالها وفرادة شخصيتها الحضارية. بهذا المعنى الأخير، لا تنفصل الأصولية عن «الوعي الذاتي» الذي يحدد رؤية الجماعة لذاتها وللآخر، ورؤيتها للعالم وللتاريخ. وبحسب مقتضيات العودة إلى الأصول ودواعيها تكون الأصولية إما حركة إصلاح وتجديد وإعادة تأسيس عملية وإيجابية، أو حركة احتجاج ذاتية وسلبية.

ونعود في هذا الأطار لنعرف الأصولية انطلاقا من البيئة التي ظهرت بها، أي البيئة الغربية المسيحية، فنقول: أن "الأصولية المسيحية هي نوع من ظاهرة العودة إلى الدين التي انتعشت في الربع الأخير من القرن العشرين في أعقاب قرنين من سيادة العقلانية والتقدم التقني وسيادة الإيديولوجيات التي أراد لها منظروها أن تكون بديلا للإيمان الديني، وبالتالي جاءت هذه الظاهرة ردا على انهيار القيم، وبديلا عن الأيديولوجيات التي سقطت أو تراجعت، وتمهيداً لنقل أشكال الصراع في العالم من صراع الأيديولوجيات إلى صراع الحضارات"[1]، وبمنظور عقائدي أكثر.

وهناك من يرى أن مصطلح الأصولية ولد في الأصل في أمريكا، ويقصد به فرقة مسيحية كهنوتية، ترفض كل مظهر من مظاهر الحياة، وتراه خروجاً على الدين، فمصطلح "الأصولية

([1]) جورجي كنعان المرجع السابق الذكر، ص 19

"في بيئته الأصلية: فرقة من البروتستانت، تؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة في "الكتاب المقدس"، ويدّعي أفرادها التلقّي المباشر عن الله، ويعادون العقل، والتفكير العلمي، ويميلون إلى استخدام القوة، والعنف لفرض هذه المعتقدات الفاسدة. فهي صفة التصقت بالمسيحيين الذين اعتقدوا بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، كما اعتقدوا بضرورة وجود دولة إسرائيلية في فلسطين يتجمع فيها يهود العالم كمقدمة ضرورية تمهد للمجيء الثاني للمسيح، وبالتالي للمملكة الألفية السعيدة التي تنبأ بها يوحنا في رؤياه"[1].

وهناك من يرجح أن مصطلح"الأصولية " هي في الأصل والأساس ظهرت مع الكنيسة الكاثوليكية، وأن جذورها تعود إلى فترة سيطرتها واحتكارها للمعرفة والحقيقة ورفضها للآخر إلى حد إلغائه، أو حتى قتله (غاليلي مثلا)، وتولت محاربة الاختراعات واضطهاد العلماء والمفكرين بالتحريفات والمقولات غير المنطقية (محاكم التفتيش وصكوك الغفران)، وفرضت سلطة فكرية رهيبة تحجر على الفكر ومنطلقاته العقلية والعلمية، واحتكار الدين. ثم توسعت مع الحركة البروتستانتية، والصهيونية المسيحية (اليمين المسيحي الجديد)، في القرنين التاسع عشر والعشرين، عبر مجموعة من المؤتمرات، لتنتشر أفكارها مع المحافظين الجدد التي تمثل أسس الفكر الأمريكي الصهيوني، الذى انطلق في من صفوف حركة أوسع هي "الحركة الألفية" التي تؤمن بالعودة المادية والجسدية للمسيح مرة ثانية إلى هذا العالم، ليحكمه ألف عام تسبق يوم الدينونة والحساب. وهذه الأصولية البروتستانتية تنادي بالتمسك بأساسيات الدين المسيحي المتمثلة بالتأويل الحرفي للنصوص، وولادة المسيح، وعودته الثانية التي يستتب معها السلام لألف عام قادمة. ويصاحب هذه التعاليم رد فعل عنيف على كل المظاهر الاجتماعية التي تعتبر انحلالا وضلالا من مثل انتشار الإيدز والجنسية المثلية التى تعتبر نوعاً من الآفات التي تمثل العقاب السماوي على الضلال والإنخراط في مظاهر الحداثة الإستهلاكية. ويتمم هذا الموقف المتشدد، بل المتطرف من الخارج، موقف متزمت من الذات والسلوك حيث يمنع التدخين وشرب الكحول، والرقص، ومشاهدة الأفلام.

وهناك طرف ثالث يرى أن الأصولية أقرب ما تكون بفكرة العدمية التي تروج لها الأصولية الصهيونية المسيحية، الذين يؤمنون ويبشّرون بفكرة "هَرْمَجِدّون"، وهي فكرةٌ مؤسّسة على نص لا مثيل له، يرِدُ مرة واحدة في إنجيل "يوحنا"، تلميذ السيد المسيح. وبناءً

([1]) محمد فاروق الزين، المرجع السابق الذكر، ص292)

على تفسير هؤلاء، فإن النص المذكور هو نبوءة تؤكد أن حرباً نووية ستقع على أرض فلسطين، في سهل مجدّو جنوب شرق حيفا، وأن هذه الحرب النووية ستحرق مئات الملايين من الأغيار من جنود المسلمين وغيرهم، وستكون انتصاراً للمسيح العائد الذي سينقذ من بقي من يهود ومسيحيين متجدّدين، ويقيم مملكةً على الأرض، فيعمّ السلام ألف عام[1].

الأصولية ظاهرة في كل الأديان

هناك من يرى أن الأصولية هى اصطلاحٌ سياسي فكري مستحدث يشير إلى نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية نابعة عن قناعة متأصلة وإيمان بفكرةٍ أو منظومة قناعات، تكون في الغالب تصوراً دينياً أو عقيدةٍ دينية. فالأصولية، وهي وأن تكن تعني الانتساب إلى الأصل، أو إلى الأصول، فإنها تعني شيئاً مختلفاً ومغايراً تماماً، على حد قول الأستاذ محمود أمين العالم، حيث يقول: "الأصولية تختلف وتتمايز عن هذه المفردات جميعاً، وتشكل دلالة مذهبية وأيديولوجية خاصة، بمعنى أنها الرؤية التي تتخذ من الأصل، سواء أكانت نصوصاً دينية، أم مذهباً دينياً، أم سياسياً، مرجعاً أساسياً وسنداً مطلقاً نهائياً في مفاهيمها وسلوكها. فليست كل مرجعية إلى أصل ثابت تتسم بالأصولية، وأنما تصبح هذه المرجعية أصولية إذا تكررت هذه المرجعية، واحتكرت وطغت بشكل مطلق، وأصبحت منهجاً مسيطراً"[2]. هذا في حين فسرت "رابعة جلبي" مصطلح الأصولية بأنه "يختلف دلالته بحسب بنية الثقافة التي تستخدمه. إذ يعني التمسك بأصول الدين والاحتكام إليها في المدلول الإسلامي، ويأخذ هذا المصطلح معاني حديثة ترتكز على المفهوم الغربي للدلالة على الاتجاهات المتشددة عموما، وليس للاتجاهات الإيمانية فقط، وأصبح في الآونة الأخيرة مصطلحا دالا على جماعات الإرهاب السياسي ذات البعد الديني ولذلك فأن المصطلح

---

(1) مكونات الثقافة الأصولية د. مصطفى حجازي

(2) انظر مراد وهبة: أصوليات هذا الزمان، سلسلة كتاب قضايا فكرية، بإشراف محمود أمين العالم، الكتاب الثالث، والرابع عشر. 1993م. نقلا عن سليمان حريتاني، توظيف المحرم ط1، دار الحصاد، سوريا، 2000م. ص: 356. وانظر: إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية: ص: 9-10

تختلف دلالاته من ثقافة إلى أخرى، ومن اتجاه إلى آخر، ومن شخص إلى آخر بحسب ثقافته[1].

ومن هنا، فإن كلمة "أصولي" يمكن أن تشير إلى أي توجه ديني يتمسك بالمباديء الأساسية لذلك الدين، وتدل الكلمة عادة على أنماط معينة من المحافظة الدينية سواء أكانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية. وتعبِّر الأصولية عن موقف فكريٍّ متعصب لدى بعض المؤمنين الذين يرفضون، من خلال تمسكهم بـ"أصول" دينهم، كل تطور، ويأبون مجاراة الحياة الاجتماعية الحديثة باسم احترام متصلب للعقائد الدينية أو الأيديولوجية. ومن هنا، فالأصولية ليست مقصورة على دين أو مذهب أو عقيدة سياسية، ولا على أمة من دون سواها. فلكل دين أو مذهب ولكل عقيدة سياسية (أيديولوجية)، في كل أمة من الأمم، أصوليتها وأصوليوها. وقد كانت الأصوليات، في التاريخ حركات إصلاح وتجديد، وحركات «إصلاح مضاد» تتسم كل منها بسمات مجتمعها وخصائص عصرها[2].

وهكذا يمكن اعتبار ظاهرة الأصولية ظاهرة عالمية، وهى ليست حكراً على دين بعينه، بل أن جميع الأديان بلا استثناء أفرزت "أصوليتها" في لحظة من لحظات تاريخها، بما يميزها من تزّمت ديني أو تطرف وغلو في المعتقد. وهو تطرف قد يدفع بصاحبه إلى حد قتل الأخر، لأنه لا ينتمي إلى دينه أو يدين بمذهبه. ولذلك فإنه توجد هناك أصولية يهودية وأخرى مسيحية. فالأصولية هي رفض الآخر المختلف، وادّعاء امتلاك الحقيقة الكاملة وامتلاك الله. وبسبب ذلك تبرر لذاتها الأعمال العنيفة وإنهاء الآخر بطرق قاسية لتطهير العالم من كل ما هو مختلف عن ذلك التيار الحامل للحقيقة. ورغم الإنفتاح الثقافي داخل أوروبا وأميركا ألا أن هناك تيارات أصولية مخيفة يمكن أن تدمر تلك المجتمعات. "ففي الغرب ظهرت أمُّ الأصوليات، وهي الأصولية الصِّهْيَوْنِيَّة، وتحت عباءتها ظهرت الأصولية الماركسية والأصولية الرأسمالية[3].

---

(1) محمد سعيد رمضان البوطي وطيب تيزيني، الإسلام والعصر (تحديات أفاق)، ط 1، دار الفكر، سوريا، 1998، ص239.

(2) انظر: فؤاد زكريا، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، دار التنوير (بيروت 1985).

(3) راجع: "الأصوليات المعاصرة"، مرجع سابق، ص 13.

ويجب أن نعترف بأن الأصولية الدينية هي أقوى حوامل العنف: فما أن يستيقن قومٌ أن دينَهم هو وحدَه الدين الصحيح حتى يجيزوا لأنفسهم الادّعاء بأنهم وحدهم يمتلكون الحقيقة، فيقتنعون بأن الله قد أوكل إليهم مهمة الدفاع عنها، وبذلك لا يأخذون على عاتقهم واجب تكفير الزندقات وحسب، بل وواجب قتال الزنادقة أيضًا. ويعلِّمنا التاريخُ أن الأصولية فخ وقعت فيه جميع الأديان – تولِّد إذا مباشرةً أيديولوجيا "الجهاد" التي ما أنفك لها كل هذا الوزن في تاريخ الأديان. ففي المنطق الأصولي، مادام ليس ثمة قضية أعدل من قضية الله، ليس هناك من عنف أكثر شرعية من عنف الجهاد. هكذا تقدِّس الأيديولوجيا الأصولية العنف. فالقتَلة المتدينون هم من بين أشد القتَلة عتوًّا وأقلهم ندمًا[1].

وقد عانت الأمم والشعوب غير الأوربية، من الأصوليات الغربية التي استهدفت ثقافتها وتاريخها وهويتها الحضارية، ووجودها أحياناً، كما في القارة الأمريكية التي أبيد معظم سكانها الأصليين، وما تزال سياسة التمييز العنصري قائمة إزاء الملونين وغير الأوربيين في الولايات المتحدة الأمريكية، وعانت الأمة العربية من هذه الأصوليات بدءاً من الحروب الصليبية وصولاً إلى حركة الاستعمار التي بدأت بحملة نابليون على مصر 1798م وما رافقها من بعثات «تبشيرية» ومحاولات فرض الثقافة واللغة ونمط الحياة الغربية عليها، إضافة إلى الصهيونية وأطماعها في الأرض العربية. و«الأصولية » في كل مكان وزمان تستثير «الأصولية » المضادة وتغذيها. والغرب هو أول من جعل من الأصولية غطاءً أيديولوجياً، أو قناعاً لسياسة الأستعمار والهيمنة، وللعنف السياسي وإرهاب الدولة بوجه خاص[2].

الأصولية المسيحية البروتستانتية

تتبع الأصولية المسيحية الإنجيل حرفياً، وتدعو إلى اتباع تعاليمه وقيمه في الحياة الاجتماعية والسياسية بما في ذلك الحياة الشخصية. فيدعو الأصوليون المسيحيون، على سبيل المثال، إلى تعليم ما يسمونه علم الخلق في المدارس وهو خلق الكون كما ورد في الإنجيل، وبالضبط في سفر التكوين على أنه حقيقة علمية وتاريخية لا جدال فيها. فالعلم الحديث المتمثل في نظرية

---

(1) الأصولية ترجمة: محمد علي عبد الجليل- مراجعة: ديمتري أفييرينوس–معابر–
http://www.maaber.org/nonviolence_a/Integrisme_a.htm#_ftn1

(2) رجاء غارودي، "الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها"، باريس: دار عام ألفين،2000 ،

التطور علم زائف يضعف من سلطة التوراه؛ لأنه إذا لم يكن الله خالقاً للعالم في ستة أيام، فسفر التكوين باطل، وبالتالى كل الاسفار. ويتهم النقاد الأصوليين بعدم التسامح وتحريم كل شيء، فيرد الأصوليون أن لا مسعى لهم سوى العودة ببلدانهم إلى أصول الحضارة المسيحية وقيمها الأخلاقية. فهي حركة داخل الكنيسة تتمسك بأساسيات الإيمان المسيحي.

والحركة الأصولية تأتي جذورها من كلية برنستون اللاهوتية بسبب ارتباطها بخريجي تلك المؤسسة. وقد كلف اثنان من أعضاء الكنيسة الأغنياء سبعة وتسعين من قادة الكنيسة المحافظين من كل أنحاء العالم الغربي بكتابة 12 مجلداً عن أساسيات الإيمان المسيحي. ثم تم نشر هذه الكتابات وتوزيع أكثر من 300000 نسخة مجأنية للخدام والأخرين ممن لهم دور في قيادة الكنيسة، وكان عنوأن هذه الكتب "الأساسيات"، ومازالت موجودة إلى اليوم وقد جمعت في مجلدين.

وثم تقنين الأصولية في أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 من قبل المسيحيين المحافظين – جون نلسون داربي، دوايت ل مودي، ب ب وارفيلد، بيلي صنداي، وآخرين – الذين أقلقهم تأثر القيم الأخلاقية بالحداثة – وهو معتقد بأن البشر (وليس الله) هم من يخلقون، ويحسنون، ويعيدون تشكيل بيئتهم بمساعدة المعرفة العلمية، والتكنولوجيا، والتجربة العملية. بالأضافة إلى مقأومة تأثير الحداثة، فكانت الكنيسة تصارع حركة النقد والتي كانت تسعى إلى أنكار عصمة الكتاب المقدس.

والأصولية تقوم على خمسة مباديء للإيمان المسيحي، هي:

1- الكتاب المقدس صحيح حرفياً. ويرتبط بهذا المبدأ الإيمان بعصمة الكتاب المقدس، أي خلوه من الأخطاء والتناقضات.

2- ألوهية المسيح وميلاده العذراوي. يؤمن الأصوليون أن المسيح ولد من العذراء مريم التى حبلت به من الروح القدس، وأنه هو ابن الله، أنسان كامل وإله كامل.

3- فداء المسيح الكفاري على الصليب. تعلم الأصولية أن الخلاص يتم فقط بنعمة الله، والإيمان بصلب المسيح من أجل خطايا البشرية.

4- قيامة المسيح بالجسد من الموت في اليوم الثالث بعد صلبه، قام يسوع من القبر، وهو جالس الآن عن يمين الله الأب.

5- مصداقية معجزات المسيح المسجلة في الكتاب المقدس، وحرفية المجيء الثاني للمسيح إلى الأرض قبل الملك الألفي[1].

ومن المباديء العقائدية الأخرى التي يقول بها الأصوليون القول بأن الكنيسة سوف تختطف قبل الضيقة العظيمة والأيام الأخيرة، كما يؤمن أغلب الأصوليين بالتدبير الإلهي لشئون العالم.

وقد تمسكت الحركة الأصولية غالباً بقدر من التشدد للحقيقة، وهذا قاد إلى بعض الصراعات الداخلية. وظهرت طوائف وكنائس عديدة، إذ ترك الناس كنائسهم باسم النقاء العقائدي. ومن الصفات التي تميز الأصولية اعتبارها لنفسها حارسة الحق، إلى حد رفض تفسير الآخرين للكتاب المقدس، وفي وقت قيام الحركة الأصولية، كان العالم يتقبل الليبرالية والحداثة والداروينية، وكان المعلمون الكذبة يغزون الكنيسة. فكانت الأصولية رد فعل ضد فقدان التعليم الكتابي، ولذا يزعم الأصوليون أنهم يسعون إلى حراسة الحق الكتابي والدفاع عن الإيمان المسيحي، حيث أن الكنيسة تعاني اليوم في ظل ثقافة عصر ما بعد الحداثة العلماني وهي بحاجة إلى أناس لا يخجلون من إعلان أن أنجيل المسيح. الحق لا يتغير، والحاجة هي إلى الالتزام بالمباديء الأساسية للعقيدة. هذه المباديء هي حجر الأساس الذي تبنى عليه المسيحية، وكما يقول المسيح، فإن البيت المؤسس على الصخر يقف في وجه أي عاصفة (متى 7: 24-25)[2].

وشهدت الحركة الأصولية بداية القرن العشرين عدداً من المؤتمرات التي أفضت إلى عدد من المنظمات، كان من أبرزها- في أمريكا "جمعية الكتاب المقدس" سنة 1902، وهي التي أصدرت اثنتي عشرة نشرة بعنوان fundamentals "الأصول" دفاعاً عن التفسير الحرفي للإنجيل، وهجوما على نقده أو تأويله، ومن المنظمات كذلك "المؤسسة العالمية للأصوليين المسيحيين" سنة 1919م و"الأتحاد الوطني للأصوليين"[3]

---

(1) ما هي الأصولية؟موقع أسئلة من الكتاب المقدس وأجوبتها-
http://www.gotquestions.org/Arabic/Arabic-fundamentalism.html

(2) ما هي الأصولية؟موقع أسئلة من الكتاب المقدس وأجوبتها-
http://www.gotquestions.org/Arabic/Arabic-fundamentalism.html

(3) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون 09/11/09 - د. محمد عمارة المصدر: مدارك / إسلام أونلاين نت

وتلقّت الحركة ضربة قاسية عام 1925، وبعد ذلك بدأت الأصولية في الانشقاق وإعادة التوجيه. وكانت المجموعة الأبرز والأعلى صوتاً في الولايات المتحدة الأمريكية هي اليمين المسيحي، الذى كان له دور في الحركة السياسية أكثر من غالبية المجموعات الدينية الأخرى، فظهرت المكارثية، في الستينات، والتي كانت نوعاً من «محكمة تفتيش» أخذت على عاتقها ملاحقة المفكرين والمثقفين والسياسيين اليساريين والشيوعيين، المعارضين لأيديولوجية الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها، وتصفيتهم، ولاسيما في مرحلة الحرب الباردة. ومع تسعينات القرن الماضي كانت مجموعات مثل التحالف المسيحي، ومجلس البحوث الأسرية لها تأثير على القضايا السياسية والثقافية. واليوم، تظل الأصولية باقية في مختلف المجموعات الإنجيلية مثل الكنيسة المعمدانية الجنوبية، وهذه المجموعات معاً تضم أكثر من 30 مليون عضو [1].

خصائص الأصولية المسيحية البروتستانتية

يمكن تلخيص عدد من الخصائص التى تميز الأصولية المسيحية.

1-التفسير الحرفي للإنجيل: الموقف الفكري الذي ميز الأصولية المسيحية هو: "التفسير الحرفي للإنجيل وكل النصوص الدينية الموروثة، والرفض الكامل لأي لون من ألوان التأويل لأي من هذه النصوص (حتى ولو كانت – كما هو حال الكثير منها مجازات روحية ورموزاً صوفية) ومعاداة الدراسات النقدية التي كتبت للأنجيل والكتاب المقدس، وانطلاقاً من التفسير الحرفي للإنجيل قال الأصوليون البروتستانت بالعودة الجسدية للمسيح ليحكم العالم ألف عام سعيدة، لأنهم فسروا "رؤيا يوحنا (سفر الرؤيا 10 – 110-) تفسيراً حرفياً.

2- العزلة: تبلورت، عبر مؤتمرات الأصولية ومن خلال مؤسساتها، مقولات تنطلق من التفسير الحرفي للإنجيل، داعية إلى مخاصمة الواقع، ومعاداة المجتمعات العلمانية، بخيرها وشرها على السواء. فهم-مثلاً- يدعون التلقي المباشر عن الله، ويتوجهون إلى العزلة عن الحياة الاجتماعية، ويرفضون التفاعل مع الواقع، ويعادون العقل والتفكير العلمي والمبتكرات العلمية، فيهجرون الجامعات، ويقيمون لتعليمهم مؤسسات خاصة، وهم يرفضون ايجابيات

---

(1) ما هي الأصولية؟ موقع أسئلة من الكتاب المقدس وأجوبتها-
http://www.gotquestions.org/Arabic/Arabic-fundamentalism.html

الحياة العلمانية، ومن باب أولى سلبياتها، من الإجهاض وتحديد النسل إلي الشذوذ الجنسي والدعوات المدافعة عن "حقوق" أهله، ومن المسكرات والتدخين والرقص إلى الاشتراكية.

3-رفض التجديد والتطور: الأصولية المسيحية رفضت التجديد والعصرنة، وحاربت التقدم العلمي، واضطهدت العلماء والمفكرين، وظهرت من جراء هذه الأصولية : حركة التنوير، والفلسفات المضادة لأفكار الكنيسة الغربية التي شوهت الدين نفسه، وجعلته يضطهد ويقهر العقول، ويعارض العلم، ويحارب التقدم والتطور، وأسهمت ردة الفعل هذه في زيادة الهوة بين الدين والعلم. وقامت الكنيسة على ترسيخ هذا المصطلح في الوعي الأوروبي، وأرادت تعميمه على كل دين وملة، بهدف تشويه النظرة إلى العقائد، بغض النظر عن الاختلاف والتنوع في أفكارها ومقاصدها[1].

4-الانغلاق والتزمت: الأصولية في أحد معانيها تعني التمسك الحرفي بالنصوص الدينية، والفهم الخاطئ لها، والانغلاق في إسار الماضي الغابر، واحتقار الحاضر والمستقبل معاً. ذلك لأن نظرة الأصولي مستديرة دائماً إلى الوراء لا إلى الأمام. أنها مثبتة على لحظة معينة من لحظات الماضي، لحظة تتعالى على كل اللحظات!. ومن هنا فالأصولية المسيحية مخيفة تماماً كبقية الأصوليات، وهي تحرم الناس حب الحياة والفرح بها، وتملأ حياتهم بالخوف والترقّب والتزمّت، وكذلك تفقدهم الرحمة تجاه أنفسهم والآخرين، لأن اليوم قريب جداً، والقيامه على الأبواب..!!.

5- رفض التسامح والتعدد: تشير كارين أرمسترونج،-وفي سياق رصدها بزوغ ظاهرة الأصولية في القرن العشرين- إلى موقف الأصولية من المبادئ الديمقراطية بالقول: أنه لم يكن لدى الأصوليين وقت للديمقراطية أو التعددية الحزبية، أو التسامح الديني، أو الحفاظ على السلام، أو الخطاب الحر، أو فصل الكنيسة عن الدولة، فالأصوليون المسيحيون قد قاوموا، لحقبة مديدة من الزمن، الاكتشافات العلمية الخاصة بعلوم الأحياء والفيزياء، وأصروا على أن كتاب «سفر التكوين» يبدو علمياً في جميع تفاصيله، ولا يحتاج إلى إضافات من أي نوع![2].

---

(1) الأصولية بين المفهوم الاسلامي والمفهوم الغربي بقلم:د. سامي عطا حسن. تاريخ النشر: 2010-09-15

(2) معارك في سبيل الإله :الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام -كارينآرمسترونج

6-الارتباط باليهودية: أن المسيحية بخطها البروتستانتي بالذات، اعتمدت الرؤيا اليهودية لتاريخ الخلاص، فألحقت العهد القديم بالعهد الجديد إلى درجة أن اليهود يحتجون الآن ضد انحلال تراثهم التلمودي والنبوي وذوبانه في المسيحية (أى كأنه حصل تأميم لليهودية من قبل المسيحية) [1]. ولذا فالأصولية المسيحية ترتبط أيديولوجياً بالأصولية اليهودية، وتعتبر أن الشعب اليهودي "شعب الله المختار" الذي أعطيت له الأرض المقدسة بحسب التوراة المقدسة، وأن العمل المشترك لكلا المجموعتين سيؤدي إلى تعجيل مجيء المسيح ونهاية الكون، وسنتكلم بالتفصيل عن هذه العلاقة لاحقاً.

الأصولية الكاثوليكة

في النصف الثاني من القرن العشرين برزت الأصولية الكاثوليكية التي ترى في الكنيسة "شعب الله "وتسعى إلى إقامة عالم كنسي مركزي (حاضرته الفاتيكان)، وتضفي على البابا وعلى تعاليمه وتصرفاته صفة القداسة، وتغلق الباب في وجه أي حوار حول مسائل العقيدة أو الحياة الاجتماعية، وتقصر حق تفسير النصوص المقدسة على الكورية البابوية ورجال الأكليروس، وتنسب إلى البابا والكرادلة والمطارنة صفة العصمة، وهي تتسم كغيرها من الأصوليات بالعودة إلى الماضي، وبالرغبة في فرض قانونها عنوةً، وبادعائها امتلاك حقيقة مطلقة وناجزة في شؤون الدين والدنيا.

وتجلت هذه «الأصولية » المتشددة في موقف الفاتيكان من لاهوت التحرير في أمريكة الجنوبية بوجه خاص، حتى غدت مرادفة للاهوت الهيمنة مقابل لاهوت التحرير الذي يربط تحرير الإنسان التاريخي اجتماعياً وسياسياً بالتحرر من الخطيئة، ويضع مفهوم الخطيئة الاجتماعية (الفقر والاستغلال والأستعمار والاستبداد) مقابل مفهوم الخطيئة الشخصية (الخطيئة الأصلية)، ويقدمه عليه. ويعمل على تحرير الإيمان من الاستعمار، وعلى تنسيب الثقافة الغربية، للحفاظ على القيمة العالمية للمسيحية بوصفها ديانة شرقية استولى عليها الغرب، وطبعها بطابع فلسفته وحقوقه وثقافته، وقدمها على هذا النحو إلى الشعوب الأخرى، في إطار تصوره أنه «مركز» العالم الحديث وسيِّده [2].

---

(1) الفكر الاسلامى – محمد اركون– ص38

(2) رجاء غارودي، "الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها"، باريس: دار عام ألفين،2000 ،

الأصولية اليهودية

عبارة «الأصولية اليهودية» تُستخدم في الخطاب السياسي العربي والغربي للإشارة إلى شكل من أشكال التطرف الديني عادةً «الأرثوذكسي»، وتترجم كلمة «أصولي» أحياناً إلى كلمة «متزمت» أو «متشدد» أو «متطرف» ما يعني ترادف كل هذه المصطلحات مع لفظ «أرثوذكسي». ويرى مستخدمو هذا المصطلح أن هذه الأصولية تعود إلى الحاخام أبراهام كوك (الحاخام الإشكناز في فلسطين) وأنها مستمرة، بل أنها آخذة في التنامي، حيث زاد عدد أعضاء الكنيست «الأصوليين»، أي ممثلي الأحزاب الدينية (المفدال وديجيل هاتوراه وشاس) كثيراً. ففي الوقت الذي كانت فيه غالبية البشرية تلقي بقيود وأصفاد الماضي، أظهر الأصوليون اليهود أن قانونهم المقدس، الذي مارسوه بصرامة وتشدد – هو القانون الدولي الوحيد القابل للتطبيق[1].

وظهرت اليهودية الأرثوذكسية رداً على اليهودية الإصلاحية لدرء الخطر الذي يمكن أن يهدد اليهود بالذوبان إذا ما استجابوا إلى دعوة الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، فدافعت عن تراث «الغيتو» اليهودي، وعن فكرة الانغلاق، وعن الاختيار الإلهي، وحذّرت من مخالفة القوانين والتقاليد الدينية اليهودية، ورفضت جميع الأغراءات التي أفرزتها دعوة التحرير والمساواة التي تهدد خصوصية اليهود. وقد استغلت الصهيونية خوف اليهود الأرثوذكس من الذوبان في مجتمعاتهم لتشجيع الهجرة إلى فلسطين التي باتت تضم أكبر تجمع يهودي أرثوذكسي في العالم، إذ تقدر نسبة هؤلاء بنحو 40٪ من المستوطنين في فلسطين المحتلة. وتحمل هذه المدرسة عداوة عميقة للمسلمين بوجه عام، وللعرب مسيحيين ومسلمين بوجه خاص.

والصهيونية اليهودية التي انطلقت من أفكار الحاخام يهودا القلعي(1798-1878) تمثل اليوم، على اختلاف منظماتها، ضرباً من أصولية يهودية متطرفة قضت بأن الاستيطان في فلسطين واجب ديني. وقد تبنّى هرتزل أفكارها، ثم تحولت إلى نوع من فلسفة شاملة على يدي أبراهام إسحاق كوك (1865-1935) الذي أسس أول مدرسة صهيونية دينية في إسرائيل تخرج فيها الألف من دعاة الصهيونية الدينية، وعلى رأسهم زعماء حركة غوش أيمونيم. وثمة

---

(1) معارك في سبيل الإله :الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام –كارينآرمسترونج

قوى دينية غير حزبية معارضة للصهيونية تقول بكفر الدولة، وتدعو إلى الانعزال في الغيتو، منها الطائفة الحريدية، وطائفة «ساطمر» الحسيدية، وجماعة «نطوري كرتا». وهي حركات دينية غيبية تشيع فيها أفكار صوفية حلولية شبه وثنية لا تتطلب إعمال العقل أو الفهم، وأنما تتطلب الأستجابة العمياء. وقد صعدت هذه الحركات من حب اليهود لأرض إسرائيل، ومن الكره للأغيار، وزادت من حدة النزعة القومية، إذ رأت أن الهجرة إلى فلسطين تمثل العلاقة بين خلاص الفرد وخلاص الشعب.

وترى "آرمسترونغ"، أن الأسباب التاريخية التي أدت إلى بروز ظاهرة الأصولية اليهودية، هى أن اليهود كانوا أول من أقبل على التطرف الديني، نظراً لأنهم عانوا أزمة عدم العدالة الاجتماعية، ووجدوا أن مدنية العصر الحديث هي السبب وراء اضطهادهم ومعاناتهم. أضف إلى ذلك أيضاً، ما أصابهم من إحساس بالدونية. وقد دفعهم كل ذلك إلى استخراج مخزونهم من الحيل البارعة والمبادئ الدينية والخرافات والأساطير التي تمنعهم من إعادة سلطة الدين في الحصول على حقوقهم المهضومة على يد الغرب المسيحي[1].

والأصوليون في إسرائيل يُشَكِّلون قسمًا قليلاً نسبيًّا، لكنَّ تأثيرهم السياسي أكبر من حجمهم بكثير، ولا يُنكر الدور البارز الذي تَنهض به جماعات متطرِّفة في هذا المجتمع؛ حيث تسعى سعيًا دؤوبًا؛ لتثبيت ودَعْم المشروع الصِّهْيَوني إلى أقصى درجة مُمكنة، وما اغتيال إسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي على يد أيجال عامير، وكذلك قَتْلُ ما لا يقلُّ عن ثلاثين مصلِّيًا مسلمًا في الخليل على يد باروخ كولدشتاين، وعمليات قتل وحرق الأطفال على يد المستوطنين - إلا إشارات بَيِّنات على المدِّ المتنامي والمُهيمن للفكر الأصولي اليهودي في دولة إسرائيل.

وهذا التيار الديني أصبح بمقدوره التحكم في رئاسة الحكومة وإسقاط الحكومات. ولا يمكن تشكيل أية حكومة دون مشاركتهم، وهم يستأثرون بوزارات المستقبل (التعليم، الأسكان، الأراضي، المهاجرون، الأديان)، ويتحكمون في وزارة حيوية مثل وزارة التعليم، ويُقال أنهم أصبح لهم نفوذ كبير داخل الجيش. فهناك حاخامية عسكرية تتولَّى مهمة التوجيه الفكري والديني وتباشر كل شئون الأحوال الشخصية المتعلقة بالعسكريين، وتشرف على

---

(1) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار - 1 نيسان 2011

المدارس العسكرية الدينية، وتخرّج أجيالاً مسكونة بالكراهية المطلقة للعرب، كما تتولى الحاخامية إصدار الفتاوى التي تضفي القداسة على الممارسات والجرائم التي يرتكبها الجنود ضد العرب. وقد أوصل هذا التغلغل داخل الجيش عدداً غير قليل من الضباط الأرثوذكس إلى مراتب عليا[1].

والأصولية اليهودية في إسرائيل، نمت أهميتها السياسية نمواً هائلاً في ربع القرن الأخير، خصوصاً من خلال تعاونها مع اليمين القومي المتطرف الذي يشاطرهم جزءاً كبيراً من نظرتهم المحمومة المتعالية إلى العالم. أنها أصولية من نوع خاص جداً، متمركزة حول العرق، شديدة الكراهية للأجانب، وذات معتقدات وممارسات متطرفة، مما يحول الدولة العبرية اليوم وبشكل غير مسبوق إلى كيانات اجتماعية وعقائدية وسياسية معزولة في معسكرات متناقضة يشبه كل منها نموذج الغيتو اليهودي في أوروبا الشرقية.

وربما رسمت حالة الطوارئ والحروب المتواصلة مع المحيط العربي ملامح التماسك الداخلي على الدولة العبرية، ولكن في أواسط الثمانينيات من القرن الماضي اندلع الصراع الديني العلماني في الدولة العبرية، فمرحلة "اللا سلم واللا حرب" مع العرب أفسحت المجال أمام تفشي أعمال العنف في الشارع الصهيوني، كإحراق المتدينين لمحطات الحافلات التي تعرض إعلانات مبتذلة، وإغلاق بعض المناطق في وجه حركة السير في عطلة السبت، واحتدام الجدل بشأن قضية "من هو اليهودي؟" وتبقى السياسة الإسرائيلية اسيرة المعتقد الديني الذي يبني طموحاته على اقدام التوراة والعهود القديمة، ويسوق التطرف والقلق لكل العالم[2].

معتقداتها وأفكارها

الأصولية اليهودية هى أم الأصوليات، لأنها تقوم على التعصب والعنصرية والإيمان الحرفي بالتوراة اليهودية والتلمود الذى وضعه حاخاماتها. وهى تسعى لتحقيق كل ما جاء بهما على" أرض الواقع". ومن هنا كانت المصادر اليهودية (نصوصاً وأشخاصاً) محور الأصولية

---

(1) "الأصولية اليهودية/ موسوعة اليهود واليهودية _ عبد الوهاب المسيري- موقع بيت العرب للتوثيق والنظم

(2) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار – 1 نيسان 2011

الذميمة في المجتمع الغربي"[1]. حيث يقدس اليهود كثيراً من النصوص التي تصادم العقل، وتناقض النقل، والأطروحات الأساسية لهذه «الأصولية» حسب تصوُّر من يستخدمون هذا المصطلح كما يلي:

1 . إنشاء دولة إسرائيل هو تجسيد للحلم التوراتي اليهودي القديم، وفي رأي جماعة "غوش أيمونيم" أن ما يبدو في ظاهره مصادرةً لأملاك العرب والفلسطينيين من قِبَل اليهود، هو في الحقيقة نوع من التقديس والتطهير؛ لأن هذه الأراضي المصادَرَة قد تم تخليصها من المجال الشيطاني إلى المجال الربَّاني. أن الأصوليين اليهود يعتقدون اعتقادًا جازمًا، أن الله أعطى جميع أرض إسرائيل إلى اليهود؛ لذا، فإن العرب الذين يعيشون في هذه الأرض هم مجموعة لصوص! [2].

2 -لا يمكن الثقة في الأغيار، بأي شكل، وأرض إسرائيل الكبرى هي أرض يهودية، ولابد للدولة اليهودية أن تعتمد على نفسها وحسب. وهم يتصورون أنه لا يمكن عقد سلام مع العرب، بل يجب طردهم أو تهجيرهم.[3] ويعارض الأصوليون اليهود كلَّ تنازلٍ قامَت به إسرائيل منذ 1967، ومن المبادئ الرئيسة للأصوليين اليهود استعادةُ وإحياء المجتمع الديني التقي والصافي الذي وُجِد في الماضي.

3-الأصوليون اليهود لا يُولون العناية في التعليم إلا للدراسات الدينيَّة، أمَّا سائر العلوم الدنيويَّة والدراسات الإنسانية واللغات الأجنبية، فمُغَيَّب.

4- الأصوليون اليهود ينظرون نظرة ازدراءٍ واحتقار إلى سائر الشعوب، فكل من ليس يهوديًّا فهو من مستوى سفلي. فالحاخام كوك الأكبر، أبو هذه النزعة المتطرِّفة للأصولية اليهودية يقول: "أن الفرق بين رُوح اليهود وروح غيرهم أكبر وأعمق من الفرق بين الرُّوح البشرية وأرواح الأنعام". وهذا التصريح معتمدٌ على القبالة اليهودية التى تؤمن بالتفوُّق

---

(1) الشفوية، أي: تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة) . انظر: الموسوعة اليهودية، للمسيري: مجلد 5: ص 124

(2) "كتاب "الأصولية اليهوديَّة في إسرائيل"؛ لـ"شاحاك"، و"مزفنزكي"، نشر بلوتو برس ط1، 1999، ط 2، 2004) .

(3) الأصولية اليهودية/ موسوعة اليهود واليهودية -عبد الوهاب المسيري- موقع بيت العرب للتوثيق والنظم

المطلَق للرُّوح والجسد اليهودي على الروح والجسد غير اليهودي، وترى هذه القبالة أن العالم أنما خُلِق لأجل اليهود، وأن وجود غير اليهود ما هو إلا وجود ثانوي[1].

5-الاعتقاد بأنهم شعب الله المختار بناءً على ما جاء في سفر أشعيا: "ويكون الملوك حاضنيك، وسيداتهم مرضعاتك، بالوجوه إلى الإرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك" (سفر اشعيا: 49: 23)، فهم يتخذون من هذا النص وغيره دليلاً على أنهم: شعب الله المختار المفضل على جميع الخلق.

6- إذا كان اليهود الأصوليون لديهم احتقارٌ لغير اليهود، فإن كراهيتهم وحَنقهم على اليهود المخالفين لآرائهم أشدُّ وأمرُّ، وما قتْلُ إسحاق رابين إلا حلقة ضمن سلسلة حلقات كثيرة؛ حيث قُتِل العديد من اليهود الذين حادوا عن الصراط المستقيم الذي رسَمته وخطَّته لهم السلطاتُ الدينية اليهودية، فهناك قانون تلمودي يبرر القتل "قأنون المُطارِد"، و"قأنون المُخبِر". أمَّا القانون الأول، فيأمر كلَّ يهودي أن يقتلَ أو يجرحَ أي يهودي ينوي أن يقتلَ يهوديًّا آخر، أمَّا القانون الثاني، فيسمح لليهودي أن يَقتُل- دون قرارٍ من السلطة الدينية- أخاه اليهودي الذي: أخبَر أو وَشَى لغير اليهود عن معلومات وشؤون تتعلَّق باليهود، أو سلَّم أشخاصًا يهودًا أو ممتلكات يهوديَّة إلى غير اليهود. ولما كانت "أرض إسرائيل" عند جميع اليهود المتديِّنين - ملكًا حصريًّا لليهود؛ لذا، فمَنْحُ الفلسطينيين جزءًا يسيرًا من هذه الأرض، موجبٌ للقتْل وداعٍ إليه، وهذا ما فعَله رابين بالضبط، فأنطبَق عليه القانون الثاني، فاستحقَّ الموت[2].

7- جاء في التلمود: "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينقذ أحدا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون قد حفظ حياة أحد الوثنيين"[3].

---

(1) "كتاب "الأصولية اليهوديَّة في إسرائيل"؛ لـ"شاحاك"، و"مزفنزكي"، نشر بلوتو برس ط1، 1999، ط 2، 2004).

(2) "قراءة في كتاب الأصولية اليهودية في إسرائيل- بشار بكور-: 2011/11/15
رابط: http://www.alukah.net/culture/0/36017/#ixzz3e3nqHf9F

(3) انظر: من التلمود، إعداد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: ص 62

هذه بعض النصوص التي تفوح منها رائحة العنصرية، والقتل والتطرف، وغير ذلك من الصفات الذميمة، لأن الأصولية اليهودية تصر على تقديس النص، والأخذ بحرفيته، والتمسك به. وكذلك تقديس أقوال الحاخامات، وإعطائها سلطة أعلى من سلطة التوراة [1].

ويلخص الدكتور عبد الله بركات الأصولية اليهودية بقوله: "تجسد النصوص المقدسة عند اليهود (الأسفار الكتابية، والتلمود) هذا المفهوم الأصولي من مصادمة للعلم، والثوابت اليقينية، والبدهيات العقلية، وتعميق العنصرية والدموية، والتهاون بمحرمات كل الأجناس غير اليهودية، كل ذلك في نصوص لا تقبل المناقشة والجدل، بينما تنفرد التعاليم الشفوية باعتبار الشخص المعتبر عندهم (الحاخام) أصلاً تفوق أهميته وقداسته واعتباره النص ذاته. واليهود يقدسون (الحاخام)، ويرفعون مرتبته فوق مرتبة الأنبياء، ومما يؤكد ذلك ما ذكره صاحب كتاب (الأصولية اليهودية) على لسان المتحدث باسم إحدى المستوطنات اليهودية قوله: "لو طلب منا حاخاماتنا الرحيل بهدوء فلن تجد الحكومة في مدينة يهودا والسامرة أسهل في الإخلاء من مدينتنا، أما إذا طلبوا البقاء فسنناضل أكثر من أي مدينة"[2]. وهكذا يتمثل مفهوم الأصولية اليهودية في، تقديس النص، بتطبيقه حرفياً، وإعطائه سلطة أعلى من أي سلطة أخرى، وأيضا تقديس الشخص بتقديس كلامه، واعتبار كلامه نصاً، وهذا متمثل في الحاخام عند اليهود[3].

وتعتبر حركة "جوش أمونيوم" و"يهودات هتوراه" وحركة "شاس" وغيرها من الحركات المتطرفة اكبر ممثل للأصولية اليهودية، حيث يعتبرون دولة إسرائيل دولة مقدسة، والتنازل عن أي جزء من الأرض هو "هرطقة"، لأن أي جزء هو "منحة من الله". هذه المنحة ليست مردودة لليهودية فحسب، بل وأيضا "للدم الذي أهدر في حروب إسرائيل من أجل وجودها". وهم يرون أن اليهودية هي الضامن الوحيد لإسرائيل، وهذه الأخيرة هي الضامن الوحيد للأولى. وهي إذن ترفض الآنصياع للدولة طالما لم تتبنى المعاأيير الأخلاقية الصارمة[4].

---

(1) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية، إعداد: محمد إبراهيم الشربيني: ص 30-31.

(2) الآصولية اليهودية: إمانويل هيمان، ص: 123.

(3) مفهوم الأصولية الإسلامية عند الغربيين، عرض ونقد. ص: 24.

(4) الأصولية والعلمانية`` - مراد وهبه، دار الثقافة، القاهرة، 2005، 104 ص.

أصول الإرهاب والتطرف والعنف

للإرهاب الصهيوني أصول دينية، حيث عملت الحركة الصهيونية على تحويل العقيدة الدينية اليهودية إلى نظرية سياسية تطالب بحق تاريخي، وتستند إلى وعد إلهي، ولهذا كان الدين اليهودي الأساس الذي ارتكزت عليه النظرية السياسية الصهيونية، والذي اتخذه دعاتها للمناداة بالقومية اليهودية، وسنداً للمطالبة بتحقيق الوعد الألهي، وصكاً لملكية أرض فلسطين وحق العودة إليها لبناء الدولة الحديثة والمعبد الثالث في أورشليم، وتزعم الصهيونية أنه مثلما حفظ الدين اليهودي الشعب من الاندثار والضياع عبر قرون طويلة، يستطيع الدين في الحاضر أن يعيد لم شمله فوق أرض الميعاد، وأن يشكل العروة الوثقى التي تربط بين تراث الماضي السحيق وتطلعات الحاضر وأمنيات المستقبل[1].

ويستمد الفكر العسكري جذوره من العقيدة الصهيونية، فاستخدام القوة والقتل والإرهاب والعنف هو أساس هذه العقيدة، وقد جاء في التوراة: "إذا لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين يستبقون، أشواك في أعينكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها". ويحاول المؤرخون الإسرائيليون والقادة الصهاينة استقراء التجارب الحربية من نصوص التوراة بهدف غرس روح القتال في نفوس الجنود اليهود، وبيان قدرة إسرائيل في الماضي والحاضر والمستقبل على شن الحملات الناجحة وفق تخطيط دقيق وفكر أصيل متطور. ويؤكدون باستمرار على أن ضخامة الجيش وكثرته ليست هي العامل الأول في إحراز النجاح، بل أن الروح الهجومية العالية والقدرة على تحقيق المفاجأة من حيث وقت ومكان وأسلوب شن الهجوم هي العامل الأساسي في تحقيق النصر الحاسم.

واستلهم اليهود سياستهم في البطش والعنف، من التوراة التى تزخر بالأيات التي تحض على هذا السلوك، وتأمر باستعمال أقصى درجات العنف مع العدو وتسوق الكثير من أساليب العنف الوحشية كضرب المدن بالسيف والعقاب الجماعي والأبادة التامة. وتنحدر الأساليب الوحشية إلى الدرك الأسفل من البهيمية، فتنادي بأن تحطم رؤوس أطفالهم أمام عيونهم،

([1]) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجية(RSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار – 1 نيسان 2011

وتنهب بيوتهم، وتفضح نساؤهم، لا يرحمون ثمرة بطن ولا تشفق عيونهم على الأول اد، ولعلَّ ما حدث، وما زال يحدث للفلسطينيين، أكبر دليل على استمرار تلك السياسة[1].

فكرة المسيح المنتظر

لعبت فكرة المسيح المخلص، ولازالت، دوراً مركزياً في الفكر اليهودي الأصولي، القديم والحديث، حيث يعتقد اليهود بأن فكرة المسيح الخاص بهم هى النتيجة الطبيعية لفكرة "أمل المستقبل التنبؤى". فهم ينظرون إلى المسيح على أنه النبى الأول الذى رسم صورة دقيقة لملك المستقبل المثالى. والمسيح عندهم مرتبط برغبتهم في السيطرة على العالم، ويعتقدون أن المسيح الذى سيظهر من جديد هو سليل داود، وسيكون منارة العالم، وسيأتيه العالم ينشد الرشد والاحتكام إليه، وسيسيطر المسيح على كل الأمم، وسيرسى دعائم العدل في العالم كله، وستكون عاصمته القدس.

وتعمد معتقدات يهودية أخرى إلى تصوير المسيح كرجل تقى يحكم العالم بتوجيه يهوه. ويتوقع هذا الأعتقاد السيطرة على العالم بتدبير إلهى وإقامة سلام عالمى. وترى هذه النظرية أن الحب والعدل سيحلان محل العنف والقوة، وسيتحقق انتصار هذا المسيح بتغيير قلوب الإنسانية جمعاء في اللحظة التى يتم فيها الإيمان برسالة إسرائيل. وترى بعض المذاهب اليهودية أن المسيح موجود فعلاً، وأنه يحيا حياة سرية. ويؤكد البعض أنه ولد في مدينة بيت لحم في اليوم الأول لتدمير الهيكل. ويعتقد أنه سيأتى كلص في الظلام، أو يظهر كوميض البرق، ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بقدومه. ومهما كان الاعتقاد اليهودى - سواء أكان المسيح قد ولد فعلاً أو أنه لما يأت بعد؟ - فأن جوهر الفكرة الدائمة هو أن المسيح سيخلص إسرائيل من الأمميين، ويعيد مجد القدس، ويحكم العالم من فوق العرش القديم للسلطة اليهودية. ويقول التلموذ: لكى يسيطر اليهود نهائيا على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلثا العالم، ويبقى اليهود مدة سبع سنوات متتالية يحرقون الأسلحة التى اكتسبوها بعد

---

(1) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار – 1 نيسان 2011

النصر[1]. ويجب أن نلاحظ أن نفس هذه الأفكار يؤمن بها الأصوليون المسيحيون كما سنوضح لاحقاً.

ونتيجه لأهمية فكرة المسيح المخلص عند اليهود فقد ظهر عدد كبير من الشخصيات اليهودية التى ادعت أنها المسيح، وكان الكثير منهم دجالين يستغلون آمال ومعتقدات اليهود من أجل مصالحهم الشخصية. وربما أنخدع بعضهم فاعتقد بأنه كذلك، أو تظاهر بذلك. ولبس البعض ذلك الثوب طمعاً في نشر عقيدة لم يمكن أن يتقبلها اليهود لو دعا إليها رجل عأدى. ومهما كانت البواعث فقد وقفوا مدعين بأنهم منقذو إسرائيل[2].

وقد حاولت اليهودية الحاخامية، بشكل عام، محاصرة النزعة المشيحانية، ولذا جعلتها منوطة بمشيئة الأله، والعودة الشخصية الفعلية (دون أنتظار أوامر الأله وتعاليمه) يُعد ارتكاباً لخطيئة «التعجيل بالنهاية»، ولذا فقد أحجم الحاخام "شنيرسون" عن إتمام رحلته إلى فلسطين قائلاً: "في السماء شهودي، لو كان الأمر بيدي لحثثت الخطى إلى هناك إلى فلسطين كالسهم حينما يخرج من قوسه"، ولكنه لم يفعل، خشية أن يفسر الصهأينة رحلته هذه على أنها قبول لرؤيتهم، كما أن الحاخام هيرش، زعيم الناطوري كارتا، امتنع عن زيارة حائط المبكى، رغم أنه كان يعيش على بُعد خطوات منه[3].

أصوليات أخرى غير دينية

يرى البعض أن الأصولية لا تقتصر على الأديان والمذاهب الدينية، بل تتعداها إلى المذاهب الفكرية والأيديولوجيات والنظريات» السياسية. ومن هذه الأصوليات: الأصولية العلمانية التي تجعل من العلمانية مذهباً إلحادياً غالباً، في حين هي موقف منفتح إزاء مسائل المعرفة ومسائل الواقع والتاريخ. فهي تحّول ما ليس مذهباً إلى مذهب، أو إلى أيديولوجية، ومنها أيضاً الأصولية الوضعية التي تزعم أن بوسع العلم حل جميع المسائل والمشكلات التي تعترض الحياة الإنسانية، وأن ما لا يمكن للعلم أن يقيسه ويختبره ويتوقعه هو شيء غير موجود. وبهذا

---

(1) الكنز المرصوص في فضائح التلموذ - د. محمد عبد الله الشرقاوي ص 196 - مكتبة الوعي الإسلامي

(2) شهود يهوه - بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلموذ اليهودي - تأليف/ حسين عمر حماده - دار قتيبه 1990 - ص 34-35

(3) "الأصولية اليهودية/ موسوعة اليهود واليهودية _ عبد الوهاب المسيري- موقع بيت العرب للتوثيق والنظم

تستبعد أرفع أبعاد الحياة كالإيمان والحب والإبداع الفني والحلم، وتتجاهل الوجه القبيح للتقدم الذي يتجلى في تشييء الإنسان وتدمير البيئة واحتكار الثروة والقوة.

وفي هذا السياق يمكن أيضا الحديث عن أصوليات عنصرية أخرى كتلك التي قامت عليها النازية في ألمانيا والصهيونية العالمية، وأصوليات «إثنية» قومية نشطت بعد تفكك الأتحاد السوفييتي والأتحاد اليوغسلافي. وهناك الأصولية الشيوعية التى هيمنت على مناطق واسعة في العالم لمدة تزيد عن نصف قرن، وكانت كتابات فلاديمير لينين وكارل ماركس بمثابة الكتاب المقدس للشيوعيين. وقد دعت الأصولية الشيوعية إلى الألحاد، وأغلقت المساجد والكنائس، وحولتها إلى أندية. وأيضا هناك الأصولية الرأسمالية، التى يرى مفكروها أن الحل الأمثل للمشاكل الإنسانية هو الإيمان بالقوى الاقتصادية التي تحرك الأسواق العالمية. وقد استطاعت مؤسسات عالمية كبيرة في أميركا وبريطانيا وألمانيا وكندا أن ترسم استراتيجية عمل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وأن تسيّر اقتصاديات دول العالم الثالث.

ويبدو من هذه الأصوليات وغيرها، أنها ليست فقط عنصر ممانعة للرؤى الكونية الجديدة فحسب، بل تهدف أيضاً إلى تشكيل العالم، استناداً لمقولات ثلاث: العنف والإرهاب والثورة...هي كلها تمزج المطلق بالنسبي، والحقيقة الأبدية بالحقيقة العابرة ... هذا التصور مرتكز على نفي الدوغمائية من الدين، ونفي العقائد. بالتالي، فهي لا يمكن أن تتجاوز، لأن المطلق بحكم طبيعته لا يقبل التعدد، وتعدد المطلقات مهدد للمطلقات[1].

سمات وخصائص الأصولية

تقوم الأصولية أساساً، كما يقول محمد عابد الجابري، ضد ما تعتبره تفريطاً، وتخاذلاً وتهاوناً، وبالتالي ضياعاً للهوية، وقصوراً عن فرض الأحقية. وهي في هذا تقوم ضد الانفتاح والاعتدال والتعددية. ولا تقتصر على قيامها ضد الخارج، بل هي أيضاً توجه ثورتها ضد الداخل (المقصّر والمفرّط بالحق القاطع). من هنا لا تنصب أعمال العنف على الغير فقط، بل تطال الداخل في تخاذله وتقصيره وميوعته وخيانته. ذلك ما يجعل العنف ضد رموز التقصير هذه رسالة تاريخية. ويتم ذلك كله ضمن حالة من الهوى الأسطوري الذي لا يلتفت كثيراً للواقع الموضوعي. بل هو يعتبر هذا الواقع حالة الفساد التي ينبغي التخلص منه. وهذه

(1) "الأصولية والعلمانية" - مراد وهبه، دار الثقافة، القاهرة، 2005، 104 ص.

الديناميكية تدفع الجماعة الأصولية بالضرورة نحو التطرف الداخلي والخارجي. ويقع التطرف في النظرة السحرية القطعية والاختزالية للعالم. ويتوسل في أحاديثه لغة مجازية يقفز من خلالها على الواقع مستبدلاً أياه بالشعارات. وتحتاج الدعوة الأصولية، كلما ازدادت تطرفاً، إلى مزيدٍ من تكثيف وتبسيط الشعارات التي بفضلها يبدو الأمر وكانه منزّلٌ قاطع، يحمل برهانه في منطوقه ذاته. على أن هذه البنية الفوقية لا تكفي وحدها لاستمرار الحالة الأصولية وترسيخها. بل لابد لها، من التصادم مع رؤى العالم. حيث يحدث رفض متبادل ما بين الأصولية ونقيضها. يضاف إلى ذلك وجود السند الاجتماعي المتمثل باللحمة العصبية التي تشكل أساسها المادي الاجتماعي[1].

وبالرغم من الجدل الذي يقوم حول دلالة مصطلح "الأصولية " ونشأته، فأنه لا يمكن نفي أن "الأصولية " توجد في الأديان كلها وفي الأيديولوجيات بصورة أو بأخرى، ما يعني اعتبارها ظاهرة فكرية مرتبطة بفكر معين له سمات خاصة تتلخص في الآتى:

1 – الشمولية: وهي تعبّر عن وجهة النظر التي تقول بأن جميع الأسئلة التي تطرحها الحياة الخاصة والعامة تتوافر الأجابات عنها في العقيدة، أو بالأحرى في تعاليم الدين، أو الأيديولوجية.

2 – الانحياز المطلق، أي رفض أي مناقشة للمبادىء التي يعتنقها الأصولي، والتعصب تجاه أي وجهة نظر أخرى مخالفة.

3– النصوصية، أي الرأي القائل بأن النصوص المقدسة ينبغي ألا تمس، وينبغي أن تفهم فهماً حرفياً أو لفظياً[2].

4- العقل الأصولي عقل نكوصي ماضوي، يقدس الماضي، ويتحرق شوقاً للعودة لأرحام المرجعية في الفقه واللغة والأفكار.

5- يتسم العقل الأصولي بعداواته للتفكير العلمي وانجذابه للاّعقلي والأسطوري.

6- الذهن الأصولي يعاني من أحادية البعد، فهو يعجز عن إدراك أن للحقيقة عدة أوجه، وليس وجهاً وأحداً.

---

(1) مكونات الثقافة الأصولية د. مصطفى حجازي

(2) عشر قضايا عن الأصولية- فريتس شتيبات ترجمة د. عبد الغفار مكاوي- المصدر: عالم المعرفة

7- العقل الأصولي عقل "دوجمائي" يعتقد دوماً في امتلاك الحقيقة التي تعلو فوق النقد والشك[1].

ومما تقدم يتضح لنا أن الأصولية الدينية، ليست قاصرة على دين بعينه، أو على منطقة معينة من العالم كمنطقة الشرق الأوسط مثلاً، ولكنها موجودة في الأديان السماوية الأخرى، وفي مناطق مختلفة من العالم، حتى المتقدم منها. فهناك أصولية مسيحية متشددة في أمريكا، تمنع تدريس نظرية دارون في المدارس والجامعات في بعض الولايات الأمريكية حتى الآن. والأصوليات جميعها تشترك معاً في قواسم مشتركة وأحدة، وهي التطرف، والغلو، والتشدد، والتفسير الحرفي للنصوص، ومعاداة النظريات العلمية، ومنع إعمال العقل في النص الديني، ولكن بدرجات متفاوتة. ولو كان لدينا ما اقترحه هاشم صالح في كتابه "معضلة الأصولية الإسلامية " من إقامة "علم الأصوليات المقارنة"، لاستطعنا أن نكتشف بوضوح من أن الأصولية الإسلامية هي أقل الأصوليات الدينية السماوية الثلاث تطرفاً، وغلواً، وتشدداً[2].

(1) ذهنية التكفير.. الأصوليات الإسلامية والعنف المقدس -د. حسن حماد-العربية للنشر والتوزيع 2014

(2) جناية الأصولية على الإسلام-د. شاكر النابلسي في السبت 30 مايو 2009

الفصل الثاني

الأصولية المسيحية نشأتها وتطورها

المعروف تاريخياً أنه عندما ظهر السيد المسيح بدعوته الجديدة على أرض فلسطين، كانت اليهودية يتجاذبها تيارأن كبيرأن: التيار الفريسيّ، وهو تيار الكهنة الرجعيين الذين تمسّكوا بظاهر النص التوراتي لا بروحه. والتيار الثاني، وهو تيار الصدوقيين، وهم طبقة الأغنياء المتعصبين للثقافة الهلينية. وثمة طائفة ثالثة من المتنسّكين الذين كرهوا الزواج وعاشوا متقشفين، فكان منهم يوحنا المعمدان. وليس من دليل على أن المسيح أيد أياً من هؤلاء، أنما كان سلوكه المعادي للفريسيين، المطرى بالزهد والعفة يوحي أنه مال في تعاليمه إلى هؤلاء المتنسّكين. وهكذا نشأت المسيحية، وفي داخلها هذا التنازع الشديد بين النزوع إلى الأصل اليهودي، والرغبة في العقيدة الجديدة المتحرِّرة من نص الماضي. ولهذا نشأ داخل المسيحية الأولى نفسها حزبان: حزبٌ ميّالٌ إلى اليهودية والتوراة وأصولها، وحزبٌ رومأني كان مقدراً له فيما بعد أن يصبح حاكماً في الأمبراطورية، على استحياءٍ أولاً في القرن الثالث الميلادي، ثم علناً في أوائل القرن الرابع في عهد الأمبراطور قسطنطين الأول [1].

من هنا، فأن دراسة الأصولية كظاهرة مرتبطة بالديانة المسيحية، يتطلب منا البحث عن جذورها بالعودة للوراء أكثر، أي للتاريخ القديم. فمثلاً كان المسيحيون في عهد المسيح عليه السلام، وبعد واقعة الصلب، وحتى سنة 325م، حسبما يتبين من أسفار الأناجيل، كانوا يعيشون في بدائية ومشاعية[2] وبساطة ... حياة غير منبثقة عن حضارة الرومان المحيطة بهم، ومنقطعة عن النظام الإسرائيلي القائم بينهم، لاعتقادهم أن حضارة الرومأن حضارة وثنية يتعين عليهم أن يبتعدوا عن دنسها، وأن النظام الإسرائيلي نظام شكلي غير روحي يلزم عليهم الانسلاخ منه. يضاف إلى هذا أن هؤلاء المسيحيين ظلوا فترة طويلة يعملون وكانهم نحلة أو

---

(1) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار – 1 نيسان 2011

(2) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م ص27

فرقة يهودية جديدة، فلم يسعوا لتجديد الدين أو إلى إبراز الشريعة الخاصة بهم، وعندما فرض "قسطنطين" امبراطور روما في 325 م، أن تكون المسيحية دينا للإمبراطورية، اتخذت المسيحية وضعاً آخر[1].

وقد كان لانتصار المسيحية، في زمن الإمبراطورية الرومانية، هزيمةً تاريخية للمسيحية اليهودية، التي تراجعت وخبت، فيما كانت بيزنطة تشنّ حرباً ضروساً على أحزاب مسيحية مشرقية أخرى، منها الأريوسية والنسطورية واليعقوبية. لكنّ ضمور المسيحية اليهودية كان إلى حين. فما أن أخذ المسيحيون الأوروبيون يتململون تحت وطأة السلطة البابوية، بتأثير حركة النهضة وظهور النوازع القومية في إنكلترا وألمانيا، على الأخص، حتى سارعت المسيحية اليهودية، وربما اليهودية نفسها، إلى تأييد هذه الحركات القومية، وساندت التمرّد الإنجليكاني على الكثلكة، ونصرت حركة لوثر الألمانية وكالفن غانسينوس. وكانت هذه الفرصة التاريخية المنفذ الذي تسلّلت منه النزعات التوراتية إلى المذاهب الجديدة في أوروبا. وقد صدف في الوقت ذاته أن الأوروبيين اكتشفوا القارة الأمريكية واستعمروها، وكانوا بحاجة إلى عقيدة تضفي على هذا الأستعمار الصفة الشرعية، فكانت نظرية أرض الميعاد، هي العقيدة المنشودة التي أباحت لجحافل الإنغلوسكسون والجرمانيين أن يستوطنوا أميركا، ويبيدوا شعبها وحضارتها وضميرهم مطمئن إلى صواب فعلهم. فأي شرعية يمكن أن تسمو على شرعية وعد صريح من الله، أن يهب شعبه المختار تلك الأرض الجديدة؟[2].

الإصلاح الدينى

تسلحت حركة الإصلاح الديني البروتستانتية، بفكرة العودة إلى الأصول(النصوص المقدسة)، ودعوة المؤمنين للعودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر المسيحية وأساسها، أي بوصفه الأصل والنبع الحقيقي للدين وإلى محاولة فهم نصوص الكتاب جميعاً بمدلولاتها البسيطة والواضحة[3]، وقد بدأت الأفكار المسيحية الأصولية مع "الإصلاح اللوثري"

---

(1) محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، الجزائر :المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1990 م، ص159)

(2) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار – 1 نيسان 2011

(3) جورجي كنعان، المرجع السابق الذكر، ص 33

الذي أدخل إلى المسيحية الاهتمام الشديد بالعهد القديم أو التوراة وكان لوثر نفسه يظن أن القيامة على الأبواب، وراح يقرأ التاريخ انطلاقاً من نبوءات التوراة، وعلاقة الشعب اليهودي بالله... وهذه الفكرة "أي أن التاريخ أداة لتنفيذ هدف سماوي" قد تغلغلت في التفكير الغربي، وأثرت في كثير من القرارات السياسية. ولما كانت الأصولية المسيحية تدعو للعودة إلى الأصول، وتعتقد بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، أي عصمته عن الخطأ والتحريف، فقد أصبح للنص الإنجيلي السلطة العليا فوق الجميع، لأنه كلمة الله المعصومة من كل عيب ونقص، وكل ما يعارض النص فهو مرفوض، ويجب تفسير النص تفسيراً حرفياً، وحصر فهمه في اللاهوتيين من رجال الكنيسة، مع الإهتمام اهتماماً كبيراً بالنبوءات المستقبلية، ومحاول تحقيقها حرفياً، وخاصة ما يتعلق بإسرائيل، والمجيء الثاني للمسيح. فالأصولية المسيحية كمثيلتها الأصولية اليهودية، تقوم على تقديس النص، وتقديس الشخص[1].

وقد بدأت الظاهرة الأصولية المسيحية في القرن السادس عشر. ففيما كانت البروتستانتية تطالب بالتحرر من تقاليد الكنيسة الكاثوليكية وسلطة روما والبابا، كانت أيضاً تدعو إلى العودة إلى حرفية الكتاب المقدس والتمسك به كسلطة عليا، ومع ترجمته إلى لغات متعددة، دخل حياة الناس العاديين أكثر، وبشرح دقيق ومدروس من قبل الوعاظ البروتستانت. وهذا التغيير الذى جاء به لوثرا انعكس بصورة كبيرة على موقف البروتستانت من اليهود ومن آمالهم في العودة إلى أرض فلسطين لإقامة دولتهم فيها. وقد بينا في دراسات عديدة الدور الكبير الذى لعبته، ولا زالت تلعبه، الفرق البروتستانتية المختلفة في إقامة دولة إسرائيل ودعمها على كافة المستويات [2]. ولأهمية التغييرات التى جاءت بها حركة الإصلاح، سنعرض تفاصيل أكثر عنها.

---

[1] الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية (مرجع سابق) : ص 31.

[2] راجع الكتب التالية للمؤلف : الصليبيون الجدد .. الحملة الثامنه – الطبعة الاولى – مكتبة مدبولي 1997. الحملة الصليبية على العالم الاسلامي والعالم (اربعة اجزاء) دار صوت القلم العربي/ القاهرة، 2009 مكتبة حسن العصرية لبنان2014 ، البعد الدينى لعلاقة امريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (1948–2009) مكتبة حسن العصرية لبنان 2014، هذا بالاضافة الى العديد من الدراسات المنشورة في العديد من الصحف والمجلات ومواقع الانترنت.

مارتن لوثر(1483- 1536):

يعد مارتن لوثر واضع حجر الأساس للأصولية المسيحية من خلال حركته الإصلاحية التى قادها ضد الكنيسة الكاثوليكية في أوائل القرن السادس عشر. فقد عاش لوثر في الفترة من (1483-1546)، وشاهد بأم عينه، بوصفه راهباً كاثوليكياً، مظاهر الفساد التى بدت في كثير من شؤون الكنيسة الكاثوليكية، ومحأولتها استغلال سلطتها الدينية لفرض سيطرتها على كافة مظاهر الحياة في أوروبا. وقد كان لوثر راهباً أوغسطينياً ومعلماً للاهوت، وأثارت فيه تلك الممارسة الهابطة ببيع صكوك الغفران، استياءً أخلاقياً عارماً، كما حدث للكثير غيره. وفي عام 1517 خرج نشاطه إلى العلن، ونادى بالقضايا الخمس والتسعين المشهورة، التى سجلها في وثيقة علقها على باب كنيسة قلعة فتنبرج. ولم يكن في ذهنه، حين تحدى السلطة الكنسية العليا في هذه النقطة، أن يقيم مذهباً دينياً جديداً. غير أن هذه المسألة الشائكة كانت تثير مشكلة سياسية كاملة، هى الحصص المالية الضخمة التى كانت تدفع لدولة اجنبية. وعندما حرق لوثر علناً المرسوم البابوى بطرده من الكنيسة في عام 1520، لم تعد المسألة تقتصر على الإصلاح الدينى، إذ بدأ الأمراء والحكام الألمان يتخذون موقفاً. وأصبحت حركة الإصلاح ثورة سياسية للألمان ضد سلطة البابا الأشد خفاءً[1].

فعندما ثار لوثر على مظاهر الفساد تلك، وبالذات ضد صكوك الغفران، وأعلن بطلانها، وكتب في ذلك احتجاجاً علقه على باب كنيسته. أصدر البابا قراراً بحرمأنه واعتباره زائغ العقيدة، فلم يأبه لوثر بهذا القرار، بل عمد إلى إحراقه في ميدان من أكبر ميادين مدينته في جمع حاشد من الناس، فجمع له البابا سنة 1520 مجمعاً قرر محاكمته، وأيضاً لم يذغن لوثر لهذا القرار. ولما حاول الأمبراطور الألمانى في سنة 1529 أن ينفذ القرار، ثار أنصار لوثر، واحتجوا على ذلك، ومن ثم سمى اتباعه بالبروتستانت، أى المحتجين[2]، وأخذ لوثر بعد ذلك ينشر مبادئه المعارضة للكنيسة الكاثوليكية.

---

(1) حكمة الغرب- ترجمة د. فؤاد زكريا- ص41-42

(2) الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام - د. على عبد الواحد وافى ص 142 -143

مقدمات الإصلاح الدينى

تمثلت نشأة الأصولية في التجربة الأوروبية بتسلط الكنيسة على المجتمع والدولة واستبدادها بالوهم والخرافة. ويرجعها الدارسون إلى القرن الذي سبق مباشرة عصر التنوير في أوروبا، أي القرن السابع عشر. فقد كان عصراً لاهوتياً، شهد سيطرة التيار المضاد للاصلاح الديني، الذي حاكم غاليليو، وأجبر ديكارت على الهرب من فرنسا، وأرعب سبينوزا. أنه عصر الحروب المذهبية والأهلية التي اجتاحت أوروبا، ويمكن وصفها بعصر الإرهاب اللاهوتي. هكذا نجد أن الأصولية قد ارتبطت بعصور الظلام التي سيطرت على أوروبا، وأفرزت حركة التنوير كحركة مضادة قادت معركة استغرقت أربعة قرون: من لوثر وإيراسم، إلى هيغل ونيتشه، مروراً بسبينوزا، وجون لوك، وفولتير، وديدرو، وروسو، وكانط وغيرهم[1].

فقبل أن تهب عاصفة حركة النهضة ببضعة قرون، كان هناك تغير تدريجى في المناخ الثقافي، سعى إلى هدم الآراء القديمة عن سيطرة الكنيسة. أما الأسباب التى أدت إلى هذا التغيير الثورى فهى متنوعة ومتشابكة. فعلى السطح الخارجى يبدو الأمر كما لو كان تمرداً على سلطة رجال الدين في التدخل بين الله والإنسان. غير أن هذا المبدأ السليم (مبدأ عدم التدخل) ما كان ليشق طريقه وحده لو لم تكن الكنيسة ذاتها قد لفتت أنظار الناس، بمفاسدها، إلى التباين الشديد بين ما تعظهم به ومسلكها الفعلى. ففي كثير من الأحيان كان رجال الكنيسة يملكون أراضٍ واسعة، وما كان هذا ليعد في ذاته أمراً مذموماً لو لم يكن من الصعب التوفيق بين تعاليم المسيح وبين السلوك الدنيوى لكهنته.. أما عن مسائل المعتقدات الدينية، فإن "وليام أوكام 1288-1347" كان قد قال من قبل: أن المسيحية يمكن أن تسير في طريقها بغير السيطرة الجامحة لأسقف روما[2].

وهكذا، فإن عناصر الإصلاح للحياة الدينية للعالم المسيحى كانت موجودة بالفعل في إطار الكنيسة. ولم يتطور السعى إلى الإصلاح بحيث يصبح انقساماً حاسماً، في النهاية، إلا نتيجة

---

(1) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار - 1 نيسان 2011 .

(2) حكمة الغرب ج 2- ترجمة د. فؤاد زكريا- ص 33

لعوامل سياسية. وبالرغم من أن مارتن لوثر هو مؤسس الإصلاح الدينى المسيحي، ولكنه لم يكن أول من ثار ضد الكنيسة الكاثوليكية وخالف آراءها، فقد سبقه إلى ذلك كثير من الملوك والعلماء ورجال الدين، ولكن الكنيسة استطاعت أن تقضي على كل تلك الاحتجاجات، مرة عن طريق قرارات الحرمان، وأخرى عن طريق محاكم التفتيش. وسنعرض لبعض الأمثلة للخلافات مع الكنيسة، وكيفية التعامل معها:

1-خلاف الكنيسة مع الملوك والحكام:

حدث أكثر من نزاع بين الكنيسة والملوك بشأن مسألة الزواج والطلاق، حيث "كان الملوك يتزوجون، ويزوجون أولادهم من اميرات لم يسبق لهم أن رأوهن بقصد لم شمل البلاد، فإذا لم يحدث توفيق في الزواج طلب الزوجان الطلاق، وقد يكون أن مصالح الدولة تغيرت، وصار من اللازم عقد اتفاق مع دولة أخرى، فيصبح زواجاً جديداً أمراً لازماً. وهنا كانت الكنيسة تتدخل لمنع الطلاق، لأن الزواج سر مقدس كالمعمودية والعشاء الربانى، وكسر عقد الزواج مستحيل ما دام الطرفان تعاهدا على أن يظلا أمينين طوال حياتهما[1]، وكانت الكنيسة تلجأ إلى حلين للتقريب بين الملك وزوجته:

الأول : الحرمان الذى يعنى حرمان الملك من سر المناولة، والثانى التحريم الذى يعني حرمان الدولة التى يملك عليها الملك من خدمات الكنيسة، فيتضايق الشعب، ويضغط على الملك حتى يخضع للبابا. وقد حدثت عدة حالات من هذا النوع، مثل حالة الملك فليب ملك فرنسا الذى تزوج من أميرة دنماركية لم يسبق أن رآها. ويقول الملك أنه حين رآها لأول مرة سرت في جسده رعدة، وأبعدها عنه بعد الزواج. فأصدر البابا حكم التحريم على فرنسا كلها، فتضايق الفرنسيون وخضع فليب للبابا، وأعاد زوجته. وقد بلغ فرح الناس بعودة الأميرة إلى الملك أنهم أقاموا الاحتفالات في الشوارع، فمات 300 شخص فيها بسبب الزحام "[2].

2-خلاف الكنيسة مع العلماء:

حدثت خلافات ونزاعات بين الكنيسة والعلماء والمفكرين بسبب محاولة الكنيسة فرض سيطرتها على الحياة الفكرية والعلمية في أوروبا عن طريق تحكّمها في تفسير كل شيء، وفرض

---

(1) مواقف من تاريخ الكنيسة - رولاند بينتون - ترجمة القس عبد النور ميخائيل ص 77

(2) مواقف من تاريخ الكنيسة - رولاند بينتون - ترجمة القس عبد النور ميخائيل ص 78

آرائها على جميع أتباعها حتى الآراء التى لا علاقة لها بالدين المسيحى، كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة وشؤون السياسة ونظم الحكم. ولفرض هذه الأراء وقمع المخالفين اتّخذ أحد المجامع الكنسية في عام 1215 قراراً بشأن الهراطقة حيث أباح استئصالهم"[1]. وكانوا يعنون بالهراطقة كل من يرى رأياً يخالف الكنيسة، ولو كان في أمور تتعلق بشئون السياسة ونظم الحكم، أو بمسائل العلوم وظواهر الفلك والطبيعة والأحياء. وقد نفذ هذا القرار في كثير من دعاة الإصلاح في الدين، وممن خالفوا آراء الكنيسة في مسائل السياسة والعلوم"[2]، فكان يحكم عليهم بالإعدام رجماً أو حرقاً، ويحرق معهم ما عسى أن يكون لهم من بحوث ومؤلفات. وأنشأت الكنيسة (لمحاكمة الهراطقة والمخالفين لآرائها) محاكم خاصة اشتهرت باسم محاكم التفتيش، حيث راح ضحيتها الأف العلماء والمصلحين[3].

3- خلاف الكنيسة مع رجال الدين والدولة:

حدثت نزاعات ومصادمات أخرى بين الكنيسة من جهة، والدولة وبعض رجال الدين من جهة أخرى حول مسائل أخرى كثيرة، مثل مسألة زواج رجال الدين، ومسألة اختيار البابا، والنزاع بين الدولة والكنيسة بشأن دفع الضرائب عن الأراضى التى تمتلكها الكنيسة، وغيرها من الأمور، ولكن الكنيسة استطاعت القضاء على كل هذه النزاعات والخلافات باستخدامها لقرارات الحرمان والتحريم بحق الملوك الذين يخالفون رأيها وأنشائها لمحاكم التفتيش لملاحقة ومعاقبة كل عالم أو مصلح يخالف رأيها في أى مسألة كانت.

وإذا كانت خلافات الكنيسة مع الملوك والعلماء والمصلحين لعبت دوراً في تسريع الإصلاح الدينى، فإن أفكار عصر النهضة لعبت دوراً مهماً، في إنتاج جملة الشروط الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية التي نجم عنها ولادة حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، حيث استفادت حركة الإصلاح الديني من النهضة بحدود معينة، واتخذت مواقف مغايرة لها إزاء عديد من الموضوعات، كالفنّ والأدب والفلسفة وقضايا تتعلق بالإنسان كقضيتي (الفردية) و(الحرية).

---

(1) المسيحية د. احمد شلبى ص 256

(2) الاسفار المقدسة – مصدر سابق – ص 140

(3) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية – الامام محمد عبده – ص 34

وبالرغم من أن المستوى الثقافي لرجال الإصلاح ذاتهم، كان أقل من علماء الحركة الإنسانية والمفكرين الذين مهدوا لهم الطريق. غير أنهم كانوا يملكون تلك الحماسة الثورية التى يجد كثير من المفكرين الناقدين في كثير من الأحيان صعوبة في إبدائها[1]. وعليه، فقد تميّز الإصلاح الديني في القرن السادس عشر عن النهضة في القرن الخامس عشر بعديد من الميزات، وفي مقدمتها التركيز على إصلاح الدين المسيحي والكنيسة، والانفصال عن روما، فنشط الخطاب الديني والقومي، ليصبح العنوان المحبب في عصر الإصلاح الديني البروتستانتي، فلا عجب من رفع شعارات تدعو إلى بناء كنائس دينية وطنية مستقلة عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، أو الدعوة إلى الانفصال عن الإمبراطورية الرومانية. إمبراطورية العصور الوسطى[2].

محاولات الإصلاح داخل الكاثوليكية

سبق ولادة حركة الإصلاح الديني البروتستانتي ولادة عدة حركات دينية، ك (حركة الفلدانيين) و(حركة الهُسيين) في كل من فرنسا وإنكلترا وبوهيميا. فجاءت أفكار (لوثر) و(زونجلي) و(كالفن) بوصفها امتداداً لأفكار (يوحنا هس) و(يوحنا ويكليف) و(جيروم)، و(لورد بكهام ويوحنا أولدكاسل). وبالرغم من أن الكنيسة تمكنت من مواجهة هذه الحركات، وحققت نجاحاً كبيراً على معارضيها، إلا أن ذلك لم يعالج مشكلة الفساد الذى انتشر في أغلب شئون الكنيسة، لهذا ظهر بعض رجال الدين الكاثوليك أمثال "جون ويكلف" و"هس" و"أرازموس" وغيرهم، حاولوا إصلاح حال الكنيسة، ولكن جهودهم تلك لم تؤتِ ثمارها المرجوة لأسباب كثيرة، ولكنها في نفس الوقت مهدت الطريق لنجاح حركات الإصلاح الدينى التى قادها لوتر وغيره من المصلحين.

جون ويكليف (1328-1384)

كان جون ويكليف أحد خريجي جامعة أكسفورد، وعُين أستاذاً فيها، واختير لأن يكون مستشاراً دينياً للملك في إحدى حفلات خريجي الجامعة اللاهوتية مع البابوية، فكانت هذه

---

(1) حكمة الغرب- ترجمة د. فؤاد زكريا- ص4

(2) حركة الإصلاح البروتستانتي (لوثر، زونجلي، كالفن) بقلم:الدكتور سامي الشّيخ محمد- دنيا الوطن: 2006-01-08- عين غزال- حيفا - فلسطين

بداية عداء الكنيسة له، حيث بدأ يكشف حالة الترف التي كان الأكليروس يحيونها وتورطهم في المشكلات السياسية التي لا شأن لهم بها، وكانت وسيلته في نقاشه معهم أفكار القديس أغسطينوس وفلسفته. وتعّرض أيضاً للضرائب التي كانت تفرضها الكنيسة على الأمراء وذوي النفوذ بدعوى العشور، وكانت البلاد والملوك غير راضية عن هذا الأسلوب. وفي سنة 1377 طلبه أسقف لندن، ليمثل أمامه ليحاكمه، ولكن الأمراء والنبلاء وفروا له الحماية، فأصدر البابا أمراً بالقبض عليه، إلا أن الملك حماه في قصره، وهذه هى أهم آراء جون ويكليف:

1 – هاجم البابا هجوماً عنيفاً ومباشراً عندما قال: أن الكنيسة ليست متمركزة في البابا والكرادلة، لكن في شركة المؤمنين، حيث يكون المسيح موجوداً ورئيساً لها، كما أنه ليس للبابا قوة في الربط والحل أكثر من أي كاهن. وعن مسألة الإيمان، فإنه لا يجب على أي أنسان أن يتبع البابا أو حتى أحد القديسين إلا عندما يقتدي هؤلاء بالمسيح وبعد ذلك وصل به الأمر إلي أن وصف البابا بعدو المسيح!.

2 – اختلف جون ويكلف مع الكاثوليك بالنسبة لسر المناولة، فالأصل هو استحالة الخبز والخمر لجسد الرب ودمه، أما هو فآمن بأن الجسد والدم كانا حاضرين حقاً، لكن لم يكن هناك تحويل وتغيير في الخبز والخمر، وكان هذا أساس فكر لوثر فيما بعد، ولهذا اشتّدت معارضة البابا ورجال الأكليروس له. وفي سنة 1382 وقف كبير أساقفة كنتريرى ضد أفكار "ويكلف"، ومنعه من إلقاء محاضراته في جامعة أكسفورد، لكن بسبب حماية أصدقائه له لم يستطيعوا مهاجمته، ومات سنة 1384.

3-ترجم "ويكليف" الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية الدارِجة من لغة الفولجاتا اللاتينية، لأنه يبدو أنه لم يكن يجيد العبرية واليونانية، إلا أنه بهذا استطاع أن يوصل كلام الله لرجل الشارع والفقير والجاهل الذين كانوا محرومين منه، ولكن كانت المعارضة تصفه بأنه "ألقى الدُرر قدّام الخنازير" وما لبثت ترجمته هذه أن مُنِعَت في سنة 1408. ومن كلماته عن الكتاب المقدس " أنه لا شيء يجب الإيمان به ما لم يكن مؤسساً على هذا الكتاب، ولا يجب إضافة شيء لتعليمه. هذا الكتاب هو الحق الكامل الذي يجب أن ندرسه ويدرسه كل مسيحي، فهو نموذج لكل منظور، وإذا كان التكليف في أكسفورد يتغير في كثير من الأحيان إلا أن الأسفار المقدسة: نعم نعم، لا لا، فهي لا تتغير أبدا، لأن كلمة الله باقية إلي الأبد.

4-من جهود ويكليف في الإصلاح أيضاً، أنه نظّم فريقاً من "الكهنة الفقراء" الذين تجولوا كارزين في الأرياف، على مثال الولدأنيين، مرتدين أبسط الثياب، يمشون حفاة، وقد ازداد عددهم بعد موته، وأصبح لهم تأثير كبير مكّنهم من تقديم مشروع قانون في البرلمان استنكروا فيه وأدانوا رذائل الكنيسة، لكن بحلول عام 1401 قويت المعارضة، حتى أجازوا قانونا يدين الولدايين باعتبارهم هراطقة، فإذا قبض على أفراد منهم كان لابد من إعدامهم حرقا، فمات منهم عدد كبير بهذه الطريقة، ومع ذلك بقيت الحركة لعديد من السنين[1].

جون هس (1372-1415)

هو رجل الإصلاح في بوهيميا (تشيكوسلوفاكيا الآن)، ولد من أبوين قرويين سنة 1373. وتعلَّم في جامعة براج، وبعد حصوله على درجتي البكالوريوس والماجستير رسم للكهنوت 1401، واستمر أستاذا في الجامعة، فاهتم بأعمال جون ويكليف، وكان يكرز ويعِظ في أحدى كنائس "براج" جاذبا إليه انتباه الجمهور الفقير. وكان له أعداء في الكنيسة والجامعة، وقت الشقاق البابوي، حيث كان الولاء في بوهيميا منقسماً. فكان الملك، مسانداً لهس وزملائه في الجامعة، وكانت الجامعة نفسها منقسمة بين الأحزاب الألمانية والبوهيمية. وحدثت مشاكل عدة، ليس فقط من العصبة الألمانية الأكاديمية، لكن أيضًا من الكنيسة ورئيس أساقفه "براج" الذي كان في وقتٍ سابق متعاطفًا مع هس، فأصدر بتشجيع البابا أمراً بحرمان هس، لكن الملك والشعب احتجّوا؛ لأن هس كان قد أصبح وقتئذ رمزاً للوطنية، واستمر في هجماته على البابوية خصوصاً على موضوع بيع صكوك الغفران. ومرة أخرى صدر الأمر البابوي بحرمان هس، ووضعت مدينة براج تحت التحريم البابوي، وحرمت عليها كل المواسم الدينية. وحرصاً على سلامته، أقنع الملك جون هس أن يختفي، وكانت هذه هي الفترة التي ألّف فيها أشهر أعماله (عن الكنيسة).

وبسبب سيرة وآراء "جون ويكليف" التي أدينَت من الجامعة ومن البابوية، نُظر إلى جون هس كجزء من الثورة التي بدأت، والذي هددت حياة الكنيسة ذاتها، فقالوا عنه: "أنه يمثل نوعاً من الفوضوية، وهو المبدأ الذي كان يدعو إلى نبذ البابوية، وأن يداس الأساقفة تحت النعال، وإلى تكسيح الرهبنة واستفزاز الثورة السياسية الاجتماعية"، وربما لم يفطن أحد إلى

([1]) تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية- محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية - د. يواقيم رزق مرقس

هس نفسه في بادئ الأمر، إلا أنه كان يُنظر إليه كشخص خطير جدًا يستحق أقسى الإجراءات، وفي 1414 دعي مؤتمر في كونستانس، وصدر قرار بابوي بحرمانه، وسجنه، كما أدان المجلس "ويكليف"، وأمر أن يحرق جسده الذي سبق دفنه من مدة طويلة. الأ أنه بعد ذلك حكم عليه بالهرطقة، وأحرقوه على قائم خشبي في 6 يوليو 1415. [1]

أرازموس(1466-1536):

كان "أرازموس" الذى ولد في مدينة روتردام، من أعظم رجال الإنسانية الشمالية، حيث ألّف كتاب "امتداح الحماقة"، والذى تضمن قدراً كبيراً من السخرية على حماقات البشر، وهجمات مريرة على وضاعة المؤسسات الكنسية وكهنتها. ولكن على الرغم من أنتقاداته الصريحة للكنيسة، إلا أنه لم يعلن تأييده الصريح لحركة الإصلاح الدينى عندما حان الوقت. فقد كان يؤمن بالرأى البروتستانتى المحض، القائل أن الإنسان يتصل بالله اتصالا مباشراً، وأن اللاهوت لا داعي له. ولكنه في الوقت ذاته رفض أن يستدرج إلى المنازعات الدينية التى نشأت في أعقاب حركة الإصلاح الدينى، وكان أكثر اهتماماً بالأعمال العلمية ونشر كتبه، وأحس على أية حال بأن الانشقاق الذى حدث أمر مؤسف. ومع الاعتراف بأن أمثال هذه الخلافات هى بقدر ما أمور سقيمة، فقد كانت مشاكل يستحيل تجاهلها. وفي النهاية أعلن تأييده للكاثوليكية[2].

جماعة الجزويت:

ظهرت حركة إصلاحية جديدة في أواسط القرن السادس عشر في إيطاليا، تركزت على جماعة الجزويت، واعترف بها رسميا في عام 1540. حيث نظمت هذه الجماعة على أسس عسكرية، وكانت أنشطتها منصبّة على العمل التبشيرى والتعليم واستئصال شأفة البدع والهرطقات. فقد كانت الكاثوليكية في إيطاليا عندئذٍ، كما هى الآن جزءاً من الحياة اليومية لا تتغلغل بعمق في ضمير الإنسان، وكان الدين بمعنى ما، يقوم بدور أقل في حياتهم، وكان قطعاً أقل قدرة على إثارة مشاعرهم. وفضلاً عن ذلك، فنظراً إلى أن روما كانت محور الهرم الدينى، فإن الكاثوليكية الرومانية لم يكن من الممكن أن تجرح الكبرياء الوطنى للإيطاليين. ويمكن

([1]) تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية- محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية - د. يواقيم رزق مرقس

([2]) حكمة الغرب- ترجمة د. فؤاد زكريا- ص36

القول أن الكاثوليكية كانت بصورة حقيقية جداً، أثراً باقياً من آثار مبدأ عبادة الدولة كما كان موجوداً في أيام الأمبراطورية القديمة[1]، ولهذا، فأن هذه الحركة لم تتابع حركة الإصلاح الدينى في محاولة الانفصال عن روما، بل حاولت اصلاح الكاثوليكية من الداخل.

لوثر والإصلاح الدينى:

بدأت ثورة لوثر، كما أسلفنا، على الكنيسة الكاثوليكية في أول أمرها ضد صكوك الغفران التى أوجدتها الكنيسة لتغطية احتياجاتها من المال. فقد قررت الكنيسة في أحد مجامعها المسكونية، أن من حق رجال الكنيسة أن يغفروا للمسيء ذنوبه في حالة احتضاره وفي حالة صحته. وقد أفرط رجال الكنيسة كثيراً في استخدام هذا الحق، فأنشئوا صكوكاً للغفران تباع وتشترى، واتخذتها الكنيسة مورداً هاماً لكسب المال. فلم يستكثر الناس بذل الأموال للحصول عليها ما دامت تكفل لهم غفران ما ارتكبوه وما يرتكبونه من معاصى وآثام[2]. وقد استندت الكنيسة الكاثوليكية في إصدارها لذلك القرار، إلى فكرة الصلاح الزائد لدى القديسين، حيث ترى أن القديسين لديهم صلاحاً زائداً يمكن أن يضاف إلى صلاح الإنسان العادى، فيتم إعفاءه من قضاء بعض سنوات في المطهر (النار)، ويمكن أن ينقله من عذابه إلى راحة السماء عندما يضاف صلاح القديسين إلى صلاحه"[3].

وقد حدث عندما كان لوثر مدرساً في إحدى الجامعات، أن البابا فكر في بناء كنيسة عظيمة في روما، ولم يكن المال الموجود يكفي لهذا البناء العظيم، فأرسل البابا أحد وكلائه، ويدعى "تنزيل"، إلى ألمانيا لجمع المال، فجمع مبلغاً كبيراً، وأرسله للبابا. فقد التفت حول "تنزيل" جماهير كثيرة، وأخذت تكوم المال بين يديه عن طيب خاطر ورغبة في الحصول على صكوك الغفران، والتى كانت عبارة عن وثائق مكتوبة تحمل وعوداً من البابا لغفران خطايا الإنسان والحصول على الحياة الأبدية. ولما كان تنزيل يرغب في الحصول على أكبر كمية من المال، فإنه لم يبع صكوكاً تضمن غفران الخطايا الماضية فحسب، لكنه أعلن عن استعداده لبيع صكوك

---

(1) حكمة الغرب- ترجمة د. فؤاد زكريا- ص45

(2) الاسفار المقدسة (مصدر سابق) - ص 141

(3) مواقف من تاريخ الكنيسة (مصدر سابق) - ص 109

لغفران الخطايا المستقبلية أيضاً[1]. ليس ذلك فقط، بل إن في إمكان الشخص أن يدفع مبلغاً معيناً من المال، فينقذ بذلك أصدقاءه وأقرباءه من العذاب المؤقت فيما يسمونه بالمطهر. وقد استعمل "تنزيل" كافة الوسائل لجمع الأموال، فأخبر الناس أنه حالما تدخل نقودهم إلى الخزائن ينُقذ أصدقاؤهم من المطهر، وأخذ يلقى على الناس الخطب الرنانة والعبارات المؤثرة، ليستجلب عطفهم على الأناس الذين في المطهر مصوراً لهم العذاب الأليم الذى يلاقونه هناك.

ولما سمع لوثر بأخبار "تنزيل" واعماله، وبإقبال الناس على شراء صكوك الغفران، هزه ذلك هزاً عنيفاً، فكتب قضأياه الـ "95" الشهيرة، وعلقها على باب الكنيسة، حيث أنكر بكل صراحة قدرة البابا على غفران الذنوب، وعارض فكرة الصلاح الزائد لدى القديسين، وأعلن أن لا أحد يملك صلاحاً زائداً، وأنكر أيضاً فكرة المطهر، وقال أنه لو علم البابا مقدار فقر الشعب الألمانى لترك كنيسة القديس بطرس بلا بناء عوضاً عن امتصاص دماء المساكين"[2].

الكتاب المقدس وحده المعصوم

أنطلق مارتن لوثر في دعوته من الإعتقاد"بعصمة الكتاب المقدس من الخطأ"، بالقول بأن البابا خلافاً لما كان شائعاً- معرض للخطأ مثل غيره من البشر، وعلى هذا يلزم أن يكون الكتاب المقدس هو المرجع الأول الذي تجب العودة إليه، وليس البابا، ولهذا رأى بوجوب ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الوطنية المحلية، ليكون في متناول العامة، وليس حكراً على النخبة أو رجال الدين الذين كانوا حتى ذلك الحين يقرءونه باللاتينية أو بالآرامية[3]. وقد أحدثت أفكار لوثر تلك ضجة كبرى، وانتشرت في كافة بقاع ألمانيا، وطبعت المطابع آلاف النسخ منها، ووصل أمر تلك القضايا إلى البابا الذى أمر بتشكيل لجنة لمحاكمة لوثر، ووقف لوثر أمام تلك اللجنة التى سألته أن كانت آراءه تشبه آراء جون هس. فأجاب بالإيجاب. فقالوا له: إذا أنت تتفق مع هرطوقى أدأنه البابا، فهل كان البابا مخطئاً في إدانة هس؟ فأجاب لوثر: أن البابا أخطأ، وأنه ليس معصوماً، وأن الكتاب المقدس وحده هو المعصوم. وقد وجد لوثر أنه، أن كان سيتبع تعاليم الكتاب المقدس أكثر من تعاليم البابا، فينبغى عليه أن يجهر بأن

---

(1) حياة لوثر زعيم الاصلاح - ا. موريسون - ترجمة القس باقى صدفه - ص 36 -37

(2) مواقف من تاريخ الكنيسة (مصدر سابق) - ص 109

(3) محمد فاروق الزين، المرجع السابق الذكر، ص268)

ما قاله البابا مخالفاً للكتاب المقدس... وهنا هجر لوثر، الكثير من ممارسات الكنيسة الكاثوليكية"[1]، وهنا استنكرت الكنيسة الكاثوليكية دعوة لوثر، وحكم عليه مجمع فورمس 1521 بالطرد من الكنيسة، وعده هرطيقاً، وقضى بحرمانه ومطاردة مؤيديه[2].

العودة إلى الأصول

هكذا بدأ الإصلاح الدينى، وبدأت معه الدعوة إلى العودة إلى أصول العقيدة المسيحية النقية، وهو الكتاب المقدس الذي اعتبره لوثر الكنز الحقيقى للكنيسة". فما دامت الكنيسة الكاثوليكية، وعلى رأسها البابا، تستغل الدين بهذه الطريقة، فلابد من وضع حد لهذا الاستغلال. وقد وجد لوثر أن ذلك لا يتم إلا من خلال تحطيم ثلاثة أسوار أحاطت الكنيسة الكاثوليكية نفسها بها. لهذا إذاع لوثر رسالته الشهيرة الموجهة للإمبراطور والشعب الألمانى، حيث دعاهم فيها إلى التحرك للدفاع عن حقوق بلادهم المهضومة، ووضع حد لخضوعهم لـ "إشراف روما"، الذين أحاطوا أنفسهم بثلاث أسوار منيعة يستترون خلفها لكى ينفذوا أغراضهم.

فهم لا يعترفون بخضوعهم وتبعيتهم للسلطة الزمنية، فلا يعبأون بقانون أو سلطان. وإزاء هذا أعلن لوثر أن جميع المسيحيين على قدم المساواة أمام السلطة الزمنية، فيجب أن يعاقب المجرم ولو كان البابا نفسه. كما أنهم ينادون أيضاً بأن تفسير الكتاب المقدس من حق البابا وحده، وتفسيره منزه عن الخطأ. فإن فعل البابا شراً يستطيع بكل سهولة أن يغير ويحرف في تفسير الكتاب المقدس حسب هواه وما يناسبه، ولا يستطيع أحد أن يعارضه بكلمة، لأن فم البابا تكلم. ولكن لوثر لم يصمت، بل قضى شهوراً في قراءة الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة، وكلّما تعمّق في القراءة ازداد يقيناً أن عصمة البابا من الخطأ، هى مجرد نصب وخداع. وقال أنّ هذا السور الذى يستتر خلفه الرومانيون هو سخافة وحماقة. أما عن السور الثالث فحدّث ولا حرج، فلم يكتف البابا بأنه لا يعترف بالسلطة الزمنية، وأنه وحده له الحق في تفسير الكتاب

---

(1) مواقف من تاريخ الكنيسة (مصدر سابق) – ص 110

(2) إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابيشي (دار الطليعة، بيروت 1983) .

المقدس حسب هواه، ولكنه أيضاً عقد مجمعاً أقل ما يمكن أن ينعت به أنه ذيل يحركه البابا كيفما يشاء. وهكذا أصبح البابا في مأمن من أن يكون تحت سلطان ملك أو امبراطور[1].

وبمجرد أن إذاع لوثر هذه الرسالة شعر البابا بخطورة الموقف الذى بات يهدد كيانه وكيأن الكنيسة الكاثوليكية كلها. فالمعروف أن الكنيسة الكاثوليكية تستمد سلطتها التشريعية من مصدرين رئيسيين هما: الوحى الإلهى متمثلاً في الأناجيل وأعمال الرسل نقلاً عن السيد المسيح، ثم كتب العهد القديم التى أقرتها الكنيسة. أما المصدر الثانى، فهو المصدر البشرى المتمثل في البابا والمجامع المسكونية (العالمية).

فالبابا حسب العقيدة المسيحية يستمد سلطته من سلطة الرعاية الكنسية، ومانحها هو الله مباشرة دون توسط بشر. وهو أيضاً خليفة القديس بطرس الذى منحه السيد المسيح أولوية على جميع الحواريين، وأعطاه مركزاً تأسيسياً في الكنيسة، وسماه "صخرة" أى الصخرة أو الأساس الذى سيقوم عليها بناء الكنيسة، وأعطاه أيضاً مفتاح الملكوت، وجعل إليه العقد والحل. وبتقرير أولوية بطرس على جميع الحواريين، وحقه في رعاية القطيع بعد موت المسيح، أصبح بطرس أول البابوات، ولما توفي بطرس كان لابد من استمرار الرعاية التى يتولاها من يخلف بطرس، وهو البابا، وهو يماثل بطرس تماماً، وتثبت له كل سلطاته، ولذلك يخاطب كل بابا عند توليه منصبه بأنه "بطرس"[2]

أما المجامع المسكونية التى ثار لوثر عليها، فتأتى بعد البابا في سلطتها التشريعية في الكنيسة الكاثوليكية، وكانت في وقت من الأوقات مقدمة على البابا، حتى قرر مجمع الفاتيكان في سنة 1870 أولوية البابا على المجامع المسكونية. ومن البابا والمجامع المسكونية ومجموعة المؤمنين، تتكون الكنيسة التى هي حسب الاعتقاد المسيحى الكاثوليكى، تساوي في سلطانها سلطان الكتاب المقدس، لأن مؤسسها هو السيد المسيح. ولهذا كان لها الحق النهائى في تفسير الكتاب المقدس، والملاءمة بينه وبين حاجات العصر المتغيرة[3].

ومن العرض السابق يتضح لنا حجم التهديد الذى مثلته رسالة لوثر على سلطان البابا ومكانة الكنيسة الكاثوليكية ككل. فقد جاء لوثر ليحطّم جميع المصادر التى تستمد منها

---

(1) حياة لوثر زعيم الاصلاح (مصدر سابق) - ص 58-601

(2) الشرائع الدينية - د. أحمد يسرى - ص 144 - 145

(3) قصة الحضارة - ول ديورانت - ج 27 -28 - ص 255

الكنيسة الكاثوليكية سلطانها الدينى، ولم يُبقِ إلاعلى مصدر واحد، هو الكتاب المقدس الذى اعتبره الكنز الحقيقى للكنيسة، وأنه وحده هو المعصوم من الخطأ. أما سلطة البابا والمجامع المسكونية فأنه رفضها رفضاً باتاً، وحتى الكتاب المقدس، فأنه لم يوافق على حق البابا وحده في تفسيره، بل نادى بأن كل شخص قادر على ذلك.

وبهذه الإصلاحات التى نادى بها لوثر ثم وضع حجر الأساس للأصولية المسيحية التي تعني العودة إلى أصول العقيدة المسيحية الأولى، وهو الكتاب المقدس، واعتباره المصدر الوحيد للعقائد والعبادات والتشريعات، مع عدم الاعتراف بكافة القرارات والتشريعات التى تصدر عن البابا أو المجامع المسكونية. ولهذا رفض لوثر كثيراً من العادات والتقاليد المسيحية التقليدية كتحريم زواج رجال الدين وغيرها من الأمور، لأنه لم يرد ذكر لتحريم هذه الأمور في الكتاب المقدس. وعندما أصدر البابا قرار التحريم بحق لوثر، وشكل محكمة لمحاكمته، وقف لوثر أمام تلك المحكمة، ليجيب عن الأسئلة الموجهة إليه. فعندما طلب منه ممثل الاتهام أن يتراجع ويسحب أقواله بحق الكنيسة والبابا، ردّ عليه لوثر بقوله: "ما دمتم تطلبون الجواب الصريح، فإنى أقول أنه ما لم تظهروا لى من الكتاب المقدس خطأ تعاليمى فأنني لن أسحبها، لن أقبل تعاليم البابا أو مجامع الكنيسة، فما أكثر ما أخطأت.. ضميرى أسير الكتاب المقدس، ولن أقف ضد ضميرى"[1]. فالمعيار الأول والأخير للصواب والخطأ، والمصدر الحقيقى لكافة العقائد والعبادات والتشريعات أصبح عند لوثر هو الكتاب المقدس، ولا شئ غيره.

وهكذا أصبحت الدعوة الأصولية - أي العودة إلى أصول العقيدة المسيحية الأولى وهو الكتاب المقدس - تحتل مكاناً رئيسياً في دعوة لوثر الإصلاحية. لهذا، فإنه، ورغبة منه في ترسيخ دعوته الأصولية، أنكب على دراسة الكتاب المقدس - أصل الأصول - وتعلم اللغة العبرية ليتسنى له قراءته بلغته الأصلية، كما قام بترجمته إلى اللغة الألمانية ليتسنى لأتباعه معرفة الأحكام الدينية مستمدة من أصولها النقية بعيداً عن تفسيرات البابا وقرارات المجامع المسكونية"[2]. فقد جاء الإنجيل لكل الناس، يفهمه كل مؤمن بحسب قدرته، لذا لابد من إشاعة التعليم وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات التي يتكلمها المؤمنون. فالمصدر الوحيد

---

(1) مواقف من تاريخ الكنيسة - ص 112

(2) لوثر زعيم الاصلاح ص 99

للسيادة والتشريع الروحي وللعقائد والعبادات هو الكتاب المقدس(العهد القديم والعهد الجديد)، لأنه موحى به من عند الله، وليس من تعاليم الكهنة، كما يعتقد لوثر.

ولكن لوثر بدعوته للعودة إلى أصول العقيدة المسيحية الأولى كان بذلك يدفع الديانة المسيحية - سواء بحسن نية أو بسوء نية - إلى أحضان الديانة اليهودية، فالبروتستانتية كما يقول ول ديورانت في قصة الحضارة - كانت في بعض مظاهرها عودة إلى الدين اليهودى، وذلك في رفضها للرهبانية والفردية المفروضة على رجال الكهنوت، وتشديدها على العهد القديم والأنبياء والمزامير[1]، وقد كان لوثر يدرك هذه الحقيقة لأن رفض تفسيرات البابا والمجامع المسكونية للكتاب المقدس، يعني بالدرجة الأولى رفض التفسير المجازى للعهد القديم الذى تأخذ به الكنيسة الكاثوليكية، وبالتالى إحياء الاهتمام بالعهد القديم (التوراة)، والنظر إليه نظرة جديدة تضعه على قدم المسأواة من الناحية العقائدية مع العهد الجديد. وهذا أمر يخالف العقيدة الكاثوليكية التى تقول أن العهد الجديد (ناموس عيسى) أبطل العهد القديم (ناموس موس) [2].

وقد بلغت العناية بالتوراة ذلك المبلغ الخطير لانفصال لوثر (1521) عن الفاتيكان، وإنكاره على البابا سلطانه ومناداته بالإصلاح، ثم اعتناق فريدريك الثالث البروتستانتية (1560) وانتشارها فيما بعد[3]، في ألمانيا، عندما أعاد لوثر كتابة العهد الجديد باللغة الشعبية وطباعته. ويمكن القول أن هذا العمل، من حيث هو وثيقة أدبية، كان له بالنسبة إلى الألمان، نفس التأثير الذى كان للكوميديا الإلهية بالنسبة إلى الإيطاليين. وقد ساعد على أية حال على انتشار كلمات الإنجيل على أوسع نطاق بين الناس، وأصبح في استطاعة أي شخص قادر على القراءة أن يدرك الآن وجود تباين شاسع بين تعاليم المسيح والنظام الاجتماعى القائم. وكان هذا العامل بالذات، مضافاً إليه النظرة البروتستانتية الجديدة إلى الإنجيل على أنه السلطة الوحيدة، هو إلى حد بعيد الأساس المعنوى الذى قامت عليه ثورة الفلاحين عام 1524[4].

---

(1) قصة الحضارة - ول ديورانت - ج 23 -24 - ص 142

(2) قصة الحضارة - ول ديورانت ج 27-28 ص255

(3) المستشرقون - نجيب العقيقى الجزء الاول-ص105

(4) حكمة الغرب- ترجمة د. فؤاد زكريا- ص43

الكنائس المصلحة

أحدثت الأصولية الإصلاحية انشقاقاً جديداً في الكنيسة عندما ميّز لوثر بين مجال الإيمان ومجال القانون . ففي مجال الإيمان يعيش المسيحي حراً منعتقاً من كل قانون، لأنه قس أو كاهن كوني، لكن هذه الحرية ليس لها أي معنى سياسي. فهي روحية خالصة وداخلية. أما في مجال القانون فعلى المسيحي أن يطيع السلطة الزمنية طاعة غير مشروطة. وما دام كل مسيحي كاهنَ نفسه فلا حاجة إلى سلطة الكنيسة التي عليها أن تخلي في المجال للسلطة الزمنية. فالكنيسة الحقة هي الكنيسة الخفية، ورئيسها الأعلى هو يسوع المسيح. لقد جاء الإنجيل لكل الناس، يفهمه كل مؤمن بحسب قدرته، لذا لابد من إشاعة التعليم وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات التي يتكلمها المؤمنون. وأن العقيدة المسيحية هي التواضع والطهارة والتقوى. والمصدر الوحيد للسيادة والتشريع الروحي، وللعقائد والعبادات، هو الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد(، لأنه موحى به من عند الله، وليس تعاليم الكهنة. وقد ناهضت «اللوثرية»، وكذلك «الكالفنية» المتأثرة بها، سلطة الكنيسة، وأكدت قداسة السلطة الزمنية، محدثة فصلاً جذرياً بين الروحي والزمني، رابطةً الإيمان بالأستقامة والعمل (العمل عبادة)، فألغت نظام الرهبنة والرتب الكهنوتية، وسمحت للقس بالزواج، واشترطت فيهم الكفاية الثقافية واللاهوتية والسيرة الحسنة، وعدّتهم موظفين في خدمة الرعية[1].

ولّما كانت الدعوة إلى العودة إلى أصول العقيدة المسيحية، وهو الكتاب المقدس، تعني التحرر من سلطة البابا والمجامع المسكونية ومن تفسيراتها اللاهوتية، فإنه أصبح من حق كل مسيحى أن يقرأ الكتاب المقدس ويفهمه بطريقته الخاصة. لهذا انفصل الكثيرون عن الكنيسة الكاثوليكية، ولم يندمجوا في الكنيسة اللوثرية، بل أسسوا كنائس خاصة بهم حسب فهمهم للكتاب المقدس، وذهبوا في حركاتهم تلك إلى مدى أبعد مما ذهب إليه لوثر، وأبطلوا الكثير من الممارسات الكاثوليكية. وقد نشأت في سويسرا عده كنائس إصلاحية أهمها:

([1]) إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابيشي (دار الطليعة، بيروت 1983) .

1) الكنيسة المصلحة بزعامة هولدريخ زونجلى (1484-1531):

أسس هذه الكنيسة "زونجلى" الذى كان معاصراً للوثر، حيث قاوم بيع صكوك الغفران وعدم زواج رجال الدين. وكان "زونجلى" يعتقد، مثل لوثر، أن الكنيسة الكاثوليكية ابتعدت عن أصول العقيدة المسيحية، وهو الكتاب المقدس[1]. لهذا حاول "زونجلى" تطبيق تعاليم الكتاب المقدس بحذافيرها، لكى يعيد المسيحية إلى بساطتها الأولى في النظام والعبادة، فأخذ يعظ عن كل أية في الإنجيل، وأصدر قراراً لكل القساوسة المعنيين في نطاق اختصاصه بأن تقتصر عظاتهم على ما وجدوه في الكتاب المقدس وحده[2]. وهذا الوضع جعل الناس يكتشفون كل يوم أجزاءً جديدة من الكتاب المقدس لم يكونوا يعرفونها من قبل.

ولما كان البروتستانت قد قبلوا أن يكون الكتاب المقدس الأساس الوحيد للإيمان، فكان لابد من تقريب الكنيسة إلى الصورة التى يرسمها الكتاب المقدس. فذهب "زونجلى" إلى أبعد مما ذهب إليه لوثر في تنفيذ هذا الأمر، حيث منع رسم الصلبان واستعمال الصور والأرغن في الترانيم الدينية، ممتثلاً بذلك للوصية الثانية من الوصايا العشر، ومؤكداً على عودة المسيحية البروتستانتينية إلى تقاليدها وأصولها اليهودية[3].

وقد أدت هذه التغيرات التى أدخلها "زونجلى" على نظام الكنيسة إلى حدوث خلاف عقائدى بينه وبين أتباع الكنيسة الكاثوليكية في زيورخ، حيث وقف زونجلى أمام مجلس مدينة زيورخ ليشرح وجهة النظر البروتستانتية في الموضوع، ومما قاله: أن المسيحية لم تتغير في "وتنبرج"، ولكن البروتستانت عادوا إلى الكتاب المقدس، وليس لأحد أن يمنعهم عن هذا، فإن الكتاب المقدس وحده هو مرشدهم، وكلمته واضحة في اليونانية والعبرية واللاتينية. وقد قرر مجلس المدينة، بعد فترة من المداولات، الوقوف في صف البروتستانت، فأبطل القداس ونزعت الصور والتماثيل والآلات الموسيقية من الكنائس، وأبطل صوم الأربعين المقدسة. ووصل أمر انتصار زونجلى على معارضيه الكاثوليك إلى أتباعه في مدينة بازل السويسرية، فثاروا وهاجموا الكنائس، وحطموا في يوم واحد كل الصور والتماثيل الموجودة في الكنائس

---

(1) مواقف من تاريخ الكنيسة (مصدر سابق) ص 120

(2) قصة الحضارة - ول ديورانت - ج 23-24 - ص 116

(3) قصة الحضارة - ول ديورانت - ج 23-24 - ص 120

الكاثوليكية، وحدثت نتيجة لذلك معركة بين الكاثوليك والبروتسانت راح ضحيتها العديد من القتلى، وكان "زونجلي" نفسه أحد القتلى[1].

2) الكنيسة المشيخية (الكالفنية)

انتشرت الحركة الإصلاحية الجديدة بسرعة في الأراضى الواطئة، وفي فرنسا وسويسرا. وكان أقوى الإصلاحيين تأثيرا بعد لوثر هو جون كالفن (1509-1564)، وهو فرنسى استقرّ به المقام في جنيف، وتحول إلى الحركة الإصلاحية وهو في أوائل العشرينات من عمره، ثم أصبح منذ ذلك الحين الرائد الروحى للبروتستانتينية في فرنسا والأراضى الواطئة. والكلفنية مذهب ذو نزعة أوغسطينية، ومن ثمَّ فهى أشد صرامة وتصلّباً من اللوثرية التبشيرية. وتتغلل فيها بقوة المثل العليا التطهيرية (البيوريتانية)، كما تذهب إلى أن الخلاص مسألة مقدّرة مقدما[2].

والمعروف أن "جون كالفن" هرب من فرنسا إلى جنيف في سويسرا، بسبب الاضطهاد الدينى الواقع على البروتستانت هناك، حيث شهدت فرنسا في النصف الثانى من القرن السادس عشر حروباً دينية مّزقتها بين "الهوجنوت" الإصلاحيين وبين الكاثوليك[3]. وقد كان هروبه بقصد العثور على مكان يخلو فيه بهدوء لدراسته، حيث أن "كالفن" كتب وهو في العشرينات من عمره كتاب "قانون الديانة المسيحية" الذى أصبح - بفضل الإضافات التي أدخلها عليه كالفن مع الزمن- المرجع الأول للبروتستانت.

وأثناء مكوث كالفن في جنيف طلب منه تولى قيادة الجماعة البروتستانتية فيها، فوافق "كالفن" على ذلك بعد تردد، ولكن بمجرد استلامه لعمله الجديد أخذ يعمل أكثر من اثنى عشر ساعة يومياً، واعظاً ومديراً وأستاذا للآهوت، ومشرفاً على الكنائس والمدارس، ومستشاراً للمجالس البلدية، وضابطاً للأخلاق العامة، ومنظماً للطقوس الدينية في الكنيسة. ومع الوقت أصبح "كالفن" يقبض على زمام السلطة الدينة والدنيوية، وكان صوته من أقوى الأصوات تأثيراً في جنيف. وبالرغم من كل هذه الأعمال التى كان يقوم بها "كالفن"، إلا أنه

---

(1) مواقف من تاريخ الكنيسة - ص 123ى

(2) حكمة الغرب- ترجمة د. فؤاد زكريا-ص44

(3) حكمة الغرب- ترجمة د. فؤاد زكريا- ص44

استمر في الكتابة التأليف، ولهذا، فأنه يرجع إليه الفضل الأكبر في تنظيم البروتستانتية وتحرير مبادئها[1].

وعندما تولى "كالفن" قيادة البروتستانت في جنيف، كانت المدينة تمر بوقت حرج، حيث كانت معرضة لخطر الهجوم من الكاثوليك الفرنسيين، ولكن "كالفن" تمكّن من الحفاظ على وحدة المدينة في هذه الظروف الصعبة. وقد ساهم هذا الخطر إلى حدٍ كبير في ترسيخ الدعوة الأصولية لدى كالفن وأتباعه، حيث وجدوا عزاءهم في قصص التوراة التى تتحدث عن بنى إسرائيل الذين كانوا معرّضين لخطر الهجوم من الأموريين واليبوسيين والفلسطينيين. وقد تأثر كالفن وأتباعه كثيراً بهذه القصص، وأخذوا يطلقون أسماء رجال العهد القديم على أولادهم بدلاً من تسميتهم باسماء قديسى الكنيسة الكاثوليكية، وعندما هاجروا إلى أمريكيا طلباً للحرية الدينية أطلقوا أسماء بلاد التوراة على البلاد التى سكنوها، مثل دان وجلعاد وكنعان وسالم وغيرها.

وكان أتباع "كالفن" يعتقدون أن الله قد حفظ جنيف من الجيش الكاثوليكى كما حفظ رب الجنود إسرائيل بواسطة جدعون وداود. لهذا كان لابد من أن يكونوا مخلصين لله أسوة بأنبياء العهد القديم. فسيدنا ابراهيم ترك وطنه استجابة لدعوة الله له، وأطاعه عندما طلب منه أن يذبح ابنه. لهذا يجب على الكالفانيين أن يقتدوا بسيدنا إبراهيم، ليس لأنه أطاع الله فحسب، بل أيضاً لأن الله أقام شعبه المختار من إسحاق ابنه، كما اختار المسيحيين من كل جنس لتنفيذ مقاصده[2]. ولهذا يشعر الكالفنيون بأن عليهم قبول كلمة الله لتنفيذ مقاصده في حياتهم. ومن هذه المقاصد عندهم إعادة اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة إسرائيل تمهيداً لعودة المسيح كما يزعمون.

وقد وصلت أصولية الكالفنيين وتأثرهم بقصص العهد القديم إلى درجة أنهم حاكوا نفس النظام الذي وضعه سيدنا موسى لبنى إسرائيل عندما اختار منهم سبعين شيخاً ليحكموا الشعب في غيابه، وقد فعل الكالفينيون نفس الأمر عندما وضعوا حكم كنيستهم في أيدى الشيوخ من كبار السن، ولهذا سُميت كنيستهم بالمشيخية. ولم تقتصر أصولية "كالفن" على هذه الأمور، بل أنه من خلال قيادته للجماعة البروتستانتية في جنيف سعى إلى جعل الكتاب

---

(1) الاسفار المقدسة (مصدر سابق) ص 143

(2) مواقف من تاريخ الكنيسة ص 129.

المقدس المرجع الأول والأخير ليس في الدين والأخلاق فحسب، بل في التاريخ والسياسة وكل شئ. ولتحقيق ذلك، كان يقول بأنه لا يوجد هناك خلاص خارج الكنيسة، ولكنه، بعكس المعمدانيين، كان يرى بضرورة التعاون بين الكنيسة والدولة، لأنهما مقدستان وقد خلقهما الله لكى يعملا في أنسجام كالروح والجسد لمجتمع مسيحى واحد. فعلى الكنيسة أن تضع القواعد التى تنظم كل التفاصيل الخاصة بالعقيدة والعبادة والأخلاق، وعلى الدولة أن تدعم هذه القواعد باعتبارها ذراع الكنيسة الطبيعى. ويجب على السلطات الزمنية أن تكون على بصيرة من أن عبادة الأوثان وفضائح أخرى تمس الدين يجب إلا تُعرض وتُنشر علناً بين الناس، وأن كلمة الله الطاهرة هى الوحيدة التى يجب أن يتعلمها الناس. والحكومة المثالية هى حكومة رجال الدين، ويجب أن نعترف بالكنيسة التى تؤمن بالإصلاح الدينى باعتبارها صوت الله [1].

ولكى يضع "كالفن" وجهة نظره تلك موضع التطبيق فإنه أنشأ نظاماً لتنظيم سلوك الجماهير يعتمد على الزيارات المنزلية. ويتلخص في أن أحد شيوخ الكنيسة أو غيره يزور سنوياً كل بيت يعيّن له في الحى، ويسأل السكان عن مراحل حياتهم كلها. كما أن "كالفن"، من خلال سيطرته على مجمع الكرادلة ومجلس الشيوخ، طبق نظاماً أخلاقياً صارماً على سكان مدينة جنيف، فحرم لعب الورق والتجديف والسُكر والتردد على الحانات والرقص والأغانى الماجنة أو الخارجة عن الدين، والإفراط في اللهو، والبذخ في العيش، والتبذير في اللبس، وحدد القانون اللون المسموح به في الملابس ومقدارها وعدد الأطباق المسموح بها في الوجبة الوأحدة. وكانت الحلي والمحرمات تقابل بالتجهّم، وسجنت امرأة لأنها صففت شعرها إلى ارتفاع يتنافي مع الآداب، واقتصرت الحفلات المسرحية على التمثيليات الدينية، ثم مُنعت هذه أيضاً. وكان الأطفال لا يُسمّون باسماء القديسين الواردة في التقويم الكاثوليكى، ولكن فُضّل أن يُطلق عليهم أسماء شخصيات ذكرت في العهد القديم. وقد حدث أن اشتغل والد عنيد أربعة أيام في السجن؛ لأنه أصر على تسمية ابنه كلود بدلاً من أبراهام، وفرضت الرقابة على المطبوعات[2].

---

(1) قصة الحضارة – ج 23،24 - ص 215.

(2) قصة الحضارة – ج 23،24 - ص 231

انتشار البروتستاتية في أوروبا

ساهمت عدة أمور في سرعة انتشار المذهب البروتستاتي في أماكن متفرقة من أوروبا، كان أهمها ظهور الطباعة التي أدت إلى سرعة انتشار أفكار التنوير، كما أن التضحيات الكثيرة التي قدمها كثير من العلماء والمصلحين، ساهمت إلى حد كبير في اعتناق الكثيرين للأفكار البروتستاتية، والأهم من كل ذلك هو رغبة بعض الملوك في التخلص من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على كثيرٍ من مناحى الحياة في بلادهم، بسبب ممارسة الكنيسة للسيطرة على السلطة السياسية متذرعة بذروة السيادة الروحية العليا الموروثة عن المسيح، حيث نتج عن ذلك صراعات أدتّ فيما بعد إلى نشوب الثورة الإنكليزية وإعدام الملك شارل الأول عام 1649، ثم نشوب الثورة الفرنسية واعدام الملك لويس السادس عشر عم 1793. ثم أدت بعدئذٍ إلى تحقيق الفصل القانون ى بين الكنيسة والدولة[1].

ولكن هذا لا يعني أن وضع الكنيسة الكاثوليكية تراجع كثيراً في أوروبا، فقد ظهر كثير من المصلحين الكاثوليك الذين قاموا بإصلاح كثيرٍ من شئون الكنيسة، ما حد من انتشار البروتستانتية بصورة كبيرة. ومن الدول التي ترسخت فيها البروتستانتية، هولندا والسويد والنرويج وألمانيا، بالإضافة إلى أماكن أخرى متفرقة في أوروبا. وسنتكلم هنا عن كيفية انتشار البروتستانتية في بريطانيا باعتبارها من أكبر الدول البروتستانتية الأوروبية والتي ساهم المهاجرون منها بشكل كبير في انتشار هذا المذهب في أمريكا، وترسيخ الأصولية المسيحية.

انتشار البروتستانتية في بريطانيا

فيما كان "مارتن لوثر" يحمل في ألمأنيا على تقاليد الكنيسة الكاثوليكية، وينادي بإصلاح ما فسد من أمور الدين بتسلط الكاثوليكية التقليدية وكهنتها، كان ملك إنجلتر "هنري الثامن" يقرر بسلطته الملكية التحرر من هيمنة بابا روما، ومن سلطة الكنيسة التقليدية وكهنتها، فأصدر أمرا في 1538 م إلى كنائس بريطانيا بإنهاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس، وإتاحة المجال أمام الفرد المسيحي للاطلاع على الكتاب المقدس دونما حاجة إلى المرور عبر

([1]) الفكر الاسلامى – محمد اركون ص–ص54

التفسيرات والتأويلات التي كانت الكنيسة التقليدية الكاثوليكية تقصرها على نفسها وعلى أتباعها(1).

وقد كان للصراع بين الكنيسة والدولة في عهد الملك هنري الثامن، دورٌ كبير في انتشار البروتستانتية في إنجلترا. فقد كان هنري الثامن ملك إنجلترا متزوجاً من أميرة أسبانية اسمها كاترين، ولكنها لم تنجب. وقد خشي الملك هنرى الثامن ألا يكون له ابن شرعي يرث عرشه من بعده، فتحدث حرب في مملكته على من يخلفه. لهذا طلب من البابا أن يسمح له بترك زوجته كاترين والزواج بأخرى، ولكن البابا رفض ذلك تمشّياً مع العقيدة الكاثوليكية التى تحرم الطلاق. وهنا لم يجد هنرى الثامن بدأ من فصل كنيسة إنجلترا عن كنيسة روما، وتولى هو رئاسة الكنيسة الأنجليزية، وصار مسئولاً عن العلاقات الخارجية فيها، بينما صار رئيس أساقفة كنتبرى مسئولاً عن الأمور الدينية داخل الكنيسة، وصار اسم هذه الكنيسة كنيسة إنجلترا. وبسبب انفصال إنجلترا إلى المذهب البروتستانتى انفصلت إنجلترا عن دول أوروبا، وصارت وحدة قائمة بذاتها.

وبعد وفاة هنرى الثامن تولى الحكم من بعده ابنه إدوارد المتعاطف مع البروتستانت، حيث استغل البروتستانت المتعصبون فترة حكمه، وطالبوا بفصل كنيسة إنجلترا تماماً عن كنيسة روما، وكتبوا القصائد في هجو البابا والأساقفة الكاثوليك، ما اضطرّ الملك إلى إيقاف العمل بكل قداس كاثوليكى، وأمر بوضع صلاة خاصة باللغة الإنجليزية مستمدة من المذهب اللوثرى. ولما مات الملك إدوارد تولت الحكم من بعده أخته مارى الكاثوليكية، والتى حوّلت إنجلترا مرة أخرى إلى الكثلكة، وقاسى البروتستانت في حكمها كثيراً، ما أدى إلى زيادة الشعور العدائى الدينى بين البروتستانت والكاثوليك. وبعد وفاة الملكة مارى تولى الحكم بعدها ابنها الملك جيمس الذى توحدت في عهده إنجلترا واسكتلندا. وقد توقع الناس أن يعتنق جيمس الكثلكة مثل أمه مارى، وتوقع آخرون أن يعتنق المشيخية، لأن المشيخيين جاءوا به إلى الحكم، ولكنه خيب آمال الفريقين، ووقف في صف كنيسة إنجلترا، وصار رئيساً لها. وقد ضايق هذا التصرف الكاثوليك، فقاموا بتدبير مؤامرة لنسف مبنى البرلمان والملك فيه، وتم اكتشاف المؤامرة، فثار الشعب البريطانى كله ضد الكاثوليك(2).

---

(1) جورجي كنعان، المرجع السابق الذكر، ص34)

(2) مواقف من تاريخ الكنيسة - ص 150.

البيوريتان وترسيخ الدعوة الأصولية في بريطانيا

كان من نتيجة فشل محاولة اغتيال الملك جيمس ازدياد عداء الشعب البريطأني للكاثوليكية، حيث ظهرت فرقة طالبت بتنقية كنيسة إنجلترا من كل أثر للسيادة الكاثوليكية، وصار اسم الداعين لهذة التنقية البيورتيان أى "المتطهرون". وكان "البيورتيان" يعتقدون بأنه لا توجد كنيسة بلغت درجة الكمال حسب نظام الكتاب المقدس، لهذا مارسوا ضغوطاً على برلمأن إنجلتر لكى يجرى التعديلات المطلوبة في الكنيسة، ولكن البرلمان لم يلبِّ طلبهم، فأخذوا يقاومون نظام الكنيسة وهم داخلها، وبعضهم هجر الكنائس الإنجليزية، وأسس كنائس جديدة مثل، الإستقلاليين والكويكرز والموحدين. وقد بلغت الدعوة الأصولية في عهدهم ذروتها حيث ازداد اهتمامهم بالكتاب المقدس والعهد القديم (التوراة) بالذات، باعتباره أصل الأصول، فجعلوه كتابهم الوحيد الذى يستمدون منة فلسفتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وطريقة سلوكهم، كما ازداد في عهدهم الاهتمام باللغة العبرية باعتبارها اللغة الأصلية التى كتبت بها التوراة، بل أن بعضهم جعلها اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس، واقترح بعضهم أن يتضمن منهج التعليم العام في المدارس الثانوية دراسة العبرية، وظهرت لديهم نزعة التخلى عن المبادئ الخلقية المسيحية، واستعاضوا عنها بالعادات والأخلاق المستمدة من التوراة. بل أن إحدى مجموعاتهم المتطرفة دعت الحكومة الإنجليزية إلى إعلان التوراة دستوراً للقانون، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فأعتنق اليهودية[1].

وقد عُرف "البيوريتان" بتعصبهم الشديد واستخدامهم العنف والقوة لتحقيق مطالبهم، لهذا، فإنهم خاضوا صراعا دموياً ضد مخالفيهم، وحاولوا فرض آرائهم بالقوة على البرلمان والملك جيمس، ولكنّ الملك لم يلبّ مطالبهم، ولكنه قام بترجمة الكتاب المقدس ترجمة أفضل لإرضائهم، وقد عرفت هذه الترجمة بترجمة الملك جيمس، وهى من أشهر ترجمات الكتاب المقدس، ولكن الملك جيمس أثار غضبهم عندما نشر كتاباً سماه "كتاب الألعاب بعد ظهر الأحد" حيث قال فيه: إنه إذا منعنا الألعاب فسنمنع الكاثوليك من اعتناق البروتستناتية، لأنهم سيرون الديانة غير محتملة وخالية من المرح. ولكن البيورتيان لم يعجبهم هذا الكلام، ورفضوا كتاب الألعاب، وذكروا القول الوارد في التوراة: (اذكر يوم السبت لتقدّسه)، وقالوا:

---

(1) الصهيونية غير اليهودية - د. ريجينا الشريف - ص 53

يجب أن يتقدس السبت براحة مقدسة، ذلك اليوم كله من الأشغال العالمية حتى من التنزهات الدنيوية الجائزة في بقية الأيام، وطالبوا بأن يصرف اليوم كله في ممارسة عبادة الله[1].

وبلغ تعصب البوريتان وتطرفهم إلى درجة أنهم عارضوا الاحتفال بعيد الميلاد، لأن كلمة "كريسماس" تحمل في الجزء الآخير منها كلمة " ماس"، وهي تعني "قداس"، كما هاجموا رجال الدين، وهاجموا كتاب الصلاة العامة الذي حاول الملك شارل بن جيمس فرضه على الكنائس. وقد حدث أن أحد القساوسة استعمل كتاب الصلاة في إحدى كنائس "أدنبرة"، فقذفته أحدى السيدات بكرسي في رأسه، فأمر رئيس الأساقفة بقطع إذان ثلاثة من البييوريتان، وُوضع كثيراً منهم في السجن. ولم يستمر الحال كما هو عليه، حيث ثار البيوريتان على الملك، وتولى "أوليفر كرمويل" قيادتهم، وقطع رأس الملك شارل، وقاموا بتنفيذ كل مطالبهم من خلال القوة. وفي ظل هذا العنف والتعصب والأضطرابات ظهرت فرق بروتستانتية جديدة.

الكنيسة المعمدانية الإنجيلية

هي كنيسة بروتستانتية تؤمن بالكتاب المقدس، وتؤمن بأن المعمودية يجب أن تتم للبالغين فقط، وتمارس بالتغطيس، وذلك بعد اقتناع الإنسان بالإيمان المسيحي عن حق، واعترافه أمام الملأ أن يسوع المسيح هو ابن الله، وأن يؤمن بعقيدة الثالوث، وتعود بداية الكنيسة المعمدانية إلى أيام الرسل كعقيدة، ولكنها لم تبرز ككنيسة معمدانية إلا في عام 1609، عندما نظمها ككنيسة جون سميث في أنكلترا[2]، حيث آمن شق منها بقيادة جون سميث، بحرية الاختيار، بينما آمن قسم آخر بالجبرية متأثرين بالإيمان الكالفني، وقد اضطهدت السلطات البريطانية هذه الحركة حتى عام 1689 أسوة بحركات دينية أخرى، ومن إنجلترة انتشرت الكنيسة المعمدانية إلى بلاد أخرى، وخاصة الولايات المتحدة التي ثم تأسيس الكنيسة المعمدانية فيها عام 1639.

وقد نشأت هذه الكنيسة عندما رفض بعض أتباع حركة الإصلاح الدينى فكرة المعمودية، أى "عماد الأطفال". فقد تساءلوا عن معنى العماد وفائدته، فوجدوا أن المعمودية هى اعتراف

(1) مواقف من تاريخ الكنيسة - ص 152

(2) المعمدانية الوطنية، من محاضرات القس غسان حداد، تاريخ المعمدانيين في العالم

علنى بقبول المسيح، فقالوا أن المعمودية تكون فقط لمن يريد الانضمام للكنيسة، ولكنها لا تكون لكل طفل يولد. وهنا بدأوا يعمدون بعضهم بعضاً مرة أخرى دون أن يعمّدوا أطفالهم. لهذا سميت كنيستهم بالمعمدانية. ولم يكن اعتراضهم الوحيد على المعمودية فقط، بل إنهم كانوا أول من طالب بفصل الدين عن الدولة، حيث قالوا أن الكنيسة في بدايتها الأولى لم يكن لها أى شأن بالدولة، كما قالوا أن الدولة تذهب إلى الحرب مع أن المسيح هو أمير السلام.. والدولة تدعو إلى القَسَم في المحكمة، والمسيح لا يريدنا أن نحلف[1].

لكل هذه الأسباب قالوا بأنه لا يمكن توحيد الدين والدولة. ورفضوا قبول القَسَم والخدمة العسكرية على أساس أن المرء يرتكب إثماً لا شك فيه إذا قضى على حياة إنسان.. وأبوا أن يحلفوا مثل المسيحيين الأوائل، وأعرضوا عن الالتجاء إلى رجال الإدارة ورفع الدعاوي، واتبعوا منهجاً تطهيرياً يتسم بتزمت في الأخلاق وبساطة في السلوك والزى، وقد شجعهم على ذلك رأى لوثر القائل بحرية المسيحيين.

ونادت الكنيسة المعمدانية بحرّيّة الضمير، واستقلال الكنائس المحلّيّة. وفسّروا الكتاب المقدّس تفسيرًا حرفيًّا. وأنكر بعضهم لاهوت المسيح (وقلّة منهم أنكرت عقيدة الثالوث المقدس). وتمسّك بعضهم الآخر بمذهب وحدة الوجود، أي وحدة الله والكائنات، وجاهر آخرون بـ"الحكم الألفيّ. ويعتبر بعض المعمدانيين أن مصدر نشأتهم هو العهد الجديد، وهم يرفضون "أن يصلّوا إلى أولئك الذين يُدعَون قدّيسين" ويعتبرون أن الأسرار المقدّسة "بدعة لم يثبتها تعليم الإنجيل"، وأن "ميزة الإيمان المسيحيّ الرئيسة هي الخلاص بالنعمة، لا بأعمال الإنسان الصالحة، وأن "دفع العشور هو أمر إلهيّ. ويعرف من قرأ كتاباتهم أنهم "يطمحون، ليكونوا ضمير المسيحيّة المعاصرة في تمهيدهم لمجيء المسيح ثانية، تمامًا كما كان يوحنّا المعمدان الصوت الصارخ في البرّيّة وضمير المجتمع المعاصر للمسيح في مجيئه الأول". وهذا دفعهم إلى أن يتفاخروا بقولهم أنه "بين الطوائف الكبيرة في العالم لا تجد التزامًا حقيقياً، لحرّيّة المعتقد والعبادة، الأ عند المعمدأنيّين"[2].

كما أنهم نادوا بشيوعية الأمتعة وكل شئ، ولكنهم تعرضوا للاضطهاد بسبب ذلك، فأرجئوا تطبيق شيوعيتهم حتى ظهور المسيح، وقيام العصر الألفي السعيد كما يقولون. وقد استلهمت

---

(1) 9مواقف من تاريخ الكنيسة - ص 125

(2) القسّ د. فكتور صدقة، الكلمة، العدد الثامن، تشرين الثاني 2000، صفحة 3

كل جماعات المعمدانيين سفر الرؤيا وتوقع عودة المسيح المبكرة بصفة يقينية إلى الأرض، وأكد كثير منهم أنهم يعرفون موعد مجيئه، وحددوا الساعة واليوم، ومن هنا فهم يقولون بأنه لا بد من القضاء على كل الكفار بحد سيف الرب[1]. ويعتبر المعمدانيون قيام إسرائيل مقدمة ضرورية لعودة المسيح، ولهذا فأنهم معروفون بدعمهم الشديد لدولة إسرائيل.

الاستقلاليون

المذهب الإستقلالي أسسه شخص يدعى روبرت براون كان من البيوريتارن، ولكنه أعلن عن ضيقه منهم، لأنهم ظلوا أعضاء في كنيسة إنجلتر، وهم ينتظرون أن يتقدم البرلمان ليصلح الأمور ويلبي مطالبهم. لهذا فقد كتب براون كتاباً عنوانه "معاهدة على الإصلاح بدون تعب" عرض فيه لآرائه الدينية التي تنادي بمقاطعة كنيسة إنجلتر حتى تتبنى الإصلاحات المطلوبة. لهذا، فأنه أخذ هو واتباعه يعبدون الله على طريقتهم الخاصة في الحقول والشوارع، ولكن قوانين الملك شارل كانت تحرم الوعظ في الشوارع، لهذا تعرض الأستقلاليون لملاحقة رجال المباحث، وقد سجن براون نفسه اكثر من 32 مرة، وقد عادى الاستقلاليون الكثلكة اكثر من غيرهم، حتى قال بعضهم أن الكاتدرائيات هياكل وثن يعقدون فيها عبادة القداس ضد المسيح"[2]، وقالوا أيضاً أن الأرغن والأجراس والصلبان فوق الكنائس يجب أن تستبعد. ولكن خلافهم الرئيسى مع الكنائس الأخرى كان أن الاستقلاليين لم يقبلوا أن يحكم الأساقفة أو الشيوخ في الكنيسة، بل أن يحكم الشعب كله. وقد هرب بعض الاستقلاليين إلى هولندا حيث تقابلوا هناك مع طائفة المنوفيستى الذين لم يكونوا يؤمنون بعماد الأطفال، فوافق بعض الاستقلاليين على تعاليمهم، فتأسست الكنيسة المعمدأنية الانجليزية.

جماعة الأصدقاء (الكويكرز)

أسس هذه الجماعة شخص يدعى جورج فوكس، والذى أراد أن يبتعد عن كل ما لم يرد ذكره في الكتاب المقدس، وحأولوا الحياة كحياة المسيحيين الأوائل. فمثلا كان المسيحيون في عهد المسيح عليه السلام، يعيشون في بدائية ومشاعية وبساطة، حياة غير منبثقة عن حضارة الرومان المحيطة بهم، منقطعة عن النظام الإسرائيلي القائم بينهم لاعتقادهم أن حضارة

---

(1) قصة الحضارة - ج23-24-ص 98

(2) مواقف من تاريخ الكنيسة - ص 154

الرومان حضارة وثنية يتعين عليهم أن يبتعدوا عن دنسها، وأن النظام الإسرائيلي نظام شكلي غير روحي يلزم عليهم الانسلاخ منه، يضاف إلى هذا أن هؤلاء المسيحيين ظلوا فترة طويلة يعملون، وكانهم نحلة، أو فرقة يهودية جديدة، فلم يسعوا لتجديد الدين أو إلى إبراز الشريعة الخاصة بهم، وعندما فرض قسطنطين" امبراطور روما في 325 م أن تكون المسيحية دينا للإمبراطورية، اتّخذت المسيحية وضعاً آخر(1).

وقد رفضت هذه الجماعة العمل باسماء الأيام المستخدمة في اللغة الإنجليزية، لأنها مأخوذة من أسماء الوثن. ولما كان الكتاب المقدس يقول أن التلاميذ اجتمعوا في أول الأسبوع، لذلك أطلق الأصدقاء على أيام الأسبوع اليوم الأول – الثانى، وهكذا عوضاً عن أسمائهم المصطلح عليها والتى تحمل أسماء آلهة الوثن. وقد هاجم (الكويكرز) الحرب والقسم، فحين أُخذ فوكس إلى المحكمة، وطلب منه أن يقسم قال: هل أحلف على الكتاب الذى يقول لا تحلف؟. ولما كان الكتاب المقدس يقول أن كل الناس متساوون، فقد رفض الأصدقاء أن ينحنوا للعظماء وقد رفض فوكس أن يرفع قبعتة تحية للملوك والعظماء(2).

جماعة شهود يهوه

هى إحدى الطوائف المسيحية، ولكنها لا تعترف بالطوائف المسيحية الأخرى، وكانت بداياتهم في أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر في ولاية بنسلفانيا الأمريكية على يد" تشارلز راسل". وقد نشأ الشهود عن مجموعة صغيرة لدراسة الكتاب المقدس، وكبرت هذه المجموعة فيما بعد لتصبح "تلاميذ الكتاب المقدس". ويتميز الشهود بروابطهم المتينة دون أية حواجز عرقية أو قومية، ووعظهم التبشيري الدؤوب في الذهاب إلى أصحاب البيوت وعرض دروس بيتية مجانية في الكتاب المقدس. ويرفض شهود يهوه الاحتفالات التي تقام بمناسبة عيد الميلاد لكونها من أصل وثنى(3). كما أنهم لا يؤمنون بالثالوث، ولا بشفاعة القديسين، ولا بنار الهاوية كوسيلة لتعذيب الأشرار، كما يؤمنون بأن 144 ألف مسيحي ممّن يدعونهم "ممسوحين بالروح" سيمكثون مع المسيح في الملكوت، وبأن بقية الأشخاص الصالحين سيعيشون في

---

(1) محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، الجزائر :المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1990 م، ص159

(2) مواقف من تاريخ الكنيسة – ص 157

(3) شهود يهوه – بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلموذ اليهودي – تأليف/ حسين عمر حماده – دار قتيبه 1990- ص101

فردوس أرضي، إذ سيرثون الأرض، ويتمتعون بالعيش إلى الأبد بفضل تلك الحكومة السماوية.

ويؤكد شهود يهوه أن الاسم" يهوه" هو اسم الله، وهو يرد في الكتاب المقدس (المخطوطات الأصلية) أكثر من 7200 مرة، (مزمور 18:83) ولكن المترجمين قاموا باستبدال الأسم بلقب "الرب". ويؤمن شهود يهوه بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله. ويعتبرون أسفاره الـ 66 موحًى بها ودقيقة تاريخياً، وهم يفهمون نصوص الكتاب المقدس حرفياً. ويقولون أنه فيما تنتظر بعض نبوات الكتاب المقدس الإتمام، فإن الكثير من النبوءات قد تم، أو أنه قيد الإتمام. والهدف الأهم لكل واحد من شهود يهوه هو التبشير بملكوت الله باعتباره الحل الوحيد والقريب لمشاكل العالم المتفاقمة.

ويمنع شهود يهوة أتباعهم من التدخين باعتباره مؤذياً للجسم، ويخالف كلمات الكتاب المقدس، ويمنعونهم أيضاً من خدمة العلم، لأنهم يعتبرون أن ولاءهم هو لملكوت الله، غير أنهم يشددون على احترام قوانين الدولة. ويقولون أن المسيح لم يمت على صليب، بل على عمود أو خشبة، كما أنهم لا يستعملون الصور والتماثيل في عبادتهم. وفي حين يؤمنون بأن مريم وَلدت المسيح وهي عذراء، ويفسّرون نصوص الإنجيل التي تتحدث عن "إخوة يسوع" بالقول أن مريم أنجبت أولاداً آخرين من زوجها يوسف بعد ولادة المسيح. لكل هذه الأسباب تعتقد طوائف العالم المسيحي أن شهود يهوه هي بدعة، وأتباعها ليسوا بمسيحيين، ويتهم البعض هذه الجمعية بأنها جماعة يهودية، وهو أمر ينكره شهود يهوه.

وقد أخذت شهود يهوه توفد المبشرين إلى جميع أنحاء العالم لكسب التأييد لفكرة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، تحقيقاً للنبوءات التوراتية. وقد وصل نشاط هذه الجمعية إلى البلاد العربية نفسها، حيث تصدى لها رجال الدين المسيحي من كل الطوائف المسيحية، وفندوا دعاوى جماعة شهود يهوه باعتبارها ضلالات وهرطقات تسعى لتصديع الكنيسة وكسر عقائدها خدمة لليهودية والصهيونية بالتركيز على كتاب يوحنا لتفسيره تفسيراً يهودياً، حيث وجد اليهود في رؤيا يوحنا فخاً لتضليل المسيحيين، فأنصرف شهود يهوه إليه ليبشروا بقرب مجيء المسيح، ولكن مسيحهم المنتظر هو مسيح يقيم حكومة عالمية في القدس وزراؤها من

اليهود[1]. وحضور المسيح الموعود عندهم هو العلامة التي يحصل بها تمام الوعد الأبراهيمي[2].

نتائج الإصلاح الديني

كان من نتائج الإصلاح الدينى أن أصبح الدين في أوروبا مرتبطاً بالسياسة بصورةٍ أوضح، وكثيراً ما كان يقوم على أساس قومى، كما كان الحال في إنجلتر. ولقد كان هذا الطابع السياسى الجديد للولاء الديني هو الذى أنتقده مفكرون مثل "مور" عندما امتنعوا عن تأييد حركة الإصلاح. ولقد رأينا من قبل في حاله أرازموس كيف أنهم كانوا متفقين في الأساس على ضرورة إيجاد نوع من الإصلاح، غير أنهم كانوا ينتقدون العنف والنزاع الحاد الذى اقترن بظهور عقيدة منفصلة كل الانفصال. ولقد ظهر الطابع القومى للانقسام الدينى في إنجلتر بوضوحٍ تام، إذ كانت الكنيسة التى أقيمت حديثاً تصلح تماماً لكى تكون جزءاً من الإطار السياسى للجهاز الحكومى. وفي الوقت ذاته لم يكن الانفصال في بعض جوانبه بنفس العنف الذى كان عليه في البلاد الأخرى، اذ كان هناك تراث قديم العهد من الاستقلال النسبى عن روما. ومنذ أيام وليام الفاتح أصر هذا الحاكم على أن يكون له صوته في تعيين أصحاب المناصب الكنسية. ومازال الاتجاه المضاد لروما في الكنيسة الجديدة باقياً في بريطانيا حتى اليوم، متمثلاً في المحافظة على وراثة العرش بين البروتستانت، كما أنه ظلّ قائماً في الولايات المتحدة حتى عام 1960 في ذلك القانون غير المكتوب الذى لم يكن يسمح لأى شخص تابع للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، بأن يكون رئيسا للجمهورية[3].

اكتشاف أمريكا ونمو التيار الدينى الأصولى

دخلت الحركة الأصولية المسيحية طوراً جديداً باكتشاف أمريكا، حيث هاجر إليها عدد كبير من البروتستانت[4] هروباً من الاضطهاد الديني الذي تعرضوا له في بلادهم، وطلباً

(1) شهود يهوه بين برج المراقبة الامريكى والتلموذ اليهودي. حسين عمر حماده ص110

(2) شهود يهوه - بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلموذ اليهودي - تأليف/ حسين عمر حماده - دار قتيبه 1990- ص95

(3) حكمة الغرب- ترجمة د. فؤاد زكريا- ص40- 41

(4) تاريخ الحضارة الاوربية - كلود دلماس - ترجمة توفيق وهبه ص 6

للحرية الدينية ليتمكنوا من عبادة الله بالطريقة التي يعتقدون أنها صحيحة. فقد هاجر إلى أمريكا كثير من البيوريتان والمعمدانيين والمشيخيين وجماعات من كافة الطوائف البروتستانية الأخرى حاملين معهم معتقداتهم ومبادئهم التي اضطُهدوا وعُذّبوا من أجلها في بلادهم الأصلية، أملاً في أن يتمكنوا في هذه البلاد الجديدة من إقامة كنائسهم الخاصة بهم بعيداً عن الاضطهاد الديني.

وقد وجد هؤلاء ما يريدونه في العالم الجديد، فانطلقوا يؤسسون كنائسهم الخاصة بهم من غير تدخل من أحد، وقد كان للتجربة التي مر بها البروتستانت خلال هجرتهم إلى أمريكا دور كبير في نمو التيار الأصولي المسيحي وفي تعزيز فكرة العودة إلى الأصول. فكما ساعد حصار جنيف على ترسيخ الدعوة الأصولية لدى (كالفن) وأتباعه، فإن هجرة البروتستانت إلى أمريكا ساعدت أيضاً على تعزيز هذه الفكرة بصورة كبيرة.

فهؤلاء المهاجرون تأثروا كثيراً بقصص العهد القديم عن بني إسرائيل، وأخذوا يعقدون مقارنات بين تجاربهم التي مروا بها منذ رحيلهم من أوروبا وإنجلترا بالذات، وبين التجارب التي مرّ بها اليهود القدماء عندما فروا من ظلم فرعون إلى أرض فلسطين. فقد اعتبروا العالم الجديد بمثابة كنعان الجديدة، ورأوا في ملك بريطانيا أنذاك جيمس الأول فرعوناً جديداً يضطهدهم، وهكذا فبريطانيا التي هربوا منها تشبه مصر، وهم، مثلهم مثل اليهود، فروا من الظلم بحثاً عن الأرض الموعودة التي تدر لبناً وعسلاً، وجابهوا الصعاب في رحلتهم عبر المحيط كما حدث لليهود في سيناء، كما أنهم جوبهوا بمقاومة السكان الأصليين كما جوبه اليهود بمقاومة أهل فلسطين. وعندما كانوا يعلنون الحرب على أصحاب البلاد الأصليين، كانوا يستحضرون العهد القديم، حيث ثمة تشابه بين تجاربهم في حربهم ضد السكان الأصليين وتجربة اليهود في حربهم ضد سكان فلسطين في الماضي. لقد عانوا أيضاً من الانقسام ومن تجارب الحرب الأهلية، كما حدث لليهود القدماء عندما أنقسمت مملكتهم إلى مملكتين في الشمال والجنوب.

لقد كان هؤلاء المهاجرون يعلمون أن الأرض التي استولوا عليها من سكانها الأصليين ليست أرضهم، كما أنهم يعلمون أن مايقومون به من عمليات اضطهاد وتشريد للسكان الأصليين يتنافي مع أبسط المبادئ الأخلاقية، فكانوا بحاجة إلى شيء يبرر لهم أفعالهم تلك، ويضفي عليها نوعاً من الشرعية ولو مزيفة، فلم يجدوا هذا التبرير إلا في العهد القديم، فكما أن

اليهود القدماء بّرروا احتلالهم لأرض فلسطين بالادعاء بأنها الأرض الموعودة التي وهبها الله لهم، فإن هؤلاء المهاجرون الجدد فعلوا نفس الشئ بالإدعاء بأن الله اختار العنصر الآنجلوسكسوني الأبيض لقيادة العالم، ولأن هذا الأدعاء لا وجود له في أي كتاب مقدس فأنهم سعوا إلى أيجاد رابطة بينهم وبين اليهود الذين يدعون بأنهم شعب مختار. لهذا، فقد زعم أحد الكتاب" بأن الأنجلوسكسون من أصل يهودي، على أساس أنهم ينحدرون من سلالات الأسباط التي ادعى اليهود أن أفرادها فقدوا بعد اجتياح الأشوريين لمملكة إسرائيل عام 721 قبل الميلاد[1].

وهكذا تعزّز وتنامى التيار الدينى الأصولى في أمريكيا ووجد له تعبيرات كثيرة في الحياة الأمريكية، فهؤلاء المهاجرون الجدد بفضل الحرية الدينية التى حصلوا عليها في العالم الجديد، حولوا إيمانهم بالكتاب المقدس، باعتباره الأصل الوحيد للعقيدة المسيحية، إلى واقع مُعاش، من خلال تطبيق معظم ما جاء به على أرض الواقع. فأسماء المدن والأشخاص أغلبها مستمدة من الكتاب المقدس، وأيضاً العادات والتقاليد والعبادات. وحتى السياسيون تأثروا بالأفكار الواردة في الكتاب المقدس، فهذا الرئيس "جيفرسون" يقترح أن يمثل رمز الولايات المتحدة على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمة، وفي الليل عمود من النار، بدلاً من النسر المعمول به حالياً. وواضح أن الشكل المقترح رمزاً للولايات المتحدة يتفق مع النص الوارد في سفر الخروج الذى يقول: كان الرب يسير أمامهم في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نور، ليضيء لهم [2]. وباختصار فإن القيم الدينية المستمدة من الكتاب المقدس لعبت، ولازالت تلعب، دوراً رئيساً في الحياة الأمريكية، حتى النظام الرأسمالى نفسه كان وليدا لهذه القيم الدينية.

ظهور فرق بروستانتية جديدة

أدّت الحرية الدينية التي حصل عليها المهاجرون الجدد لأمريكا إلى ظهور فرق بروستانتية جديدة. فقد أسّس جون سميث الكنيسة الأسقفية، وانفصل تلاميذ المسيح عن الكنيسة المشيخية، وظهر مذهب " المورمون " الذين يعتقدون أن عشرة من أسباط إسرائيل الإثنى

---

(1) ازمة الفكر الصهيونى - د. محمد ربيع - ص 46

(2) من اوراق اشنطن - د. يوسف الحسن - ص 119

عشر وصلوا إلى جنوب أمريكا بعد السبي، وعاشوا فيها عيشة شبيهة بعيشة السبطيين الباقين بفلسطين، ويطلق هؤلاء على كنيستهم اسم "كنيسة المسيح لقديسي الأيام الأخيرة". وظهرت كنيسة العلم المسيحى، والسبتيون الذين يقدسون يوم السبت بدلاً من الأحد كما جاء في التوراة. وأسس "وليم بن" مستعمرة لطائفة الكويكرز في ولاية بنسلفانيا، وظهر مذهب "الأدفنتست" المجيئيون الذين يعتقدون باقتراب يوم القيامة ومجيء المسيح، ويعتبرون قيام إسرائيل دليلاً على قرب وقوع هذا الحدث، وأصحاب مذهب العصمة الحرفية، الذين يقولون بعصمة كل كلمة من كلمات الكتاب المقدس من الخطأ، لهذا، فأنهم يسعون إلى تطبيق كل ما جاء في الكتاب المقدس بصورة حرفية، وخاصة النبوءات التي تتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل[1]. واستمر ظهور الفرق البروتستانتية في أمريكا حتى وقتنا الحاضر، وربما كان آخر هذه الفرق تلك الفرقة التي أسسها دافيد قورش(الدافيديون)، والذي أنتهى تمردهم على السلطة بمأساة راح ضحيتها قورش نفسه وأغلب أتباعه.

وبعد هذا العرض المختصر لنشأة الأصولية المسيحية وتطورها من خلال حركة الإصلاح الديني التي قادها لوثر وغيره من المصلحين، يجب أن نشير إلى أن هذه الكنائس والفرق الكثيرة التي تكلمنا عنها والتي لم نتكلم، تعتبر كلها جزءاً من الكنيسة البروتستانتية الأم، لأن جميع هذه الكنائس تبنت المبدأ اللوتري الداعي إلى اعتبار الكتاب المقدس وحدة أساس العقيد المسيحية. ولكن تعدد هذه الفرق الكبير جاء أيضاً بسبب تبنيها للمبدأ اللوثري الذي يقول أن الإنسان مسئول أمام الله بصفة مباشرة من الوجهة الدينية، وأنه حر في تفسير الكتاب المقدس في ضوء ما يمليه عليه ضميره، بعيداً عن أي تدخل من رجال الدين، لهذا وجد البروتستانت أنفسهم أمام كتاب مفتوح يستطيعون من خلاله أن يخرجوا بوجهات نظر وتفسيرات متعددة لما جاء في الكتاب المقدس، وهذا أدى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها، حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من مائتي فرقة في مذهب لا يزيد عمره عن أربعة قرون[2]. فاللوثرية، التي سمّت نفسها «الإنجيلية» كانت تحمل في داخلها بذور أنقسامها مادامت قد تركت للمؤمنين حرية تفسير الكتاب المقدس وتأويله، وما دامت قد ربطت التنظيم الاجتماعي والسياسي بالعقل البشري الذي يمكنه أن يعمل ايجابياً، من دون أن يستغني عن النظام الروحي أو

---

(1) راجع مقال فهمي هويدى المنشور في جريدة القدس بتاريخ 1993/5/1

(2) قصة الديانات - سليمان مظهر ص 213

يستقل عنه. لذلك تكاثرت الفرق اللوثرية البروتستنتية، وكانت أشهرها الإنغليكانية واللوثرية والكالفنية والطهريون(البيورتانيون) والأساسيون والمنهجيون وغيرها. [1]

ولصعوبة حصر هذه الفرق وإيضاح المبادئ الخاصة التي تدعو إليها كل فرقة فإنه اصطلح على تسميتها ببعض المصطلحات العامة التي تنطبق عليها جميعاً، والتي تميزها عن الكنائس المسيحية الرئيسية الأخرى كالأرثوذوكسية والكاثوليكية. والمصطلحات التي تطلق على هذه الكنائس عديدة مثل "البروتستانتية"، لأنها جميعاً نشأت من الكنيسة البروتستانتية الأم، وتبنت مبادئها العامة، والأصولية لأنها جميعاً دعت إلى العودة إلى أصول العقيدة المسيحية الأولى، واعتبرت الكتاب المقدس هو أصل الأصول والمصدر الأول للعقيدة المسيحية. والإصلاحية، لأنها جميعاً نشأت من خلال حركة الإصلاح الديني، كما يطلق على بعض هذه الكنائس اسم "الكنائس الإنجيلية"، لأنها تقول أنها تستمد أيمانها من الإنجيل (الكتاب المقدس) وحده.

الأصولية الصهيونية المسيحية في العصر الحديث

كما وضّحنا سابقاً بدأت النزعات الأصولية في الدين المسيحي بالظهور منذ منتصف القرن السادس عشر بين أتباع المذهب البروتستانتي في أوروبا، وهذه اليقظة البروتستانتية الأصولية هي التي أيقظت الوعي القومي اليهودي الذي شكل الأيديولوجية الصهيونية. وقد أنتشرت الأيديولوجية الصهيونية المسيحية اليهودية في أوروبا وأميركا مؤثرة بشكل هائل في الحياة السياسية هناك، وفي منطقة الشرق الأوسط، لأن الأتكاء على العهد القديم من الكتاب المقدس من قبل أتباع وأصحاب هذه الأيديولوجية، قد سوّغ الكثير من القتل والدم والتشريد بحجة "عودة شعب الله إلى بلده لتحقيق النبوءات، وعودة المسيح، ونهاية العالم".

فهناك الملايين، خصوصاً من الأميركيين البروتستانت تؤمن بأن هذه هي مشيئة الله، وهذا هو وعده لشعبه المختار". وهذا يناقض نظرة الكنيسة الكاثوليكية التى ترى أن اليهود قد باؤوا بغضب الله لما اقترفوا من آثام وارتكبوا من خطأيا، وبعبارة أخرى لم يكن في الذهن الكاثوليكي التقليدي أي شكل من أشكال التفكير بعودة اليهود إلى فلسطين، لكن بخلاف

---

[1] إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابيشي (دار الطليعة، بيروت 1983) .

ذلك أصبحت البروتستانتية تنظر لهم لاسيما خلال العهد القديم- باعتبارهم أصحاب فلسطين الذين خصهم الله بها في وعده المشهور لآبائهم الأول ين[1].

وهكذا، وبنتيجة حركة الإصلاح الديني، تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات المحلية، وبدأت طباعته، وأتيح للمسيحيين لأول مرة في التاريخ شراء واقتناء وقراءة الكتاب المقدس وتفسيره بلا تدخل الكهنوت، ما أكسب الناس بالتدريج أفكاراً جديدة لا سيما بعد قراءة قصص الكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد ما أكسب أوروبا نظرة تجاه المشرق وخاصة تجاه فلسطين [2] شكلت بمجملها أهم أفكار ومنطلقات الأصولية المسيحية والتي يمكن أن نلخصها فيما يلي:

-1- أن اليهودية ديانة توحيدية سبقت المسيحية، وهي أساسها.

-2- أن اليهود هم أمة مفضلة، والتأكيد على بعثها إلى وطنها القديم (فلسطين)، وأنهم شعب الله المختار.

-3- التأكيد على أن كلمة الله- كما جاءت في الكتاب المقدس- معصومة من كل عيب أو نقص، ولم ينلها تشويه أو تحريف.

-4- الدعوة للعودة للكتاب المقدس باعتباره كلمة الله، ووضوح قوة الإيمان بالنبوءات التوراتية المتعلقة بعودة المسيح إلى الأرض، ليقيم مملكة الله في الأرض لألف عام.

5-أن مسيحية المسيحي لا تكتمل إلا إذا آمن بما جاء في كتاب "العهد القديم"[3]

وبالتالي، وفي هذه الأجواء، رسخت الأصولية المسيحية في الذهن الأوروبي في القرن السادس عشر حيث أصبحت التوراة اليهودية جزءاً أساسياً من الصلوات وطقوس العبادة في الكنائس البروتستانتية، ومن ثم شاعت في الحياة الثقافية العامة[4]، ولكن الأخطر من ذلك هو أخذها بعداً "سياسيا" في كل البلاد الأوروبية، وهذا من خلال رواج الدعوات التي تحث دول أوروبا على تنظيم حملات صليبية بهدف توطين اليهود في فلسطين بصفتهم أصحابها

---

(1) المرجع نفسه، ص 36

(2) محمد فاروق الزين، المرجع السابق الذكر، ص269)

(3) جورجي كنعان، المرجع السابق الذكر، ص 32

(4) جورجي كنعان، المرجع السابق الذكر، ص 42

الشرعيين، وذلك تنفيذاً للميثاق الإلهي المعقود مع آبائهم "إبراهيم"، "إسحاق" و"يعقوب" عليهم السلام. ففي ألمانيا نشر "بول فيلجنهاوفر" عام1655 كتاب "أخبار سعيدة لإسرائيل" أكد فيه عودة المسيح المنتظر، وفي السويد نشر أنديرس كيمب 1689 كتاب "أخبار إسرائيل السارة" قال فيه أن اليهود هم الشعب المختار، وعليهم أن يتهيأوا للعودة الدائمة لفلسطين، أما في فرنسا فنجد العالم "فيليب دي1717 يدعو لتوطين اليهود بفلسطين عارضاً روما على الخليفة العثماني بدل القدس، وفي الدانمارك حثّ ملوك أوروبا على القيام بحملة صليبية جديدة لتحرير القدس من الكفار، وتوطين اليهود بها بصفتهم وارثيها الشرعيين.

الحركة الأصولية المسيحية في أمريكا

صفة "الأصولية " هي صفة مسيحية غربية بحتة أطلقت في الغرب على المسيحيين الذين اعتقدوا بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، كما اعتقدوا بضرورة وجود دولة إسرائيلية في فلسطين يتجمع فيها يهود العالم كمقدمة ضرورية تمهد للمجيء الثاني للمسيح، وبالتالي للمملكة الألفية السعيدة التي سيحكمها [1]، وبعبارة أخرى:"هي صفة أطلقت على حركة بروتستانتية التوجه، أمريكية النشأة، انطلقت في القرن التاسع عشر من صفوف حركة أوسع هي الحركة الألفية"[2]، وهذه الحركة البروتستانتينية التي نشطت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى لها جذورها التى تعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، ويقوم فكرها على أساس الدعوة القوية بالعودة إلى أصول المسيحية الأولى، والتمسك الحرفي بما جاء في الكتب المقدسة، والتبشير بعودة المسيح...الخ."[3].

وقد جاء ازدهار الأصولية الغربية في القرن التاسع عشر نتيجة تعدد مصادر التقديس (الدين والعلم والمادة)، حيث خلق ذلك ردة فعل قوية من قبل كل من رجال العلم ورجال الدين، ومن قبل الدولة القومية العلمانية والكنيسة. وتجلى ذلك في إقدام رجال العلم على محاولة تكييف الديانة المسيحية مع الأكتشافات العلمية الحديثة – خاصة في علمي الأحياء

---

(1) حمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق، دمشق :دار الفكر، 2001 م، ص292)

(2) محمد عمارة، المرجع السابق الذكر، ص42)

(3) عبد الغفار دويك، أنبياء إسرائيل الجدد رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، ط1 ، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات،2003م، ص154

والبيولوجيا، أما من جانب رجال الدين، وبالتحديد في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد نشطوا حركة تهاجم الحركة السابقة، وتدعو إلى ضرورة العودة للدين والتمسك بنصوصه وأصوله، ومن هنا أطلق على هذه الظاهرة، أي ظاهرة التمسك والتزمت لنص أو مبدأ معين، باسم الأصولية، والتي تجلت بوجوه ومسميات عدة أبرزها، بالطبع، الوجه الديني الذي ينال القسط الأكبر من الاهتمام، وتسليط الأضواء عليه في المجابهات السياسية والفكرية الحامية، كما اتخذت كذلك أشكالا عرقية أو قومية متطرفة، أو مزيجاً من الدين والقومية، أو كليهما معاً، وليست الأمبريالية، بمختلف أشكالها(النازية، الفاشية) والأصولية المسيحية، إلا أبرز تجليات الظاهرة[1].

ولعل أهم الظروف المحيطة بهذه الحركة والدافعة لبروزها نجد ظاهرة تراجع تأثير الكنيسة على الأفراد في المجتمعات الغربية بصفة عامة، وفي المجتمع الأمريكي بصفة خاصة، لا سيما انتشار مظاهر العصرنة، وانتشار القيم المادية مقابل تراجع القيم الروحية، وهذا ما دفع ببعض الأصوليين البروتستانت إلى الهجوم والدعوة لضرورة العودة والتمسك بالكتاب المقدس وبالتفسير الحرفي له باعتباره كلام الله المتضمن للإجابة عن كل المسائل المطروحة، ولعل حدّة التيار قد اشتدّت بعد قيام مجموعة من رجال الدين الأحرار بالتشكيك في صحة الكتاب المقدس ودقته، واستخدموا الأبحاث التاريخية للتشكيك في بعض العقائد النصرانية الراسخة، وحاولوا تعديل اللاّهوت النصراني ليتوافق مع الاكتشافات العلمية الحديثة، خاصة في علمي الأحياء والبيولوجيا[2]، وقد سميت حركة هذا التيار بالحركة العقلانية، ومن جملة ما دعت إليه الاعتقاد بعالم منظم يمكن تفسيره بالعقل والمبادئ العلمية، كما دعت كل المذاهب إلى الاتفاق على أفكار أساسية تتمثل في الإيمان بإلهٍ عادلٍ حكيم، والإيمان بوجود الروح، وبحتمية الجزاء والعقاب في الحياة الأخرة، ولكنها رفضت الإنجيل والكنيسة كمصدرين للحقيقة[3].

([1]) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية –دراسة تحليلية نقدية– رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 –م

([2]) الموسوعة العربية العالمية، الحرف (أ)، العدد (2) ، الرياض :مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ - 1999م، ص259

([3]) مراد هوفمان، الإسلام آبديل، ط2 ، الرياض :مكتبة العبيكان، 1418 ه 1997 - م، ص107)

في هذه الأجواء- وبالتحديد فيما بين سنتي1915 م- قام مجموعة من القسيسين ومن مختلف التيارات البروتستانتية، وخاصة منها الكالفينية والمعمدانية، بنشر 12 كتيبا حول المواضيع اللاهوتية تعالج تلك التي تبدو لهم أصلية ورئيسية في محاربتهم الليبرالية، تمثلت في تسعة مواضيع أصلية هي: موضوع التثليث، نهاية الإنسان، والخطيئة الأصلية، الفداء، ومعجزات المسيح، موضوع البعث الجسدي للمسيح والصعود، العودة الألفية للمسيح، السلام الروحي والميلاد الجديد، الحساب الأخروي، عصمة وحي الإنجيل، الحمل بلا دنس.

التيار الأصولي المعاصر ونفوذه

يعتبر القرن العشرين قرن زحف المسيحية الصهيونية على الولايات المتحدة بامتياز.. وما بدأ فكراً تطور إلى ممارسة بعد أنشاء دولة إسرائيل. فقد ترجمت بعض فقرات العهدين القديم والجديد ترجمة سياسية مباشرة صبت بقوة في دعم الدولة الصهيونية الوليدة، وحرّفت التفاسير الروحية واستخدم المسيحيون الصهاينة وسائل الاعلام الأميركية الجماهيرية أفضل استخدام لنشر أوهامهم وأحلامهم ومعتقداتهم. وثم تفسير الأحداث السياسية باعتبارها علامات أزمنة، تسبق المجيء الثاني للمسيح، ومن بينها تجمع اليهود في فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل، ولم يبق إلا ظهور المسيح الدجال وحدوث موجة من الصراعات تتوج بمعركة "هرمجدون".

وضمن هذا التصور المستند إلى "سفر الرؤيا"، فإن السلاح النووي يصبح عندئذٍ أداة لتحقيق مقاصد الله، كما أن الميل إلى تفسير أحداث السياسة الدولية استناداً إلى منظور نهاية العالم، لا يصبح مشروعاً فقط وإنما يمثل أمراً ضرورياً. وهذا الشعور الداخلي من الأصولية المسيحية الأميركية، والمنطوي على أفكار سامة جعلت المؤمنين بنهاية العالم يعتقدون أن الحرب ضد العراق هي الحرب ذاتها التي جرى التنبؤ بها في الكتاب المقدس "على فاسقة بابل"، ولذلك فإنهم كانوا مدفوعين إليها، ووفقاً لاعتقادهم عندما تأتي نهاية العالم، سيصعدون مباشرة إلى الجنة، ويعتنق اليهود جميعاً المسيحية أو يهلكون. أما المسلمون فسوف يهلكون في جهنم نهاية العالم.

وحسب الأسطورة الأميركية الأصولية المستندة إلى بعض أسفار العهد القديم كسفر حزقيال وسفر دانيال، ومن العهد الجديد على سفر يوحنا، فأن العالم قد أشرف على النهاية، وأن ألف عام تبدأ بعد هذه النهاية تتميز بالسلام ووفرة الخيرات والأخوة بين الناس ويحلّ

السلام بين الحيوانات أيضاً.. وهذ النهاية آتية، ليست بفعل جنون رجل يشعل الحرب النووية، بل لأن هذا قصد الله، ويعتقد معتنقو الأصولية الإنجيلية أن المسيح لن يعود إلى الأرض قبل أن يرجع جميع اليهود إلى فلسطين، كما تتحدث اللوبيات الأصولية عن عقيدة مفادها أن إسرائيل قوية ضرورة لتحقق خطط "الرب" في فلسطين، ومن ثم فإن على الولايات المتحدة أن تجعل من إسرائيل قوة عسكرياً لدرجة كبيرة حتى يأتي يوم الحساب وأي شيء يقل عن ذلك يعتبر مخالفة لأوامر الله.

وبما أن ظهور المسيح سيكون مسبوقاً بحرب مدمّرة، فإن أميركا تجد نفسها ملزمة عقائدياً بتسليح إسرائيل ما أمكنها ذلك، وبدعم كل مخططاتها داخل فلسطين وخارجها استعداداً لوقوع هذه الحرب لضمان أنتصار إسرائيل وحلفائها ضد أعداء الله. وضمن هذا النطاق يدخل إعفاء إسرائيل من الانصياع للقوانين والمواثيق الدولية. فشريعة الله وحدها (التوراة) هي التي يجب أن تُطبّق على اليهود في فلسطين.

وأخطر حركات المسيحية الأصولية داخل أميركا، الحركة التدبيرية، التى نشأت بعد قيام إسرائيل وتضم في عضويتها 40 مليون أميركي، وقد انخرط فيها بعض رؤساء أميركا. وتعتقد الحركة في أن الله وضع في الكتاب المقدس نبوءات واضحة حول كيفية تدبيره لشئون الكون ونهايته، ورتبها كما يلي: قيام إسرائيل، هجوم أعداء الله على إسرائيل، ووقوع معركة هرمجدون النووية، انتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين، ظهور المسيح المخلص وتخليصه لأتباعه من المحرقة، أيمان من بقي من اليهود بالمسيح، ثم انتشار السلام في مملكة المسيح في أرض جديدة وتحت سماء جديدة لألف عام. ويعتقد أتباع الحركة التدبيرية أن مهمتهم هي تهيئة وتدبير كل الأمور التي يمكن أن تعجّل في عودة المسيح إلى الأرض[1].

([1]) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار - 1 نيسان 2011

الفصل الثالث

الإسلام والأصولية

بالرغم من أن وسائل الاعلام المختلفة وكثير من الكتابات أخذت تتداول مصطلح الأصولية الإسلامية كحقيقة واقعة، إلا أننا من خلال عرضنا السابق للأصولية المسيحية لاحظنا كيف أن مصطلح الأصولية أطلق في الأساس على الفرق المسيحية التى انشقّت عن الكنيسة الكاثوليكية، نتيجة لحلاكة الإصلاح الدينى، وذلك بسبب تبنيها الدعوة إلى العودة إلى أصول العقيدة المسيحية الأولى، واعتبارها الكتاب المقدس أصل الأصول الذى تستمد منه كافة المعتقدات والتشريعات المسيحية. ولكن هل يعنى ذلك أنه لا وجود لما يسمى بالأصولية الإسلامية، وإذا كان الأمر كذلك فمن أين جاءت هذه التسمية ؟ ولماذا أطلقت على الحركات الإسلامية المعاصرة ؟ ومن الذى أطلقها والهدف من ذلك ؟

وبصرف النظر عن التسمية، يمكن أن يثور السؤال التالي: هل في تيارات الفكر الإسلامي ومذاهبه، القديم منها والحديث، تيار أو مذهب وقف من النصوص المقدسة موقف الأصوليين الغربيين، فقال بالتفسير الحرفي للقرآن والسنة، ورفض كل ألوان المجاز والتأويل لأي نص مهما بدا من تعارض ظاهر مع براهين العقل، حتى يمكن أن يقال: أن موقف هذا التيار أو المذهب، إزاء النصوص الإسلامية المقدسة هو ذات موقف التيار الأصولي المسيحي من الإنجيل والكتاب المقدس؟ الأمر الذي يبرر القول بوجود "أصولية إسلامية" بهذا المعنى الغربي - السلبي، لمصطلح "الأصولية "؟ (1)..

حرب المصطلحات:

في إطار الإرهاب الفكري الذي يمارسه أعداء المشروع الحضاري الإسلامي، ضد الصحوة الإسلامية وتياراتها الفكرية والدعوية ضمن حملة شرسة متعددة الجبهات، تأتي حرب المصطلحات التي تُعدُّ أحد المظاهر الكبرى لهذا الإرهاب . فلا عجب أن نجِد في الساحة كمّاً هائلاً من المصطلحات التي تنم عن رغبة متوحشة في تشويه صورة الحركات الإسلامية المعاصرة ومشروعها الحضاري، فتُروِّج مصطلحات من قبيل: «الأصولية » و«الإسلام

---

(1) الأصولية. غربية المصطلح وتضاد المضمون:د. محمد عمارة -محمد عمارة-01 - 11 - 2009.

السياسي» و«الإرهاب الإسلامي» وغيرها. وكلها وأن اختلفت من حيث إطلاقاتها اللفظية، فأنها لا تختلف من حيث الأهداف والمرامي، فجميعها تصب في دائرة الكيد للصحوة وفكرها والمتغير فيها من دون وجه حق. وهي تؤكد إصرار أعداء المشروع الإسلامي على محاصرته من جميع النواحي وبكل فصائله وتياراته، حتى دون تفريق بين «متطرف» و«معتدل»[1].

وحرب المصطلحات تعني أن يَعمِد أعداء الإسلام إلى أمر من أمور الإسلام - ذات الحقائق المحددة، والمسميات المبينة، والأسماء المنضبطة - فيضعون لها اسمًا مزيفاً مُنفراً، يقلب صورة حقيقتها في الأذهان، ويصيرها مطبوعة بطابع تَشمئز منه النفوس، وتَنفر لدى سماعه القلوب. أو أن يقصدوا شيئًا من القبائح التي نهى الشارع عنها، ومقَتَها وبيَّن حكمها، ونَفَّر وحذَّر منها، وأظهر مضارَّها ومفاسدها؛ فيخترعون لها مصطلحاً جذاباً متألقاً، يُزيِّنونها به، فيسهُل على النفس بعدها اقتحامها والعَبُّ منها دون شعور بالحرَج[2].

ومن مظاهر هذه الحرب أنه يتم تغييب مصطلح ما ويبرز غيره كبديل عنه، وذلك لأن المصطلح الأول تشوه وتلوث في أذهان الجماهير المعنية، ولنأخذ مثالا: مصطلح "العلمانية" لم يعد يملك ذلك الحضور القوي في خطاب النخب المثقفة في العالم العربي، وحلّ محله مصطلح "المجتمع المدني" وما يتبعه من مصطلحات كـ"حقوق الإنسان"، و"الديمقراطية " ... إلخ، وعند التأمل في لوازم الديمقراطية نجد أن من أهم شروط تحققها "علمنة المؤسسات الاجتماعية"، ولهذا يصرح بعض المفكرين الغربيين بكل وضوح: لا يمكن أن تكون هناك ديمقراطية حقيقية وفق النموذج الغربي إلا من خلال علمنة مؤسسات المجتمع [3].

والمعلوم إن قبول أي مصطلح، مهما كان وأياً كان مطلقه أو مجال إطلاقه، يخضع لشروط، في مقدمتها توخِّي الطرح الموضوعي والبعد عن التعميم. ولو أخذنا جُلَّ المصطلحات التي تروِّجها دوائر الكيد للإسلام ودعاته، وقسنا نسبة موضوعيتها ووضوحها، لوجدناها في الغالب عارية منها، لأنها مُغرِقة في الضبابية والتعميم، فهي تُطلَق دون تحديد مسبق لما يراد

---

(1) اسلامية لا إسلاموية: محمد بوراس- موقع المختار الاسلامي- .http://islamselect.net/mat/78806

(2) الإسلام وحرب المصطلحات مجلة الوعى- سنة الثامنة والعشرون العدد 329 جمادى الثاني 1435هـ، نيسان 2014م د. أحمد إبراهيم خضر

(3) حرب المصطلحات- د. خالد بن منصور الدريس- صحيفة المدينة السعودية -الجمعة 2012/05/25.

منها أو مَنْ يراد بها، وفي أي إطار يمكن تطبيقها. أن أي حركة إسلامية، مهما بالغت في البعد عن الغلو والتشدد، أو «التطرف» بالمفهوم السائد، لن تعدَم مَنْ يلصق بها أحد هذه الأوصاف، لتصبح في عُرْف الجميع حركة «إسلاموية» ما دام أن هذه المصطلحات غير واضحة إلى الحد الذي تكون فيه معبرة عن أشياء محددة، ولاسيما إذا نظرنا إليها من زاوية الطرح العلماني[1].

وهنا يظهر للمتابع للإعلام بمختلف أنواعه ووسائله أن هناك شكوى من أزمة المصطلحات، ويعبر عنها أحياناً بتعابير من قبيل: "حرب المصطلحات"، "مشكلة المصطلحات"، "غزو المصطلحات"، "أزمة المفاهيم" ونحو ذلك. ولعل أبرز دليل على وجود حرب للمصطلحات ما نراه أن المصطلح الواحد يستعمل في وسيلة إعلامية مرة للقدح، وفي وسيلة أخرى للمدح. وهذا الأسلوب بشِقيه -تحسين القبيح، وتقبيح الحسن- اعتماداً على المصطلحات المخترعة، يعد من الأساليب الخطيرة التي رافقت أعداء الله تعالى عبر مسيرتهم الطويلة في صراعهم مع الحق، فلم يَكَد يَنفك عنه زمنًا من الأزمنة، أو تُهمله طائفة من الطوائف المُشاقّة للحق دون شعور بالحَرَج[2].

خطورة حرب المصطلحات:

إذا كانت اللغة أداة التفكير الأولى فإن المصطلحات من أهم مكونات الوعي، ولذا فإن حرب المصطلحات هى أشد الحروب ضراوة، لأنها تتسلل بنعومة من خلال مراكز أبحاث ومؤسسات إعلامية وثقافية، ولها ضحأيا وأسرى تقتادهم المصطلحات إلى واقعٍ آخر، بحيث يجري تهجير وعيهم واستلابه وتغريبه، لأنهم هواة يعيشون على هامش الثقافة وقارعة الواقع، بحيث يجدون أنفسهم يفكرون بما يشاء الآخرون لهم أن يفكروا به، بمصطلحات ملتبسة في دلالتها، قد تعبّر عن جزء من الحقيقة أو الواقع، لكن هذا التعبير الناقص خطيئة وليس خطأً فقط لأن ما هو حقيقي يستخدم لتمرير ما هو مضاف إليه، بحيث يكون مبتدأ الجملة سواء كانت ثقافية أو سياسية في خدمة الخبر المضاد له.

---

(1) اسلامية لا إسلاموية: محمد بوراس- موقع المختار الاسلامي- http://islamselect.net/mat/78806

(2) الإسلام وحرب المصطلحات مجلة الوعى- سنة الثامنة والعشرون العدد 329 جمادى الثاني 1435هـ، نيسان 2014م د. أحمد إبراهيم خضر

ومستويات أزمة المصطلحات متفاوتة فهي تصل أحياناً إلى عنف مسلح، وأحياناً إلى خصومة عقدية، أو فكرية، وربما لا يتعدى الاختلاف في بعض المصطلحات درجة الاختلاف في وجهات النظر. ولعل أبرز سلبيات حرب المصطلحات: سوء الفهم المنتج لقصور في التصور، يؤدي إلى غموض في المعاني، وعدم وضوح الرؤيا، وهذا كله ينتهي بنا إلى خلل في التفكير، وفشل في التخطيط، وكوارث على مستوى اتخاذ القرارات. ولذا يتعين على المسلم الحذر من المصطلحات المحدثة التي تحمل دلالات غير بريئة. [1]

وأن لم يَتنبه المسلمون لنهج حرب المصطلحات، ويَعوا خطورته، ويدركوا عواقبه فأنه سيؤدي حتماً إلى قلب كثيرٍ من الحقائق الشرعية في أذهانهم وواقعهم، وسينقلب من ورائه الحق باطلاً والباطل حقاً، والمنكر معروفاً والمعروف منكراً، والمصلحِ مفسداً والمفسد مصلحاً، وسيقود إلى فتح أبواب عريضة من الشر المستطير. وكلما استمرت الأيام زاد شرُّها، وظهر أثرها، وعَسُر إغلاقها وعلاجها[2]، ولذلك على المسلم أن يكون يَقِظاً مُنتبهاً عند التقاطه لأي مصطلح جديد، وأن يحرص على الالتزام بالأسماء الشرعية، ففيها الكفاية والغُنية، وأن يستقبل ما تبثه وسائل الاعلام بحذرٍ، فهي غالباً ما تُقدِّم السُّم فيما نحسَب أنه عسل.

فما يعتبره اللا ديني -مثلاً- تطرُّفاً وأصولية وربما إرهابا، لا يعدو أن يكون في حكم الدين من أوجب الواجبات التي يسقط بها معنى التدين، ولذا، يجب تحديد معيار الحكم وتوحيده، بحيث يكون معيار الحكم في قضايا التطرف والإرهاب والأصولية يعود إلى الدين نفسه، فما اعتُبِر في ميزان الشرع من هذا القبيل توجَّب وصفه كذلك، وصار من دعا إليه منسوباً إليه، وما لم يعتبره كذلك فليس لأحد أن يفرض على الدين شيئاً لم يقضِ به. ومتى أصبح معيار الحكم موكولاً إلى النظر العقلي المجرد أو الهوى، كان الحكم غير صائب في الغالب، ومؤدياً إلى الإسقاط. ومما يزيد الأمر خطورة، ويُبين أن هذا الأسلوب قد آتى أكله أو يكاد - أن ينساق بعض المسلمين، بل بعض قيادييهم وراء أعدائهم في الترويج لكثير من المصطلحات والأسماء المستحدثة والمنتقاة من قبل الأعداء بدقة بالغة، ويتلقفوها من غير رَويَّة ولا تأن، فيكونون قد جنَوا على أنفسهم وعلى أُمتهم جناية عظيمة من حيث لا يدرون.

---

[1] حرب المصطلحات- د. خالد بن منصور الدريس- صحيفة المدينة السعودية -الجمعة 2012/05/25

[2] الإسلام وحرب المصطلحات مجلة الوعي- سنة الثامنة والعشرون العدد 329 جمادى الثاني 1435هـ، نيسان 2014م د. أحمد إبراهيم خضر

مختبرات نحت المصطلحات وتصديرها:

في كثير من صحفنا ومواقعنا العربية تُبرز تناقضاً بين التوجه والكلمات المستخدمة في سياق الأخبار أو الموضوعات المتناولة، مما يبين هيمنة الإعلام الغربي بمصطلحاته وتغلغله في إعلامنا؛ حتى غدت صحفنا نسخة معرّبة لما ينشر في الصحف الغربية! والخطورة هنا تكمن في تداول بعض المصطلحات الإعلامية الغربية في الصحف العربية والإسلامية، دون النظر إلى حقيقة معناها وبعد مغزاها.. والتي قد تحمل في ظاهرها بعداً إسلامياً، وفي واقعها مؤامرة غربية نُسجت من حروف عربية، لتعبث في عقل القارئ المسلم الذي يمكن أن يحذر مما ينشر في الصحف الغربية، ويقف عند بعض ما تتناوله وينأى عن تصديق ما يصاغ فيها، فيما يتملكه نوعُ من الثقة والأمان وهو يتصفح موقعاً أو صحيفة يُفترض أنها تناسب وتوافق توجهاته، فتؤتي هذه المصطلحات أكلها في اللاوعي لديه، وتؤثر في تشكيل رأيه تجاه القضايا المتعلقة بها شيئاً فشيئاً؛ حتى تحدث تغييراً في الثوابت والمسلمات، فتؤدي بذلك الصحف العربية خدمة للغرب من الصعب أن تبلغها الصحف الغربية ذاتها.

ويزداد الأمر سوءاً أن عرفنا أن كثيراً من تلك المصطلحات الغربية التي تتردد في صحفنا هي من المصطلحات التي تحرص الصهيونية على توجيهها إلى العالم الخارجي، وهو ما تطلق عليه بالعبرية (هاسبارا) والتي تضخ الصهيونية مئات الملايين من الدولارات لإشاعتها إعلامياً، وهذا ما تحدث عنه الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه " الخطاب والمصطلح الصهيوني دراسة نظرية وتطبيقية".

ولكي لا نبقى في نطاق التجريد سنتوقف عند سلسلة من المصطلحات التي لعبت دوراً كبيراً في احراف الوعي أو ما يسمى في معاجم البلاغة "الانتحاء" وهو أيضاً ما كان يسميه جان بول سارتر فلطحة المصطلحات بحيث تفقد حدودها وتصبح مرنة وطيّعة لكي ترتهن للرغائب والنوايا. وهذه السلالة من المصطلحات لا تولد بالصدفة وليست نبتا شيطانيا في المعاجم السياسية والإستراتيجية، وهناك مختبرات تعكف على نحتها وصياغتها لتهجير الوعي واستبدال الواقع وبالتالي قضاياه . ونحن نتورط بها أحياناً ظناً منا بأنها القاسم المشترك أو الشيفرة التي تتيح لنا التفاهم وإيصال الأفكار رغم أنها سلاح لا يُستخف به.

ومن المصطلحات التي كان للصهيونية تأثير في شيوعها مصطلح "الليبرالية السياسية" "معاداة السامية" "الهولوكوست" النزاع "الإسرائيلي"- الفلسطيني مع ما يحمله من دلالة

من إقرار حق الطرفين في الأرض الفلسطينية."و ناشطون" يقصدون فيها المقاومة، "المتطرفون" من يخالفهم! و"المعتدلون "من يسايسهم" "وعرب إسرائيل" أو "الوسط العربي" أبناء الأقليات" "مستوطنات" بدل مستعمرات استيطانية وغيرها كثير

كما شاع في العقود الأخيرة التلاعب والتلبيس بالمفاهيم والمصطلحات، بغرض القضاء على هوية الأمة الإسلامية، وضرب مصطلحات السلف الصالح في العمق لأحداث أزمة فكرية، وكارثة علمية، وبالتالي محاولة تضييع أركان العلم وانهيار مفاهيمه. ولم يتم التوقف عند هذا الحد إذ أخذوا يستخدمون كلمات ومصطلحات من ثقافتنا الإسلامية، كمصطلح الإرهاب، ومصطلح تمكين المرأة، ومصطلح العنف، إلا أن هذه الكلمات بمعناها الاصطلاحي الإسلامي تختلف تماماً عن سياقها الواردة به. كما أن هناك مصطلحات تعكس موقفاً فكرياً صريحاً وقيماً مخالفة لديننا كمصطلح "التبشير" أو "المثلية الجنسية"، والصحيح أن يقال: "التنصير" أي الدعوة إلى الدخول في الديانة النصرانية، ويقال: "اللواط" أو الشذوذ الجنسي بدلاً عن مصطلح "المثلية الجنسية" الذي يقف من هذه الكبيرة المنهي عنها موقفاً حيادياً، والحياد هنا لا مرحباً به.

ومع تنامي الصحوة واليقظة الإسلامية في عصرنا، وعودة الناس إلى النهل من المنبع الصافي (الكتاب والسنة) والأخذ بأسباب التقوى والإيمان، والتخلص من أسباب الفسوق والعصيان، حذر أعداء الملة الإسلامية من هذه العودة الإيمانية الراشدة إلى الإسلام، فتم تصدير المصطلحات المولودة في الغرب، تحمل مفاهيم سيئة إلى حد بعيد، وكان منها هذا اللقب "الأصولية "، حيث راح الغرب يصب جام سخطه على الثقافة الإسلامية واصفا أياها بمسميات، شكّل مسمى "الأصولية " أكثرها استعمالا، بل وراح يعمل على جعل كلمة " الأصولية " مرادفا للإسلام أو شفرة لفهم الإسلام.

وقد يتساهل البعض ويردّ قائلا بأن الثقافة الإسلامية حقيقةً ثقافة أصولية بالمعنى الإيجابي للكلمة، لكنه رد غير كافٍ، وقد يؤكد بعضاً آخر الرد السابق دون إغفال المعنى السلبي الذي يحمله المصطلح اليوم والذي يحاول الغرب إلباس الإسلام به، بل ومن باب الرد على الغرب يبين بأن الظاهرة بمفهومها السلبي المعاصر غربية النشأة والجذور قبل أن تكون إسلامية. ورغم أن الثقافة الإسلامية غنية عن كل شهادة عن انفتاحها ومعايشتها للحضارات الأخرى وبعدها عن الجمود والتصلب، إلا أن الأمر يحتاج لدراسة، وبحث معمق يتضمن التاريخ

والتحليل والتفسير والمقارنة، بل والأكثر من هذا إلى دراسة الظاهرة من بيئتها الأصلية التي ظهر معها مصطلح الأصولية، أي من البيئة الغربية لتكون الدراسة بعيدة عن العمومية.[1]

ضرورة ضبط مصطلح الأصولية :

تعاني الساحة الإسلامية من الضبابية والفوضى من خلال الاستعمال المكثف للعديد من المفاهيم المختلفة الدلالات في مواضع متقاربة، كما هو الشأن بالنسبة لمفاهيم من مثل: حركات إسلامية أو إسلاموية، أصولية، سلفية، راديكالية إسلامية، إسلام سياسي، إلى غير ذلك. الأمر الذي يوحي بأن لها نفس المعاني، غير أن الأمر ليس كذلك تماماً[2]. ومن هنا فإن تعدد مضامين المصطلح الواحد واختلاف توجهاته الأيديولوجية، يدفع بنا إلى مقاربته شرعياً وعلمياً: فمن الناحية الشرعية، فإن ضبط المصطلح مطلب شرعي، حيث يقول ابن حزم الظاهري:"والأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد اختلاط أسماء ووقوع اسم واحد على معانٍ كثيرة فيخبر المخِبر بذلك الاسم وهو يريد أحد المعاني تحته، فيجعله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء والأشكال وهذا في الشريعة أضر شيء وأشده هلاكا لمن اعتقد الباطل إلا من وفقه الله تعالى[3]. ويرى الغزالي أن سبب الأخطاء والأغاليط في النظريات: أنها كلها ثارت من إهمال الجليات والتسامح فيها.. فتزلّ الأقدام وتعتاص المطالب وتنحط العقول، ولذلك ضل أكثر النظّار وأضلوا"[4] كما أن هذا الضبط المصطلحي يستمد شرعيته من كتاب الله يقول تعالى:(وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء أن كنتم صادقين) البقرة: 31. ومن الناحية العلمية، فأن ضبط المصطلح مطلب علمي، حيث تتجلى أهمية هذا الضبط من الناحية العلمية في أنه أساس تأسيس العلوم وضمان استقلالية كل علم عن بقية العلوم والحفاظ على مرجعيتها، كما أن ضبط المصطلح

---

(1) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م ص227

(2) الحركة الإسلامية: المفهوم والدلالات وحدة المتعدد أو الاختلاف المتوحش- المختار شفيق

(3) ابن حزم الظاهري: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق لجنة من العلماء – دار الجيل – بيروت م3- ج8- ص:464.

(4) محك النظر في المنطق- أبو حامد الغزالي -المحقق :أحمد فريد المزيديالناشر :دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ص 243

يمكّن الباحث من تجنّب الثغرات المنهجية والأخطاء المعرفية كذلك، ويحدّ من التهجين المصطلحي[1].

ولكن بسبب غياب عملية الضبط المنهجى للمصطلحات، وفي هذا الجو من التعتيم والغموض والخلط المتعمد راح الغرب المسيحي المتصهين، ينشط مشبعا بمختلف مقومات الظاهرة الأصولية، مستترا بذلك عن أوجه أصوليته الدينية والعرقية بشعارات العولمة المعروفة من دمقرطة، وتحرر، انفتاح اقتصادي، وتحرر ثقافي...الخ، ومصوباً سياطه تجاه الشعوب الضعيفة، والشعوب الإسلامية بصفة خاصة، مستغلاً بذلك ضعفها وغفلتها وانحطاطها، ومتجبرًا متغطرساً بما وصل إليه من تقدم وحضارة ورقي. وانطلاقاً من هذه الحقائق المقلقة، وفي محاولة منا لتجاوز الأوهام والأكاذيب، وقراءة ما بين الأسطر، وملءالفراغات، والوصول للمعاني الحقيقية للمصطلحات والمفاهيم المتحيزة، سنحاول الوقوف عند حقيقة وكنه ظاهرة "الأصولية، بل وعلى أخطر أنواع الأصوليات التي أفرزتها الحضارة الغربية وألقتها خنجرا في قلب الأمة العربية الإسلامية، خنجرا يجعلها تنزف كل مصادر قوتها من ديانة وثقافة إسلامية، ومن خيرات وموارد طبيعية وبشرية لا حدود لها إشباعاً لأحقاد الأمبريالية الغربية المسيحية وحليفتها الصهيونية[2].

لا وجود للدعوات الأصولية بالمعنى الغربي في الإسلام:

نعود للسؤال الذى طرحناه في البداية، حول وجود دعوات أصولية في الإسلام بالمعنى الذى ظهر بالغرب؟؟ وهنا سيكون جوابنا بالنفي القاطع والأكيد، إذا كان المقصود بالأصولية هو الإيمان الحرفي بالنصوص الدينية (القرآن والسنة الصحيحة). فإذا عدنا للمعنى الغربي لمصطلح الأصولية ولحقيقتها كظاهرة وحاولنا إسقاطها على تيارات أو مذاهب الفكر الإسلامي القديمة، وذلك بالتركيز على أهم محددات المفهوم الغربي السلبية: التصلب – الجمود – العودة للماضي، لانتهينا إلى استحالة ذلك للأسباب التالية:

---

(1) د.عبد الله المودن: ضبط المصطلح مطلب شرعي وعلمي: علم أصول الفقه نموذجا، مجلة الوعي الإسلامي، العدد408 –شعبان 1420هـ-ديسمبر1999م ص:64، بتصرف يسير.

(2) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427هـ 2005 / م 2006 -مص9

أولاً: أن التاريخ أثبت ويثبت أن كل تيارات الفكر الإسلامي القديمة- سواء القلة من "أهل الأثر" و"أصحاب الحديث"، و"الظاهرية" وهم الكثرة الغالبة من أهل "الرأي" قد قبلوا بالمجاز و"التأويل" لطائفة كبيرة من النصوص المقدسة، بل يكاد الإجماع ينعقد على أن ما لا يقبل التأويل من النصوص- وهو الذي يسمى، في الاصطلاح الأصولي "محكماً" هو القلة، بينما الكثرة في النصوص هي مما فيها للرأي والتأويل والأجتهاد مجال. ولقد كان التمايز والأختلاف بين هذه التيارات الفكرية الإسلامية كامناً في الأقتصاد في التأويل إزاءه أو التوغل فيه، ولم يرفضه، وبإطلاق مذهب من مذاهب الإسلام[1].

والتأويل كما هو معلوم، مشتق من الأول وهو في اللغة الترجيع، تقول أوّله إليه رجّعته، أما عند علماء اللّاهوت فهو تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزياً أو مجازياً يكشف عن معانيها الخفية[2]. قال الجرجاني: التأويل في الشرع« صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى:﴿ يخرج الحي من الميت﴾. إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلاً»[3]. والتأويل في تعريف ابن رشد هو: "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يُخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز، من تسمية الشيء: بشبيهه أو بسببه، أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك مما عُدّ في تعريف أصناف الكلام المجازيّ[4]، ولذا فإن الإمام الغزالي قد مد آفاق التأويل المقبول إلى خمس مراتب لوجود الشيء الذي جاء به النص" تدخل هذه المراتب التأويلية بصاحبها إلى نطاق التصديق والإيمان، وتدفع عنه تهمة التكذيب والزندقة[5].

---

(1) .محمد عمارة، المرجع السابق الذكر، ص45)

(2) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، 1982

(3) التعريفات- علي بن محمد بن علي الجرجاني- تحقيق : إبراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة الأولى، 1405- ص72

(4) فصل المقال:-أبو الوليد بن رشد القرطبي - دراسة وتحقيق :محمد عمارة :دار المعارفالطبعة :الثانية- ص8

(5) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون 09/11/09 - د. محمد عمارة المصدر: مدارك / إسلام أونلا ين نت

ويؤكد حجة الإسلام الغزالي أن كل مذاهب الإسلام قد لجأت إلى التأويل "فما من فريق من أهل الإسلام إلا هو مضطر إلى التأويل، وأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل. سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون: أنه صرح بتأويل ثلاثة أحاديث" منها ما هو أبعد وجوه التأويل، وأنها اقتصر على تأويل هذه الأحاديث الثلاثة لأنه لم يكن ممعنا في النظر العقلي[1]. أما الأشعرية والمعتزلة فلزيادة بحثهما تجاوزوا إلى تأويل ظواهر كثيرة، والأشعرية أولو أكثر الظواهر في أمور الأخرة إلا يسيراً، والمعتزلة أشد توغلاً في التأويل. فليس إذن، بين مذاهب الإسلام القديمة من وقف تماماً ودائماً عند حرفية النصوص، رافضاً أي تأويل، حتى يمكن إطلاق مصطلح "الأصولية" بالمفهوم الغربي، عليه. لأن التأويل هو الطريقة المؤدية إلى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها.

ثانياً: خلال التاريخ الإسلامي القديم والحديث لم يظهر هناك أى اتجاه أو حركة أو تيار دينى تبنى الدعوة للعودة للأصول الإسلامية كما فعل لوثر وغيره من زعماء الإصلاح الدينى، الذين أرادوا بدعواتهم تلك حصر المصادر التى تستمد منها العقيدة المسيحية في مصدر وأحد هو الكتاب المقدس بعيداً عن سلطة البابا والمجامع المسكونية. والسبب في ذلك أنه في الإسلام لم تكن هناك سلطة دينية أعطت لنفسها الحق في التشريع بعيداً عما جاء في الأصول الإسلامية (الكتاب والسنة)، كما فعل البابا والمجامع المسكونية. ولذا فإن استخدام عبارة الأصولية في مجال الإسلام لا تستقيم ومرفوضه إذ أنها تفترض وجود مثل التحريف الذى رأيناه في الأناجيل، وبالتالي فهى تفترض تصلب رجال الدين وإصرارهم على الحفاظ والدفاع عن نص عبثت به الأيادي على مر التاريخ، وهو أمر مستبعد وغير وارد، لأن علماء الإسلام يتمسكون ويدافعون عن نصٍ منزلٍ كريم[2].

فالأصول الإسلامية ظلّت ثابته ومعروفة لكافة المسلمين، وكان بإمكان كل مسلم استنباط الأحكام الشرعية من هذين الأصلين متى توافرت فيه شروط معينه تجعله أهلاً لاستنباط هذه الأحكام، أى أن يصل إلى درجة مجتهد. وهذا الوضع يختلف كثيراً عن الحال الذى كان

---

(1) أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت،، ص260-261

(2) هدم الاسلام بالمصطلحات المستوردة (الحداثة والاصولية) – د. زينب عبد العزيز- دار الكتاب العربي – دمشق القاهرة – ط1 2004- ص167.

موجوداً في الكنيسة الكاثوليكية، حيث وجدت سلطة دينية قائمة بذاتها على رأسها البابا والمجامع المسكونية، احتكرت لنفسها حق تفسير الكتاب المقدس واصدار القوانين والتشريعات الكنسية ليس استناداً إلى الكتاب المقدس فحسب، بل استناداً إلى سلطتها الروحية التى منحها لها المسيح (كما تزعم)، لتحقيق رسالتها في الخلاص. لهذا صارت سلطة البابا والمجامع المسكونية مساوية، وربما تفوق سلطة الكتاب المقدس نفسه.

لذلك فإن لوثر لكى يحقق دعوته في العودة إلى الأصول المسيحية كان لابد له من تجريد الكنيسة وعلى رأسها البابا، من كل سلطتها الدينية، أى أنه كان يجب عليه تخطّي حاجزاً صعباً عن طريق إنكار ما اعتُبر أصلا من أصول العقيدة المسيحية، وهو السلطة الروحية للبابا التى يستمدها من الروح القدس مباشرة بإعتباره خليفة القدّيس بطرس. وقد فعل لوثر ذلك ولكنه أصبح في نظر الكنيسة الكاثوليكية مارقاً وزائغاً عن طريق الإيمان، بل متهوداً أو يهودياً كما وصفته الكنيسة الكاثوليكية[1]. أما في الإسلام فإنه لا يوجد هذا الحاجز، وبالتالى لا توجد هناك عودة للأصول لأنه لم يحدث في الأصل ابتعاد أو إنكار لهذه الأصول حتى تكون هناك عودة. فالأصول الإسلامية ظلت ثابتة ومحفوظة على مر العصور وهما الكتاب والسنة، ولا يستطيع أى مسلم غنكار حجية أحدهما إلا وأصبح كافراً. ومن هنا فإن استخدام كلمات (الحداثة والأصولية) وفرضها على القرآن والسنة، وإقحامها في الخطاب العام للعالم الإسلامي يعد تخريباً مرفوضاً لابد من التصدي له، لأن القرآن لم ولن يتعرض لأى تحريف إيماناً منا بآية "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(الحجر: الأية 9) كما أن الإسلام لم يعرف أى معركة من المعارك بين النص المنزل وبين التقدم العلمي.[2]

ثالثاً: خلت تيارات فكرنا الإسلامي، الحديث والمعاصر، من تيار يماثل- في الموقف من المجاز والتأويل والتفسير الحرفي للنصوص- أصولية الغرب النصرانية، فالإمام محمد عبده يجعل تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض "أصلاً من أصول الإسلام ويقول: لقد اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقتان: طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز

---

(1) المسيحية - د. احمد شلبى - ص 262

(2) هدم الاسلام بالمصطلحات المستوردة (الحداثة والاصولية) - د. زينب عبد العزيز - دار الكتاب العربي - دمشق القاهرة - ط1 2004- ص9

عن فهمه وتفويض الأمر إلى الله في علمه، والطريق الثانية: تأويله مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل، وبهذا الأصل، الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي (صلّ الله عليه وسلم) مهدت بين يدي العقل كل سبيل، وأزيلت من سبيله جميع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حد، وهذا مذهب أبعد ما يكون عن الأصولية بالمعنى الغربي لمصطلحها[1].

أما حسن البنا المرشد العام للإخوان، فهو يصف، جماعته بأنها دعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب، وينفي إمكانية اختلاف النظر الشرعي والنظر العقلي في القطعي (من الأدلة) فلن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظني منها ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار، فلقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلاً حقاً، فجمع بين الإيمان بالغيب وبين الانتفاع بالعقل.. فإلى هذا اللون من التفكير الذي يجمع بين العقليتين: الغيبية والعلمية، ندعو الناس.. وبالطبع فهذا موقف لا أثر فيه لمضمون الأصولية كما عرفه النصارى الغربيون[2].

رابعاً: عندما استنبط الفقهاء المسلمون مذاهبهم الفقهية من الكتاب والسنة، فإن مذاهبهم تلك لم تعتبر أصول جديدة للإسلام أضيفت إلى الأصول الأصلية، وبالتالى لم يكن يعنى رفض هذه المذاهب من البعض، أنه رفض أصلاً إسلامياً، لأن اختلافات أصحاب المذاهب الكبرى حول حكم بعض المسائل كان في الفروع وليس في الأصول، والأهم من ذلك أن هذه الاختلافات كانت مبنية على أدلة من الكتاب والسنة، وليست نتيجة اجتهاد شخصى أو تأمل نظرى، لأنه لا مجال للاجتهاد الشخصى والتأمل النظرى في أى مسألة في وجود الكتاب والسنة الصحيحة. فاجتهادات الفقهاء والعلماء ليست معصومة من الخطأ، بل يمكن مراجعتها وتعديلها، فكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر، كما قال الإمام مالك وهو يشير إلى قبر رسول الله (صلّ الله عليه وسلم).

خامساً: هناك اختلاف في معنى الأصولية في الثقافة العربية الإسلامية عنه في الثقافات الأخرى، بالإضافة إلى اختلاف معناها في الماضي عنه في الحاضر، ولاسيما ما يشيع اليوم في لغة

---

(1) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية- محمد عبده

(2) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون 09/11/09 - د. محمد عمارة المصدر: مدارك / إسلام أونلا ين نت

الصحافة عامة والصحافة الغربية خاصة، عندما تتحدث عن «الأصولية » وتقصرها على نزعة «التعصب» والتشدد عند «الأصوليين الإسلاميين» ولعل أهم المعاني التي تنطوي عليها «الأصولية » في الثقافة العربية الإسلامية ، معنى «التأصيل»، أي إرجاع الأحكام العملية الجزئية إلى القواعد الكلية، وإضفاء صفة الشرعية، أي موافقة الشرع، على الأعراف والقوانين والموضوعات وأنماط السلوك الاجتماعي والسياسي التي يفرضها التقدم وتغيُّر الأحوال، حتى تصبح جزءاً من حياة المجتمع المعني. ويتم ذلك بإرجاع كل منها إلى أصل من الأصول المعروفة في مرحلة التأسيس، أو إلى قاعدة من القواعد الكلية التي لا يدانيها الشك، كإرجاع الديمقراطية إلى الشورى، مثلاً. وهذا الإرجاع هو نوع من تأسيس ديني وفقهي للأفكار والمفاهيم الجديدة يقوم على تضمين المفهوم الجديد معنى تراثياً وتحميل الأصل القديم دلالة توحي باحتمال تفرّع الجديد عنه واشتقاقه منه.

سادساً: إذا كانت الأصولية هي التمسك بالأصول، فإن الدين الإسلامي في رأي الأكاديميين لا يقبل أن يكون المسلم على الصورة المرسومة في ذهن الغرب، وليس المصطلح رديفاً للتطرف والأيذاء المتعمّد والاعتداء على أرواح وأموال الأبرياء. وعليه فإن أي وصف يشير إلى الأصولية بمعنى التطرف والإرهاب، فأن فيه لبس في فهم المصطلح واستخدام له في غير سياقه. فإذا كانت الأصولية مذهباً في الديانة المسيحية، فهي ليست كذلك أبداً في الإسلام. وقد نشأت المشكلة حين أطلق على الحركات الإسلامية السياسية التي تمارس العنف والإرهاب اسم "الحركات الأصولية ". وعندما نتكلم اليوم عن العنف والإرهاب عند الأصولية الإسلامية، فنحن نعني هذه الحركات السياسية المسلَّحة بالذات، وليس الإسلام الشعائري أو التشريعي أو الأخلاقي[1]

فالإسلام لا يبرر الإكراه في الدين، بل الواقع أن الإسلام يدعو إلى عقائده الخالصة، ودعوته الشاملة بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن يجد في نفسه اقتناعاً تاماً، فالباب مفتوح ليدخل فيه، و إلا فله الحق بأن يبقى على ما هو عليه من دينه، فلا إكراه في الدين. لذلك فإن استعمال هذا المصطلح (Fundamentalism) في توصيف بعض الحركات الإسلامية، من قبل العقل الغربي وبعض المتأثرين به ليس صحيحاً، لأن هذا الاستخدام لم يأت في سياقه السياسي

([1]) الأصولية الإسلامية ...... إلى أين؟- موقع الدكتور محمد شحرور- دمشق - 11 كانون الأول 2000 م- http://www.shahrour.org/A4.htm

والاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيه هذا المصطلح، ولأن الإسلام وحركاته السياسية لم يعرف هذا المصطلح، لا تاريخاً، ولا شرائعاً، أو فقهاً[1]

سابعاً:. أن الأصولية بالمعنى الذي شاع مضمونه في أوساطنا الاعلامية والثقافية والسياسية المعاصرة- هو مصطلح غربي النشأة وغربي المضمون، ولأصله العربي ومعأنيه الاعلامية مضامين ومفاهيم أخرى مغايرة لمضامينه الغربية، التي يقصد إليها الآن متداولوه. وهذا الاختلاف في المضامين والمفاهيم، مع الاتحاد في المصطلح _الوعاء_ أمر شائع في العديد من المصطلحات التي يتداولها العرب والمسلمون ويتداولها الغرب، مع تغاير مضامينها في كل حضارة[2]، وهو أمر يحدث الكثير من اللبس والخلط في حياتنا الثقافية والسياسية والاعلامية المعاصرة، التي خلطت فيها وسائل الاتصال مصطلحات كثيرة، اتحدت في اللفظ مع اختلافها في المضامين والخلفيات والإيحاءات.

فمصطلح "اليسار" مثلاً يرمز في الفكر الغربي للأُجراء والفقراء وأهل الفاقة والحاجة، بينما يدل في المفاهيم العربية والإسلامية، على أهل الغنى واليسر والنعيم!. ومصطلح اليمين " مثلا- يدل في الفكر الغربي على أهل التخلف والرجعية والجمود، بينما هو يعني في فكر العربية والإسلام، أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأقبلوا على بارئهم، يوم الحساب، يتناولون صحائف أعمالهم الطيبة باليمين، أي القوة والثبات والأطمئنأن! ولذلك كان الإمام عبد الحميد بن باديس يدعو الله سبحانه وتعالى، فيقول: اللّهم اجعلني في الدنيا من أهل اليسار، واجعلني في الأخر من أهل اليمين! بالمفهوم الإسلامي، طبعاً، وليس بمفهوم الغربيين!.[3]

ثامناً: أن كلمة أصولية لم تأخذ بعدُ طابعَ المصطلح الرمزي في ثقافتنا المعاصرة إلى الآن، لأنها ما زالت في دور التحديد للمعنى المقصود، والضبط في الاستعمال، فهي ليست شائعة في الاستعمال كمصطلح المعتزلة أو الأشاعرة، بحيث إذا أُطلق اللفظ أنصرف تلقائيًّا إلى جماعة معروفين بقواعد مذهبهم، وأصولهم، وباسمائهم أحيأناً. وهل إذا استُعملت هذه الكلمة في

---

(1) انظر: د.حميد حمد السعدون. الغرب والإسلام والصراع الحضاري. دار وائل للطباعة. عمان 2002م. ص:135

(2) محمد عمارة، "معرآة المصطلحات بين الغرب والإسلام"، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مارس1997 ، ص42

(3) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون 09/11/09 - د. محمد عمارة المصدر: مدارك / إسلام أونلا ين نت

لغتنا العربية، يكون المراد بها ضرورةً تلك المعانيَ التي صاحبتها في تجربة الغرب؟ فتكون مرادفة لكلمة تطرف، أو تنطع، أو تشدد، أو جمود، فتصبح بمثابة الرمز والاصطلاح، بصرف النظر عن أصلها الاشتقاقي في اللغة، فيكون شأنها في ذلك شأن جميع الاصطلاحات الرمزية، التي قد تكون علاقتها مبتورة تمامًا بأصلها الاشتقاقي وجذرها اللغوي، أو لا بد أن تراعى العلاقة الضرورية بين أصل الكلمة، واستعمالها في الحياة وعلى ألسنة المتخاطبين بها؟

لكنها للأسف الشديد نُقلت إلى اللغة العربية، لتُسْتعملَ في مجال الذمِّ والتنفير - نظراً لما تحمله من معان لازَمَتْها في الغرب، يرفضها الإسلام جملة وتفصيلاً - في الاستعمال المعاصر، ليُراد بها أصحاب تلك الأراء المتشددة والمتطرفة، لكنَّ إطلاقَها على هؤلاء - بهذا المعنى - فيه لبس وتدليس على السامع والقارئ معاً، بل على المسلمين بصفة عامة، وربما أوحت - من خلال استعمالها بهذا المعنى - التنفير من التمسك بالأصول، فيزل الأمر بهؤلاء إلى الانسلاخ من الإسلام كليةً، وربما كان هذا هدفاً مقصوداً لبعض الفئات التي زجَّت بهذا المصطلح في ساحة الحوار الثقافي بين الجماعات الإسلامية وخصومها.

تاسعاً: ليست الأصولية مقصورة على دين أو مذهب أو عقيدة سياسية، ولا على أمة من دون سواها. فلكلِ دين أو مذهب ولكل عقيدة سياسية (أيديولوجية)، وفي كل أمة من الأمم، أصوليتها وأصوليوها. ولفظ «الأصولية» الإسلامية الشائع اليوم، فيقصد به الحركات الدينية التي تسمي نفسها «الصحوة الإسلامية»، وهي حركات وأحزاب سياسية تتخذ من الإسلام منطلقاً لدعوتها، وتعاني كغيرها من الأحزاب السياسية تناقضاً بين وعيها الذاتي وحقيقتها الواقعية. ولا يخلو إطلاق اسم «الأصولية» على هذه الحركات والأحزاب الحديثة من انحياز يرمي إلى طمس الفروق بين أنواع الأصولية في التاريخ، وتجريدها من شروط نشوئها وقوانين نموها وتطورها، أو تراجعها وانحطاطها، ورميها جميعاً بالتعصب و«الإرهاب». ومما يلفت النظر، في هذا المجال، تركيز الخطاب الاتهامي على «الأصولية الإسلامية» من دون غيرها من الأصوليات المعاصرة مثل الأصولية اليهودية الصهيونية والأصولية المسيحية والأصوليات العنصرية وغيرها.

الفرق بين الأصولية في الغرب والشرق

اتضح لنا مما سبق أن مصطلح الأصولية، ظهر في الغرب، وحمل معه تجربة الغرب من كاثوليك وبروتستانت، ونُقل إلى عالمنا العربي، وهو محمَّل بهذه المعاني التي أشرنا إليها سابقًا،

ويتضمن الخصائص والصفات التي عرفت بأنها لوازم تاريخية لهذا المصطلح في الغرب، ولا يذكر المصطلح إلا مقرونًا بها، ومعروفًا بها: "جمود، جنوح إلى الماضي، مناهضة التطور، عدم التكيُّف مع الواقع المعاصر، العلاقة التناقضية القائمة بين الدين والتطور، بين التراث والحداثة، العنف"، كلُّ هذه الصفات صاحبت المصطلحَ ولازمتْه تاريخيًّا، وبالتالي صاحبتْه حين نقل إلى اللغة العربية، حيث تُرجم المصطلح وهو يعني كل هذه الصفات، وأصبح كلُّ مَن يُسمى أصوليًّا يرمز به إلى كل هذه المعاني.

فالأصوليون في الغرب: هم أهل الجمود والتقليد الذين يخاصمون العقل والمجاز والتأويل والقياس وينسحبون من العصر، فيقفون عند التفسير الحرفي للنصوص. بينما الأصوليون في الحضارة الإسلامية : هم علماء أصول الفقه – الذي يمثل قطاعاً من أبرز قطاعات إسهام المسلمين في الدراسات العقلية – أي هم أهل الأستنباط والاستدلال والاجتهاد والتجديد.. الأمر الذي يجعل من هذا المصطلح – "الأصولية "- نموذج من نماذج الخلط الفكري الناشئ عن عدم التمييز بين المفاهيم المختلفة- وأحياناً المتضادة – التي تضعها الحضارات المختلفة في وعاء المصطلح الواحد المتداول بين أبناء هذه الحضارات. فالمسلم هو كل من يؤمن بالإسلام، من عامة الأمة وجمهورها، و"الإسلامي" هو من له "مشروع" للتغيير والتجديد والنهوض، مرجعيته الإسلام، وبعبارة "جاك بيرك": "هناك مسلمون (العامة)، وهناك الإسلاميون، الذين يشددون على قدرة الإسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشاكل الحياة اليومية، وقدرته على بناء دولة مؤسسات "

وهنا يمكننا القول بأن مصطلح "الأصولية "_بمعناه الغربي_ هو غريب عن الواقع الإسلامي مقحم عليه وبقوة " القصف الاعلامي"، لأنه يعني في الغرب: "أهل الجمود" بينما هو في التراث الإسلامي عنوان على: "أهل التجديد والاجتهاد والاستدلال والاستنباط"[1]. كما أن كلمة"أصولي" لها مدلولاتها في الحضارة الغربية، عندما كانت تمثل طبقة من الناس متحجرة وذات عقلية خاصة، ترفض كل إصلاح وتجديد، وأما عندنا فهي محمدة من المحامد الفكرية والمنهجية، لأنها تعني: الملتزم بقيم الكتاب والسنة طبقاً لمناهج الاستنباط أو أصول الفقه. و(أصول) هنا تعني القواعد التي تحول دون الهوى والشطط والخروج والمغالاة

([1]) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون 09/11/09 - د. محمد عمارة المصدر: مدارك / إسلام أونلا ين نت

والتطرف في التعامل مع النصوص الشرعية[1]. فالذي يتمسك بالأصول، وبها قال الله، وقال رسوله (صلّ الله عليه وسلم)، فهذا مدحاً، وليس ذماً، وإنما الذم للتطرف أو الجفاء. فالتطرف إما بالغلو وإما بالجفاء أو التقصير، وهذا هو المذموم[2].

ومما سبق يتضح لنا اختلاف معنى الأصولية في الثقافة العربية الإسلامية، عنه في البيئة الغربية، لاختلاف ظروف كل منها من حيث النشأة والفكر، والعقيدة، ولأنه في البيئة الإسلامية رمز لأهل الاجتهاد والاستنباط، ويطلق على علمين هامين هما: علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، بينما في البيئة الغربية، عنوان على أهل الجمود والتطرف والتدمير[3]. وهكذا وجدنا – ونجد – اختلافاً بيناً، قد يبلغ حد التضاد، بين مفهوم ومضمون مصطلح "الأصولية "، كما عرفته المسيحية الغربية والحضارة الغربية، وبين مفهوم المصطلح في تراثنا الإسلامي، ولدى تياراتنا الفكرية، القديم منها والحديث والمعاصر على حد سواء[4] !.

المفهوم الاسلامي للأصولية

الأصولية بمعناها اللغوي والمعجمي تعني العودة إلى الأصول الأولى للإسلام، وهي الكتاب والسنة وما اتفق عليه سلف الأمة، سواء تعلَّق ذلك بأصول الدين ومسائل الاعتقاد، أم تعلق بالأحكام الشرعية ومسائل الفروع، أنه يعني العودة إلى هذه الأصول فكرًا، وثقافة، واعتقادًا، وسلوكًا، في التشريعات ونظم الحكم، في سياسة المال وإدارة المجتمع، في تربية الفرد وإقامة الدولة، أنها تعني الإسلام بشموله وعمومه، بأصوله وفروعه، وهي بهذا المفهوم مطلبٌ شرعي، وواجب اعتقادي، فإذا قيل: فلان الأصولي، أو من رجال الأصول، أو من الأصوليين - فأنها تعني المدح بأنه من رجال الأصول، سواء كانت أصول الدين أم أصول الفقه، وغالبًا ما تستعمل في حق علماء أصول الفقه المعروفين، كما تطلق على كل مَن تخصَّص

---

(1) عادل خزرون:الأصولية والإرهاب الفكري، مجلة النور، العدد440، السنة31، ص:7

(2) بحث في الأصولية الدينية- لطفي حداد- مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية- موقع أركامانى صفحة كوش الجديدة- 2005 - الأصولية" بين نظرة الإسلام والغرب- إعداد=عبد الله بن حميد الفلاسي

(3) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية، إعداد: محمد إبراهيم الشربيني، ص: 40.

(4) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون 09/11/09 - د. محمد عمارة المصدر: مدارك / إسلام أونلا ين نت

من المعاصرين في هذا الفن، وليس في هذه النسبة ما يُذمّ به، ولا ما يعاب، بل هي من صفات المدح التي يوصف بها علماء الأصول الحاذقين في هذا التخصص.

وقد جاء في الموسوعة الميسرة: " أن مصطلح الأصولية في الإسلام مصطلح محمود غير مذموم، فهو يطلق على العالم بأصول الفقه، وأصول الدين (علم العقيدة والتوحيد) فيقال: عالم أصولي، كما يقال: فقيه، ومفسر، ومحدث[1]. وبهذا المعنى فالمؤمنون الحقيقيون والمفكرون الصادقون ورجال العلم والقانون كلهم أصوليون. ولذا يرى الشيخ يوسف القرضاوي أنه لا مانع من قبول مصطلح (الأصولية) باعتباره يعني العودة إلى الأصول، والتي هي الكتاب والسنة، والتمسك بهما عملياً، ويقول: "أن كان التمسك بالإسلام الصحيح عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، والدعوة إليه، والأعتزاز به، والدفاع عن مبادئه، وحرماته (أصولية) فليشهد الثقلان أننا أصوليون أقحاح"[1]

ومن هنا ومن خلال ما تقدم، نستنتج بأن مفهوم الأصولية في عالمنا الإسلامي هو مفهوم ذو استعمالان:

1-الاستعمال الأول، وهو المرتبط بما يمكن اعتبارها "بالأصولية الصحية"، ذات الارتباط بالواقع الحضاري العربي منذ القدم، وهي ما يمكن تسميتها "بالأصولية العقلية" المعبرة عن التيار المعتدل، أي هي: "ذلك التيار الذي يرمي إلى العودة إلى أصول فهم الإسلام كما فهمه المسلمون الأوائل إتّباعاً لأوامر القرآن الكريم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، واتخاذ هذا الفهم سبيلا لتجديد الحياة الروحية للمسلمين، وإعادة تقديم قيم العمل والاجتهاد، والسعي للإسهام في الحضارة العالمية بدور، وتوجيهها لكي يكون الإنسان محورها والله تعالى غايتها وقبلتها، هذا فضلا عن تقدير السلطة السياسية ومؤسساته، العلم واتجاهات الفقه، تقديراً سليماً بلا مغالاة تؤدي إلى تقديسها أو تطرف يدفع إلى إفسادها".

2- الاستعمال الثاني، فهو المرتبط بالأصولية كظاهرة مَرضيّة أي "الأصولية الحركية" المرتبطة بالمعنى الغربي للكلمة وبالتطرف وهي ذلك التيار الذي يتبع الحركات السياسية دون أي تجديد حقيقي للفكر الديني، وينتهج الأساليب الحزبية بغير تقديم أي برامج مدروسة، وأي نظم علمية، ويعمل على أن يكون الدين سياسة، والشريعة حزباً، والإسلام حرباً.

([1]) انظر: مستقبل الأصولية الإسلامية: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط1، 1997م. ص: 16.

ومن هنا يمكن القول بأن الأصولية في معناها الأول هي ظاهرة صحية وإيجابية شهدتها وتشهدها البيئة الإسلامية -لا سيما في لحظات الضعف والآنحطاط-، أما في معناها الثاني، فهي مجلبة للذم – من جراء اعتماد القوة والعنف- والتنفير لما تحمله من معأن لازمتها في الغرب، ويرفضها الإسلام جملة وتفصيلاً من تشدد وتطرف.

وهكذا فإن مصطلح"الأصولية "أضحى ذا استخدامين:

- أحدهما إيجابي يعبر عن كل مظاهر الدعوة للعودة إلى أصول الدين، في لحظات الضعف والاهتزاز، أو عند مواجهة مظاهر العصرنة والجدة ومحاولة التكيف معها لمواجهة الذوبان.

-أما الاستخدام الثاني، فهو استخدام سلبي محمل بمضامينه الغربية السلبية من جمود، وانغلاق، وتصلب،......الخ، وما يعادله في البيئة الإسلامية هو مفهوم التطرف الإسلامي، وبالتالي فالأصولية الغربية في البيئة الغربية يعادلها التطرف الإسلامي في البيئة الإسلامية لا الأصولية كظاهرة صحية متجذرة في الثقافة الإسلامية ؛ وهذا المضمون السلبي للظاهرة، وبمظهره السياسي الذي صار يطلق عليه مفهوم "الأصولية السياسية" قوامه خمسة أسس هي: الجمود والعودة للماضي والانغلاق واعتماد العنف والقوة [1]

الأصولية الإسلامية كظاهرة صحية

أن مصطلح أصولي، وكما سبق وأن رأيناه في القاموس: يعني العودة إلى الأصول، وإذا أسقطناه على المجال الإسلامي فهو العودة للإسلام أي للكتاب والسنة وما اتفق عليه سلف الأمة، سواء تعلق ذلك بأصول الدين ومسائل الاعتقاد، أم تعلق بالأحكام الشرعية ومسائل الفروع، فهي عودة للأصول فكراً، ثقافةً، وسلوكاً، واعتقاداً[2]، وبطريقة أخرى لتعريف الظاهرة "إسلاميا" نقول:

"هي عبارة هن موقف فكري ورؤية عالمية بالمعنى البعيد أيضاً كحركة ترى الالتزام بالإسلام كما كان في أول عهده، وكما عرفه السلف الصالح من الصحابة منطلقاً ومثالا يهتدى

---

(1) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م ص289

(2) محمد السيد الجليند، المرجع السابق الذكر، ص 19

به في صياغة المعايير والقيم، وقواعد السلوك والمعاملات في عملية بناء الحاضر[1]، وبالتالي، فالأصولية الإسلامية بهذا المعنى هي ظاهرة صحية، ويمكن حتى القول بأن تاريخنا الإسلامي قد عرفها لا سيما في عصور ضعفه وسكونه: فحين حاول "جينكيز خان" و"هولاكوا" تغيير وتبديل محتوى الإسلام وذلك عندما احتلا آسيا الصغرى والشام والعراق، إذ قاموا بإنشاء ما يسمى "الياسق" وهي شريعة ممتزجة فيها من الإسلام ومن الوثنية والهندوسية وغيرها من الشرائع المغايرة للإسلام. حينئذ نشأت دعوة أصولية تدعو للعودة لتعاليم الإسلام والشرع[2]، وحين انصرف بنو أمية للبذخ ظهرت أصولية الحسن البصري والإمام مالك، وسيرة عمر ابن عبد العزيز. وعندما زاد التأثر بمظاهر الحضارة اليونانية في العصر العباسي ظهرت أصولية مدرسة ابن حنبل، وعندما سيطر الترك والمغول ظهرت أصولية ابن تيمية[3] وابن القَيم والنووي، وبعد ضعف وانهيار الخلافة العثمانية، وتدخل القوى الإستعمارية برزت أصولية الوهابية، والسنوسية، والمهدية، وأصولية الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وابن باديس، والمودودي[4]، ومحمد إقبال، وحسن البنا، وسيد قطب، وغيرهم كُثر.

والأصولية الحديثة، هي كسابقتها أيام السلف، هي ردة فعل على واقع حضاري وثقافي يتصف بتأثير العامل الأجنبي وثقافته من ناحية، وصفته العقلانية التي ترتبط بهذا الفكر. والتاريخ يشهد على أن السلف من أمثال أحمد بن حنبل كان أصولياً بامتياز آنذاك. وكانت أصوليته رداً على الثقافة اليونانية وذلك ضد من تمثَّلها من المعتزلة ودخول ثقافة الشعوب الغير عربية وامتزاجها بالثقافة الإسلامية . كذلك الحركات الأصولية اليوم في معظمها ما هي إلا ردة فعل ضد الحضارة الغربية"الغازية" حسب رأيهم، وطابعها العقلاني والتكنولوجي. والمتعارف عليه في علم النفس أن الخائف على وجوده وهويته فإنه ينكمش ويتقوقع في ذاته، ويحاول التمسك بقوة ما....طلباً للأمان. وإذا ما ترافقت الهجمة الغازية بظروف اقتصادية

---

(1) مراد هوفمان، المرجع السابق الذكر، ص 107

(2) يوسف بدري، الأصولية مصطلح غربي مشبوه لتشويه الإسلام، على الموقع - www.alsharqalawsat.com

(3) محمد السيد الجليند، المرجع السابق الذكر، ص26

(4) محمد سعيد العشماوي، المرجع السابق الذكر، ص 160

اجتماعية متازمة تصبح العودة إلى الماضي أيديولوجية هذه الحركات. ويعاد استنتاج الماضي الناصع البياض في نظرهم ليزيدوا عليه من أوهامهم بأنه المطلق في كل شيء. يقول الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه (اشكاليات الفكر العربي المعاصر): "أن التهديد الخارجي وخصوصاً عندما يكتسي شكل التحدي للذات المغلوبة، لمقومات وجودها وشخصيتها، يجعل هذه الأخيرة تحتمي بالماضي وتنتكص إلى الوراء وتتثبت في مواقع خلفية للدفاع عن نفسها. أنه ميكانزم للدفاع معروف، تعمل الذات فرداً كانت أم جماعة على الدفاع عن نفسها بواسطته ضد الخطر الخارجي [1]

وعندما بدأت محاولات وجهود العودة للأصول الإسلامية النقية (القرآن والسنة) بالغضافة إلى محاولة تأصيل المفاهيم والمصطلحات الإسلامية، أعتقد كثير من المراقبين لحركية الفكر الإسلامي أن اتجاهات التأصيل، أي العودة إلى الأصول قد تشبه ما عرفته البروتستانتية من رجعة إلى الأصل، وتخلّ عن المؤسسات التقليدية، وعن التقليد والرتابة. لكن الفارق بين تأصيل المسلمين اليوم، والتأصيل البروتستانتي

آنذاك كانت مشكلته مع المؤسسة الكنسية وحسب، فأمكن له أن يفيد من سائر الحقل الثقافي والحضاري الماضي والمحيط به فيما عدا ذلك. أما حركة التأصيل الإسلامي فقد بدأت بتنحية وإزالة التجربة التاريخية الإسلامية كلها باعتبارها تقليداً وأنحرافاً، ثم اعتبرت العصر كله جاهلية وضلالا لتتجه بعد ذلك إلى القرآن والسنة لاستنطاقهما مباشرة وبدون أدوات ووسائل مناسبة. ومن هنا كان سوء الفهم على المستوى الثقافي بين الفكر الإسلامي والعالم. ومن هنا حالة الحصار التي وضع فيها ذلك الفكر نفسه[2]

الأصولية الإسلامية بالمعنى الغربي

من خلال كل ما تم إيراده، يمكن القول بأن معاجمنا العربية خلت وتخلو من وجود لفظة"أصولية" كمصطلح، وما أوردناه من مصطلحات مشتق من الكلمة المصدرية "أصل" ذات المعنى المغاير تماماً لما هو موجود في المفاهيم الغربية. لكن، ماذا عن الأصولية كظاهرة

([1]) الاصولية في الحركات الإسلامية والحل.. زهير قوطرش السبت 23 اغسطس 2008

([2]) بحث في الأصولية الدينية- لطفي حداد- مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية- موقع أركاماني صفحة كوش الجديدة، 2005

في الحضارة الإسلامية لكن بمحتواها الاستشراقي المزيف؟ الذى حاول الغرب صناعتها وترويجها، لوصم الحركات الإسلامية بصفات الإرهاب والتطرف في إطار حربه الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي، حيث عمّم الغرب ما أسماه بالأصولية على الثقافة الإسلامية كلها، واعتبرها أصولية تحمل معنى رفض الجديد والتمسك بالقديم، والعودة إلى الأصول ورفض الحداثة، والحرص على المظاهر والأشكال وممارسة العنف في الداخل والخارج، وتكفير المجتمع[1].

فإذا حاولنا إسقاط نفس المواصفات الغربية السلبية المرتبطة بالمفهوم على التيارات المتواجدة بالبيئة الإسلامية، فإننا سنجد أن الفئة التي بإمكانها ارتداء تلك المواصفات هي فئة "المتطرفين" ليس الأصوليين – بالمعنى الإسلامي – مردّ ذلك كله أن هذه الفئة (المتطرفين) هي التي تركت الاعتدال والتوسط، واتصفت بالغلو والتشدد في السلوك والاعتقاد والآراء، مجافية بذلك ما كانت عليه سنة الرسول (صلّ الله عليه وسلم) وحياته[2]، وهم في معظمهم من يجهل العلم بمراتب الأحكام فيضعون المندوب في مقام الواجب، ويخلطون بين المكروه والحرام مما يسبب قلباً للأحكام الفقهية. وهم أيضاً ممن يستبدون بالرأي ويتعصبون له، ويسيئون الظن بالأخرين ويتهمونهم في عقيدتهم حتى أن تعلق الأمر بفئة العلماء. وهم ممن يميلون للجنوح والتشدد والتعسير على الناس وإلزامهم بما لا يلزم، وهم ممن يقوم بتكفير الحكام والمجتمع دون ضوابط[3].

ولعل مواصفات كهذه قريبة وأحيانا متطابقة مع المواصفات التي رافقت الظاهرة في البيئة الغربية، لكن إذا حسمنا القول وقلنا بأن الأصولية الغربية يقابلها التطرف الإسلامي فإن المعادلة تبقى ناقصة، كون المعطيات المتوفرة في العصر الحالي تشير لوجود ما يسمى "بالأصولية الإسلامية"، بسبب ما أقدمت عليه الصحافة وكتابات علماء الاجتماع والسياسة من الغربيين والشرقيين من إضفاء لنعوت مختلفة في وصف ظاهرة العودة إلى الجذور

---

(1) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م

(2) محمد السيد الجليند، المرجع السابق الذكر، ص 25

(3) المرجع نفسه، ص 34

الإسلامية، فقال البعض أنها نهضة، أو أصولية، أو يقظة، أو صحوة، وقال آخرون أنها تشدد، أو تجديد، أو عودة إلى الإسلام[1]. أو بعبارة أخرى، هو ما تحاوله بعض الجهات من ربط صفات كالإرهاب، التطرف، والأصولية بالإسلام والشخصية العربية، والأكثر من ذلك هو أنه حتى الاعلام العربي، وكذا الخطاب السياسي العربي قد درجا على ترديد هذه المفاهيم دون تحفظ أو حذر[2]، فأين الخلل؟ وما هي حقيقة هذه الظاهرة في ثقافتنا الإسلامية ؟.

يذهب الأستاذ فهمي هويدي إلى أنه يجب ضبط مصطلح الأصولية، ويقول: "ومشكلتنا مع الأصولية أن هذا التعبير – أساساً – لا أصل له في اللغة العربية، ولا أصل له في الخطاب الإسلامي، ولذلك هو ترجمة لكلمة (فندمنتاليزم) التي لها أصولها المسيحية البروتستانتية المعروفة. أن الحالة الإسلامية فيها درجات لا تستطيع أن تصفها كلها بأنها أصولية، هناك معتدلون ومتطرفون، وأن كان الانطباع الذي ساد هو أن كل من تحدث عن الإسلام كمشروع، أو ما يسمى بالإسلام السياسي قد صُنف أصوليا"[3] أن الأمر خطير، ويحتاج إلى مراجعة في ضرورة ضبط استعمال المصطلح، وتحديده بالآراء والجماعات المتطرفة فقط، وهذا مهم جدًّا للأسباب التالية:

1- أن مِن بين الجماعات الإسلامية الموجودة في ساحة الحوار – مَن هو ملتزم بالكتاب والسنة نصاً وروحاً، ويرفض الغلو بكل مظاهره، ويعتبر الغلو والتطرف حرباً ضد الإسلام، ويعبِّر عن سلوكه ومواقفه عن الإسلام في كل جوانبه، وهؤلاء لا ينبغي أن يُطلق عليهم أصوليون بالمعنى الاصطلاحي المعاصر، المنقول إلينا من الغرب.

2- أن الكلمة تستعمل للذم على ألسنة المعاصرين، كما نقلت إلينا، بينما هي في لغتنا العربية تستعمل للمدح والثناء، والذي يحمل وزرَ هذا التدليسِ هو الاعلام العربي، وما قام به من إطلاق لهذا المصطلح على كل مَن يلتزم بالإسلام فكرًا، وثقافة، وعقيدة، وسلوكًا، دون

---

(1) أحمد موصللي، الإسلام والفكر السياسي والديمقراطية – الغرب -إيران، ط1 ، المغرب:المرآز الثقافي العربي، 2000

(2) مريم سلطان لوتاه، قراءة لما وراء ظاهرة العنف في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، العدد119 ،- 2004ص138

(3) انظر: عمرو عبد السميع: المتطرفون (ندوات ودوائر حوار) ، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1993م. ص: 354.

تمييز بين التطرف، الذي هو جوهر المشكلة القائمة، والالتزام، الذي هو عنوان المسلم، وعدم الدقة في الأستعمال لهذا المصطلح أدى إلى خلطٍ كبير في ذهن الناس.

3- قد نكون رافضين لوصف الحركات الإسلامية المعاصرة بـ (الأصولية) بمثل هذه الطريقة غير الموضوعية، بيد أننا نرفض كذلك كل سلوك داخل هذه الحركات قد يعبر عن هذا الوصف، فأنتقادنا للمنهج العلمأني في توظيف المصطلحات بشكل يعكس أسلوباً حربياً هدفه الأقصاء والألغاء، لا يمنعنا من نقد كل أطروحة أو توجُّه يعبِّر صراحةً عن موقف فيه استخدامٍ متطرف للدين أو توظيفٍ مغلوطٍ لخطابه من أجل تحقيق أهداف بعيدة عن مصالح الإسلام والمسلمين. [1].

الأصولية الإسلامية اتجاهاتها ومرتكزاتها:

أن مشروع الدولة الإسلامية (تحكيم الشريعة) لم يغب عن وعي المسلمين في أي مرحلة من تاريخهم، فإذا كانت الأصولية هي التيار الذي يحمل مشروع دولة إسلامية، فكل الذين يؤمنون بأن الأحكام الفقهية في كل وقائع الحياة ملزمة يحملون هذا المشروع، وإن كانت جماعات منهم تحول هذا الطموح إلى برامج سياسية، تتوسل إلى تحقيقها بالوسائل المتعارفة لدى حركات التغيير السياسي[2]. وهنا فإنه لا يمكن الحديث عن حركة متجانسة للأصولية الإسلامية . فالواقع أن هناك اتجاهات وتنظيمات عديدة تكمن وراءها دوافع مختلفة بحيث نستطيع أن نميز بينها ثلاثة اتجاهات رئيسية:

أ – فالمتطرفون بشكل مطلق يطالبون بنظام إسلامي لإنقاذ العالم. وهم يرفعون شعار التكفير والهجرة ليعلنوا أن المخالفين لهم في الرأي ملحدون، وجميع الدول الراهنة في رأيهم "كافرة"،لأنها جميعاً لاتطبق شرع الله. وينبغي، في نظرهم، على جميع المؤمنين أن يوحدوا صفوفهم في جماعة نشطة ويقضوا على الكفر عن طريق "الجهاد" أو الحرب المقدسة. والواقع أن هذا الاتجاه المتطرف ليس له أنصار كثيرون، كما أن الأراء ووجهات النظر التي يتبناها مرفوضة من جانب عدد كبير من المسلمين. ومع ذلك فإن جرأتهم وصراحتهم تضمنان لهم

---

(1) اسلامية لا إسلاموية: محمد بوراس- موقع المختار الاسلامي-
http://islamselect.net/mat/78806

(2) الأصولية الإسلامية": دعوة إلى التدقيق في مفهوم ملتبس- هاني فحص

قدراً من الاهتمام والتأثير الذي يتخطى الدائرة المحدودة لأعضائهم العاملين، كما أن اعداء الإسلام لهم مصلحة كبيرة في دعم أتباع هذا التيار، ليبرروا حربهم على الإسلام والمسلمين.

ب- الاتجاه الثاني يمثله المطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية، وهم لا يرتبطون في الحقيقة بأيديولوجية واضحة وموحدة. أن الشريعة، في نظرهم، هي التي توفر للمؤمنين نظاماً ثابتاً ومحدداً يهديهم إلى الحق في مواجهة المشكلات الحاضرة، لأنها نظام نابع من مصادر إلهية. ولا يشغل هؤلاء أنفسهم كثيراً بأن النصوص المقدسة كانت تحتاج دائماً إلى التفسير، كما أنهم يرفضون المناقشات المتحذلقة للفقهاء المتقدمين. ومع ذلك فقد تشتعل المجادلات العنيفة في بعض الأحيان حول ماهية الحل الإسلامي الصحيح، ويتفق جمهور الأصوليين في إحساسهم المشترك بأن الإسلام مهدد من الأعداء الذين يريدون القضاء عليه، وهم: اليهود والمسيحيون والشيوعيون، والرأسماليون، والعلمانيون، بل أنهم يضعون الوطنيين أيضا في صفوف الأعداء.

ج- الاتجاه الثالث، فيمثله أولئك الذين يمكن تسميتهم بالباحثين عن الهوية. وهم لايعتبرون مخالفيهم في الرأي من الأعداء لمجرد أنهم قد تنكبوا طريق الله، بل لأنهم يطالبون بالتبعية العقلية والحضارية للغرب. وفي غمرة الشعور القاهر بضرورة التكيف مع نظام عالمي تهيمن عليه المجتمعات الصناعية الحديثة الغربية عنهم، نجدهم يحسون بالحاجة الشديدة إلى نظام خاص بهم، يميزهم عن كل ما هو أجنبي، ويمدهم بالقدرة على تأكيد ذواتهم. وتشتد هذه الحاجة ويزداد هذا الإحساس لدى المسلمين الذين تضطرهم ظروف حياتهم للحياة بعيداً عن أوطانهم ووسط مجتمعات أجنبية، ولهذا ليس من المستغرب أن ينضم الكثيرون من هؤلاء المسلمين إلى صفوف الحركات الأصولية .[1]

ويعرض أحمد موصللي لمرتكزات الأصولية الإسلامية بشكل موسع، ويرى أنها على الشكل التالي:

1- هناك حركة رفض للواقع الراهن تتمثل في: رفض إثبات صحة التفسيرات من خلال العلوم الحديثة، رفض الإقرار بالواقع الراهن والتأكيد على فساده، رفض تفسيرات الفقهاء والمتصوفة لخروجهم عن النقاء الديني، ورفض الاجتهاد.

---

(1) عشر قضايا عن الأصولية- فريتس شتيبات ترجمة د. عبد الغفار مكاوي- المصدر: عالم المعرفة

2-هناك في المقابل حركة تصحيح لهذا الواقع تتمثل في: العودة إلى أصول الدين والسنة، والإقرار بأن الأخلاق وحي وتعليمات ذات مرجعية إلهية وليست إنسانية، والعودة إلى الفطرة والخضوع للإرادة الألهية، وصدارة الإيمان على العقل والحجة، ونشدأن مثال أعلى ما ورائي إيماني، والتوحيد الذي يشمل جوانب الحياة كافة وأخصها السياسية (حكم الله) وإقامة دولة حاكمية الله (للخروج من وضعية الكفر)، والتمسك بالمرجعية النقية أيام الرسول والخلفاء وإلغاء ما بعدهم، وهم يرون أن الإجماع ملزم للجميع في كل المسائل، وخصوصاً السياسية منها، والعمل على توحيد المسلمين تحت راية القرآن. (1)

الأصولية السياسية الإسلامية الحركية:

يرى البعض أن الأصولية حركة تسعى إلى إرجاع البلدان الإسلامية التي تحكم العديد منها حكومات علمانية إلى نظام حكم يعتمد مبادئ القرآن. ويعتبر البعض أن أول أثر للأصولية الإسلامية في التاريخ الحديث تسببها في الأطاحة بشاه إيران المدعوم من الغرب سنة 1979 وتعويضه بحكم شديد العداء للغرب تأثر إلى حد كبير برجال الدين المحافظين. ويعارض الأصوليون الإسلاميون تغريب بلادهم لأنهم يعتقدون أن هذا التغريب يسيء إلى القيم الدينية التقليدية التي تمتاز بها مجتمعاتهم. ويريدون أيضاً تطبيق الشريعة الإسلامية التي بحكمها تصبح المشروبات الكحولية مثلاً ممنوعة، كما يمنع الاختلاط بين الرجال والنساء في أماكن الشغل. ويعمُّ الغرب خوفٌ من أن الأصولية بصيغتها النضالية، قد تصبح قوة كبيرة تزعزع استقرار أوروبا وشمال إفريقيا والشرق الأوسط.

وقد عدد الشيخ "راشد الغنوشي أهم مميزات الأصولية الحركية، من جمود، وتشدد، وتعصب، ورفض للآخر ولتعدد الرأي، ومسارعة لتكفير المخالف واستحلال دمه، في خلط شنيع بين مواطن التقيد والالتزام، والاجتهاد والحرية، مما يستحيل معه الحوار، وعلى رأس هذا التيار نجد تجربة المجاهدين الأفغان في إدارة الاختلاف، وتجربة الجماعات المسلحة في الجزائر في جز رؤوس المخالفين، وعلى نحو ما تجربة الحكم في إيران، وحتى في السودان في التكييف المفرط للحياة السياسية والضيق بالمخالف(2). ثم ظهر تنظيم القاعدة بقيادة "أسامة بن

---

(1) مكونات الثقافة الأصولية د. مصطفى حجازي

(2) راشد الغنوشي، الحركة الإسلامية ومسألة التغيير، ط1 ، تونس :دار قرطبة للنشر والتوزيع، ص50)

لادن" والجماعة الإسلامية بقيادة "الشيخ عبد الرحمن"، ومنظمة الجهاد بقيادة "أيمن الضواهري[1]. وأخيراً ظهرت النسخة الأكثر خطورة ودموية، وهى داعش وما يتبعها من تنظيمات إرهابية، أمريكية الصنع، وهابية المذهب والتمويل. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ماهي المنطلقات الفكرية التي تعتمدها هذه الحركات الأصولية ؟ [2] وما هى أهم مرتكزاتها؟

وحسب ما توصل إليه الدكتور "رضوان السيد" أحد المختصين بدراسة ظاهرة الحركات السياسية الإسلامية " فإن أهم النصوص والأفكار التي يمكن اعتبارها مرجعية للتيارات الأصولية نجد:

-1- النصوص القرآنية لاسيما المتعلقة بالكفر والإيمان، والتي هي غالبا أيات وردت في سياق الصراع بين المسلمين بالمدينة وقريش المعادية بمكة، لكن المتطرفين يستعملونها لمصارعة الجاهلية في دار الإسلام لا لصراع الخارج المعادي

-2- فتاوى الفقيه الحنبلي "ابن تيمية"، لاسيما ما تعلق منها بالإيمان والكفر، والجهاد، لكن تجاهل الأصوليين السياق التاريخي والسياسي والفقهي لتلك الفتاوى، إذ هي مرحلة تدهور وانحطاط المسلمين وصدامهم مع المغول والصليبيين، إضافة لموالاة الحكام ورجال الدويلات الإسلامية، ومصانعتهم للعدو في صراعه مع المسلمين لاسيما المغول منه، وقد استند المتطرفون المعاصرون لتلك النصوص في مواجهتهم لأعلام الصوفية والفلاسفة، والفقهاء، والحكام [3]

-3- أفكار "سيد قطب" لاسيما تلك الواردة في كتابه "معالم في الطريق" حول الجاهلية" و"الحاكمية"، "فالجاهلية": هو ما تعيشه كل المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، وهي جاهلية شبيهة بتلك التي كانت قبل الإسلام، ويرجع ذلك إلى تجاهل مفهوم الحاكمية"، أو

---

(1) حافظ صلاح الدين، كراهية تحت الجلد، إسرائيل عقدة العلاقات العربية الأمريكية، ط 1 ، القاهرة :دار الشروق،) 1423 هـ- 2003م، ص19

(2) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م ص37

(3) رضوان السيد، حركات الإسلام السياسي والمستقبل، ط 1 ، أبو ظبي :مرآز الإمارات للدراسات والبحوث) الاستراتيجية، 1997 م، ص 4-6

مفهوم لا إله إلا الله الذي يجعل الحاكمية لله وحده، وما هو مطلوب لزوال الجاهلية هو قيام قلة مؤمنة تعتزل شعورياً قيم الجاهلية وتصوراتها، وتخلص العمل لله حتى إذا استقامت أمورها تماماً انقضت على الجاهلية، وأعادت حكم الله على الأرض

-4- رسالة "محمد عبد السلام فرج" أحد قادة تنظيم الجهاد بمصر، وأهم المشاركين في اغتيال "السادات" وعنوان الرسالة "الفريضة الغائبة" التي يعد أهم محتوياتها اعتبار الجهاد فريضة ليس في مواجهة الخارج فقط، بل وحتى في الداخل الاجتماعي الإسلامي أيضاً تجاه من تطلق عليهم أوصاف الكفر والجاهلية كونهم غير ملتزمين بقواعد الإسلام رغم إعلانهم عكس ذلك [1].

وبالرغم من صحة استنتاجات الدكتور رضوان السيد السابقة ولو جزئياً، إلا أنني استغرب سبب تغافله عن أخطر مرجعيات الأصولية الإسلامية المتطرفة، والإرهابية، وهى الفكر الوهابي المتخلف، الذى كان أثرة التدميرى على الأمة الإسلامية يفوق كافة التحديات والمصائب التى واجهتها الأمة في العصر الحديث. ويكفي أن نتأمل دوره التخريبي والتدميري في انهيار الخلافة الإسلامية، وتقسيم المنطقة العربية وزرع إسرائيل، وأيضا دوره التدميرى في التصدي للوحدة العربية ممثلة بالفكرة القومية الناصرية، والفكرة البعثية العراقية، وتآمر هذا الفكر والذين يحكمون باسمه على العراق وتدمير قوته وتحويله إلى دولة فاشلة.

ونرى الآن ما قام ويقوم به هذا الفكر في تدمير ليبيا واليمن وسوريا، ويضاف إلى ذلك سيطرة الإعلام والفتاوى المتخلفة لهذا الفكر على الساحة الإسلامية بسبب امتلاكهم للأموال الطائلة التى اشتروا بها الذمم وأفسدوا بها العلماء، وزوروا التاريخ، ومسخوا الدين ورجاله. ولخطورة الدور الذى لعبه الفكر الوهابي في تدمير قوى الأمة وتفتيتها، فقد قررت أن افرد له بحث خاص به، يلقى الضوء عليه، وكيف كان لأفكاره التكفيرية دور أساس في ظهور كافة التنظيمات الإرهابية المعاصرة. وأنا اعتقد أنه إذا كان هناك أصولية إسلامية بالمعنى الغربي، فإنها تنطبق على الفكر الوهابي من نواحي متعدده، بل يمكن القول أن الوهابية هى النسخه الإسلامية المتخلفة من حركة الإصلاح الديني في الغرب.

([1]) رضوان السيد، حركات الإسلام السياسي والمستقبل، ط1 ، أبو ظبي :مرآز الإمارات للدراسات والبحوث) الاستراتيجية، 1997 م، ص 2،8

سمات وخصائص خطاب التنظيمات الأصولية المتطرفة:

1-إن الخطاب الأصولي، بمجمله خطاب شمولي، "لا يعترف بالآخر، ولا يتناسب مع المواطنة والديموقراطية"، وهو المنطق الجامع لمعظم الحركات الإسلامية، لا بل ويمثل أحد سماتها الكبرى، سواء توسلت ذات الحركات العنف كوسيلة لبلوغ السلطة، أم أبدت رغبتها ظاهريا للقبول بقواعد اللعبة السياسية، المفضية للحكم بالطرق السلسة. في كلتا الحالتين، فإن الحركات الإسلامية، إنما تتكئ على تأويلات متعددة ومتقاطعة من أجل خدمة أهدافها وغاياتها.

2- القول أن من لا يدين بالإسلام مصيره جهنم، ويشكل في الوقت نفسه خطراً على المجتمع، مما يستوجب استئصاله، أو منعه من ممارسة حقوقه السياسية والدينية في حدها الأدنى. وهنا تبدو "استبدادية الإسلام السياسي، في رفض الآخر، وعدم الاعتراف بشرعية حقه في الممارسة السياسية، حيث يتسنى لهذا الإسلام أن يسود".

3-يتسم خطاب الإسلام السياسي، في كونه "يقوم على استدعاء الماضي، واعتباره المقياس الذي يجب أن يقوم عليه الحاضر فكراً وممارسة. ويجري تصوير العهد النبوي وفترة الخلافة الراشدية، بأنهما النموذج الذي يجب استعادته، من دون الأخذ في الاعتبار تغيرات الزمن والتطورات التاريخية والاجتماعية التي طرأت على العالم العربي والإسلامي، منذ أكثر من خمسة عشر قرنا".

4-"يرفض الخطاب الأصولي المفاهيم الحديثة حول الدولة، ومسألة تداول السلطة، وحق المجموعات في المشاركة في الحكم، بصرف النظر عن دينها وجنسها، وتكريس الحقوق السياسية والإنسانية في الحرية والعدالة والمساواة أمام القانون، وهي مبادئ أتت بها التطورات السياسية الحديثة، بعد نضال قادته شعوب متعددة، وكرسته في شرعية حقوق الإنسان والمواطن، تحت عنوان تحقيق الديمقراطية وحق الشعوب في الوصول إلى إنجازاتها. يأتي هذا الرفض تطابقاً مع التمسك بأفكار الماضي ودولة الخلافة الراشدية التي كانت في نظرهم قائمة على مبدأ الشورى الذي يشكل البديل الديمقراطي عن منتجات الحداثة والتقدم".

5-"يرفض الخطاب الأصولي الفصل بين الدين والسياسة، بل يرى أن السياسة تقوم بدور حماية الدين والعمل على نشره، وأن الإسلام هو دين ودولة، خلافاً لما يدعيه العلمانيون، وفق التعبير الأصولي. من هنا، يحتل شعار الدولة الدينية مكاناً مركزياً في الخطاب الأصولي، ومن

هنا أيضاً الإصرار على أن من أهداف الإسلام السياسي استعادة دولة الخلافة التي ألغاها مصطفى كمال مطلع القرن العشرين في تركيا"[1].

أما سمات وأفكار التنظيمات الأصولية المتطرفة فتتمحور فيما يلي:

1-اعتمادها على استعمال الألفاظ القرآنية بمعناها الإصطلاحي قراءة حرفية- وتفسير الأيات بانتزاعها من سياقها القرآني، وفصلها عن أسباب التنزيل، وغلوها في الدين وتطرفها في التطبيق والتشديد في الفعل، إضافة لالتفاتها إلى الماضي وتجمّدها عن الأوضاع ومعاداتها التقدم، مما أفرز مواقف في غاية التطرف تجاه كافة الأفكار والأحداث المعاصرة.[2]

2-إدعائها فشل أساليب التدرج في تطبيق الشريعة، وحرمة المشاركة السياسية في الأوضاع القائمة والدعوة إلى الجهاد على كل صعيد، هذا بعد تكفير المجتمع العربي والإسلامي كلياً أو جزئياً، و تقديس القيادات واعتبار السلطة السياسية دينية (جزء من الدين) بينما هي جزء من التاريخ [3].

3-مهاجمة الديمقراطية كبدعة غربية، وذمّ القيم الليبرالية والعلمانية، وبالتالي معاداة الغرب وتفسير كافة التطورات الدولية من خلال نظرية المؤامرة الكبرى التي تخطط لها الصليبية والصهيونية وينفذها عملائها، والمبالغة في إطراء "النظام الإسلامي" في إطار من التفكير المثالي البعيد عن الواقع المتخلف للعالم الإسلامي [4].

وهذه السمات السابقة دفعت بعض المفكرين العرب كهاشم صالح، إلى القول: أن الأصولية نظام عقائدي، مغلق على ذاته، بالأسوار الشائكة. فالرأي المخالف ممنوع، وينبغي استئصاله بالقوة، إذا لزم الأمر. وهذا ما فعله الكاثوليك مع البروتستانت الفرنسيين، في القرن السابع عشر."وهذا ما فعلوه أيضاً مع المفكرين والعلماء، الذين أرادوا الخروج من سجن

---

(1) نهاية الأصولية ومستقبل الإسلام السياسي- فرج العشة، دار الريس للكتب والنشر، بيروت، 2009، عرض:يحيى اليحياوي – 27-3- 2014- موقع مؤمنون بلا حدود.

(2) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م ص38

(3) محمد سعيد العشماوي، المرجع السابق الذكر، ص162

(4) حيدر علي خليل، التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، ط1 ، أبو ظبي :مرآز الإمارات للدراسات والبحوث) الاستراتيجية، 1997 م، ص14

الأصولية الضيق، والتفكير بحرية[1]. وبهذا المعنى، فأن الأصولية سجنٌ، أو قفصٌ من حديد منيع. وتعتقد الأصولية، أنها وحدها هي التي تملك الحقيقة المطلقة. فقد كان الكاثوليك الأصوليون، يعتبرون أنفسهم هم الدين الوحيد الحقيقي، وما عداه فهو هرطقات، وزندقات. ومن هنا يرى كثيرون أن الأصولية الإسلامية تشكل تحدى وخطر كبير على الحاضر والمستقبل العربي للأسباب التالية:

1-الإيمان المطلق بالحقائق المطلقة، ومنع النقاش، والجدل، والإبداع الفكري فيها. وفي هذا تكبيل تام، للنشاط الفكري، والاجتهاد، وازدهار الرأي الأخر. فالحقيقة المطلقة، مرتبطة دائماً بالعقائد الدينية، وليست بالأفكار. فالأفكار تتغير، أما العقائد الدينية فهي عابرة للتاريخ، لا تتغير، ولا تتبدل. والحقيقة المطلقة، تعني إخضاع كل مظاهر الحياة لحقيقة مطلقة واحدة فقط. كما تعني أن الإنسان قد أدرك الحقيقة المطلقة، فلا جدوى لمزيد من البحث في الكون، والإنسان، وخلافه. وحيال هذا، يتوقف البحث، ويتوقف المزيد من الإبداع والتجديد، مما ينجم عنه توقُّف التطور بشكل عام.

2-ارتباط ظاهرة الإرهاب بالأصولية الدينية، واعتبار الأصولية الدينية الثدي الدافئ المُرضع لأفكار عناصر مليشيات السلفية الجهادية. فنحن نعلم أن وتيرة الإرهاب قد ارتفعت مع بروز الأصولية الدينية. كما نلاحظ أن من يغذي ميليشيات الإرهاب فكرياً ودينياً في العالم العربي، هي الأصولية الدينية، التي تُعتبر الخط الثاني للإرهاب .

3- الأصولية الدينية، ضد التجديد، وضد الإبداع والتنوير، بل هي ضد الحضارة بصفة عامة، فهى تعزل وتمنع العقل من العمل في النص الديني. وهذا موجود في كافة الأصوليات الدينية السماوية والأرضية عموماً، مما دفع الإرهاب ين إلى قتل كل من يحاول إعمال العقل في النصوص الدينية، باعتباره كافراً وزنديقاً.

4-تسعى الأصولية الدينية الإسلامية إلى السلطة، كما كان الحال في الأصولية المسيحية واليهودية. وهذه السلطة، تمارس حقها في إدانة المفكرين والعقلانيين، الذين يحاولون تفسير النصوص الدينية المقدسة، على عكس ما فسره فقهاء الأصولية الدينية. وتكون أحكامهم في بعض الأحيان نافذة المفعول، بما فيها حدُّ القتل. فقتلت الأصولية الدينية وكفَّرت، وأهدرت

---

[1] مخاضات الحداثة التنويرية القطيعة الإبستمولوجية في الفكر والحياة- تأليف: هاشم صالح -الناشر: دار الطليعة - بيروت 2008ص 123

دماء مئات من المفكرين، والشعراء، والكُتّاب. وقام عائض القرني (الأصولي السعودي) في كتابه "الحداثة في ميزان الإسلام"، 1988، بتكفير مئات من الشعراء، والكتاب، والمفكرين العرب المعاصرين[1].

أسباب ظهور الأصولية وانتشار الجماعات الإسلامية المتطرفة:

إن تفسير ظاهرة الأصولية يكمن في تحليل مركب، على مستوى الفكر الإسلامي، وفي سياق تفاعله مع التحولات العالمية، ومن التبسيط المخلّ قصُرها على مجرد فئة ضالة أنحرفت، أو ظاهرة إسلامية أيديولوجية مع تجاهل حركة العالم والنظام السياسي الداخلي وتفاعلاته، بمعنى أن العنف المسلح هذا أنها ظهر في ظل "الدولة" القطرية، وعلاقتها بالداخل المجتمعي وبالخارج الغربي، وموقفها من الدين وحركته ودوره في حياة المجتمع وسلوكياتها تجاه أهدافه العليا. وهكذا تتم قراءة نشوء مفهوم الجهاد ضد الداخل أولاً، ثم تحول الإستراتيجية إلى الجهاد ضد العالم تحت عنوان "الجهاد ضد الصليبيين واليهود" لاحقاً[2]

وتشير دراسة لمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع لجريدة الأهرام المصرية إلى أن الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط أصبح ظاهرة تسترعي الانتباه. حيث احتلّت منطقة الشرق الأوسط المرتبة الثانية كمسرح للعمليات الإرهابية بعد أوروبا قبل أحداث 11 سبتمبر 2001. وتشير الدراسة إلى أن الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط نشأ مرتبطًا ارتباطاً وثيقاً بالقضية الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلي، إلا أنه بعد نجاح الثورة الإيرانية دخلت ظاهرة الإرهاب مرحلة جديدة فقد بدأت مرحلة الإرهاب الدينى والطائفي. وهناك مجموعة من الأسباب ساهمت متضافرة في ظهور التنظيمات المتطرفة نوجز بعض منها في الأتى:[3]

1-عزوف القيادات الإسلامية وسلبية القائمين على شئون الدعوة والإرشاد، أدي إلى أن تصبح الساحة خالية لفكر ومعتقدات هذه الجماعات، حيث أن أحكام البراءة التى حصلت عليها بعض الجماعات الدينية في بعض الدول شجعتها على الاستمرار في نشاطها، وزادتها

---

(1) خطار الأصولية على العرب- د. شاكر النابلسي في الإثنين 13 يوليو 2009

(2) الأصولية.. محاولة للفهم والتفسيرمعتز الخطيب- 5-2-2005 المصدر: الجزيرة.نت

(3) التطرف الدينى وظاهرة الارهاب- مؤسسة أنماط للتنمية البشرية- 20ديسمبر، 2013

جرأة وخبرة، وجاء نجاح الثورة الإسلامية في إيران ليعطى الجماعات الإسلامية المتطرفة الأمل في تكرار هذا النجاح في أماكن أخرى.

2- ظهور الفكر اليساري في فترة من الفترات وسيطرته على بعض المراكز الهامة كالجامعات، وتغلغل الفكر الإلحادي بين الطلبة، أدى إلى ظهور الفكر الإسلامي ليواجه هذا الاتجاه، وخصوصاً مع تدعيم الأنظمة الحاكمة له ليواجه تغلغل الشيوعيين. كما أن الزيادة الواضحة في النشاط التبشيري المسيحي وزيادة التعصب المسيحي، الذى تدعمه بعض الأنظمة والحكومات لدول من خارج المنطقة العربية، من العوامل التى ساعدت على ظهور الجماعات الإسلامية المتطرفة على الساحة العربية.

3-يؤكد هاشم صالح أنه لا يمكننا "إهمال العلاقة الكائنة بين الأصولية والنظام الاقتصادي الفقير والهش، الذي ساد العصور الوسطى في أوروبا." فالعقيدة الأصولية، كانت تتناسب مع الظروف الاقتصادية السائدة أنذاك، وهي التي ساهمت في تشكيل العقليات الجماعية. فالجوع أجبر الناس (الفقراء) على التمسك بمذهب الصرامة في التقشف، والذي يتناسب مع تقشف حياتهم ذاتها[1]. وبالتأكيد ينطبق هذا الأمر على الحال في العالم العربي والإسلامي، ومناسبة الظروف الاقتصادية العربية، لانتشار الأصولية [2] فضمن سياق الضيق الاقتصادي- الاجتماعي الحادّ والبطالة والفاقة، تجد الجماهير نفسها في طريقٍ مظلم.

4- أدى الفراغ السياسي الهائل الذي نجم عن انهيار الستالينية واليسار، إلى انتعاش الأصولية الإسلامية . كما أدى فشل الأحزاب القومية العربية والشيوعية في تحقيق الأمال التي وعدت بها شعوبها، إلى تحول الجماهير عن أحزابها ومضت باتجاه الأحزاب ذات التوجه الديني، التى لديها قدرة تعبوية هائلة، مما جعلها بحراً كبيراً لاستيعاب جماهيرها وحل مشاكلهم. كما أدى فشل الأنظمة الحاكمة في تقديم أي أمر وعدت به، إلى تهميش دورها، مما سهّل للأحزاب البديلة الحلول مكانها[3]. وفي مجتمع أخفقت فيه الدولة في توفير الرعاية

([1]) مخاضات الحداثة التنويرية القطيعة الإبستمولوجية في الفكر والحياة- تأليف: هاشم صالح -الناشر: دار الطليعة - بيروت 2008ص 125

([2]) الأصولية ومعضلة الفقر في العالم العربيد. شاكر النابلسي في السبت 28 يناير 2012

([3]) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار – 1 نيسان 2011

الصحية والتعليم والشغل، استعملت الأصولية الإسلامية هذ الحرمان لتعزيز قواتها. وبالكميات الضخمة من المال الأسود التي تدفّق بحرية بنوا مدارس دينية لتدريب وتنشئة المتعصّبين منذ الصغر ليصبحوا مادة خام للهيجان الديني[1]

5- أدى فشل النظم المستوردة في حل مشكلات الناس وقضاياهم، وفشل الزعماء العلمانيين وسياساتهم في تحقيق ما كانت تعلقه عليهم الشعوب من الآمال والأماني، إلى تفتت وتمزق الدول الإسلامية، وتراكم الديون، وظهور طبقة الأغنياء والمترفين والمفسدين في الأرض، وانهيار الأخلاق وتدهور القيم واستفحال الفواحش والمنكرات.[2]. كما أن انتشار الفساد والنهب وعجرفة واستعلاء الملوك والدكتاتوريين في العالمين العربي والإسلامي، أججّ نار الكراهية وغضب الجماهير، وضاعف الإحباط الاجتماعي. وأمام انسداد الطريق، فإن بعض الأطراف بدأت تنظر إلى الوراء باحثة عن حل. واستغلّ إستراتيجيو الأصولية دناءات الزعماء والأنظمة ليعرضوا فضيلة ماضٍ بعيد.

6-للمفكر المصري مراد وهبة رأي آخر في ازدهار الأصولية، حيث يؤكد، أن الإنسان – منذ نشأته – "ينشد الحقيقة المطلقة، بحكم أن العقل الإنساني، ينزع بطبيعته نحو توحيد المعرفة الإنسانية. وهو من أجل ذلك يتجول، في كل مجال من مجالات المعرفة. ونزوع العقل نحو التوحيد، هو في الوقت ذاته، نزوع نحو المطلق. والإنسان ينشد الحقيقة المطلقة بحكم إحساسه بعدم السكينة، في هذا الكون المجهول"[3]، ولعل هذا السبب – عدم الإحساس بالسكينة في هذا الكون المجهول – يُضاف إلى الأسباب السابقة التي تؤدي إلى انتشار الأصولية بين طبقات الناس البسطاء، الخائفين من المجهول دوماً، والكارهين للتأويل، حيث لا إجماع في التأويل، ولا تكفير للمؤوِل[4] .

7- أن أقساماً كبيرة من الشباب المحتار والمحبط والمحروم تنخرط في الأصولية بالطّريقة نفسها التي تدفع العديد لتعاطي المخدرات. فهم لا يستطيعون مواجهة التحديات، لذلك يحاولون استعمال الأصولية كطريق للسلوان. فعدد كبير من الشباب القليلي الخبرة، وبالذات

---

(1) خطر الأصولية الإسلامية ونفاق الإمبريالية – لال خان،-باكستان، أكتوبر 2000 - ترجمة نديم المحجوب

(2) واقعنا المعاصر ص 538-539.

(3) مراد وهبة -الأصولية والعَلْمانية- ص13

(4) الأصولية ومعضلة الفقر في العالم العربي - د. شاكر النابلسي في السبت 28 يناير 2012

المهاجرون من الريف، يصدمون بالظروف الاجتماعية والثقافية في المدن. فيلتجئون إلى الأصولية الإسلامية بحثا عن التقوى والاستقامة. ولكنهم عندما يواجهون الحقيقة الصارخة للأصولية الإسلامية ويتبين لهم وجهها القبيح يكون ذلك متاخراً جداً حيث نقطة اللاعودة. وفي حالة من اليأس المطلق يقدمون أنفسهم وقوداً لهذا الهيجان ويفقد الكثير منهم الحياة إلى الأبد. أما أولئك الذين يبقون في قيد الحياة يجدون أنفسهم مخلوقات فاسدة والأكثر بشاعة على هذا الكوكب(1).

8- هناك شرائح من الطبقة الحاكمة التي تنهب الدولة والمجتمع تستعمل الأصولية أيضا كدرع. إذ أن الأغلبية منهم، هم بارونات المخدرات وعرّابين سوق المال الأسود. فمن ناحية، يستعمل هؤلاء الخطابات المعادية للإمبريالية للحفاظ على أموالهم من مقابض صندوق النقد، والاقتصاد السائد وضرائب الدولة. ومن ناحية أخرى، يستعملون "فتاوى" الملالي لتبرير وإخفاء جرائمهم وتهريبهم للمخدرات ....إلخ. وهذا النمو السرطاني للسوق السوداء في بلدان مثل باكستان زاد في نمو ما يسمّى بالاقتصاد الأبيض. لذلك لعبت هذه المافيا دوراً كبيراً في الاقتصاد، والسياسة، والمجتمع والدولة، فالمصدر الرئيسي لمالية الأصولية الإسلامية مستند على المبالغ الضخمة من تجارة المخدّرات والسوق السوداء. وهذه العملية بادرت بها الإمبريالية الأمريكية.

9- السبب المهم الأخر لظهور هذه الأصولية يوجد في الدور الذي لعبه زعماء اليسار والسياسيين الديمقراطيين والعلمانيين. ففي محاولاتهم لتطوير الرأسمالية، جلبوا مجتمعاتهم إلى حافة الكارثة. فتفشت التعاسة والفاقة والمرض في البلاد، بعد أن أخفقت سياستهم التحرّريّة وديمقراطيتهم في توفير الغذاء واللباس والسكن للجماهير. وبوصولهم إلى السلطة وإخفاقهم في إدارة المجتمع التجأ هؤلاء التحرريين و"الديمقراطيين" إلى ديماغوجية إسلامية. ففي مواجهة المعارضة والسخط الجماعي تظاهر الملوك، والدكتاتوريين والزعماء الديمقراطيين بكونهم كبار الحامين للإسلام بأسلوب بونابارتي فظ محاولين كسب دعم الفئات المتخلفة في المجتمع لصالحهم لكي يحافظوا على أنظمتهم المرتجفة. وقد قوّى الفساد والنهب الممارس من طرف هؤلاء الديمقراطيين قاعدة الأصولية الإسلامية ومكنها من الانتعاش (2) .

---

(1) خطر الأصولية الإسلامية ونفاق الإمبريالية - لال خان،-باكستان، أكتوبر 2000 - ترجمة نديم المحجوب

(2) خطر الأصولية الإسلامية ونفاق الإمبريالية - لال خان،-باكستان، أكتوبر 2000 - ترجمة نديم المحجوب

10-أن وصول الجمهوريون وبالتحديد فئة "المحافظون الجدد" إلى السلطة في الولايات المتحدة، شكَّل تحوّلاً دراماتيكيا في السياسات الخارجية الأمريكية وبخاصة تجاه الشرق الأوسط، والذي أدى إلى تشكيل بيئة مواجهة وصلت إلى حدود استعمال القوة العسكرية في مواجهتها. فاجتياح إسرائيل على سبيل المثال للبنان في العام 1982، وبدعم أمريكي واضح نقل منطقة الشرق الأوسط من ضفة إلى أخرى، تميّزت بمواجهات دامية وأسست لبيئات سياسية واجتماعية متطرِّفة نظرت إلى الولايات المتحدة نظرة عداء بكونها تشكل الداعم الاستراتيجي لإسرائيل في المنطقة. وسرعان ما ترسخ هذا الاتجاه في عقد الثمانينيات من القرن الماضي وما تلاه. وقد ساعد الوضع السالف الذكر، بشكل مباشر على إحياء أيديولوجيات ذات طابع أمني عسكري، الأمر الذي أوجد غطاءً شرعياً اجتماعياً حاضناً للأحزاب والحركات التي واجهت الوضع القائم أنذاك[1].

المستشرقين، وتفسيرهم لظاهرة الأصولية

مهما اختلف المستشرقون - ظاهرا - في مواقفهم من مصطلح الأصولية الإسلامية، فإنهم يكادون يتفقون جميعاً في تفسير ظاهرة الأصولية، وأسباب نشأتها وانتشارها، وهم جميعا - بشكل أو بآخر - على استعداد لرد الظاهرة لأي عامل من العوامل المادية: الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية...إلخ، مجتمعة أو منفردة، لكنهم لا يمكن أبدا أن يفتشوا عن العامل الروحي، العامل الديني العقائدي. فعلماء الاجتماع الغربيون يميلون إلى ربط زيادة الالتزام الديني عند الشعوب بالإحباط الاجتماعي والأزمات الاقتصادية الخانقة، فكان الجماهير لا تجد ملجأ أمام عجزها المطلق عن حل هذه الأزمات إلا بالرجوع إلى دينها. ومن العلماء الذين يؤيدون هذا الطرح كارل ماركس وماكس فيبر ودوركهايم[2].

ومن الواضح أن الأمريكيين يميلون لهذا التفسير للصحوة الإسلامية باعتبارها مهد الحركات الإسلامية التي تلقى قبولاً متزايداً في الشارع العربي. ويقول إدوارد دجرجيان في

---

[1] دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجية(RSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار - 1 نيسان 2011

[2] راشد الغنوشي وحسن الترابي: الحركة الإسلامية والتحدي، مكتبة دار الفكر، الخرطوم/1980، ص189-191.

شهادة له أمام الكونجرس الأمريكي حول الشرق الأوسط عام 1993: "وفي التحليل الأخير يجب أن نشير إلى أن الحيف الاجتماعي وفقدان الفرص الإقتصادية والتعليمية والسياسية هو الذي يوفر للمتطرفين مساندين في كل بلد"[1]. وفي خطاب الرئيس الأمريكي بل كلينتون أمام البرلمان الأردني عام 1994 أشار إلى أن الحركات المتطرفة، تقتات على اليأس والفقر والإحباط باعتبارها عوامل وراء ظاهرة الصحوة الإسلامية . هذا هو النزاع الذي يكتنف الشرق الأوسط حالياً، فعلى طرف تقف قوى الإرهاب والتطرف التي تحيط نفسها بالكلام البليغ حول الدين والقومية، فيما تناقض في نفس الوقت تعاليم دينها وتخسر من محبة وطنها. أن قوى الرجعية هذه تقتات على الإحباط والفقر واليأس، وهي تؤجج نيران العنف وتسعى لتدمير التقدم في هذا المكان[2].

وقد كان المستشرق البريطاني (فريد هاليداي) من أصرح المستشرقين وأصدقهم في تبنّي التفسير المادي لظاهرة الأصولية، حين لخص آراءهم بقوله: تفسير أسباب انتشار الحركات الأصولية في العالم العربي، لا يمكن أن يتم في إطار ديني، ولا بإشارة إلى أي شي ينفرد به العالم العربي، بل يجب أن يجد مرجعيته في عوامل: اجتماعية واقتصادية وسياسية. ثم يقول: أن هذه الحركات ذات رد سياسي جماعي على مشاكل حقيقية تعيشها مجتمعاتها: ظروف ازدحام مديني، ودول فاسدة، وتأثير وإهانة خارجيان[3].

أما المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) فيقول: بعد عصر السلطان عبد الحميد جاء الإخوان المسلمون، وأبو الأعلى المودودي، والخميني وأتباعه، هؤلاء جميعاً لديهم خطابات تجعلهم مختلفين بعضهم عن بعض، لكنهم يلتقون في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول، وبخاصة إلى القرآن، ويدعون إلى إعادة تأصيل القرآن باعتباره قادراً على تقديم الحلول للمشاكل التي يطرحها العالم المعاصر، يطرحون ذلك في مواجهة المجتمعات التي وضعت نفسها منذ مائة سنة في مدرسة الغرب، ولم تحقق النجاحات المطلوبة... فهل نشهد نهضة دينية؟! أم استخداماً سياسياً للدين؟!.

---

(1) رتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم الغربي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار الوفاء،المنصورة –مصر، ص26-27.

(2) وكالة الإعلامالأمريكية، نشرة الأنباء العربية، 1993/7/27.

(3) المستشرقون والاسلام–معالجه منهجية خاطئة–إبراهيم جواد- مجلة النبأ–عدد51- تشرين 2 2000-

ويقول المستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون): (في العالم العربي، كما في أماكن أخرى، نشأ إحباط تجاه الأيديولوجيات السياسية الاجتماعية الكبرى، التي أنتشرت في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ومع استمرار البؤس في عدد من الدول العربية وتعثّر التنمية، وسيطرة أمريكا على السلطة السياسية في العالم، ثم هناك الفشل في الانتصار على الصهيونية... إذا جمعنا كل هذه العناصر نرى أن الظروف ملائمة لكي يندفع هذا الاتجاه إلى الأقصى. فعندما تسوء الأوضاع يجري البحث عن الحلول، وبما أن الحلول السابقة جربت، يأتي هذا الفريق ويقترح الحل الإسلامي والقيم الإسلامية، ويجد من يصغي إليه.

أما المستشرق الفرنسي (دومينيك شوفالييه)، فيقول: أن انفجاراً ديموغرافياً مثيراً حصل في هذه البلدان وأن اقتصادياتها لم تتمكن لأسباب مختلفة من التكيف مع هذا الانفجار، وتلبية الحاجات التي خلقها... أن المشاكل الاجتماعية تضافرت، وتصادفت مع أزمة الأيديولوجيات المستوحاة من الأيديولوجيات الأوربية في القرن التاسع عشر: القومية أو الاشتراكية وبخاصة الماركسية... يضاف إلى ذلك بعض أنماط الاستهلاك الصناعي الأميركي، الذي أدى إلى انتشار الفساد، وكذلك فشل النخب السياسية الحاكمة في مواجهة إسرائيل، الذي حرك الوعي الإسلامي وعزز فرص الإسلاميين.

أما المستشرق الأمريكي (جون أيسبوسيتو) فيقول: أعتقد أن الصحوة الإسلامية نابعة من الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي يشهدها العالم الإسلامي... وقضايا ثقافية وأخرى تتعلق بالهوية الوطنية والشرعية السياسية، وتأثير التبدل الاجتماعي السريع، إضافة إلى مسائل فساد الطبقة الحاكمة ووضع حقوق الإنسان[1]. ويقول المستشرق البريطاني (هومي بابا):"أن الحركات الأصولية تتفق في خيبة الأمل من السياسة الاجتماعية والثقافية الليبرالية الديمقراطية، ومن العقلانية الاجتماعية التي نهضت عليها هذه السياسة". أما البريطاني(ديرك هوبوود) فيقول: "إعادة تأكيد القيم الإسلامية في العالم العربي هي رد فعل على فشل الأيديولوجيات الأخرى في حل المشاكل الحاضرة،... وهي أيضاً وسيلة لإعادة تأكيد الشخصية والهوية الأساسية وحمأيتها من الأمركة الطاغية التي يتعرض لها نمط الحياة".

([1]) المستشرقون والاسلام–معالجه منهجية خاطئة–إبراهيم جواد- مجلة النبأ–عدد51- تشرين 2 2000-

وأخيراً يقول المستشرق الروسي (آرتور سعادييف) : "أن الحركات الأصولية هي حركات احتجاج نتجت من خيبة الأمل من نتائج التحديث التي قادتها بعض الأنظمة العربية، وأدت إلى نمو التضخم والبطالة وأزمة السكن، وفي المجال الروحي إلى أزمة الهوية. أما الهولندي (رودولف بيترز) فيقول: جذر المشكلة يمتد إلى الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن، عندما طرحت المؤسسة الغربية خيارها في العالم العربي على يد أقليات منتقاة وليس عبر الغالبية الواسعة من السكان، متبنية أهدافاً مثل الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية، وهي قوالب لم تكن لها جذور أو أصول في المجتمع الإسلامي والعربي [1]

من هذا العرض السريع لأسباب ظاهرة الأصولية الإسلامية، والذي يؤكده كثير من المستشرقين، يتبين لنا أن السبب الرئيس وراء بروز التنظيمات الإسلامية المتطرفة هو الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي يعيشها العالم الإسلامي، كما أن فساد الطبقات الحاكمة وتدهور حقوق الإنسان بالإضافة إلى البطالة وأزمة السكن، والفقر والبؤس، والإحباط النفسي والاجتماعي، وأزمة الهوية الثقافية، وتبني الأهداف الأوروبية كالديمقراطية والاشتراكية دون وجود جذور وتربة لاستقبالها.. كل تلك العوامل، بالأضافة إلى فشل الأيديولوجيات الأخرى في حل مشاكل الناس، أدت إلى ظهور العنف الإسلاموي المسلح كوسيلة لحماية الشخصية والهوية من العولمة والأمركة الطاغيتين[2]

من ناحية أخرى يرفض بعض الباحثين أية تفسيرات غربية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لظاهرة الصحوة الإسلامية ويصفونها بأنها«خاطئة لأنها تنطلق من عقلية غربية محضة ترى بأن العودة للدين والتمسك به هي مرحلة لمواجهة الأزمات التي تتعرض لها الشعوب، فإذا ما أنفجرت هذه الأزمات عادوا كما كانوا عليه. أن عودة المسلمين للإسلام الآن هى لتحرير أنفسهم من الذل والظلم الذي عانوا منه على مدى سنين طويلة في ظل القومية والشيوعية والعلمانية والرأسمالية. لقد وجدوا بأن الإسلام هو الحل لمعاناتهم[3].

(1) غارات الغرب على الإسلام- كتبه: إبراهيم محمد جوادالعدد (42) السنة 19 - 1429هـ/ 2008م

(2) بحث في الأصولية الدينية- لطفي حداد، مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية- موقع أركامانى صفحة كوش الجديدة، 2005

(3) فيصل الرفوع، مرجع سابق، ص14

الشعور بالأزمة وظهور الفكر الأصولي المتطرف:

على رغم كثرة الكتابات والدراسات التي حاولت تفسير ظهور الحركات الإسلامية السياسية وانتشارها، إلا أنها لم تخرج عن كونها تنويعات على فكرة وجود الأزمة أو أوضاع غير عادية يعيش فيها المسلمون ويبحثون عن حل جذري يتجاوز بهم هذه الأوضاع. ويرى جاك بيرك أن صعود الأصولية الإسلامية هو "رد فعل على الأخطاء التي ارتكبت في فترة ما بعد الاستعمار. أن الجماهير التي قاتلت من أجل الاستقلال اعتقدت بأن كل شيء انتهى بمجرد الحصول على الاستقلال وإقامة الدولة - الأمة. في حين أن الدولة - الأمة هي نقطة البداية" ويضيف مكسيم رودنسون بأنه قد "نشأ إحباط تجاه الأيديولوجيات السياسية - الاجتماعية الكبرى التي انتشرت في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين". ففي مطلع القرن ساد اعتقاد وشاعت آمال بالديموقراطية، ولكن بعد خمسين سنة من ممارسة برلمانية فاشلة لم يعد من الممكن إقناع الناس بالبرلمانية بسهولة. والشيء نفسه ينطبق على الاشتراكية التي لم تحقق طموحات الشعوب. وجاء على أثر ذلك الشعور بهيمنة الغرب على المسلمين واعتبروه العدو التاريخي[1]

أما الأستاذ مارتن ريزنبروت، المتخصص في علم الاجتماع الديني، فقد قام ببحث مقارن بين الأصولية المسيحية والأصولية الإسلامية، توصل منه إلى هذه النتيجة:" أن الفكر الأصولي يعبر عن تجربة عميقة بالأزمة، وهو يرى أن سبب الأزمة التي يمر بها المجتمع هو الانحراف عن المبادىء الخالدة التي نزل بها الوحي الإلهي ودونت في الكتب المقدسة وتحققت بالفعل في جماعة مثالية. والطريق الوحيد للخلاص من الأزمة الراهنة هو الرجوع إلى هذه المبادىء والتعاليم الألهية"[2]. ولكن المشكلة لا تقف عند حدود هذا التفكير والتشخيص، بل تتعداه للفعل المطلوب لحل الأزمة بعد معرفة سببها لدى هؤلاء، وهو هنا: كيف يتم الرجوع إلى تلك التعاليم؟ ففي حين يتم تلمس طريق الفعل في أداء العبادات ليصلح الله حال الأمة، كما يتجلى لدى الكثيرين من خطباء المساجد في عالمنا الإسلامي الذين يلحون دائماً على أن المشكلة أننا ابتعدنا عن شريعة الله فحلّ بنا ما بنا، ولن يصلح حالنا "حتى يكون

(1) الإسلام السياسي والأصولية د. محمد إبراهيم الفيومي

(2) عشر قضايا عن الأصولية- فريتس شتيبات ترجمة د. عبد الغفار مكاوي- المصدر: عالم المعرفة

عدد المصلين في الفجر كعددهم في الجمعة''، ما يعني أنهم يتصورون الحل ميتافيزيقيا وسحرياً في أن وأحد. في المقابل تكون الأجابة على السؤال مع جماعات العنف بالعمل المسلح والجهاد ضد الداخل والخارج [1]

وهكذا فإن الانطلاق من فكرة ''الشعور بالأزمة'' يشكل مدخلاً مهماً للتفسير لأنه يرد الأصولية والعنف إلى سياقهما التاريخي المحدد، والعداء للغرب إنما يقع في هذا السياق التاريخي المعبَّر عنه بظهور الوعي بالأزمة والبحث عن فعل. لم تكن ردود فعل المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث على تفوق الغرب وأطماعه التسلطية، في كل الأحوال، ردود فعل ذات طابع أصولي، فقد بذلت معظم المجتمعات الإسلامية جهوداً متصلة لمواجهة هذه التحديات، ومازالت تبذل مثل هذه الجهود. ولم تبدأ الجماعات الأصولية في القيام بدور مؤثر ولم تظهر على الساحة ظهوراً بارزاً إلا منذ منتصف القرن العشرين. ويترتب على ذلك ضرورة البحث عن أسباب الأزمة التي يشعر بها المسلمون الآن شعوراً واعياً.[2]

مشكلة الهوية:

السؤال عن هوية إسلامية هو سؤال عن جوهر المشكلة المعاصرة بالصيغة التالية: أين يكمن جوهر إشكال الهوية الإسلامية ؟ وهل المشكلة في بعض المجتمعات التي ضاقت حركة التطور فيها فوجدت في الإسلام مخرجاً للحل؟ أم المشكلة في ذلك الانفلات الجديد لظاهرة الإسلام بعد حصار تاريخي طويل وبعد فشل الأيديولوجيات التي قدمتها الحركات الكبرى في التاريخ، وبعد نقض الوعود بالحريات والدولة العادلة؟ وهل يكون الإسلام الذي فرض عليه الحصار هو السبيل الأخير كما كان السبيل الأول كإطار للتعامل مع ظواهر الحياة البشرية، وبالتالي يكون تيار الصحوة الإسلامية هو الفتيل الذي سيشعل لهيب حركة جديدة في العلاقات المختلفة وعلى جميع الأصعدة؟[3]

---

(1) الأصولية.. محاولة للفهم والتفسير معتز الخطيب- 5-2-2005 المصدر: الجزيرة.نت

(2) عشر قضايا عن الأصولية- فريتس شتيبات ترجمة د. عبد الغفار مكاوي- المصدر: عالم المعرفة

(3) الأصولية الإسلامية معركة البحث عن الهوية - محمد العواودة

والإجابة على ذلك، هي أن الأصولية هى تيار موجود في كل حضارة تحركه مخاوف فقدان الهوية، والانبهار بالحداثة، وترك الأصول والجذور[1]، وهذا يعنى أن الشعور الحالي بالأزمة عند المسلمين نجم عن مجموعة من الإحباطات التي فجرته وغذته، ويمكن إجمالها في العناصر التالية:

1-عجز وقصور محاولات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فقد ظهر أن الاندماج في السوق العالمية لم يجلب معه غير الأضرار بالسوق المحلية، والاقتصاد القومي لم يستطع أن يتغلب على حالة التخلف، والانتاج القومي لا ينمو نمواً كافياً ولا يوزع توزيعاً عادلاً، والشباب يكاد لا يرى في الأفق أي أمل في حياة طيبة ووجود جدير بكرامة الإنسان. فغالبيتهم عاطلون عن العمل، "بعيدين عن المشاركة الفعلية في مؤسسات صناعة القرار، ما يجعلهم في حالة قابلة للاستقطاب السياسي الناقم على الأوضاع القائمة.[2]

ب-السخط على الحكومات المسؤولة عن تعثر مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وعن حرمان الشعب من المشاركة في القرارات السياسية المهمة، وفي تبادل السلطة أو السماح له بذلك في أضيق الحدود.

ج- يؤكد بعض الباحثين أن للمتغيرات الإقتصادية الدولية دوراً في تعميق الحس الإسلامي المعادي للغرب في ظل النظام الجديد والهيمنة الأقتصادية الأمريكية. ويرون أن سلبيات هذا النظام قد انعكست بشكل كبير على الشعوب الإسلامية، مما دفع بالإسلام السياسي إلى الواجهة متنطحاً لهذه الحالة التي تستهدف المسلمين أكثر من غيرهم. فقد روجت القوى الغربية التي تهيمن على العالم لعدد من القيم والمثل العليا، ولكنها تلجأ عند تطبيق هذه المثل إلى معايير مزدوجة تضر بمصالح الشعوب الإسلامية والعربية. والدليل الواضح على ذلك هو موقفها من مشكلة الصراع بين العرب وإسرائيل. وموقفها من المآسي التي عاناها مسلموا البوسنة وميانمار وأفريقيا الوسطى، والتى تقدم دليلاً على أن العالم يعامل المعتنقين للإسلام معاملة ظالمة[3].

---

(1) حسن حنفي،المرجع السابق الذكر،ص114

(2) اللصعود والأفول: حركات الإسلام السياسي والسلطة في العالم العربي- تحرير د. جمال السويدي، د. أحمد الصفتي- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014- ص41

(3) عشر قضايا عن الأصولية- فريتس شتيبات ترجمة د. عبد الغفار مكاوي- المصدر: عالم المعرفة

ه-أن فشل مشاريع السلام المقترحة أميركيا أدى بشكل أو آخر إلى تقوية مواقف الأحزاب الدينية الراديكالية الأصولية، ما عقَّد الأوضاع القائمة. كما أن الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه معظم الدول العربية والإسلامية في الشرق الأوسط، باتت قاب قوسين أو أدنى لتغيير العديد من أنظمتها التي استهلكتها عبر عقود طويلة. بل أن مجمل الثورات العربية القائمة حاليا تعبّر عن انعكاس موضوعي لواقع الحال التي وصلت إليها هذه الأنظمة وعدم قدرتها على تقديم أي بديل للأمر الواقع التي تعيش فيها جماهيرها.[1]

---

[1] منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-ذ. خليل حسين27-06-2015 - الرابط
http://machahid24.com/etudes/9709.html

الفصل الرابع

التجديد الدينى بين الصحوة والتطرف (الأصولية)

التجديد والصحوة بمفهومها الصحيح ليست جديدة على تاريخ أمتنا، ولكن الجديد في عصرنا هو ذلك الربط غير الشرعي بينهما، وبين الأصولية بمفهومها الغربي، والتى تعني عند البعض التطرف والغلو ورفض التطور وعدم التكيف مع الواقع، والتقوقع في الماضي، والتعبد بالتراث... إلخ، حيث أن هؤلاء لم يفرقوا في ذلك بين معنى الالتزام والتطرف والوسطية، بل أسقطوا هذه المعاني التي صاحبَت المصطلحَ في تجرِبته الغربية، على التجربة الإسلامية، التى هي بريئة من كل ذلك. بريئة من التطرف والغلو، كما هي بريئة من اتِّهامها برفض التطور، ومحاربة التنوير، وعدم التكيف مع الواقع، والتعبد بالتراث... إلخ، فالقضية – في نظرنا – ترجع إلى تصميم بعض الجهات المستفيدة من إثارة هذا الغبار الفكري في المنطقة، لتظل ملتهبة مشغولة بنفسها عن الاشتغال بعظائم الأمور، مما هو أهم بذلك من قضايا البلاد[1].

التجديد الدينى الإسلامي

بفضل الإسلام الذي جاء مجدداً للحنيفية على يد سيدنا محمد (صلّ الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء، استطاع العرب أن يصبحوا أمة قوية متحدة موحدة تهابها الشعوب والأقطار، بعد أن كانوا قبائل متناحرة يسودهم الظلم والشرك والطغيان، ولما انتهى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين، وانتهى بعد ذلك عهد الاجتهاد والازدهار العلمي والحضاري والفكري والمادي في القرن الرابع الهجري – ارتكن الناس بعد هذا التاريخ الزاهر إلى الجمود والخمول والتقليد والتعصب لهذا المذهب أو ذاك، إما جهلاً أو رغبة في تنمية الثروات وإشباع الشهوات والأغراض الذاتية، مما أدى إلى الانحراف عن جادة الصواب، والحياد عن جوهرة تعاليم الإسلام، والميل إلى العديد من المظاهر والشكليات والسطحيات

---

(1) بين الأصولية والتطرف – د. محمد السيد الجليند – 2008/11/11م

والخرافات المشوهة لعقيدته التوحيدية الصحيحة، والمحرفة للعديد من تعاليم الشريعة الإسلامية.[1]

ولما كان الإسلام بوصفه آخر الرسالات السماوية يحمل في ثناياه بذور التطور والتقدم وملائمة كافة الظروف والأزمان، فإن التاريخ الإسلامي يشهد أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يجدد من نفسه وفق مبدأ التجديد أو الإصلاح المستمر بالاجتهاد في الشريعة الإسلامية ويكاد يكون قانوناً تاريخياً، أو على الأقل قاعدة دورية تتكرر في فترات معينة وفق حديث يُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أن الله يبعث على رأس كل مائة عام مَن يجدد لها دينها". واستطاع بعض الفقهاء أن يؤلف منظومة أحصى فيها المجددين في الإسلام، وكنا نرى كثيراً من الحركات أو التيارات الإسلامية تتبنى هذه الفكرة وتتخذها مبرراً لظهورها ووجودها.[2]

وهكذا فالتجديد الديني أمر منصوص عليه في الأصول الإسلامية وليس أمراً متعارضاً مع هذه الأصول. وعلى مر التاريخ الإسلامي ظهر مجتهدون ومجددون إسلاميون كثر، كانت غايتهم توضيح أحكام الإسلام للناس ووضع الحلول لبعض المسائل التى قابلت المسلمين نتيجة تطور الحياة وتغير الظروف، هذا بالإضافة إلى محاربتهم للبدع والمفاهيم المغلوطة التى كانت تنتشر بين المسلمين من فترة لأخرى بسبب بعدهم عن الإسلام. ولكن لا يمكن مقارنة دعوات هؤلاء المجتهدون والمجددون بأى حال من الأحوال، بحركة الإصلاح الديني التى ظهرت في الغرب، والتى أنتجت الأصولية المسيحية، لأن هذه الدعوات والمحاولات التجديدية لم تظهر لإنكار أصل من أصول الدين كما حدث في الغرب، بل وجدت لتثبيت هذا الأصل عن طريق توجيه الناس، لكى يفهموه فهماً صحيحاً يلائم العصر الذى يعيشون فيه. لهذا فإن التجديد الدينى في الإسلام كان ضرورياً لمسايرة التقدم وتطور الحياة وتغيرها.

---

(1) الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1- جمادى 2 1404/ مارس 1989 -تصدر عن وزارة الاوقلاف المغربية
http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6152

(2) الإسلام السياسي والأصولية- د. محمد إبراهيم الفيومي-
http://alarabnews.com/alshaab/GIF/18-01-2002/5.htm

ويمكن القول أن بوادر الاجتهاد والتجديد الدينى، ظهرت في التاريخ العربي الإسلامي، في النصف الأول من القرن الأول الهجري، إذ اتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، فشملت العراق وجزءاً من بلاد فارس وسوريا وفلسطين ومصر وجزءاً من شمالي إفريقيا، ثم امتدت، في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل الثاني فشملت أجزاء واسعة من آسيا وإفريقيا وجزءاً من أوروبا. ودخلت في ولايتها وعهدها أو ذمتها شعوب وأقوام مختلفة لكل منها تراثه الثقافي وأعرافه وعاداته وتقاليده. وبرزت من جراء ذلك مشكلات اقتصادية وإدارية وتنظيمية جديدة كان لابد معها من مرونة حاذقة في التشريع وفق الأسس التي أرساها الإسلام. كما أخذت بوادر الترف تظهر في الحواضر العربية، ورافقها فساد تسرب إلى تصرفات بعض الولاة وقادة الجند الذين مكنتهم الدعة والمسالمة من الترخص في المتاجرة وتتمير الأموال وتملّك المزارع، وبرزت مسألة الأراضي الزراعية وفيئها مما استثار العصبيات التي قاومها الإسلام، فنهض بعض الصحابة والتابعين يبينون مفارقة تلك التصرفات للمثل الأعلى الإسلامي. وكان من أبرز هؤلاء الصحابي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، الذي اشتهر بدعوته إلى التقى والتقشف مبتدئاً بنفسه، ولذلك برزت الحاجة إلى الاجتهاد في المسائل التي لم يرد فيها حكم شرعي في القرآن الكريم والسنّة النبوية[1].

كما أن الاجتهاد لم يبقَ محصوراً في مجال التشريع بل تعداه إلى المسائل الفكرية والاعتقادية فظهر مجتهدون في الفكر والعقيدة من أمثال الحسن البصري وواصل بن عطاء وغيرهما، ونشأت بعد ذلك فرق اعتقادية كالمعتزلة الذين يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية. وظهرت بإزائهم فرق تقول بنفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الله، وهو ما ذهب إليه الخلفاء الأمويون، وكذلك الأشعرية والمرجئة وفرق الخوارج وفرق الشيعة ولاسيما الإسماعيلية وفيهم القرامطة وإخوان الصفا، وتظهر في هذه الفرق، على اختلافها، آثار انفتاح الثقافة العربية الإسلامية على الثقافات الأخرى ولاسيما الفلسفة الهلينية عامة والمنطق الأرسطي خاصة. وهكذا ارتبط التجديد الدينى منذ بداياته الأولى بالتقوى والاجتهاد، فالإيمان معرفة وطاعة، والمعرفة هي الأصل، والطاعة هي الفرع. وانطوت المعرفة كذلك على

---

(1) أنظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل.

تواتر دائم بين النقل والعقل. وإذا كان أهل الرأي وأهل الحديث متفقين على أولوية النص الديني، فإن خلافهم تركز على قضية العقل وحرية الإنسان ومسؤوليته عن أعماله[1].

وبعد انتهاء تلك العصور الزاهية الأولى من تاريخ الإسلام، وظهور معالم الانحراف في القول والفعل والسلوك والمعاملات – قامت حركة دينية إصلاحية أولى بعيد القرن الرابع الهجري على يد بعض الفقهاء، إلا أن الحزازات المذهبية التي كانت سائدة أنذاك، والأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية المتدهورة حالت دون فعالية هذه الحركة، وبقي الأمر يزيد تدهوراً خاصة بعد هجمات التتار والصليبية حتى القرن السابع الهجري، حيث ظهرت حركات دينية إصلاحية أخرى، دعت المسلمين إلى الرجوع إلى النبع الصافي من تعاليم الإسلام من أجل إصلاح أوضاعهم، والعودة بهم إلى ما كان عليه السلف الصالح، ولكن شاب بعض هذه الحركات كثيرٌ من المآخذ والسقطات بسبب تطرفها وخروجها عن إجماع المسلمين.

ومما تقدم يتضح لنا أن التجديد ظاهرة صحية، عرَفَها تاريخُنا الإسلامي في عصور مختلفة من مراحل ضعفه وخوره، فكانت تنقلّه من حالة الضعف إلى حالة القوة، ومن حالة الخور والسكون إلى الحركة والآنطلاقة، وتُجدِّد للإسلام شبابَه، وتشد من عزيمته، فعندما انغمس بنو أمية في طيب العيش، وملذات الحياة، وصرفهم ذلك عن أمر الرعيّة – ظهر أبو حنيفة، ومالك، وسيرة عمر بن عبدالعزيز، وعندما طغتْ مظاهر الحضارة اليونانية على معالم الإسلام وأصوله في العهد العباسي – ظهر ابن حنبل ومدرسته، والأشاعرة والغزالي ... إلخ.

حركات التجديد في العصر الحديث:

كانت الخلافة العثمانية ترفع الشعار الإسلامي بشكل تقليدي بدون أي اجتهاد أو تجديد، وفي نفس الوقت كانت تقدم تنازلات عن الفقه التقليدي في أوجه كثيرة أهمها فيما يتعلق بالتعامل مع القوى الدولية. هذه الخلافة بعد فترة من الصعود تآكلت ما جعلها هدفاً للتحكم الأجنبي والإطاحة الداخلية، فألغيت الخلافة في عام 1924م، وحل محلها نظام استنسخ الحضارة الأوربية حذو النعل بالنعل. وفي وجه هذا العدوان على هوية الأمة قامت حركات

---

(1) أنظر: فؤاد زكريا، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، دار التنوير بيروت 1985

صحوة إسلامية في كثير من البلدان الإسلامية [1]، تُعتبر امتداداً لما قبلها من حركات اصلاحية، إلا أنها كانت متطورة ومتفتحة أكثر. ولعل من أهم حركات الإصلاح الحديثة، الدعوة التي قادها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومن أعلامها عبد الرحمن الكواكبي وابن باديس في المغرب وغيرهم. وقد حاربت هذه الدعوة البدع والخرافات والأوهام، وعملت على التوفيق بين النقل والعقل وبين الدين والعلم الحديث، ورأت أن الحياة الدستورية والتمثيل النيابي والحقوق المدنية والحريات السياسية والنزعة الوطنية القومية المعادية للاستعمار والاستبداد كلها لاتخالف الشرع الإسلامي. وكان لهذه الدعوة أثر بارز في الفكر العربي الحديث بوجه عام وفي الفكر السياسي بوجه خاص، في العراق وبلاد الشام والمغرب العربي، وفي مركز السلطنة العثمانية أيضاً. والملاحظ أن هذه الحركات الحديثة كانت "العقيدة الوطنية" والسياسة فيها أقوى من العقيدة الدينية التوحيدية الصحيحة نظراً لظروف الحال، ومراعاة لمحاربة الاستعمار.[2]

وقد تأثر بهذه الحركة المصلحون وأنصار الدستور. واستمر تأثيرها حتى خمسينات القرن العشرين في فكر أحمد أمين ومحمد حسين هيكل وعلي عبد الرازق وطه حسين وخالد محمد خالد، وغيرهم من رموز الثقافة العربية المعاصرة. كما تأثرت بها الحركات الإصلاحية الشيعية في العراق، إذ أفتى مجتهدوها بوجوب محاربة الإنجليز الذين احتلوا العراق في بداية الحرب العالمية الأولى، ودعوا إلى وحدة المسلمين السنة والشيعة لمواجهة الخطر الغربي وإقامة دولة إسلامية دستورية حديثة. كما كان لها تأثير بارز في المغرب العربي، تجلى في أفكار خير الدين التونسي الإصلاحية وفي جمعية العلماء في الجزائر، والمهدية في السودان وموريتانيا، والسنوسية في ليبيا، وغيرها من الحركات التجديدية الحديثة.

أما في بلاد الشام فيقول د. الحبيب الجنحاني: أن حركة الصحوة الإسلامية في سوريا خاصة، وفي منطقة بلاد الشام عامة تلتقى في سندها التاريخى مع الحركات الإسلامية الأخرى، فهى تتخذ من الدعوة الإسلامية نفسها نموذجاً يحتذى، ثمتقعتمد على آراء كبار

---

(1) الصحوة الإسلامية في هذا العصر الإمام الصادق المهدي- نشر في سودانيل يوم 18 - 09 - 2011-
http://www.sudaress.com/sudanile/32536

(2) الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1 - جمادى 2 1404/ مارس 1989 -تصدر عن وزارة الاوقلاف المغربية
http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6152

الأئمة والمصلحين المسلمين، ولا سيما الأراء التجديدية التى صدع بها زعماء الحركة السلفية، في القرن التاسع عشر، وفي بداية القرن العشرين، ولكنها تعتمد في الوقت نفسه على مصلحين معاصرين عرفوا بعطائهم الفكرى، وبنضالهم السياسى في سبيل بناء مجتمع إسلامي جديد مثل حسن البنا وسيد قطب، وعبد القادر عودة، ومحمد الغزالى، ومصطفي السباعى، ومحمد المبارك، وأبو الأعلى المودودى، وتقى الدين النبهانى وغيرهم من قادة الحركة الإسلامية المعاصرة[1].

وهكذا نرى أن التجديد والصحوة المعاصرة ليست بِدْعًا عن التاريخ الإسلامي، أنما هي امتداد طبيعي لمراحل تاريخية سابقة، وقارئ التاريخ الإسلامي قد يجد علاقة قوية بين فترات الضعف التي تصاب بها الأمة، وهذه الصحوات المتكررة[2]، التى جاءت كرد فعل على تفكك الإمبراطورية العثمانية وتعمق الهيمنة والنفوذ الإستعماري لبريطانيا، فرنسا، أيطاليا، أسبانيا التي فرضت سيطرتها وهيمنتها المباشرة تدريجيا على جل المنطقة العربية، وجاءت اتفاقية سايكس - بيكو (1914) بين بريطانيا وفرنسا لتطيح بحلم مشروع قيام الدولة العربية الكبرى تحت قيادة الشريف حسين، ومن ثم الغاء الخلافة في اسطنبول، وقيام دولة علمانية في تركيا 1924 على يد كمال أتاتورك.

حركات التجديد بين التراث والمعاصرة:

عرف العالم الإسلامي التحدي الحضاري الغربي منذ القرن التاسع عشر واعتبره عامل إضعاف خطير للإسلام، وجاء هذا التحدي في شكل التوسع الإستعماري الذي شكّل خطراً حقيقياً ومباشراً على شعوب العالم الإسلامي، وبقى ذلك التحدي هو الخطر حتى بعد نيل الاستقلال السياسي لعدد من الدول، بسبب عدم قدرة المسلمين على مواكبة التطورات العلمية والتقانية والاقتصادية والثقافية التي اجتاحت الكون. وقد ولّد هذا الوضع السؤال الذي أطلقه شكيب أرسلان: "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟"[3].

---

(1) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى - مركز دراسات الوحدة العربية ص39

(2) بين الأصولية والتطرف- د. محمد السيد الجليند- 2008/11/11 م

(3) الإسلام السياسي والأصوليةد. محمد إبراهيم الفيومي

وهكذا أدت الصدمة الحضارية التى تولدت من احتكاكنا المباشر بالغرب، إلى ظهور عدة تيارات فكرية حاولت مواجهة هذا التحدى. فقد جاءت أوروبا إلى بلادنا حاملة معها كل نواتج نهضتها الحديثة من علم نظرى وثقافة عقلانية وأسلحة متفوقة ونهم شديد إلى التوسع والسيطرة على أسواق العالم. وقد ولدت هذه المعطيات التاريخية والأزمات الموضوعية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية التي رافقتها، اتجاهات متضاربة وحادة في التعامل مع إفرازاتها ونتائجها ما بين دعاة الليبرالية والاندماج في الحضارة الغربية والأخذ بمستلزماتها من جهة، وما بين دعاة المحافظة على الهوية الدينية الجمعية وصيانة الذات المهددة من قبل (الغرب) الآخر من جهة أخرى.

ومنذ ذلك الحين أصبح الشغل الشاغل للعقل العربى هو التساؤل عما ينبغى أن يكون عليه موقفه من هذه المواجهة ؟ هل يحتمى بتاريخه وتراثه الماضى ويتخذ منه درعاً يدفع عنه غوائل التيار الكاسح المتدفق من بلاد غربية متفوقة، أم يساير التيار الجديد أملاً في أن يكون له نصيب في ذلك التقدم المادي والمعنوي الذى حقق للحضارة الأوربية تفوقاً ساحقاً على سائر حضارات العالم القديم ؟[1] أى أن السؤال المركزى الذى طرح نفسه على مفكرينا هو كيف نواجه التحدى الغربى ونواكب العصر ؟

وقد وجد هذا التساؤل إجابات عدة. فدعاة المعاصرة أنبهروا بالحضارة الغربية وتعالت أصواتهم بأنه لا سبيل إلى إللحاق بركب الحضارة الغربية المعاصرة إلا بالانسلاخ الكامل عن موروثنا كله ومحاكاة الإنسان الأوروبى في كل شئ حتى في لباسه وعاداته[2]. فعندما احتك بعض المسلمين بالحضارة الغربية الحديثة، أعجب كثير من الكتاب والمفكرين بها، وقالوا في مدحها المقولات، مثلا: قال زيا جوكالب المفكر التركي في عام 1923م:"الحضارة الغربية هي التقدم وهي مستقبل الإنسانية وعلينا أن نقبل بها" وقال طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر:"الغرب هو المستقبل وعلينا أن نقبله بخيره وشره" وعلى نفس الوتيرة تحدث الكاتب المصري سلامة موسى الذي قال: "أنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب، وفيما أكتب أحاول أن أغرس في ذهن القارئ تلك النزعات التي اتسمت بها أوربا العصر الحديث، وأن أجعل قرائي

(1) خطاب الى العقل العربى - د. فؤاد زكريا - ص 20
(2) التراث والمعاصرة - اكرم ضياء العمرى - ص 9 - كتاب الامه رقم (10)

يولون وجوههم نحو الغرب وينفضّوا عن الشرق، لأني أعتقد أن لا رجاء لنا بالنجاح في العالم إلا بذلك"[1].

وهذا الرأي لم يقف في المجال النظري بل تصرف على أساسه حكام سيطروا على أجزاء هامة من العالم الإسلامي، مثلا مصطفي كمال أتاتورك في تركيا، ومحمد رضا بهلوي في إيران، ومحمد علي جناح في باكستان. وبعد الحرب الأطلسية الثانية انطلقت الحرب الباردة بين معسكري الغرب الأدنى (المعسكر الشرقي) والغرب الأقصى (المعسكر الغربي) وكانت الحرب حربا أيدلوجية، والبلدان الإسلامية تأثرت بالمعسكرين تأثرا مزدوجا إذ استصحبت قياداتها الفكرة القومية من الغرب، واستصحبت الفكر الاجتماعي من الشرق[2]

أما دعاة الأصالة فقد اتخذت ردة فعلهم تجاه الحضارة الغربية وجهاً آخر، تمثّل بالفخر والاعتزاز بأصولنا الحضارية وبيان دورها التاريخى وإسهاماتها في مجال الحضارة والثقافة والعلوم، كنوع من ردة الفعل الطبيعى في الالتجاء إلى التاريخ والثرات للاحتماء به واتخاذه درعاً وحصناً يدفع غوائل التيار الكاسح القادم من بلاد غريبة عنا في ثقافتها وحضارتها وموروثها. ولهذا فإن الحركات الإسلامية المعاصرة التى قامت لتقود حركة التجديد الدينى الإسلامي المعاصر، كانت أسس الحل واحدة عندها جميعاً تقريباً، وتتمثل في العودة إلى الأصول أو إلى العصر الذهبي للإسلام أو مجتمع المدينة. وتكون هذه العودة إما بمراجعة الواقع الذاتي ونبذ البدع والشوائب التي أصابت المسلمين بسبب جهلهم وقصورهم، أو برفض الأخر الذي يعمل على غرس جرثومة الانحلال والفتنة والضعف والتفكك في الجسم الإسلامي. ويمكن أن يتم ذلك بمكافحة البدع والمستحدثات التي علقت بالدين نتيجة إهمال العلم وركود الحياة الاجتماعية، وبُعد المسلمين عن روح الجد والاجتهاد. وهم يعتمدون في مواقفهم على مضمون الحديث: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء!، قالوا: مَن الغرباء يا رسول الله ؟ قال: الذين يحيون سُنتي بعد أندثارها"[3]

وهناك فريق ثالث اتخذ موقفا وسطياً، فدعى إلى الأصالة ولكنه لم يقف موقفا رافضاً من الحداثة. فطالب بالأصالة والعودة إلى الأصول من خلال محاولة التوفيق بين الواقع والأخر،

---

(1) موسى، سلامة: اليوم والغد، " المطبعة العصرية، القاهرة، 1927"، ط1، ص 256

(2) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

(3) الإسلام السياسي والأصوليةد. محمد إبراهيم الفيومي

وذلك بتعديل الآتي من الخارج والتكيف معه بدون التخلي عن الأصول، أن أمكن ذلك[1]، وهكذا فإن جميع هذه الحركات عندما دعت إلى التمسك بالإسلام الأصيل والاقتداء بالسلف الصالح، فإن دعوتها تلك لم تكن دعوة أصولية بمفهومها الغربى، بل كانت دعوة تجديدية اتخذت عدة مسميات كالدعوة السلفية والدعوة إلى أحياء الثرات والدعوة إلى الأصالة وغيرها. وهذا يعنى أن اغلب دعاة الأصالة، لم يقفوا موقفاً سلبياً من الحضارة الغربية واكتفوا بالدعوة إلى أحياء كل ما هو أصيل في حضارتنا فحسب، بل نجد أن هناك تياراً كبير ربط بين الدعوة إلى الأصالة في عصرنا الحاضر، بالتجديد والقدرة على تقديم الاستجابة ومواجهة التحديات. فهذه الدعوة كانت مطلباً إسلامياً حتمته طبيعة الدين الإسلامي والضرورة الحضارية من أجل إيجاد أرضية صلبة يقف عليها المسلم وهو يواجه تحدى الحضارة الغربية.

وعلى هذا فالأصالة تعني وفق النظرة الإسلامية لها تأكيد الهوية والوعى بالتراث، وتأسيس المعيار وتحقيق التمايز والاختصاص، وهى تعنى تكامل الحاضر مرتبطاً بالماضى ومتصلاً بالمستقبل. فلا تستهدف الجمود ولا التقليد، وإنما هى الارتباط بالخطوط الممتدة بين ماضي هذه الأمة إلى مستقبلها، مروراً بحاضرها، والارتباط بالأصول إيماناً بأنه لا حركة للأمام أو تجديد أو إصلاح بمعزل عنها أو بالكفّ عن التعامل معها والاستجابة لأحكامها. ويعد الاجتهاد وسيلة من وسائل إنجاز الأصالة وتأكيدها[2].

وهكذا يمكن القول بأن تعامل المسلمين مع التحدى الحضاري الغربي مر بثلاث مراحل:
مرحلة الانبهار: شعاره"الغرب على صواب"، بدأت مع تجربة طه حسين وشبلي الشميل وأحمد خان ورفاعة الطهطاوي، الذي أرسل في بعثة محمد علي إلى فرنسا عام 1826 وكان في الخامسة والعشرين من عمر[3].

مرحلة الإزدواجية في الإصطلاح: هي مرحلة التقابلات أو مرحلة الدفاع واليقظة الفكرية لأبناء الصحوة الإسلامية ؛ وهي مبنية على ما يسمى بالمعرفة التناظرية أي معرفة الذات من خلال الآخر في ضوء أهدافه ودوافعه الإستراتيجية! نتيجة استفحال زخم المصطلحات

---

(1) الإسلام السياسي والأصوليةد. محمد إبراهيم الفيومي

(2) التجديد السياسى والخبرة الإسلامية - د. سيف الدين عبد الفتاح ص 240

(3) المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! (ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي) المصطفى البرجاوي -مريرت 2008م ص18

الغربية واستنباتها في الوسط الإسلامي ؛ ولما تحمله من مضامين خطيرة على ديننا وعقيدتنا! من قبيل العلمانية والدين- الحداثة والرجعية -الشورى والديمقراطية -التقدم والتخلف.. وهى كانت بحق مرحلة البحث عن مزايا الإسلام، والثقافة الإسلامية من خلال التصورات والأيديولوجيات التي تصور تفوق الغرب ونجاحه في كل المجالات..!!!

مرحلة الاستقلالية والبحث عن الذات: ويمكن تسميتها أيضا بالرجوع إلى الأصل مع الاستفادة من تجارب الأخر العلمية.. لكن للأسف ما يزال الطريق طويلاً، لما نشهده على أرض الواقع من صراعات بين مختلف الحركات الإسلامية، وأيضا ظهور التنظيمات المتطرفة الإرهابية العميلة للغرب، مما أدى إلى حدوث فوضى عارمة في البلاد الإسلامية وحروب مدمره أدت إلى تهجير أموال المسلمين واستثمارها في الغرب، وهجرة الأدمغة الإسلامية، وتشيكلة حكومات في الغالب من أبناء الطبقة الثرية التي تربت في أحضان الغرب! والاقتصار على استيراد الصناعة والخدمات دون الوصول إلى مستوى الإنتاج الذاتي.. لهذا تبقى كل التنظيرات لحد الساعة من قبيل الشعارات ليس إلا! [1].

الصحوة الإسلامية بين التجديد والتطرف:

قامت الصحافة وكتابات علماء الاجتماع والسياسة، من الغربيين والشرقيين، بإضفاء نعوت مختلفة في وصف ظاهرة العودة إلى الجذور الإسلامية . قال البعض أنها نهضة أصولية أو يقظة أو صحوة، وقال آخرون أنها تشدد أو تجديد أو دعوة إلى الإسلام وما اختلاف الوصف هذا إلا نتيجة شمولية الصحوة، أما التركيز المبالغ به حول الطابع السياسي للحركة الإسلامية فيهدف إلى تحوير للمغزى الحقيقي لدور الإسلام وإلى حصر (الصحوة الإسلامية) ببعض الحركات الإسلامية أو ببعض فصائلها والحقيقة أن الصحوة تشمل جميع قطاعات المجتمع وليست محصورة بحركات سياسية محددة فحسب"[2] وبهذا ظهرت تسميات متعددة منها: "الإسلام المذهبي" و"المهدية" و"العودة إلى الإسلام" و"الزحف الإسلامي.

([1]) المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! المصطفى البرجاوي -مريرت 2008م ص18-19

([2]) جان فرانسوا بأيار وآخرون، تقديم وتحرير رضوان زيادة، الإسلام والفكر السياسي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000، ص49.

ومصطلح الصحوة، والذي أطلق حديثا على الحركة الإسلامية الإصلاحية الحديثة، هو مصطلح يتركز معناه أساساً على "العقيدة الإيمانية الروحية التوحيدية" التي قال عنها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:"لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أوله"، وهو الرجوع إلى التعاليم الإسلامية الصحيحة والشاملة للقول والفعل عقيدة وسلوكا ومعاملات وكل ما يستلزم ذلك من التفتح العلمي التكنولوجي الحديث[1]، كما أنه يشير إلى جهود إحياء دين الإسلام في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ويعتبر لفظ "الصحوة"، لفظاً حديث الاستعمال من حيث دلالته في هذا المجال. والأصل في الصحوة هو الأفاقة أو الاستيقاظ من النوم. تقول صحا إذا أفاق أو استيقظ من النوم. ثم استخدم اللفظ في كل ما يكون تنبيها من بعد غفوة أو غفلة أو غُيّب عن الوعى بفعل سكر أو تخدير. والإنسان الصاحى هو الذى لا يغيب عن الوعى بما فيه مصلحته، بحيث لا يستطيع غيره أن يخدعه بأى حال من الأحوال. والصحوة حين تضاف إلى مفاهيم مثل مفاهيم القومية، أو الوطنية، أو الإسلام، أنها تعنى أن الأهداف القومية، أو الحقوق الوطنية، أو الإسلامية، أخذت حظها من عقول الناس بعد غيبةٍ جاء بها التخلف أو فرضها الاستعمار. وتعنى أن الناس قد تنبهوا، بعد غفلة، إلى ما فيه مصلحتهم عن طريق الأهداف القومية، أو الحقوق الوطنية، أو القيم الإسلامية، وأنهم سوف يمارسون حياتهم في المستقبل على أساس ذلك، حسب ما تمليه الظروف والمناسبات. والأصل في الإسلام إخلاص الوجه لله، والخضوع لإرادته في كل أوامره وكل نواهيه.

والصحوة في الأصل هي القوة الواعية في الإنسان، ويعبر عنها بالقلب أو الفؤاد أو العقل، وهي عودة الوعي والانتباه بعد غيبة، وقد يعبر عنها (باليقظة) فطبيعة الأمة المسلمة لا يستمر نومها وغيبها عن الوعي زمانا[2]. وعلى هذا الأساس، تكون الصحوة الإسلامية هى تنبيه الغافلين من الناس على ما في الإسلام من قيم، وعودة الإسلام إلى الحياة بعد غيبة عنها، بفعل الاستعمار والتبعية الثقافية، والغزو الثقافي، وما إلى ذلك من كل عمل يبعد الإسلام عن

---

(1) الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1- جمادى 2 1404/ مارس 1989 -تصدر عن وزارة الاوقاف المغربية
http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6152

(2) للمزيد ينظر: يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي، الدوحة، د.م، 1998، ص11-12.

الساحة، ويحل محله الأنظمة البشرية الأخرى. فالصحوة الإسلامية هنا تنبّه بعد غفلة وعودة بعد غيبة وحركة بعد سكون وجمود. والهدف كما لا يخفي هو إدارة شؤون الحياة في المجتمع على أساس من القيم الإسلامية [1].

أما المعنى الاصطلاحي للصحوة، فيعني تلك الحركة المتطورة الحديثة المباركة القائمة على أساس الدعوة إلى الله، والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح من نكران الذات ووجوب الثبات على العقيدة، مع تطبيق الشريعة والأخذ بكل وسائل التطور العلمي والفكري مادياً وروحياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً وعسكرياً وحضارياً وتاريخياً، وكل ما يدخل في إطار مفهوم الصحوة من أجل ترك الجمود والخمول والتزمت والركود والغفلة والتقهقر جانباً، ثم الأخذ بكل وسائل التقدم العلمي بكل آفاقه وشعبه ومعارفه تكنولوجياً وجيولوجياً وبيولوجياً واقتصادياً وتربوياً. [2]

بهذا المفهوم المنطقي الموضوعي الواقعي لحقيقة "الصحوة الإسلامية " يستطيع المسلمون فرض وجودهم، وهذا بدوره لا يتأتى لهم إلا إذا تسلحوا بسلاح العلم وقوته وسلطانه مع سلاح الإيمان. وهذا يعنى أن يؤصل المسلمون حياتهم بصورة تلتزم بقطعيات حقائق الوحي، بما يكفل حقوقهم في الكرامة، والحرية، والعدالة، والمسأواة، والسلام، والأمن والمعيشة الكريمة، وتحقق استصحاباً للنافع من حضارة العصر.

ويجب ملاحظة أن المدلول الاصطلاحي الديني المراد للصحوة هو لفظ مناقض تماماً للمعنى الغربي للأصولية بكل سلبياتها، بل يمكن اعتباره مرادف للفظ "النهضة "مثلا، أو لفظ "اليقظة" أو لفظ "الانبعاث" أو ما شابه ذلك من دلالات الألفاظ الحضارية التي برز استعمالها إبّان النهضة العربية الحديثة منذ بداية القرن العشرين، ولكن لفظ الصحوة يعتبر أبلغ وأنسب في دلالته المعنوية والمجازية بالقياس إلى الألفاظ الحضارية الأخرى التي سبقته في الاستعمال إبّان بداية القرن العشرين، كلفظ الحركة – النهضة – الانبعاث – الثورة.. إلخ. وذلك أن دلالة هذه الألفاظ هي دلالات كانت تركز معانيها أساساً على "العقلية الوطنية"

---

[1] الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى - مركز دراسات الوحدة العربية- ص39-40

[2] الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1- جمادى 2 1404/ مارس 1989 -تصدر عن وزارة الاوقلاف المغربية
http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6152

رغبة في التحرر السياسي الوطني ورغبة في الانعتاق والحرية والاستقلال، بمحاربة الدخيل عن طريق إثارة الحماس الجماهيري ضد الاستعمار باسم الوطنية، وحتى إذا سلمنا بحضور "العقيدة الدينية والروحية" بجانب العقيدة الوطنية كما رأينا في الدور الذي قام به الأزهر والقرويين مثلاً، فإنه مع ذلك تبقى "العقيدة الوطنية" هي المركز الأول نظراً للظروف المعاشة المتمثلة في المواجهة المباشرة للعدو، ونظراً لمخلّفاته وأساليبه التي كانت مجسدة بالدرجة الأولى في سياسة التفقير والتجهيل والتجويع وتشويه العقيدة الدينية بمعالم الخرافات والشعوذة والاستسلام والرضا بالقضاء والقدر[1]. وهذا يعنى أنه يمكننا اعتبار الصحوة الإسلامية وتعريفها بالظاهرة الاجتماعية التي تعني عودة الوعي للأمة وإحساسها بذاتها واعتزازها بدينها وكرامتها واستقلالها السياسي والاقتصادي والفكري وسعيها للنهوض بدورها الطبيعي في بناء حضارة الإنسان باعتبارها خير أمة أخرجت للناس"[2].

جذور الصحوة الإسلامية

أن الصحوة الإسلامية التي انطلقت في الربع الأخير من القرن العشرين وما زالت تتسع حلقاتها تعود إلى عوامل ذاتية وأخرى خارجية. فبعد عصر النهضة الأوروبي وسقوط الـ800 عام للحكم الإسلامي في إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر، بدأت فترة الانحطاط الطويل والمطوّل في معظم العالم الإسلامي. بسبب عوامل تاريخية واجتماعية متعددة. فالتقدّم الذي بلغته في العلم والتقنية، مثل اختراع الجبر، فقد زخمه وتوقّف في النهاية[3]. فالعالم الإسلامي، وبعد مرحلة تاريخية عظيمة من النبوغ والمجد تحكم فيه الاستبداد سياسياً واقتصادياً، وجثم عليه الجمود فكرياً، وهي حالة تدهور مكنت الاحتلال الأجنبي الأوربي من احتلال أراضي المسلمين احتلالا مباشراً أو غير مباشر. والحضارة الأوربية المحتلة في عصورها الوسطى كانت تعاني حالة ظلامية أنقذها منها ما أشعّ فيها من إشراقات الحضارة الإسلامية . ولكن الحركة التاريخية التي حدثت هي أنهم بالرافع الحضاري الإسلامي طوروا قدراتهم الفكرية والتكنولوجية والاستراتيجية فصارت قدراتهم الأقتصادية والعسكرية لا تجارى، بينما

---

(1) الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان

(2) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

(3) خطر الأصولية الإسلامية ونفاق الإمبريالية - لال خان،-باكستان، أكتوبر 2000 - ترجمة نديم المحجوب

تراجعت قدراتنا فصارت بلداننا ضحايا للغزاة المحتلين[1]، مما أدى إلى استعمار أغلب العالم الإسلامي من قبل الغرب الصاعد.

ولكن ونتيجة لعوامل عديدة، بدأت خلال القرن الثامن عشر حركات الصحوة بالظهور في أجزاء عدة من العالم الإسلامي، حيث بدأت القوى الإسلامية بفقدان سيطرتها على الأراضي الطرفية، وتزامناً مع هذا، كان الغرب قد بدأ عصر النهضة وشرع في فصل الكنيسة عن الدولة، حيث بدأت تزدهر العلوم والفنون والفلسفة والاكتشافات الجغرافية والعلمية. ولما كان الرفاه السياسي للأمة، شأناً مقدساً بالنسبة للمسلمين، حيث يكلفهم القرآن بمهمة مقدسة وهي الإعمار الاقتصادي الذي يوفر للجميع العدل والمساواة والكرامة الإنسانية، لذا فعلى المسلمين حسب تعاليمهم الدينية، بذل جهدهم لمحاربة الفقر وفساد الدولة. وفي القرن الثامن عشر، كان المسلمون الإصلاحيون واعين تماماً أنهم لن يستردوا نفوذهم وهيبتهم الضائعيْن، إلا بالعودة لأصول عقيدتهم، حينها سيكون الله هو الكفيل برد هيمنتهم السياسية وليست الأسباب المادية. حينها بدأت في البلاد الإسلامية عدة محاولات لإحياء علوم الدين [2].

وقد استطاعت الشعوب الإسلامية أن تتحرر سياسياً وعسكرياً من الاستعمار نسبياً، أو على الأقل ظاهرياً، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية إلى بداية الستينات.. إلا أن رواسب الأستعمار ومخلفاته وأساليبه الأيديولوجية وغزواته الفكرية التي حأول بها استعمار تلك الشعوب استعماراً أيديولوجياً، عن طريق تشويه العقيدة لتفتيت صفوف المسلمين ظلت قائمة، وبالتالي تمزقت صفوف الدول العربية والإسلامية وأنقسمت على نفسها في شكل تكتلات متناحرة بعضها منحاز لهذا المعسكر، وبعضها منحاز للمعسكر المضاد من المعسكرات الغربية شيوعية كانت أم إمبريالية.

وأمام هذا الوضع المتدهور صحا المسلمون صحوتهم تلك، وتنبهوا لما يحدث بهم"، فعرفوا مكمن الداء الذي ينخر جسمهم فإذا بهم يجدّدون تلك الحركة النضالية المجاهدة الإصلاحية الدينية على يد دعاة إسلاميين متفتحين متطورين، وعلى يد شعوب عربية إسلامية فأطلق على

---

(1) الصحوة الإسلامية في هذا العصر الإمام الصادق المهدي

(2) الوهابية ثم داعش: كيف كانت السعودية نبعًا للإرهاب العالمي - كاترين ارمسترنغ موقع اهل القرآن، - 31-3-2015- الرابط:
http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_news.php?main_id=34565

هذه الحركة الإصلاحية الدينية الجديدة اسم "الصحوة الإسلامية " كدعوة ثورية عقيدية إيمانية مناهضة للأساليب الاستعمارية الرامية إلى تجريد المسلمين من العقيدة الروحية التي كانت وما تزال تجمع شملهم. وهكذا، ومنذ بداية السبعينات، انعقدت في إطار هذه الصحوة الإسلامية مؤتمرات وندوات ولقاءات وتجمعات باسم الإسلام وباسم تعاليمه بقصد توحيد الصف، وإعادة الكرة من جديد، حتى تعود للمسلمين عزتهم تلك التي أضاعوها، وحتى يترفعوا عن تلك الحزازات الشخصية ليعملوا من أجل مصلحتهم العامة سياسياً وعسكرياً واجتماعياً واقتصادياً...[1]

وهكذا جاءت الصحوة الإسلامية المعاصرة، كامتداد للحركات السلفية، ولمدارس التجديد من حيث سندها الفكرى، وترتبط بمدرسة الأفغانى ومحمد عبده والكواكبى وخير الدين التونسي وابن باديس. وبرزت في عصرنا كرد فعل على العلمانية في المجتمعات العربية، وفشلها في أن تشبع الحاجات الروحية في المجتمع العربى. وهى من جانب آخر رد فعل في وجه التحديات الحضارية المعاصرة بمختلف مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهى منجاة في وجه الاستلاب المسلط على المجتمع العربى[2]. يقول المستشار طارق البشري: لقد أرسى الأفغاني فكرة الإسلام المجاهد، وأضاف "محمد عبده" فكرة التجديد في الفقه، والتفسير، وتابع: "محمد رشيد رضا" الربط بين التجديد والسلفية والتفاعل مع السياسات الوطنية، وأضاف "حسن البنا" شمولية الإسلام والترابط الوثيق بين العقيدة والشريعة والسياسة، وبين الفكر والتنظيم الحركي[3] .

ولابد من الإشارة في هذا الصدد إلى التقاء الصحوة المعاصرة في سندها التاريخى بتراث الحركات الوطنية في الأقطار العربية المختلفة، وهى حركات عرفت بطابعها الإسلامي، بل اتخذ الكثير منها من الجهاد بمفهومه الإسلامي مبدأً أساسياً في نضالها ضد الاحتلال الأجنبى، ونذكر هنا على سبيل المثال بالثورة المهدية في السودان، وبالمقاومة السنوسية في ليبيا، وبثورة الأمير عبد القادر في الجزائر، وبالجمهورية الإسلامية في الريف، وبإنتفاضة الفلاحين في

---

(1) الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1 - جمادى 2 1404/ مارس 1989

(2) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى - مركز دراسات الوحدة العربية - ص18

(3) طارق البشري، الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، ص 168

الجليل 1936-1939 وبنشاط المجلس الإسلامي في القدس بقيادة المفتى الحاج أمين الحسينى، وبالمشاركة الفعالة للاخوان المسلمين في مصر وبلاد الشام في معركة فلسطين عام 1948، وبالحركة المسلحة إلى قادها الأخوان المسلمون في مصر ضد الإنكليز في معركة الجلاء عن القنال، وبالثورة الجزائرية أيضاً[1].

الإعتراض على مسمى الصحوة

اعترض كثير من العلماء على مسمى الصحوة الإسلامية واضافتها إلى الإسلام، في حين أن الأمر، حسب رأيهم، يتعلق بصحوة المسلمين والشعوب لا بصحوة الإسلام، وتسائلوا: هل هناك (صحوة إسلامية) بمعنى صحوة الإسلام؟ أم أن القصد هو (صحوة المسلمين) المتنفضين على واقع أليم مرير وظالم، فعادوا إلى الإسلام الذي حمل في طياته معأني ومكتنزات تطوره وصلاحيته لكل الأزمنة والعصور، وبالتالي (صحوا) على حقيقة أن ابتعادهم عن الإسلام الأصيل، هو ما أدى بهم إلى الوقوع تحت سيف التسلط والاستعباد والظلم، وأن العودة إلى النهج المحمدي الأصيل، والصراط المستقيم، هو ما يمكن أن ينقذهم مما ابتلوا فيه؟ فتكون عندها الصحوة الإسلامية هي انتفاض على الواقع المرير، لتعيد الأمور إلى نصابها القويم[2]. وقد تعددت وجهات نظر العلماء في هذا المجال:

1-يقول د. محمد خلف الله: الصحوة الإسلامية مصطلح حديث اطلقته الجماعات الدينية على ما تقوم به من أعمال في سبيل تحقيق الدولة الإسلامية، والسبيل إلى ذلك قد يكون بالجدل بالتى هى احسن عندما يكون المستهدف هو بناء المجتمع المسلم. أما حين يكون المستهدف اقامة الحكومة الإسلامية فأن السبل تكون شاقة عسيرة، وتكون بالنضال وبالجهاد في سبيل الله... والمصطلح الذى يليق بهذا العمل هو مصطلح الثورة الإسلامية وليس مصطلح الصحوة الإسلامية . والجماعات الدينية التى تعمل في ميدان الصحوة الإسلامية تعلم ذلك... وعلم هذه الجماعات بهذه الحقيقة، هو الذى دفع بها إلى أن تحمى نفسها بالعمل تحت مصطلح الصحوة الإسلامية وعياً منها بأن مصطلح الثورة الإسلامية يجعلها تحت طائلة قانون العقوبات... أن مصطلح الصحوة الإسلامية هو الأداة التى تتقى بها الجماعات

---

(1) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى - مركز دراسات الوحدة العربية- ص123-124

(2) الصحوة الإسلامية إشكالات ومواقف وتطلعات بقلم: الدكتور طلال حاطوم

الإسلامية ما يمكن أن تتعرض له من خطر، أن هى عملت في اطار المصطلح الذى يليق بعمليات النضال وعمليات الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال وهو مصطلح الثورة الإسلامية [1].

2- يقول الشيخ بكر أبو زيد حول مصطلح الصحوة: هذا وصف لم يعلق الله عليه حكماً فهو اصطلاح حادث ولا نعرفه في لسان السلف جارياً، وجرى استعماله في فواتح القرن الخامس عشر الهجري في أعقاب عودة النصارى إلى (الكنيسة) ثم تدرج إلى المسلمين، ولا يسوغ للمسلمين استجرار لباس أجنبي عنهم في الدين، ولا إيجاد شعار لم يأذن الله به ولا رسوله، إذ الألقاب الشرعية توقيفية: الإسلام، الإيمان، الإحسان، التقوى، فالمنتسب: مسلم، مؤمن، محسن، تقي فليت شعري! ما هي النسبة إلى هذا المستحدث (الصحوة الإسلامية): صاحٍ أم ماذا ؟؟"[2].

3-يقول د. مصطفي الفيلإلى: شاعت كلمة الصحوة في ما نكتبه عن أوضاعنا الاجتماعية والفكرية والسياسية، وفي ما يكتب عنها غيرنا خارج الوطن العربى بغير اللغة العربية، وتعددت مدلولات الكلمة وحصل بين هذه المدلولات تضارب في المضمون والمقاصد. البعض يقول أنها ثورة إسلامية تسعى إلى تغيير الأوضاع بالقوة والبعض قال أنها لا تزيد عن أن تكون تململ سطحي عارض والجابرى يقول أنها تجديد وامتداد للسلفية[3].

4- يقول الشيخ صالح الفوازن: أنا لي تحفظ على استعمال هذه الكلمة (الصحوة الإسلامية) لما فيها من جحود العلماء المصلحين المستمرة في كل زمان، وجحود للبقايا الصالحة من هذه الأمة التي لا تخلو منها الأرض إلى قيام الساعة. والذين يتكلمون عن الصحوة يؤرخون لها من تاريخ قيام ونشأة فرقة الإخوان المسلمين بمصر على يد مؤسسها ومرشدها حسن البنا، متناسين جهود المصلحين في كل مكان والتي كانت ذات ثمرات حقيقية، وليست مزيفة، وقامت على التوحيد، وخصوصاً التي قامت في الجزيرة العربية. كما أن هذا المصطلح الحادث: يشعر بأن الأمة الإسلامية كانت نائمة أو في غيبوبة أو سُكر[4].

---

(1) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى - مركز دراسات الوحدة العربية- ص37-38

(2) معجم المناهي اللفظية- الشيخ بكر أبو زيد ص326-327

(3) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى - مركز دراسات الوحدة العربية- ص338

(4) الفكر الاسلامى - محمد اركون- ص10

5- يقول الشيخ محمد الغزالى : إن كلمة الصحوة الإسلامية جديدة على مسامعنا نحن المشتغلين بالعمل الإسلامي من عشرات السنين... كان الإخوان يقولون عن دعوتهم: الحركة الإسلامية أو الفكرة الإسلامية، أو ما شابه ذلك ويبدو أن كلمة الصحوة الإسلامية التى شاعت بعد نجاح ثورة الخميني إطلاق أجنبى !(1).

6-يرى بعض العلماء أن كلمة الصحوة قاصرة الدلالة، ضيقة المدى، لا تفي بها في الظاهرة من صفات العمق والشمول والاستمرار. ذلك أن الشعور بالانتماء الديني والانتصار للدين لم يَخَفتْ في فترة من الزمان، ثم أفاق ذات يوم.. ولا تعدو الكلمة في نظر بعض الكُتَّاب عن أن تكون دسيسة أجنبية واردة من خارج المجال الثقافي الإسلامي،... لأن محتواها في الدين المسيحى.. ولذا يرى البعض أن هذا الزمان الذى تذكر فيه الصحوة وهي لست بصحوة، وأنها غفلة عن العلم وطلبه(2).

7-يقول البعض أن لفظ الصحوة أُطلق للتقليل من شأن التحول الجذري في عمق المجتمع العربي، وللإيهام بأن المقاصد المطلوبة من وراء هذا التحول مجرد مقاصد فكرية وجدانية، وأن المجتمع قد صحا وأفاق ولا حاجة به إلى مزيد من الجهد والاستنفار، وأن الواقع جزء من القديم.. وأن مماثلة ذلك القديم اقصى ما يحق طلبه في إنشاء المستقبل كما تقول به الفئات المحافظة من السلفية الأصولية، فيصبح لفظ الصحوة مقترناً بمعانى الفشل والإحباط وأبخس مراتب القناعة والقعود، واجترار التراث المتبقي، فيستمر استعمالها على مضض وحذر كبير(3).

الصحوة الإسلامية أهدافها ومبادئها ومظاهرها:

الصحوة الإسلامية تهدف بمفهومها العام للحفاظ يقيناً، على هوية الأمة موحدة من غير تبديلٍ ولا انحرافٍ ولا تغييرٍ للمحتوى ولا لبس للباطل ولا تقليد أعمى...فالصحوة مرداها حماية معالم الهوية تميزاً عن الغير ومطابقةً للذات...وهذه بعض النقاط العامة التي تبين كيف من الممكن للصحوة الإسلامية أن تلعب دوراً رئيساً في رسم وحدة هوية الأمة.

---

(1) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى – مركز دراسات الوحدة العربية ص100

(2) من كتاب (المجموع في ترجمة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري وسيرته وأقواله ورحلاته) تأليف وجمع وترتيب عبد الأول بن حماد الأنصاري. ص583.

(3) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى – مركز دراسات الوحدة العربية–ص339

1- بناء الإنسان المتكامل، ليكون بحجم التحدي، وتربيته على أخلاقيات عقائدية تمنحه المناعة الحضارية المطلوبة، ولعل أهم مرحلة في هذه التربية العمل على إشاعة وترسيخ القيم العقائدية والإيمانية؛ لأن بها وقف الجيل الأول من الأمة في وجه كل اختراق، واستطاعوا ترسيخ المبادئ العامة للإبداع الحضاري، الذي يكرم الإنسان كيفما كان نوعه ولونه وجنسه. فبدون هذه الخطوة الأساسية ومع تفشي آفة القطيعة بين العقيدة والسلوك في حياة المسلم المعاصر لن يكون بإمكاننا الوقوف طويلاً في وجه الزيف الحضاري القادم.

2- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي أصابت ثقافتنا، مما أدى إلى انحراف الفرد والمجتمع، فالتوكل أصبح تواكلاً، والإيمان بالقدر أصبح عجزاً وقعوداً عن العمل، والزهد أصبح خمولاً وقعوداً عن العمل، والعبادة رهبنة وانقطاع عن الحياة، وذكر الله أصبح تمتمات وهمهمات وأقوال بلا أفعال.

3- تجديد الخطاب الثقافي الإسلامي وتطويره، بحيث يلائم روح العصر مع ضرورة الحفاظ على أصالة الثقافة الإسلامية ومضمونها من أجل خدمة الهوية الإسلامية .

4- إيجاد بيئة صالحة للحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة يسودها لغة العلم والحوار، ويطغى عليها ثوب الأدب والرشد، وغايتها الوصول لحالٍ وأحد يجمع شتات الأمة وإن اختلفت اجتهاداتهم الفقهية.

5- الانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي، من خلال استراتيجية تضمن إيجابية هذا الانفتاح؛ وعدم ذوبان الشخصية الثقافية، بسبب الانهيار والاغتراب عبر منافذ الاختراق والتغريب. والإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة[1].

وإذا كانت الصحوة الإسلامية تعمل جادة في كل الميادين والمجالات بقصد تحقيق هدفها، المتمثل أساساً في "إعادة العزة للمسلمين" تلك العزة التي أضاعوها من أيديهم لأسباب يعرفها الجميع – فإن هدف العزة هذا يشمل كل ما من شأنه أن يرفع راية الإسلام والمسلمين

---

(1) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة) - المؤتمر الدولي الـ 26 للوحدة الإسلامية. طهران 2013 « - المجمع لالعلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية- الرابط :
http://taghrib.org/pages/content.php?tid=168

علمياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وفكرياً وروحياً ومادياً واجتماعياً[1]. من هنا فأن للصحوة الإسلامية " المباركة "مبدءاً" واحداً ووحيداً تعمل من أجله، وتسعى لتحقيقه، يتمثل في الرجوع إلى الله وإلى ما كان عليه السلف الصالح.. الرجوع إلى الله بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ من ترسيخ الإيمان في النفوس، وتدعيم لثقة المسلمين بنفوسهم، وتقوية عنصر التقوى والخشية من الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه مع نكران الذات في سبيل المصلحة العامة حسب ما هو مبين ومفصل في القرآن والسنة قولاً وفعلاً وسلوكاً ومعاملات، مع فتح باب الاجتهاد من جديد فيما يصح فيه الاجتهاد من الأمور والقضايا والنوازل المستجدة التي لا نص لها.. كما أن للصحوة الإسلامية أهداف تسعى جاهدة في تحقيقها، تتمثل أساسا في: "إعادة العزة للمسلمين".. تلك العزة، وتلك القوة وتلك الشوكة والمنعة التي كانت لهم في صدر الإسلام، والتي جاءت مصداقا لقوله تعالى لهم يومذاك:"ولله العزة ولرسوله وللمومنين".

وبناءً على ذلك فإن كل مظاهر الصحوة الإسلامية، منذ تحكم الاحتلال المباشر لبلداننا ثم الاحتلال غير المباشر، تتطلع لصحوة تقضي على الجمود الفكري وتطلق عقال الاجتهاد؛ وتقضي على الاستبداد وتحقق الحرية والعدالة، وتقضي على الاحتلال المباشر وغير المباشر لتحرير الإرادة من تحكمه، وتحقق السلسلة الفاضلة التي تنجز التأصيل والتحديث بصورة تجسد هوية الأمة وتستصحب إنجازات الحضارة الإنسانية.

لقد كانت الصحوة الإسلامية حدثاً تاريخياً له دلالته الواقعية، فهي جاءت من جهة بعد الجهد الكبير الذي بذلته القوى الصليبية والصهيونية، على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان لزحزحة الأمة المسلمة عن دينها وسلخها منه، وتجيء من جهة أخرى والبشرية في أحد منعطفاتها التاريخية، وقد بدأت تيأس من حضاراتها المادية الجافة، وبدأت تتطلع إلى المخلّص والمنقذ الجديد[2]. لذا فقد كانت هذه الصحوة، صحوة للأمة الإسلامية من سكرتها التي عاشت فيها عقوداً متطاولة، ويقظة من نومها الذي دام سنين عدداً، وانتباهة من غفوتها التي

([1]) الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1- جمادى 2 1404/ مارس 1989 -تصدر عن وزارة الاوقلاف المغربية
http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6152

([2]) محمد قطب:واقعنا المعاصر، بتصرف يسير، ص 12.

ظلت فيها دهراً مديداً. وكان الحدث السعيد الذي بهر العالم، وحيت به الأمة الإسلامية بعد موات، وعلى خلاف توقعات كل المتوقعين، وبرغم إرجاف المرجفين، وتخذيل المنافقين، نهض شباب الأمة، بل وشيوخها وأطفالها ونساؤها يعاضدون هذه الصحوة، كل على قدر ما يستطيع[1]، و أصبحت الرغبة في الإسلام تياراً ذاتياً عند الشباب وغيرهم من فئات المجتمع، وهذا التيار لا يتعلق بحركة أو جماعة إسلامية معينة، بل لا يتعلق أحيانا بأي جماعة على الأطلاق[2].

وقد تنبأ لهذه الصحوة أساتذة الاجتماع والسياسة والمصلحون فهذا المفكر سيد قطب يبشر بالصحوة في كتابه «المستقبل لهذا الدين» وكذلك أستاذ العلوم السياسية حامد ربيع، بل أن جميع القيادات الفكرية والسياسية العالمية توقعت هذه الصحوة منذ ستّين عاماً.[3]

وهنا فأننا بالرغم من تيقننا بأن توجُّه المسلمين للإسلام في هذا العصر بكل مغرياته، إلا أن هذا التوجهه يتم تشويهه وحرفه عن مساره الصحيح بطريقة متعمدة، تشارك في ذلك الصليبية العالمية والصهيونية، مستغله بعض ضعاف النفوس وبعض الثغرات في فكرنا الإسلامي، والأهم من ذلك الفكر الوهابي المتطرف والمسلح بمليارات النفظ و أوساخه لتشويه هذه الصحوة، ولذا ظهرت كافة التنظيمات الإرهابية المتطرفة التى أصبح خطرها على الإسلام والمسلمين اكثر من الخطر الصليبي الصهيوني. وعلى العموم يمكن رصد أهم مظاهر الصحوة بالآتى:

- أن الصحوة واقع حى، وليست وهماً مفتعلاً، ولا اجترار لماضٍ مجيد أو تفاؤلاً بمستقبل ممكن. فهى تسجيل لواقع مشهود نعاصره ونلمس دلالاته كل يوم في العديد من مجالات الحياه الاجتماعية والفكرية والسياسية لعصرنا هذا. فليست الصحوة الإسلامية فزاعة تحركها قلة مؤمنة مغتربة عن الواقع المعاصر، منفية في تصوراتها الماضوية لإسلام انتقائى ناصع، بل غدّت اليوم حقيقة حاضرة في الواقع النخبوى والشعبى في المدن والقرى والأرياف، واصبحت عاملاً كبيراً بين عوامل التغيير والمبادرة في المجتمع العربى[4].

---

(1) الصحوة الإسلامية وتحديات الدور التربوي رضا أحمد صمدي

(2) انظر رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر محمد قطب ص 242، واقعنا المعاصر له أيضاً ص 536.

(3) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

(4) الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى – مركز دراسات الوحدة العربية– ص240

- من مظاهر الصحوة الإسلامية تقويض التغريب الذي غزا البلدان المسلمة، حيث كانت الصحوة الإسلامية رداً لنهج التغريب الشائع في الكثير والعديد من البلاد الإسلامية، وما شهدته من أشكال إعادة الأسلمة، في حين تمت صحوة أخرى اعتمدت العنف والتسلح منهجاً لها.
- انتشار الدعوة الإسلامية في صفوف المثقفين من أطباء ومهندسين ومحامين ومعلمين، وغيرهم من أصحاب الثقافات الحديثة، وتوبة عدد كبير من الممثلات والمغنيات وعودتهن إلى الإسلام واعتزازهن بذلك.
- عودة الشباب المسلم الذي يدرس في أوربا وأمريكا إلى الإسلام فهماً وعملاً ودعوة، ولم تؤثر فيهم الثقافة الغربية، وأيضاً عودة كثير من الشباب إلى الإسلام رغم محاولات الأحزاب العلمانية والألحادية لصرفهم عن ذلك، حتى أصبحت كثير من هذه الأحزاب تعاني من كساد أفكارها.[1]
- أصبح الكتاب الإسلامي أكثر الكتب رواجاً في الأسواق، مع كساد كتب الأدب الرخيص، والقصص الخليعة، واصبحت الندوات والخطب الإسلامية من الظواهر الاجتماعية.
- الصحوة بدأت تقريبا في عام 1970 وتتجلى في التقوى الدينية واعتماد الثقافة الإسلامية كاللباس، والمصطلحات، والفصل بين الجنسين، والتعبير والرقابة على وسائل الاعلام، والقيم من قبل المسلمين.
- أحد الأمثلة البارزة على انتشار الصحوة ودعاتها هو زيادة الحضور في الحج إلى مكة المكرمة، والذي نمى من 90000 حاج في عام 1926 إلى ما يقرب من 3 مليون حاج حاليا. ويصف المراقبون الغربيون هذه الظاهرة الإسلامية بأنها "يقظة الإسلام"، كأنّ الإسلام كان نائما فتنبّه[2].

---

(1) – فريد الأنصاري: الفطرية: بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، منشورا رسالة القرآن، 2008، ص:87

(2) الفكر الاسلامي – محمد اركون– ص10

الصحوة الإسلامية، نجاحات وإخفاقات وتطلعات

من خلال عرضنا السابق اتضح لنا أن بوادر الصحوة الإسلامية نشأت في رحم الجو الاستعبادي الذي جثم على العالم الإسلامي إبّان العهود الإستعمارية، وهذا دفع أبناء الأمة المخلصين والعقول المفكرة والمدبرة، لكي تتلّمس لهذه الصحوة أنموذجاً تقتدي به، وقبلةً تيمم شطرها نحوه. وهنا فإنه لا يجوز أن نجحد أنه قد كان في صفوف تلك الصحوة دخلاء ومتطفلون ومتسلقون بل وعملاء وخونة. وبعض المخلصين من أبنائها أنطلت عليه أحابيل الأعداء فسلك طريقاً في مساعدة الصحوة أدى بها فيما بعد إلى انحرافات ومجازفات. وحتى لا يسوء الفهم فإننا لا نستطيع أن ننكر أن الصحوة عندما بدأت، حققت انتصارات متوالية، وزحفت زحفاً مؤزّراً في كل الأرجاء، مما ينبئ عن مقدار القبول الذي حظيت به في قلوب الناس. وفي عصر كان التغريب فيه دين الأكثرية، صار الإسلام يكتسح القلوب دون عائق، وصارت الجماهير الإسلامية تنادي صراخاً وهمساً، بالعودة إلى دين الله تعالى. وكان هذا في حد ذاته انتصاراً باهراً ونجاحاً ساحقاً، بالمقارنة بما كانت تعانيه الأمة من ضعف وهوان وتبعية [1]

وهكذا فإن الصحوة الإسلامية لم تكن عملاً مفاجئاً، بل كانت تعبيراً عن معاناة الشعوب الإسلامية منذ أن خضعت بلادها لهيمنة الأجنبي، وفرضت عليها أحكاماً غير عادلة، فبثت سموم الحضارة المستوردة في المجتمعات الإسلامية . فأخذت هذه الشعوب تتحسس بوجود حالةٍ من التناقض الكبير بين إيمانها برسالتها وعقيدتها من جهة، وبين المدّ الحضاري الجديد الذي يعمل على سلخها من هويتها وعقيدتها والتزامها من جهةٍ أخرى، فانطلقت صيحات الرفض من المخلصين والمصلحين من أبنائها الواعين، وفي بقاع مختلفة من العالم الإسلامي، لكل ما هو غريب عن جسم الأمة وفكرها وقيمها الحضارية الخالدة.[2]

وقد نجحت الصحوة في إعادة ملامح العقيدة الصافية إلى قلوب الناس، عقيدة أهل السنة والجماعة، والسلف الصالح من الصحابة والتابعين، نعم ... لقد أنتصرت هذه العقيدة، وكان لها النصر المؤزر في كل الميادين، فاتجهت منذ مهدها إلى كتب التراث العتيقة، تبحث عن

---

(1) الصحوة الإسلامية وتحديات الدور التربوي رضا أحمد صمدي- موقع صيد الفوائد-
https://saaid.net/Doat/rida-samadi/22.htm

(2) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

المَعين الذي نصر أجيال المجد الإسلامي القديم، فوجدت أن نصرهم أنها أنبنى على منهج عقدي وعبادي وأخلاقي ثابت، هو ما كان عليه النبي (ص) وأصحابه وقرون الفضل والخير التي مدحها النبي (صلّ الله عليه وسلم) نصاً، والتي ظهر انتصارها على من عداها تاريخاً.

كما نجحت الصحوة في زرع العاطفة الدينية في قلوب الناس، فأصبح التديّن أمراً يتمناه كل مسلم، لولا ما يضعه أعداء الله أمام الدين من عوائق وتهديدات وتخويفات. كما نجحت الصحوة إلى حد بعيد في التميز والاستقلالية والانتشار عبر كل الميادين، أفقياً ورأسياً، كماً وكيفاً، وكان هذا الانتشار سبباً في تكثير أعدائها وممالاة شانئيها ضدها، حتى اجتمعت قوى الكفر في العصر الحديث على إعلان القرن الحادي والعشرين زمن المواجهة مع الإسلام بعد أن تخلص الغرب من العدو الشيوعي، وتفرغ لعدوهم المسلم اللدود [1]

وبإزاء كل هذه النجاحات كان هناك الكثير من الإخفاقات أيضاً، وفي نفس المجالات التي حققت الصحوة نجاحاتها. ولأجل ما قدر الله تعالى في أفعالنا من النقص، ولعزة الكمال بين الأناسي، ولأجل ضعف خبرات الصحوة، وقلة إمكانياتها، وكثرة مؤامرات أعدائها، وتسلط الكثير من ذوي الأهواء في إدارة شئونها، رأينا الكثير من الإخفاقات، ولمسنا مشاهد الفشل في العديد من الميادين التي خاضتها الصحوة [2] .

توجيه الصحوة لتحقيق التطلعات

إن الصحوة الإسلامية التي تسري في شوارع وعقول الأمة العربية والإسلامية، أن وجهت بطريقة سليمة منضبطة بعيدة عن التأثير الغربي والصهيوني ستصل بنا للصف الواحد، والكلمة الواحدة، والقلب الواحد، والحكم الواحد...نعم بالصحوة نستطيع أن نكون أقوياء لنا هيبتنا وكلمتنا، ونستفيد من خيرات أرضنا، ونستطيع التخلص من الهيمنة الاقتصادية والسياسية الغربية على الثروات العربية والإسلامية [3]. فالصحوة الإسلامية هي مستقبل أمتنا، ولكى نقوم، نحن هذا الجيل من المسلمين، بواجبنا، فإن علينا التسليم بأن للصحوة الإسلامية مراكز عديدة، ووحدة الصف فيها ليست مهمة، بل المهم وحدة الهدف، والصحوة

---

(1) الصحوة الإسلامية وتحديات الدور التربوي رضا أحمد صمدي

(2) الصحوة الإسلامية وتحديات الدور التربوي رضا أحمد صمدي

(3) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

تتطلب فهماً اجتهادياً للواجب، وإحاطة بالواقع، والتزاوج بينهما، وأن يتفق المسلمون على الالتزام بالقطعيات والتعايش مع الاختلافات الاجتهادية، وأن يوفر نظام الحكم للمسلمين الكرامة، والحرية، والعدالة، والمسأواة، والسلام، والأمن، والمعيشة. فإذا وفرها فلا غبار على أي شكل يتخذ. والصحوة تتطلب أن يتحد المسلمون اتحاداً فضفاضاً يراعي مصالح الشعوب القطرية، والقومية، والإقليمية، وينظم الوحدة بينهم فيما دون ذلك.(1)

الصحوة اليوم غدت مطلباً أساسياً وهدفاً رئيساً لكافة الأطياف الإسلامية السياسية منها وغير السياسية. لذا ينبغي لهذه الصحوة أن تكون منضبطة واعية مستقرة ذات أهداف وغايات واضحة المعالم. يقودها أهل العلم والفقه ويرسم لهم معالم الطريق أهل الحل والعقد بكل عصر... ترّسخ التاريخ وتبني المعارف وتزيل كل مخالف وتوحد الصف، وتتبنى الكلمة الواحدة والقبلة الواحدة والهدف الواحد....نعم الصحوة هي الوحدة بكل ما فيها من معاني إيجابية.. وهي ضد الفرقة والأختلاف والمعاني السلبية (2) .

لذا فإن على الصحوة الإسلامية وأنصارها، أن تقدم اجتهاداً ينقذ المسلمين من التباين الثنائي: سنة- شيعة. فكل المسلمين سنة بمعنى اتباع قدوة محمد (صلّ الله عليه وسلم). وكل المسلمين شيعة بمعنى القول بمكانة خاصة لآل البيت، والجميع يرددون ذلك في التشهد في صلواتهم. صحيح طرأ على هذه المعتقدات مرارات تاريخية، ومفاهيم مذهبية. ينبغي التخلي عن تلك المرارات باعتبار أن تلك أمة قد خلت، واعتبار المفاهيم المذهبية المختلفة ملزمة لأصحابها وحدهم. فلكلٍ أن يعتقد ما يشاء، ولكن الجميع ينبغي عليه التطلع لإحياء الإسلام على أساس الالتزام بالقطعيات واستصحاب المستجدات بما يوفق بين العقل والنقل. وينبغي اليوم أن نكون جادين مع موضوع الصحوة فهماً وتنظيماً وتربية.....وأن نعمل بجهدٍ متواصلٍ مدروس لإزالة كل معيق لها داخلياً وخارجياً، لكي نرسم بأمان هوية وحدة الأمة. أن مقدساتنا الإسلامية وهويتنا وتاريخنا، والحفاظ عليها فرض شرعي وحضاري، لا يمكن التنازل عنه يوماً ما تحت أي مبرر. فقرآننا الكريم وقدسنا وكعبتنا وترابنا ودمائنا ووحدتنا.... كلها مقدسات مصونة شرعاً وعقلاً (3) .

(1) الصحوة الإسلامية في هذا العصر الإمام الصادق المهدي

(2) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

(3) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

كما أن الحفاظ على الصحوة وتمكينها من تحقيق أهدافها، يتطلب الأتفاق على موقف إستراتيجي وأحد من الملل الأخرى والدول الأخرى يقوم على أساس **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} سورة النحل : 125 و{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} البقرة/ 256 وعلى أساس {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} الممتحنة/8، 9.**، وينبغي أن نصوغ هذه المبادئ في ميثاق واحد لأهل القبلة، ونعتقد أننا إذا فعلنا ذلك وصدق الفعل القول، فإن ذلك سوف يجذب إليه الشعوب الإسلامية الأخرى، وسوف تتجاوب معه الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية، بل سوف يفتح الطريق لنظام ديني فاضل، ونظام دولي عادل في العالم.

هذا هو الطريق الأمثل، والبديل له هو الاستقطاب الطائفي، والمِلّي، والدولي، وهي استقطابات في ظروف إمكانات التدمير الحالية، وإمكانات التواصل الحالية، ووسائل المواصلات الحالية؛ سوف تدفع العالم نحو الدمار، وتحقق نبوءات ظلامية، مع أن ديننا يبشر بعالم أفضل (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أن الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) الآنبياء 105 [1].

موانع ومعوقات الصحوة

تشير الكثير من البحوث والدراسات أن ظاهرة الصحوة الإسلامية هي معلم بارز في العالم الإسلامي يعود أول بوادره إلى عشرينيات القرن الماضي، وتطورت هذه الظاهرة وازداد بريقها خلال خمسة عقود من الزمن، حتى تحولت إلى أهم المسائل الفكرية السياسية على الساحة الإسلامية والعربية، خصوصاً وأنها لم تبقَ في حالة ركود، بل شهدت نمواً متطوراً إيجابياً في بلورة طروحاتها الحقيقية، واستطاعت أن تؤلف الناس من حولها، وأن تشكل حجر الرحى لاستقطاب كثيرين من غير المسلمين الذين اتخذوها أرضية ثابتة وعنواناً للنقاش والحوار، وكتبوا الكثير من الدراسات حولها، باعتبار أنها بلورت مشروعاً كاملاً متكاملاً لإدارة شؤون الحكم والحياة العامة بكل تجلياتها وتفاصيلها، خصوصاً بما يعنى منها بالإنسان كفرد وكمجموعة تتجانس وتتوافق لتشكل مجتمعاً متماسكاً متضامناً متكافلاً يستطيع مواجهة

---

(1) الصحوة الإسلامية في هذا العصر الإمام الصادق المهدي

التحديات والصعاب واستنباط الحلول لمشاكله وأزماته الداخلية والخارجية[1]، وبالرغم من ذلك فقد واجهت الصحوة تحديات كبيرة داخلية وخارجية، وتتمثل التحديات الداخلية في العديد من الظواهر، من ذلك:

1. ظاهرة تعددية الكيانات والفئات والمشاريع على الساحة الإسلامية .. مما يستهلك طاقاتها في صراعات داخلية تشغلها عن أداء دورها ومواجهة خصومها وما يُراد بها ويُعدّ لها. فليس هنالك من مشروع إسلامي عالمي وأحد في مواجهة تحدي العولمة.
2. ظاهرة اختلاف وتناقض المنهجيات الإسلامية المعتمدة، حيث طفت على ساحة العمل الإسلامي أنماط شتى من المنهجيات الموغلة في التطرف والغلو، توشك أن تعطل دورة الحياة، وسنة الأخذ بالأسباب ؟
3. ظاهرة التخلف ورفض التطور، والعمل على تأصيل هذا المنحى، بزعم أنه ابتداع في الدين.. مما يؤدي إلى الجمود عن فهم طبيعة العصر، والقعود عن الإعداد المتكافئ ومستوى العصر ؟
4. ظاهرة انكفاء وتدني المستوى التربوي، نتيجة تعطل العمل بفقه الأولويات، وغلبة النزعات الشخصية، وتعدد مراكز القوى،،وعدم ملائمة المناهج والبرامج التربوية مع تحديات ومتطلبات العصر.
5. عدم الأخذ بوسائل العصر في إعداد الكوادر القياطدية وتأهيلها، عبر دورات تدريبية، بحسب المهمات والأدوار والاختصاصات.
6. عدم الاهتمام بمعايير ومتطلبات الجودة والإتقان في قطاعات العمل المختلفة، في زمن بات الأداء والإنتاج في العالم، محكوماً بشهادة (الأيزو)، مما يخالف النص النبوي القائل: "أن الله يحب من أحدكم إذا عمل العمل أن يتقنه".

أما أهم المعوقات الخارجية للصحوة الإسلامية، فتتمثل باللوبي الصهيوني العالمي واليمين المتطرف الصليبي، حيث أن اليهود الذين لعبوا في ماضي الأمَّة أبشع أدوار الغدر والخيأنة، وجدوا الفرصة سانحة أمامهم في ظل غياب الوعي عن الأمَّة، فعملوا فيها بسياسة: (فَرِّقْ

---

[1] الصحوة الإسلامية إشكالات ومواقف وتطلعات بقلم: الدكتور طلال حاطوم - http://afwajamal.com/vb/showthread.php?t=225171

تَسُدْ)، ونجح اليهود في هذا المخطط بسبب تخلف الأمَّة الإسلامية عن القيام بواجباتها اتجاه الله سبحانه وتعالى، مما أورثها الخوف من غيره، ومن ثم الرضا بالذل والهوان والتبعية.

ثم يأتى اليمين المتطرف المسيحى من وراء الكواليس وخلف الأبواب؛ ليقف متعاونا مع اللوبي الصهيوني، ليشكل أكبر عائق نحو وحدة الأمَّة الإسلامية، وأكبر داعم لسياسة اليهود التوسعية، وقد عرضنا لمؤامرات هذا التيار ضد الأمة الغربية والإسلامية . لقد غزا العراق من أجل بني صهيون، وهو يتذرع بذريعة محاربة الإرهاب ومحور الشر لتدمير قوى الأمة. واليوم يريد النظام الأمريكي إرضاء إسرائيل بضرب إيران عسكرياً بحجة السلاح النووي... بعدما دخل سوريا بمعاونة أذناب العرب والمسلمين...فدمرت سوريا وقتل عشرات الألوف، كل ذلك خدمة لأمن إسرائيل واقتصاد إسرائيل وتحقيقاً لأحلام بني صهيون، فغدت سوريا أشلاء مبعثرة تخلت الأمة عنها إرضاء للهيمنة الأمريكية ويمينها المتطرف...وما خفي والقادم أعظم[1].

وخلاصة القول أن المشروع الأمريكي والصهيوني لا يلتقيان أبدا مع أهداف ومفهوم الصحوة الإسلامية المنشودة لتحقيق التكامل بجميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذا لن تتأخر الولايات المتحدة الأمريكية والحركة الصهيونية العالمية عن زرع بؤر التوتر والفتنة بين البلدان العربية والإسلامية، كيلا تقوم الصحوة المنشودة، وهي بذاك تحافظ على فرقة الأمة، وإبقاء الخلافات وتوسعة دائراتها، وتبقى الساحة مناسبة للعدوان الداخلي بين الأشقاء وأبناء الأمة الواحدة...وأمثلة ذلك كثيرة للأسف، فهناك المشاكل الحدودية ما بين السعودية واليمن، وهناك النزاع الداخلي بين الأشقاء في البحرين، وهناك التوتر المغربي الجزائري على الصحراء الغربية، وهناك النزاعات الطائفية الداخلية في لبنان، وهناك قتل للنهضة والقوة السورية باسم الربيع العربي، وهناك حالة الانقسام السوداني وأثرها على دول المحيط، وهناك النزاع اليميني المتعثر للإصلاح.....وهناك التآمر العربي الغربي على بعض الدول العربية والإسلامية وهناك المؤامرة الغربية على إيران لمنعها من

---

(1) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة) - المؤتمر الدولي الـ 26 للوحدة الإسلامية. طهران 2013 ، - المجمع لالعلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية- الرابط :
http://taghrib.org/pages/content.php?tid=168

النووي السلمي.... لذا نرى أن الأمة الإسلامية بالمجمل بحاجةٍ ماسة للصحوة الإسلامية، دونما تأثير أو توجيه غربي صهيوني[1].

الإسلام السياسي بين الصحوة والتطرف:

ارتبطت الصحوة الإسلامية خلال العقود الخمسة الأخيرة من القرن الماضي بجملة من التطورات السياسية والاجتماعية، مما استدعى قيام نهضة فكرية وأيديولوجية وتنظيمية تستدعي مواجهة التحديات. وهذا ما عرف لاحقاً (بالإسلام السياسي) [2] الذي شكل منذ الستينيات من القرن الماضي نقطة تحول بقيادة عدد من رموزه الدينيين والسياسيين. ورسمت الصحوة الإسلامية خطاً بيانياً ذا وتيرة متصاعدة، وانتقلت لتشمل بلداناً عديدة رأت شعوبها أن الصحوة الإسلامية بمفهومها الحقيقي هي الملاذ وهي المخلّص لها، وهي السبيل إلى الخروج من الظلمة إلى النور، ومن الاستعباد إلى التحرر، ومن القهر إلى العدالة الاجتماعية.[3] ثم جاءت ظاهرة الإسلام السياسي لتشغل كثيراً من المهتمين بالسياسة والاستراتيجيا والاقتصاد والثقافة، وتجاوزت مجالها الديني، فارتبط اسم الإسلام - بطريقة أو أخرى - بكثير من الأحداث المهمة والمؤثرة التي شددت انتباه العالم خلال العقود المنصرمة. فقد بدأ الاهتمام بها منذ منتصف السبعينيات بعد حرب أكتوبر، ثم ارتفاع أسعار النفط وقيام الثورة الإيرانية. وأصبح العالم الإسلامي في الأعوام الماضية بؤرة لتوترات وفتن وحروب أهلية تُحركها يد ملوثة بالجريمة ونزاعات وتحولات سياسية عميقة، وجعلت بعضهم يتحدث بعد سقوط دول المعسكر الشرقي عن الخطر الأخضر الإسلامي، عوضاً عن الخطر الأحمر أو الشيوعي[4]

معنى الإسلام السياسي:

مصطلح الإسلام السياسي هو مصطلح سياسي وإعلامي وأكاديمي استُخدم لتوصيف حركات تغيير سياسية تؤمن بالإسلام باعتباره "نظاما سياسيا للحكم". ويمكن تعريفه

---

(1) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

(2) للمزيد ينظر: حامد ربيع، مستقبل الإسلام السياسي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1983، ص13-33.

(3) الصحوة الإسلامية إشكالات ومواقف وتطلعات بقلم: الدكتور طلال حاطوم

(4) الإسلام السياسي والأصوليةد. محمد إبراهيم الفيومي

كمجموعةٍ من الأفكار والأهداف السياسية النابعة من الشريعة الإسلامية التي يستخدمها مجموعة "المسلمين الأصوليين" الذين يؤمنون بأن الإسلام "ليس عبارة عن ديانة فقط وإنما عبارة عن نظام سياسي واجتماعي وقانوني واقتصادي يصلح لبناء مؤسسات دولة". وهي لذلك تحاول بطريقة أو بأخرى الوصول إلى الحكم والاستفراد به، وبناء دولة دينية ثيوقراطية وتطبيق رؤيتها للشريعة الإسلامية [1].

ويعتبر البعض أن الحركة الإسلامية هي حركة اجتماعية تعمل في شكل مجموعات منظمة تنتسب إلى الإسلام الصحيح أو الأصيل، وتفترض امتلاكها لنظرية شمولية ورؤية كاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية حسب المقولة الشائعة "الإسلام دين ودولة ودنيا"، وهذا الفهم للذين اعتبر السياسة أداة هامة وحاسمة في أحداث التغيير والنهوض بالأمة الإسلامية، وعلى ضوء هذه النظرة لا يتضمن الإسلام السياسي الجماعات الدينية التي تبتعد عن العمل السياسي مثل الطرق الصوفية لأن الهدف واضح ومحدد، ومتفق عليه وهو شمولية الإسلام، وأن لا يكون مجرد دين عبادة[2].

ويعتبر مصطلح الإسلام الأصولي من أول المصطلحات التي تم استعمالها لوصف ما يسمى اليوم "إسلام سياسي" حيث عقد عام 1994 مؤتمر عالمي في واشنطن تحت عنوان "خطر الإسلام الأصولي على شمال أفريقيا" وكان المؤتمر عن السودان وما وصفه المؤتمر بمحاولة إيران نشر "الثورة الإسلامية " إلى أفريقيا عن طريق السودان[3]، وفي التسعينيات وفي خضم الأحداث الداخلية في الجزائر تم استبدال هذا المصطلح بمصطلح "الإسلاميون المتطرفون"واستقرت التسمية بعد أحداث 11 سبتمبر على الإسلام السياسي.

من هنا فإن عملية تعريف الإسلام السياسي وما يتعلق به من مصطلحات أخرى كالأصولية والصحوة الإسلامية والتطرف الإسلامي والإرهاب الإسلامي أو الإسلاموفوبيا، تنطوي على إشكال مفهومي يعزى للتشابك، والتداخل بين هذه المفاهيم، والاختلاف بين الباحثين والأكاديميين في مقاربتها، رغم الخطوط العريضة التي تجمع ما بين جميع التعريفات. ولا يقف

---

(1) من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

(2) حيدر إبراهيم علي، أزمة الإسلام السياسي، الجبهة الإسلامية القومية في السودان نموذجا، مركز الدراسات السودانية، 1991، ص 11.، حسن حنفي، "الإسلام السياسي والإسلام النفطي"، اختلاف، عدد 5، 1993.

(3) http://www.washington-report.org/backissues/0994/9409021.htm

الأمر عند هذا الحد. فأي إسلام نعنى، وأي إسلاميين؟ هل هو إسلام الأمة أم إسلام الخاصة؟ هل هو الإسلام الشعبي أم الإسلام الرسمي؟ هل هو إسلام الحكومات أم إسلام الحركات السياسية؟ وإذا كان إسلام الحكومات، فهل هو إسلام السعودية أم إيران أم طالبان...؟ وإذا كان إسلام الحركات السياسية؟ فهل هو إسلام الإخوان المسلمين أم حزب التحرير أم الجماعة الإسلامية والجهاد الإسلامي؟ وإذا كان إسلام النخبة المثقفة، فهل هو إسلام سيد قطب أم أبى الأعلى المودودى أم هو إسلام حسن الهضيبى والقرضاوي...»[1]

ويرى البعض بأنه نظراً للتعددية في الرؤى والتصورات والاستراتيجيات لدى الإسلاميين السياسيين فإنه من الأولى أن نطلق عليها حركات الإسلام السياسي بدلاً من إفرادها بحركة واحدة للإسلام السياسي أو المسلمين. بل يذهبون إلى أبعد من ذلك ويقولون إن إضفاء صبغة السياسي على الإسلام تحدث خلطاً وتشويشاً يتعلق أساساً بأن مصطلح الإسلام السياسي هو مصطلح يجزئ الإسلام كدين وهو أمر يرفضه أتباعه ومعتنقوه[2]. وبالرغم مما تقدم يرى الدكتور إبراهيم أبو عرقوب بأن الإسلام السياسي هو الإسلام الذي يدعو إلى المزج بين الدين والسياسة في الشؤون المحلية والعالمية، ويرى في مبدأ«دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر» شذوذاً عن طبيعة الإسلام كدين شامل للدين والدنيا. فالإسلام السياسي، أو حركات الإسلام السياسي بمجملها لا تؤمن بفصل الدين عن الدولة وتسعى في استراتيجيتها وبرامجها إلى إقامة دولة إسلامية تطبّق الإسلام كدين ودولة ونظام حياة .[3]

يقول عبد القادر عودة: "الإسلام ليس دين فحسب، وإنما هو دين ودولة. وفي طبيعة الإسلام أن تكون له دولة، فكل أمر في القرآن والسنة يقتضي تنفيذه قيام حكم إسلامي ودولة إسلامية، لأن تنفيذه كما يجب غير مأمون إلا في ظل حكم إسلامي خالص ودولة إسلامية تقوم على أمر الله. وقيام الإسلام نفسه في الحدود التي رسمها الله وبينها الرسول يقتضي قيام دوله إسلامية تقيم الإسلام في حدوده المرسومة، وذلك منطق لا يجحده إى مكابر. وأكثر ما

---

(1) إياد البرغوثي، ورقة بحث بعنوان الإسلام والغرب: إشكالية الوحدة والصراع، مقدمة لندوة الاتجاهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، الجامعة الأردنية، نوفمبر 1998.

(2) هشام جعفر وأحمد عبد الله: ملامح ومعالم التحول في حركة الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، ندوة الاتجاهات الغربية نحو الإسلام – المرجع السابق، ص1

(3) إبراهيم أبو عرقوب، الإسلام في نظر الغرب الأمريكي، ندوة الاتجاهات الغربية نحو الإسلام، ص4.

جاء به الإسلام لا يدخل تنفيذه في اختصاص الأفراد وإنما هو من اختصاص الحكومات، وهذا وحده يقطع بأن الحكم من طبيعة الإسلام ومقتضياته وأن الإسلام دين ودولة[1].

ويؤكد على هذه النظرة التكاملية لتعاليم الإسلام بشأن الحكم والسياسة سيد قطب في تفسيره لأية«إن الحكم إلا لله، أَمَر إلا تعبدوا إلا إياه"، فالأية من وجهة نظر قطب تربط ما بين الحكم والعبادة باعتبارها جزءاً منه، لا عنصراً خارجياً يتم مزجه بها."أن الحكم إلا لله» فهو مقصور عليه سبحانه بحكم الوصية، إذا الحاكمية من خصائص الألوهية، من ادّعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه وتعالى الوصية، سواء ادّعى هذا الحق فرد أو طبقة أو حزب أو هيئة أو أمة. وادّعاء هذا الحق لا يكون بصورة وأحد.. ولكنه يدعى هذا الحق وينازع الله فيه بمجرد أن ينحي شريعة الله عن الحاكمية، ويستمد القوانين من مصدر أخر... والأمة في النظام الإسلامي هي التي تختار الحاكم فتعطيه شرعية مزاولة الحكم بشريعة الله ولكنها ليست مصدر الحاكمية التي تعطى القانون شرعيته، إنما مصدر الحاكمية هو الله[2].

فالإسلام السياسي عموماً يركز على أن السياسة جزء من الدين وأن الممارسات الإنسانية وكافة جوانبها يجب أن تخضع للمعايير العقيدية، وتطبيق المفهوم الجهادي للوصول إلى الأهداف المنشودة[3]. كما يدعو الإسلام السياسي إلى إعادة البناء الأيديولوجي- الدنيوي للإسلام، بما يتلاءم مع التشريعات العقائدية بالإضافة إلى تفعيل سيادة العدالة واعتماد قواعد التعامل في النطاق الداخلي والممارسات الخارجية على النص القرآني. والإسلام السياسي الذي يرى في الإسلام ديناً ودولة، يرى أن تراجع الدور الحضاري للمسلمين هو نتيجة حتمية ومنطقية لعدم تطبيقهم لجزئيات وتفاصيل الشريعة الإسلامية، واستبدال هذه الشريعة بالقيم والمبادئ الغربية، وبالتالي فإن أي دور مستقبلي للإسلام والمسلمين يجب أن يرتكز على تطبيق كامل للشريعة في المجتمع الإسلامي بكل مظاهرة بما في ذلك نظام الحكم[4].

---

(1) عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة الرسالة ص79-80.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، تفسير سورة يوسف،1990.

(3) حامد ربيع: المتغيرات الأساسية للوظيفة الدولية لأسلوب السياسي؟ إعادة البناء الإيديولوجي، قضايا دولية، العدد 310 ديسمبر 1995، معهد الدراسات السياسية إسلام آباد، ص33

(4) حسن جابر، الأمة والتحديات، الانبثاق الجديد، المنطقة، عدد 106، الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين، ص6-7.

ومن هنا نخلص إلى أن الإسلام السياسي، هو فهم للإسلام كدين شامل متكامل يحتوى على ما يصلح البناء عليه لإقامة مجتمع إسلامي متميز بهويته الإسلامية، حيث تطبق المعايير العقيدية والدينية على كل مناحي الحياة. وبالمجمل فإن حركات الإسلام السياسي هي تلك الحركات التي تصرح بهدف معلن هو السعي بشتى الوسائل لإقامة هذه الدولة الإسلامية، والتي تمتلك بنية تنظيمية علنية أو سرية، وتحظى بدعم جماهيري يختلف من قطر لقطر[1].

الإسلام السياسي وعلاقته بالصحوة الإسلامية :

بالرغم من وجود دول في التاريخ كانت تستند في إدارتها الداخلية والخارجية وتوجهاتها السياسية إلى الشريعة الإسلامية، فإن حركة الإسلام السياسي بمفهومه الحديث ظهرت بعد انهيار الدولة العثمانية، عقب الحرب العالمية الأولى وقيام مصطفي كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة الإسلامية عام 1924، ورفضه العمل بالشريعة الإسلامية وتصفية كثير من رموز الدين والمحافظين، لتنتشر في العالم الإسلامي مؤشرات تراجع تطبيق الدين الإسلامي، في ظل وجود انتداب للدول الغربية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى على عدد من الدول العربية والإسلامية [2].

ويرى آخرون أن انهيار الخلافة العثمانية عام 1924، والسعي إلى إيجاد نظام سياسي بديل يحقق الحد الأدنى من طموحات الأمة في التوحد والحفاظ على السيادة والحاكمية لشريعة الإسلام، هو السبب المباشر والأساسي لنشأة التيارات والحركات الإسلامية السياسية، أو ما أصبح يعرف بـ"تيارات الإسلام السياسي"، حيث نشبت معركة فكرية حامية الوطيس أشعل نارها شيوخ الأزهر، أنكر فيها الشيخ علي عبد الرازق، أحد علماء الأزهر الشريف أنذاك، في كتابه (الإسلام وأصول الحكم، طبع عام 1925م)، أن تكون هناك علاقة بين الإسلام والسياسة أو الحكم، أو أن الدين يتدخل في إدارة الحياة، ورأى أن الدين مسألة روحية فقط، وهو علاقة بين الإنسان وربّه ولا يتعدى هذا الأطار، وناصره الشيخ خالد محمد خالد. أحد

---

(1) رضوان السيد، الإسلام السياسي والأنظمة العربية، مجلة شؤون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، لبنان، العدد 41، 1995.

(2) الصحوة في ميزان الاسلام..وعاظ يحكمون عقول السعوديين-علي بن محمد الرباعي- دار رياض الريس للكتب والنشر. انظر: الاصول التي قامت عليها الصحوة الإسلامية - الفجر نيوز 23 - 03 - 2010

خريجي الأزهر، بكتابه (من هنا نبدأ) طبع عام 1950م، ثم تراجع بعد ربع قرن من الزمن مع اشتداد عود الصحوة الإسلامية، وأصدر كتاباً يُقرر فيه أن الإسلام دين ودولة.

وعلى إثر ذلك انتفض العالم الإسلامي، وقام علماؤه يردُّون على الشيخ، ويبينون زيف رأيه وضلاله، وقد بيَّن أهل العلم فيما كتبوه علاقة الإسلام بالحكم، وأنه يشمل بنظره أمري الدنيا والآخرة. وممن رد عليه الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، والأستاذ أمين الرافعي. وقد أفتى بردته كلٌّ من الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية، وقد ألَّف العلماء كتباً في الرد عليه، منهم الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور[1].

وهناك مفكرون آخرون أكدوا العلاقة بين الإسلام والسياسة، ليس لتمكين الإسلام من الحكم، بل لكي يقولوا أن الإسلام يتعارض مع الحداثة. فالمفكر التونسي محمد الشريف الفرجأني يرى أن الإسلام السياسي جاء – كما سبق للمسيحية ذلك – كرد فعل على الحداثة العلمية والفلسفية. ويؤكد هذا أيضاً د. شاكر النابلسي بقوله: اعتقد بأن الإسلام، كان سياسة قبل أن يكون ديناً. والدليل التاريخي على ذلك، أنه قبل اكتمال الرسالة الإسلامية بسنوات طويلة، كان الرسول عليه السلام، قد أقام "دولة المدينة" بعد هجرته إليها مباشرة. وما فعله النبي عليه السلام، في أواخر حياته، من نشاطٍ وإجراءاتٍ سياسية وإدارية ومالية، كانت إجراءات وقرارات، لم يقم بها أي نبي أو رسول آخر، في تاريخ الأديان البشرية كلها، حيث اقتصرت مهمة الأنبياء والرسل من قبل، على الدعوة الدينية فقط، دون ممارسة أي سلطان سياسي أو إداري، كما فعل النبي محمد عليه السلام. وكان النبي عليه السلام بذلك، أول وآخر الأنبياء الذين جمعوا بين الدالين: دال الدين، ودال الدنيا. ويُستثنى من ذلك النبي داوود 1000-962 ق.م، الذي كان نبياً وملكاً، وكذلك ولده سليمان من بعده. وقد كان داوود ملكاً بأمر السماء، لقول القرآن ﴿ يا داوود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ﴾[2]

([1]) المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! (ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي) المصطفى البرجاوي -مريرت 2008م ص 78

([2]) سورة صاد": 38

وهكذا كان الإسلام بذلك، جامعاً أيضاً لهاتين الدالين: دال الدنيا، ودال الدين. وتلك حجة قوية في أيدي الجماعات الإسلامية والتيار الفكري الإسلامي، الداعي إلى إقامة الدولة الدينية. وهذه الحجة نفسها، هي التي دحضت بقوة دعوات فصل الدين عن الدولة، كدعوة علي عبد الرازق، وجعلت بعض من قالوا بها يتراجعون عن مقولاتهم. وأصبحت دعوة فصل الدين عن الدولة دعوة شاقة وعسيرة في العالم العربي. كما أصبحت مهمة العَلْمانيين في الفضاء العربي الإسلامي، أكثر صعوبةً من مهمة العَلْمانيين في الفضاء الغربي المسيحي، وهذا يدل على تجاوز الصحوة للمستوى الفردي للإصلاح وصولاً إلى مستوى المشروع الحضاري النهضوي، حيث إنها ارتبطت وإلى حدٍ بعيدٍ بحركات التحرر من الاستعمار، خاصة في المغرب العربي[1].

ولذا فقد نظر البعض، ولو على المستوى السطحي فقط، للصحوة الإسلامية على أنها عودة جماهيرية للدين في ظل ظروف من القنوط واليأس من كل البدائل الأخرى، وأحياناً تتداخل الصحوة الإسلامية مع الإسلام السياسي، بحيث يشير المصطلحان إلى مفهوم واحد، وهذه وجهة نظر يرفضها العديد من الباحثين الذين يؤكدون أن الصحوة لا تعني الإسلام السياسي بشكل مطلق. بل أن الصحوة الدينية ظاهرة عامة أصابت المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين والوثنين، وبالتالي فهي لا تقتصر على المسلمين وحدهم.

ويرى فهمي هويدي أن الحركات الإسلامية السياسية التي يقودها النخبة، ليست هي الصحوة الإسلامية، التي وصلت إلى كافة شرائح المجتمع الإسلامي، ومع ذلك فإن الظاهرتين تلازمتا وكانت الصحوة هي الأعم، الذي نشأت من خلاله الظاهرة السياسية. وترتبط الصحوة بالإرادة الذاتية الإنسانية، فهي تعنى معالجة الخلل العقيدي عند الإنسان المسلم، فيرأب الصدع ويعدل السلوك بما يتواءم والمعايير العقيدية، وليس شرطاً أن يلج جوانب السياسة، وأن كانت الصحوة تبدأ بالفرد وعلاج أحواله، فإنها تمتد للأسرة والمجتمع الذي يبدأ بالبحث عن ذاته وينفض عن حضارته غبار الأستلاب الحضاري والعقيدي، ثم يخرج من هذا الخضم الإسلام السياسي بتعدديته واختلاف استراتيجيته ورؤاه[2].

---

(1) الإسلام السياسي ومعضلة الأصوليةد. شاكر النابلسي في الثلاثاء 09 ديسمبر 2008

(2) فهمي هويدي، حاضر الصحوة الإسلامية ومستقبلها، الندوة، كانون الأول 1988، جمعية لشؤون الدولية، عمان-الأردن، ص7-9

وبالمجمل فإن ظاهرة الصحوة الإسلامية أقدم من الإسلام السياسي، وهي عامة امتدت في شرائح المجتمع العربي والإسلامي لينبثق عنها فيما بعد الإسلام السياسي وما لحق به من اتهامات بمعاداة السلم العالمي والتقدم الحضاري[1]، حيث بدأ الاهتمام بالإسلام السياسي على المستوى العالمي بشكل بارز في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، بعد أن جاءت حركة الإخوان المسلمين عام 1928 ونظمت الطروحات الإسلامية في حركة سياسية[2].

العلماء وموقفهم من مصطلح الإسلام السياسي:

يُعَدُّ مفهوم "الإسلام السياسي" واحداً من المفاهيم الإشكالية التي أريد له تبعيض الإسلام واختزاله، في فئة دون أخرى وفي جماعة دون أخرى وفي تنظيم دون آخر، سعياً منهم إلى تقزيم الإسلام والحط من عالميته وشموليته! ومن الملاحظ أن الغرب يعطي لمصطلح "الإسلام السياسي" مضموناً يتناسب مع مقولاته ويتوافق مع أطروحاته، ويحاول أن يوظف هذا المفهوم في صراعه مع الصحوة الإسلامية التي تؤرق الرأي العام الغربي وتقض مضجعه. كما يلاحظ في سياق هذا الجدل غياب التأصيل العلمي-الشرعي "للإسلام السياسي" كمفهوم ومصطلح، واختراعه لخلطه مع مفاهيم أخرى. ومصطلح الإسلام السياسي وما يتعلق به من مصطلحات أخرى كالأصولية والتطرف الإسلامي والإرهاب الإسلامي أو الإسلاموفوبيا.. تنطوي على إشكال مفهومي يعزى للتشابك، وسوء فهم المقاصد الشرعية وعدم التمييز بين الأصل والفرع، والاختلاف بين الباحثين والأكاديميين في مقاربتها، رغم الخطوط العريضة التي تجمع ما بين جميع التعريفات[3].

وعلى الرغم من النشاط الهائل من الكتابات والأبحاث والأوراق التي اهتمت بتحليل ظاهرة الإسلام السياسي ووصفها، بمسمياتها المختلفة، مثل الصحوة الإسلامية، أو الأصولية الإسلامية، أو التجديد الديني، أو الإصلاح، أو السلفية أو الإسلامية ... إلخ، إلا أن الظاهرة الإسلامية تظل بحاجة إلى قدرٍ كبير من التعمق والتركيز والتنويع في دراسة الجوانب المختلفة

---

(1) الإسلام السياسي ومعضلة الأصوليةد. شاكر النابلسي في الثلاثاء 09 ديسمبر 2008

(2) فهمي هويدي، حاضر الصحوة الإسلامية ومستقبلها، الندوة، كانون الأول 1988، جمعية لشؤون الدولية، عمان-الأردن، ص8-9.

(3) المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! (ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي) المصطفى البرجاوي -مريرت 2008م ص 70-72

والمتعددة للمكونات الفكرية والحركية للظاهرة، ولم يكن هذا النشاط الفكري والثقافي من جانب الإسلاميين وحدهم بل الغرب هو الذي أبرز ذلك المصطلح وروجه أعلامه وأصدر كتباً ونشرات حوله[1].

وإذا كانت هناك وجهة نظر ترفض ربط الصحوة الإسلامية بالإسلام السياسي أو الأصولية، إلا أن هناك إصرار من قبل الدوائر والإعلام الغربي على ربط الصحوة بالإسلام السياسي وبغيرها من المصطلحات، من أجل الإساءة للصحوة الإسلامية وأهدافها النبيلة، وخلط أوراقها، بأوراق الحركات والأحزاب والتنظيمات الإسلامية، بكل ما لحق بها من أوصاف سلبية، ولذا فإن كثيراً من العلماء رفضوا هذا الربط، بل وتحفظوا على مصطلح الإسلام السياسي نفسه.

يقول الدكتور محمد عمارة: "أنني لا أستريح كثيراً لمصطلح "الإسلام السياسي" رغم شيوع هذا المصطلح، وصدور الكثير من الكتابات حول هذا الموضوع. وفيما أذكر، فإن أول من استخدم مصطلح "الإسلام السياسي" هو الشيخ محمد رشيد رضا. لكنه استخدمه في التعبير عن الحكومات الإسلامية التي سماها "الإسلام السياسي" ويعني الذين يسوسون الأمة في إطار الأمة الإسلامية . لكن مصطلح الإسلام السياسي يُستخدم الآن، ومنذ العقود الثلاثة الماضية، بمعنى: الحركات الإسلامية التي تشتغل بالسياسة، وفي هذا المصطلح "الإسلام السياسي" شبهة اختزال الإسلام في السياسة؛ لأنه ليس هناك إسلام بدون سياسة[2].

ويرى الدكتور علي بن عمر بادحدح أن"الإسلام السياسي" مصطلح متأخر النشأة حديث الرواج، ظهر متزامناً مع تنامي الصحوة الإسلامية وعمق الوعي لدى العاملين للإسلام، وتأكيدهم على شموليته، ودعوتهم إلى استئناف الحياة الإسلامية في ظل حكم الشريعة، ومطالبتهم باسترجاع دور القيادة للدين في حياة الأمة، وللأمة المسلمة بين سائر الأمم. ولم يكن حَمَلة هذا الطرح شيوخ العلم وخطباء المنابر فحسب، بل كان منهم أطباء مشهورون، ومهندسون بارعون، واقتصاديون بارزون، وأساتذة جامعات، ولم يكن ذلك كله بعيداً عن دوائر الرأي في الشرق والغرب، ومن ثم دقت نواقيس الخطر، وانطلقت أبواق الدعاية الكاذبة، وتحركت وسائل الاعلام المضللة، وكان من نتاجها هذه المصطلحات "الإسلام

---

(1) الإسلام السياسي والأصوليةد. محمد إبراهيم الفيومي

(2) محمد عمارة - الإسلام السياسي والتعددية السياسية من منظور إسلامي " (ص 5 - 6)

السياسي" "والإسلام الثوري" "والأصولية الإسلامية " وأُلصقت بهذه المصطلحات مفردات العنف والإرهاب والدموية ونحو ذلك.[1].

وقال الأستاذ علي صدر الدين البيانوني المراقب العام للاخوان في سوريا: بالنسبة لمصطلح "الإسلام السياسي"، أنه مصطلح ناشئ أصلاً عن الجهل بالإسلام، الذي جاء بالعقيدة والشريعة، خلافاً للمسيحية التي جاءت بالعقيدة فقط، ونادت بإعطاء ما لله لله، وما لقيصر لقيصر. أنك حين تجرّد الإسلام من بعده التشريعي، لا يبقى إسلاماً، وأنما يتحوّل إلى شيء آخر. أن الإسلام دينٌ شاملٌ لكل جوانب الحياة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فليس هناك إسلام سياسيّ، وإسلام اقتصادي، وإسلام اجتماعي بل هو إسلامٌ واحد، شاملٌ لكلّ جوانب الحياة، ولذلك نرفض مقولة "الإسلام السياسي"[2].

وفي حوار أجرته صحيفة الرأية القطرية مع الدكتور ساجد العبدلي، الأمين المساعد للشؤون الإعلامية في الحركة السلفية الكويتية؛ قال عن هذا المصطلح: هذا المصطلح يحمل تشويها كبيراً للمقاصد الشرعية من العمل السياسي، وقد يعطي إيحاء بأن هناك إسلام سياسي وآخر دعوي وآخر خيري وهكذا، بينما الإسلام وأحد، وهو دين شامل لا يتجزأ لكل مناحي الحياة، ولم يكن المسلمون يفصلون بين العمل السياسي والدعوة في يوم من الأيام، بل كانت جميعها كلاً متكاملاً[3] .

ويقول د.جعفر شيخ إدريس: عبارة "الإسلام السياسي" كأختها "الأصولية " صناعة غربية استوردها مستهلكو قبائح الفكر الغربي إلى بلادنا وفرحوا بها، وجعلوها حيلة يحتالون بها على إنكارهم للدين والصدّ عنه. ويرى الأستاذ عطية الويشي: أن أول من استخدم هذا المصطلح هو هتلر، حين التقى الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين أنذاك، إذ قال له: إنني لا أخشى من اليهود ولا من الشيوعية، بل إنني أخشى الإسلام السياسي![4].

---

1 المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! (ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي) المصطفى البرجاوي -مريرت 2008م ص 77

(2) موقع الجماعة على شبكة الأنترنت

(3) صحيفة الراية القطرية في 24 مايو 2002م

(4) عطية الويشي -" حوار الحضارات " ص 210

أسباب تنامي حركات الإسلام السياسي:

شهدت الصحوة الإسلامية وحركات الإسلام السياسي، نشاطاً في الثمانينيات والتسعينيات، حيث يعتقد معظم المحللين السياسيين أن هناك عوامل عديدة ساهمت في هذا النشاط منها فشل حركات القوميون العرب والتيار الشيوعي من تحقيق أي تقدم ملموس في الواقع الاقتصادي المتردي في كثير من الدول العربية، إضافة إلى قيام الجمهورية الإسلامية في إيران، والتدخل السوفيتي في أفغانستان، وصعود محمد ضياء الحق إلى السلطة في باكستان، وحرب الخليج الثانية. كل هذه العوامل مجتمعة مع التوتر في علاقة السعودية مع إيران، وخاصة بعد فشل مساعي السعودية من الحد من انتشار الفكر الإيراني، أدى هذا إلى اعتماد السعودية استراتيجية بديلة في منافستها مع إيران، إلا وهي الدعم المالي للمدارس الإسلامية القريبة من تفكير السعودية، إضافة إلى الدعم المالي للمجاميع الإسلامية في البوسنة والهرسك وأفغانستان[1]، مما جعل حركات الإسلام السياسي تشهد "صحوة" من خلال تكثيف أنشطتها وإعطائها طابعاً عنيفاً في الجزائر، السودان ونيجيريا. وكان الحدث الأكبر هو صعود حركة طالبان إلى الحكم في أفغانستان، مما أدى بصورة عملية إلى تشكيل كيان جغرافي وسياسي، وجد الكثير من أتباع منهج الإسلام السياسي "ملاذا ونقطة انطلاق فيها"، ومن أبرزهم تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن.

ويعتقد الكثير من المحللين السياسيين الغربيين أن نشوء ظاهرة الإسلام السياسي يرجع إلى المستوى الاقتصادي المتدني لمعظم الدول في العالم الإسلامي، ومن هنا انطلقت الأفكار التي ادّعت بأن تفسير التخلف والتردي في المستوى الاقتصادي والاجتماعي، يعود إلى "ابتعاد المسلمين عن التطبيق الصحيح لنصوص الشريعة الإسلامية وتأثر حكوماتهم بالسياسة الغربية[2]. كما كان للقضية الفلسطينية والصراع العربي - الصهيوني وحرب الخليج الثانية، الدور الكبير الذي مهدت الساحة لنشوء فكرة أن السياسة الغربية "مجحفة وغير عادلة تجاه المسلمين، وتستخدم مفهوم الكيل بمكيالين". كما أن وراء تنامي حركات الإسلام السياسي أسباب تعود في أساسها إلى أزمة السلطة وأزمات المجتمع في الوطن العربي في ما بين عامي

---

(1) مستقبل التيار الإسلامي في الدول الإسلامية موقع دانيل بيبس. (إنجليزية)

(2) النبي والبروليتاريا بقلم كريس هارمن. (إنجليزية)

1964و1974، إذ تطورت أزمة السلطة في الوطن العربي الذي فشلت فيه التجارب الوحدوية، والتجارب التنموية والمناهج السياسية، وبالإضافة إلى الحروب التي خسرتها الأمة في مواجهة الكيان الصهيوني، وتطورت تلك الأزمة من أزمة السلطة إلى بدايات أزمة مجتمع وتفاقمت في الثمانينيات[1].

فشل حركات الإسلام السياسي

يرى كيبيل أن وصول التيارات الإسلامية إلى الحكم في السودان وإيران مفيد وإيجابي لحركة التنوير ولحركات التحديث العربية وذلك بسبب أن وصول هذه التيارات إلى الحكم سيكشف مدى عجزها عن مسايرة العالم الحديث وعجزها عن تقديم مشروع نهضوي يحقق طموح الإنسان المسلم الذي يضع فيها آماله بسبب أن أحدا من أنظمة الحكم السابقة لم يحققها. كما أن خروج التيارات الإسلامية من صفوف المعارضة سيزيل تلك الصورة الخيالية التي لهم في أذهان الجماهير، فهم المقموعون المبعدون الذين يملكون في أيديهم الحلول السحرية وبمجرد وصولهم إلى الحكم فإن دولة بني العباس ستعود ويعود المسلمون إلى ما كانوا عليه. إذن وصول هذه التيارات للحكم ومن ثم خوضها التجربة سيمكن الفرد من الحكم بموضوعية ومن الواقع.[2]

وهنا يرى محمد سعدي أن الربيع العربي وفر للحركات السياسية الإسلامية فرصة العمل السياسي الشرعي، الذي يوجب تبني نهجا من الواقعية والبراجماتية، وتقديم توافقات وتنازلات. كما أنه كلما تزايد دخول هذه الحركات معترك السياسة، فإنها ستفقد تمايزها الأيديولوجي، ويتسع مجال انتقالها من منطق الدعوة إلى منطق الدولة، ما يستلزم من هذه الحركات القيام بثورة نقدية وفكرية لمراجعة تراثها، وفقا لضرورات الواقع وشروط الحداثة السياسية. وكلما زادت درجة انفتاح هذه الحركات على المجال السياسي والديمقراطي، كلما أدى ذلك إلى مزيد من تنوعها وأنقسامها، وزيادة حدة الصراع بين الأجيال داخل هذه الحركات، مما سيدخلها في مرحلة ارتباك بسبب ضيق أفقها السياسي وعدم جاهزيتها الفكرية

---

(1) سعد ناجي جواد، دور الصراع العربي-الصهيوني في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، ندوة التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، ص12.

(2) معضلة الأصولية الإسلامية- هاشم صالح- دار الطليعة للطباعة والنشر2006/ قراءة لعبد الله المطيري، الرياض، 2006/10/5- http://www.alriyadh.com/2006/10/05/article191838.html

والتنظيمية، ما يجعل أداءها عرضة للنقد السريع من المجتمعات العربية التي تبرز فيها هذه الحركات، وأفولها على المدى المتوسط، دون أن يعني ذلك أفولها التام كحركات اجتماعية وسياسية.

ويلفت سعدي الانتباه إلى أكثر المعّوقات التي واجهت هذه الحركات في تجربتها، وهي الثنائية التنظيمية بين الحركة والجماعة والحزب التابع لها، ولم تفطن قيادات هذه الحركات إلى أن الفضاء العام يخضع لدوافع دنيوية محضة وثيقة الصلة بقدرتها على تحقيق التنمية الاقتصادية والسياسية بصرف النظر عن مرجعياتها العقيدية والفكرية. غير أن هذه الحركات أصرت، ربما خوفًا من أن تفقد شعبيتها بين المتدينين، على تفعيل الخطاب المثالي جنبًا إلى جنب مع خطاب واقعي بدا أنه يتسم بالضعف الشديد وقلة الخبرة [1].

فالحرية والعدالة في مصر، فشلت فشلاً ذريعا في التحول من فقه الخلاف إلى فقه الائتلاف لأنهم قبلوا الائتلاف مع التيار الانغلاقي الشمولي، أي التيارات السلفية، وتلكؤوا في الاستجابة لمطالب الحوار الوطني الحقيقي والجاد مع بقية القوى الوطنية، الأمر الذي عجل بسقوطهم. في حين مارس حزب النهضة تجربة نوعية في الحكم، تقوم على فكرة اقتسام السلطة، والمشاركة في الحكم مع قوى سياسية أخرى. أما بالنسبة للعدالة والتنمية في المغرب، فقد نجح في تقديم ممارسة سياسية هادئة وواضحة، وخطاب سياسي متزن وحداثي. ويخلص الباحث في نهاية هذا القسم إلى أن كل الحركات الإسلامية، تحتاج إلى الإيمان بثقافة التنافس لا ثقافة الاحتراب والاستعداء، عن طريق فتح حوارات فكرية وفلسفية ونظرية هادفة حول الطابع المدني للدولة في المجتمعات الإسلامية، والتوفيق بين متطلبات الحداثة والمرجعيات الدينية[2].

إن التقدم الكبير الذي حققته التيارات السياسية الإسلامية، صاحبه تراجعات عميقة، فخطابها يتآكل على مستوى هويته ومرجعياته التأسيسية، ويفقد جاذبيته بسبب تناقضاته المتعددة، وعجزه عن تجديد آلياته الفكرية والدينية، وعن النفاذ إلى قضايا الناس وهمومهم

---

(1) الصعود والأفول: حركات الإسلام السياسي والسلطة في العالم العربي- تحرير د. جمال السويدي، د.أحمد الصفتي- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014- ص107

(2) الصعود والأفول: حركات الإسلام السياسي والسلطة في العالم العربي- تحرير د. جمال السويدي، د.أحمد الصفتي- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014- ص144

الحياتية. ويرى أن تجربة الحكم، أظهرت حصيلة متواضعة في كل من تونس والمغرب، ومخيبة للآمال في مصر، فالإسلاميون لم يستطيعوا بلورة مشروع للدولة والمجتمع يتوافق مع التحديات الراهنة، سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي [1].

ولذا يرى المستشرق الفرنسي جيل كيبيل "أن الحركات الأصولية التي سيطرت على المجتمعات العربية والإسلامية طيلة ربع القرن الأخير وحققت نجاحات جماهيرية، هي الآن في طور الأفول والانحدار بسبب انفصال التحالف الذي كان قائماً بين البرجوازية المتدينة في المدن والطبقات الشعبية والشبيبة المسحوقة بالفقر والبؤس وطلبة الجامعات من المثقفين الأصوليين. هذه الفئات هي التي أمنت للحركات الأصولية الشعبية العارمة وأوصلتها في بعض الأحيان إلى أبواب السلطة. هذا الانفصال جاء بسبب لجوء العناصر المتطرفة من أبناء الشبيبة الفقيرة والمسحوقة إلى الأعمال الإرهابية والاغتيالات والتفجيرات مما جعل البرجوازية المتدينة تخاف منها وتبتعد عنها شيئا فشيئا. وهكذا انقسمت الحركة الأصولية إلى قسمين: قسم متطرف عنيف يريد الوصول إلى السلطة بأي وسيلة، وقسم معتدل له مصالح اقتصادية وحياة مطمئنة نسبيا ولا يريد أن يضحي بها من أجل مغامرة غير مضمونة العواقب". هذا الانقسام هو الذي أدى، في رأي جيل كيبيل، إلى فشل الحركات الأصولية في تحقيق أهدافها والوصول إلى السلطة[2].

ويستعرض د. بهجت قرني تجربة الإخوان في الحكم، حيث واجهوا جملة من التحديات، يأتي على رأسها، ارتفاع سقف طموحات المواطن، في تحقق مطالب العدالة والكرامة والحرية، في ظل واقع دولة منهارة، وفي حال عدم تحققها، كما حدث، يتحول المواطن إلى السلوك المتطرف تجاه السلطة الجديدة. ويتمثل التحدي الثاني في ضعف المهارات السياسية لكل القوى السياسية بما فيها جماعة الإخوان، ما أدى على تحول الساحة السياسية لساحة حرب. التحدي الثالث، أزمة الهيكل التنظيمي لجماعة الإخوان، وعدم مرونته، بالإضافة إلى عدم استقلالية الرئيس في اتخاذ قراراته. كل ذلك جعل تجربة الإخوان تتسم بالتخبط والارتجال في اتخاذ

---

(1) الصعود والأفول: حركات الإسلام السياسي والسلطة في العالم العربي- تحرير د. جمال السويدي، د.أحمد الصفتي- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014- ص157

(2) معضلة الأصولية الإسلامية- هاشم صالح- دار الطليعة للطباعة والنشر 2006/ قراءة لعبد الله المطيري، الرياض، 2006/10/5- http://www.alriyadh.com/2006/10/05/article191838.html

القرارات، مدللاً على ذلك بأزمة دستور 2012، والإعلان الدستوري، وفرض حالة الطوارئ، والصراع مع مؤسسة القضاء(1).

مستقبل الإسلام السياسي

يرى بعض المحللين أن مشاريع الإسلام السياسي قد فشلت في طرح أسلوبها ما أن وصلت للحكم. ويشير الكاتب فرج العشة في كتابه "نهاية الأصولية ومستقبل الإسلام السياسي" كيف أن جماعات الإسلام السياسي المسلحة استخدمت شعارات محاربة فساد الدولة والاستبداد، إلى استخدام ممارسات العنف والإجرام ضد الدولة ومواطنيها. كما أشار إلى أن فوز حزب العدالة والتنمية في تركيا والذي يصنف على أنه من جماعات الإسلام السياسي، ماهو "إلا إعلانًا مدويا عن نهاية الإسلام السياسي، وليس انتصارا ساحقا له". مشيرا إلى أن زعيم الحزب رجب طيب أردوغان قد أنقلب على الأيديولوجيا التقليدية السابقة للحزب، كما أن برنامجه الانتخابي سياسي صرف يفصل الدين عن السياسة، وأن ذلك لا يعني فصل الدين عن المجتمع، لدرجة أن عبد الله غول الرئيس التركي وهو نائب أردوغان في الحزب اعترض على تسميتهم بالإسلاميين وقال "لا تسمونا إسلاميين. نحن حزب أوروبي محافظ حديث لا نعترض إذا وصفنا بأننا ديمقراطيون مسلمون على غرار الديمقراطيين المسيحيين في البلدان الأوروبية الأخرى"(2).

ولذا يأخذ البعض على كثير من الإسلاميين الذين اهتموا بالجانب السياسي في الإسلام، وهوّنوا أو قل اهتمامهم بالجانب العقدي والتربوي فيه؛ فغلبت السياسة عليهم حتى أنستهم مهمة الدعاة الأولى؛ وهي الدعوة إلى دين الله كما أنزل على محمد (صلّ الله عليه وسلم)، بل – للأسف – وصل الحال ببعض المنخرطين في الهمّ السياسي من أبناء الإسلام أن رقّ دينهم، وكثرت تنازلاتهم ومداهناتهم للآخرين؛ حتى كادوا يستوون في أمرهم مع العلمانيين وغيرهم من المخالفين.

---

(1) الصعود والأفول: حركات الإسلام السياسي والسلطة في العالم العربي-- ص298-350

(2) فرج العشة.. فشل الإسلام السياسي وتركيا نموذج ناجح لذلك - رويترز - تاريخ النشر 26 مايو-2009 - تاريخ الوصول 27 مايو-2009

ولذا يرى د. عبدالحق عزوزوي أن هناك احتمالين لمستقبل الأحزاب السياسية الإسلامية، على المدى المتوسط والبعيد. الأول، هو أن تنجح الأحزاب السياسية الإسلامية، في البلدان التي لها دساتير متقدمة، في التحول إلى أحزاب محافظة، تاركة الدين للجميع، ومن المتصور أن تظل تلك الأحزاب لمدة طويلة في الحكم. الاحتمال الثاني، أن تفشل الأحزاب السياسية في تحقيق وعودها قبل حيازة السلطة، ما يدفع الجماهير إلى التخلي عنها. ويرى أن التجربة المغربية، يمكن الاستناد عليها للتدليل على قدرة الأحزاب السياسية الإسلامية على التعايش والاستمرار[1].

من ناحية أخرى أكدت أغلب الدراسات الغربية على الرؤية التشاؤمية لمستقبل ظاهرة الإحياء الإسلامي، فأشارت إلى أنّه حتى لو تمكنت بعض الجماعات الإسلامية للوصول إلى السلطة في هذه الدولة أو تلك فإنها لن تنجح في معالجة المشكلات القائمة انطلاقاً من أرضية الإسلام وركّزت تلك الدراسات على نغمة أن الجماعات والتنظيمات الإسلامية ستشكل مصدراً لعدم الاستقرار السياسي في الدول الإسلامية باعتبار أن ممارسة العنف جزء من التكوين العقيدي والاجتماعي لتلك الجماعات[2].

الخلط بين الصحوة والإسلام السياسي والأصولية وربطها بالتطرف والإرهاب :

إن لفظ «الأصولية » الإسلامية الشائع اليوم يقصد به الحركات الدينية التي تضع نفسها تحت مضلة «الصحوة الإسلامية »، وهي حركات وأحزاب سياسية تتخذ من الإسلام الأصولي منطلقاً لدعوتها، وتعاني كغيرها من الأحزاب السياسية تناقضاً بين وعيها الذاتي وحقيقتها الواقعية. ولا يخلو إطلاق اسم «الأصولية » على هذه الحركات والأحزاب الحديثة من انحياز يرمي إلى رميها جميعاً بالتعصب و«الإرهاب » [3].

فمصطلح الأصولية الذي ذاع صيته بديل عن الإسلام ولمزاً للمسلمين، هي شنشنة نعرفها من قديم، منذ وصف محمد(صلّ الله عليه وسلم) وأتباعه بأنهم صابئون، وأنهم مسحورون، ووصفت أمم أخرى أنبياءها بأشنع من هذا، وهذه المصطلحات من إشاعة الاعلام الغربي

---

(1) الصعود والأفول: حركات الإسلام السياسي والسلطة في العالم العربي- تحرير د. جمال السويدي، د.أحمد الصفتي- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014- ص175-202

(2) جعفر الموسوي -الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية

(3) انظر: فؤاد زكريا، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، دار التنوير (بيروت 1985) .

ومن حصائده وسلبياته الكبيرة.[1] لكن هذا لا يعني البتة أن المجتمع الإسلامي خالي من عناصر غالية، بل بالعكس يضم بين ثناياه قلة قليلة يتبنون طرح" المروق" بالتعبير النبوي. من هنا وجب الفصل بين مصطلح "الأصولية " الذي أطلقه الغرب، وتحدث عنه العلمانيون عبر أجهزة الاعلام من صحافة وغيرها وزادوه"التطرف"، وبين المصطلح الشرعي "الغلو"[2].

ومن هنا فإن محاولةَ البعضِ إقحامَ «الصحوة الإسلامية » أو ما يسمى الأصولية الإسلامية في دائرة التطرف، أو إلباسها ثوب المفهوم الغربي للكلمة - على جانب كبير من الخطورة، بل هو ثمرة يسعى كثيرٌ من المتربصين بنا إلى قطفها، وهو أن نجح في ذلك، فقد قدَّم خدمة تاريخية للأصولية الصهيونية، التي تسعى جاهدةً إلى تفريغ الإسلام من مضمونه، بل تسعى جاهدة إلى اغتيال الحس الإسلامي في قلب المؤمن، أن استطاعت، ولذلك فإن واجب الأجيال أن تتعرف على حقائق الأمور، بمحاولة فض الاشتباك بين هذه المصطلحات، ليعرفوا الفرق بين ما هو إسلامي صحيح، وما هو غلو وتطرف، وما هو أصولي بالمفهوم الغربي الوافد، وبين ما هو أصيل، وما هو وليد الأزمة الراهنة من مفاهيم ودلالات ومصطلحات بمعان غريبة، لا تتحملها الألفاظ العربية عند إطلاقها.

وهنا فإننا لا نقلل من مخاطر التشدد والمغالاة، ولكن الذي نخشاه، عمى الألوان الذي بدأ يصيب الكثير من الناس بحيث أصبحت عندهم كلمة أصولي وأصولية، تقابل تماما كلمة مسلم أو متدين، وأصبح الارتياب من كل متدين، حتى ولو لم يمارس شيئاً، ومع ذلك يحاسب على نياته، التي لا يطلع عليها أحد، عند عدم القدرة على إدانة سلوكه. لذلك نقول أن قذف العالم الإسلامي بهذه القنابل الفكرية، التي تشيع في أجوائه الشلل والإرهاب الفكري، والمحاصرة وشل نشاطات العمل الإسلامي، قد بلغ الكثير من أهدافه، وإذا لم ينتبه المسلمون ومؤسساتهم الفكرية والثقافية لهذه المخاطر التي تتسلل إليهم، فلن يكون لهم موقع في عالم اليوم[3].

---

(1) نحن والإعلامالغربي، مجلة البيان، العدد55)) ، ربيع الأول 1413، سبتمبر1992

(2) انظر: المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها!، ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي- مولاي المصطفى البرجاوي- ص100- موقع الالوكة- www.alukah.net

(3) - الأصولية والإرهاب الفكري، المرجع نفسه، ص:7

معنى التطرف والغلو:

التطرّف هو تفعّل -بتشديد العين -من طرف يطرف طَرَفاً بالتحريك، وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأدنى أو الأقصى[1]. ومفهوم التطرف في العرف الدارج، هو الغلو في عقيدة أو فكرة أو مذهب أو غيره يختص به دين أو جماعة أو حزب. فالتطرف معناه مجاوزة الوسط في كل شيء، في الاعتقاد، والسلوك، والأراء، ومجاوزة الوسط قد يكون بالإفراط والغلو، فيولد التطرف، وقد يكون بالتفريط والإهمال، فيولّد الانحلال والتسيّب، وكِلاَ الطرفين مذمومٌ شرعاً وعقلاً، وهذا التحديد البسيط ذو نسب قوي بالمدلول اللغوي لكلمة التطرف في أصلها الاشتقاقي، وبالجذر اللغوي "ط ر ف". ففي "لسان العرب": "طرف كل شيء منتهاه، ومعناه الوقوف في الطرف، وهو يقابل التوسط والاعتدال"[2].

وهنا لا بُد أن نفرّق في إطلاق المصطلح بين مَن يلتزم في سلوكه بأوامر الشرع ونواهيه، ومن يترك الأعتدال والتوسط في ذلك، بالتنطّع والغلو والتشدد في السلوك، أو الاعتقاد، أو الأراء، مجانبًا لما كانت عليه سنّة الرسول (صلّ الله عليه وسلم) وحياته. فإن الأول محمودٌ طلَبَه الشرعُ، والثاني مذمومٌ نهى عنه الشرع. قال (صلّ الله عليه وسلم): "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين مِن بعدي". وقال بنفس الدرجة من الصحة: "هلك المتنطعون"[3]، وقال: "لا تشدِّدوا على أنفسكم، فيشدد الله عليكم"[4]، "وأن هذا الدين يسر، فأوغلوا فيه برفق، ولن يشاد الدينَ أحد الأ غلبه، فسدِّدوا وقاربوا" [5]... إلخ، والنصوص في ذلك كثيرة، لا يتسع لذِكرها هذا المقامُ.

اما معنى الغلو، فهو: مجاوزة الحد وتعديه. يقال غلا غلاء فهو غالٍ، وغلا في الأمر غلوًا أي: جاوز حدّه، وغلا القدر تغلي غلياناً، فالغلو: هو مجاوزة الحد[6]. وقال الفيومي في المصباح

---

(1) القاموس المحيط، و" شرحه تاج العروس " و" لسان العرب " و" معجم مقاييس اللغة "، و"الصحاح " و" المصباح المنير " مادة (طرف.)

(2) راجع: "لسان العرب"، مادة: طرف 90/217.

(3) رواه مسلم: 2055، أبو داود 4/ 281، ابن حنبل 1/ 386.

(4) رواه أبو داود 4/ 381.

(5) البخاري 1/ 94.

(6) ابن منظور: لسان العرب: مادة: (غلو) .

المنير: وغلا في الدين غُلواً من باب قعد وتصلبّ وتشدّد حتى جاوز الحد. والغلو في سائر استعمالاته يدل على "الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد. وفي حديث ابن عباس قال: قال رسول الله (صلّ الله عليه وسلم): يا أيها الناس أياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين[1].

والغلو - التنطّع - التشدّد، وهي المقابل للمعنى الاصطلاحي لكلمة التطرف، فهي كلها كلمات مذمومة، ومذموم مَن تطبق عليه في سلوكه، أو اعتقاده، أو رأيه، وذلك لما يلازمها مِن التنفير والترهيب، وهما ضد روح الشرع ومقاصده. وقد عرف ابن حجر، الغلو بأنه: "المبالغة في الشيء والتشدد فيه بتجاوز الحد"[2]. وذلك لأن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط، وقد قرر ذلك العلماء، وهو معنى قول مطرف بن عبد الله: "الحسنة بين السيئتين"[3] وبه يعلم أن من جانب الإفراط والتفريط فقد اهتدى[4].

والغلوّ نوعتن: الأول : غلو اعتقادي: كغلو النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، وغلو الشيعة في الأئمة، وغلو الصوفية في الأولياء، وغلو الخوارج في تكفير أهل الإسلام بالكبيرة والذنب. والثاني: غلو عملي: وهو المتعلق بالأمور العملية التفصيلية من الأقوال والأفعال بما لا يترتب عليه اعتقاد، مثل رمي الجمار بالحصى الكبيرة، والزيادة في العبادات كالوصال في الصوم والتبتّل بعدم الزواج والرهبنة في الدين..إلخ. وعموماً، الغلو مجاوزة الحد في السلوك أو الاعتقاد أو العبادة.

والغلو أعلى مراتب الإفراط في الجملة. وهو أخصّ من التطرف؛ إذ أن التطرف هو مجاوزة الحدِ، والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً، ومجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص. والتطرف: الانحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو، لكن الغلو أخص منه في الزيادة

---

(1) رواه أحمد في المسند كما في "الفتح الرباني12/169، كتاب الحج والعمرة باب سبب مشروعية رمي الجمار وحكمها، ورواه النسائي كتاب المناسك باب قدر حصى القذف، وكذا ابن ماجه في باب التقاط الحصى .ورواه الحاكم في "مستدركه

(2) فتح الباري: (13 278) .

(3) ابن رجب: المحجة في سير الدلجة: (18) .

(4) الشنقيطي: أضواء البيان: (1 494) .

والمجأوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف. أو بمعنى آخر: كل غلو فهو تطرف، وليس كل تطرفٍ غلواً.

وقد حذَّر أئمة السلف من الغلو في الدين، والتنطّع في الأحكام، وبيَّنوا أن الغلو هو آفة التدين، وحذروا من الأفات الثلاث في كل عصر: تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. فتحريف الغالين كان سبباً في هلاك الأمم السابقة، ممن غلوا في العقيدة أو العبادة على حدٍ سواء، فحرَّموا على أنفسهم ما أحلَّ الله، وحرموا طيباتٍ أُحلَّت لهم، وخرجوا بغلُوِّهم عن الوسطية والأعتدال، التي هي سمة الإسلام.

وفي الواقع لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشدَ الناس تمسكاً واقتضاءً لنصوص الشريعة، ومع هذا لم يحصل منهم غلو أو تشديد. لكن لما بعد الناس عن زمان الأفاضل، وصار الدين غريباً، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، صار المتمسك بسنة المصطفي(صلّ الله عليه وسلم) العاضُ عليها بنواجذه منبوذاً مُستهزءاً به، وأطلقوا عليه عبارات النبذ كالمتزمتين والغالين والمتطرفين والأصوليين والإرهاب يين ونحوها من الألقاب التي روجتها بعض وسائل الاعلام عن أعداء الإسلام !والواقع أن التمسك بنصوص الكتاب والسنة، وفهمها فهماً صحيحاً يعد عند المتهاونين بأحكام الشريعة الغافلين عنها، غلواً وتطرفاً، وذلك بالنظر إلى ما هم عليه من تفريط ظاهر، وقصور في إظهار منهج الإسلام.

مصطلح العنف والإرهاب :

كثرت التعاريف حول الإرهاب، حيث يعّرفه كل طرف حسبما يراه مناسباً لمصلحته فالدول الكبرى تعرفه بما يتناقض مع حق الشعوب في تقرير مصيرها وطرد المستعمر وحق المقاومة فتجعله نشاطا إرهابياً لأنه ضد مصالحها، أما الدول النامية فإنها تعرفه على وفق ما ينسجم مع حقِ الشعوب في المقاومة والحصول على حقها في تقرير مصيرها، وتذهب أحدى المحاجّات التي تساق أحيانا إلى " أن من يكون إرهاب يا عند شخصٍ يكون مناضلا من أجل الحرية عند شخص آخر"[1].

([1]) إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية -إعداد: أ. عمر سالم سعد الله العبيدي -بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة" -المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م

وبالرجوع إلى المعجمات اللغوية في مادة العنف وُجد أنها ضد الرفق، وهو الشديد في القول والفعل. وحقيقة العنف أنه الشدة في قولٍ أو رأي أو فعل أو حال ! ومما جاء في ذم العنف والشدة قوله (صلّ الله عليه وسلم): ليس الشديد بالسرعة، ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب[1]. والقرآن الكريم، مثله مثل سائر النصوص الدينية والتأسيسية الكبرى، ذو موقف مزدوج من قضية العنف؛ بمعنى أنه يحتوي على أيات تُحلّل العنف (وهو عنف مشروط باستمرار) وأيات توصي بالسلم والأبتعاد عن العنف.[2]

أما مصطلح الإرهاب فهو من الناحية اللغوية يشير إلى مصدر مأخوذ من رَهب كعلم يرهب رهباً ورهباناً وإرهاباً بالفتح والكسر، وهو الإخافة والتخويف[3] ويدور معنى الإرهاب شرعاً على شدة الخوف والتخويف الواقع على الفرد أو على الجماعة، وهو في حقيقته وحكمه نوعان: إرهاب مشروع بصريح القرآن في قوله تعإلى: (أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[4]. وهذا يعنى أن إخافة العدو المعاند لدعوة الله، وإرجافه بالعدة والقوة من مقاصد الجهاد الإسلامي، ليكفَ شره، وينتهي عن ظلمه، ولعله أن يهتدي إلى دين الله عز وجل. وهذا الحكم خاص بالمحاربين من الكفار أو البغاة.

أما الإرهاب غير المشروع، أو المحرم والممنوع: فهو الذى يقوم على تخويف الآمنين وإدخال الرعب والفزع عليهم، سواء كانوا مسلمين أو مستامنين أو معاهدين، أهل ذمة أو غيرهم. فهو على المسلمين حرابة، وعلى غيرهم ظلم! وهو في الجميع إفساد في الأرض، جاء النهي عنه صريحاً في القرآن والسنة وفي إجماع العلماء. وقد حدد مجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي بمكة معنى الإرهاب ودلالاته في البيان التالي: الإرهاب هو العدوان الذي

---

(1) البخاري الأدب) 5763) ، مسلم البر والصلة والآداب) 2609) ، أحمد) 268/2) ، مالك الجامع) 1681

(2) آيات السلام في القرآن الكريم (49 آية) أكثر من آيات العنف. وكما أن هناك آيات للعنف في القرآن الكريم، فهناك آيات عنف في الإنجيل أيضاً، ومنها ما يقال على لسان السيد المسيح عليه السلام: "لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى الأرض، ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً. جئت لأفرق بين المرء وأبيه، والبنت وأمها، فيكون أعداء الإنسان أهل بيته" (متي، 10: 34-36) . والتاريخ المسيحي مليء بأعمال العنف الفظيعة بين المسيحيين أنفسهم، وبين المسيحيين وأعدائهم من الديانات الأخرى. أنظر: الإسلام السياسي ومعضلة الأصوليةد. شاكر النابلسي في الثلاثاء 09 ديسمبر 2008

(3) انظر " :القاموس " و" شرحه تاج العروس "، و" لسان العرب "، و" الصحاح "، و" المصباح المنير "، و"معجم مقاييس اللغة ." مادة) رهب.)

(4) سورة الأنفال آية60، 61

يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغياً على الإنسان في دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أقوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر. فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله تعالى المسلمين عنها[1] قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الأخِرَةَ. وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا . وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ. أن اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِين). (سورة القصص أيه77)

ومما تقدم يتضح لنا أن مفردة إرهاب التى وردت في القرآن الكريم، معناها هو الخوف، كما جاء في لسان العرب: «أن رهب الشيء رهباً ورهبة بمعنى خافه". وهذا يعنى أن مفردة إرهاب التي ذكرها تعالى في القرآن الكريم، لا تعبر عن القتل والترويع وإزهاق أرواح الناس بل تعبر عن إخافة العدو، وهي أمْر محمود على خلاف ما يحصل اليوم. أما مفردة terrorism فتعني حسب القواميس والمعاجم الإنجليزية رعب، ذعر، هول، أو كل ما يوقع الرعب في النفوس. وقد أطلقت على الأعمال الإجرامية التي تهدف إلى أغراض سياسية. وعليه فإننا حينما نطلق على ما يحصل من جرائم مفردة أعمال إرهابية، ونصف فاعليها بالإرهابيين، فإننا جانبنا الدقة في وصفنا من الناحية اللغوية ومن ناحية المفهوم والاصطلاح، والأخطر أننا نخالف القرآن الذي لم يذم صفة الإرهاب حسب ما ورد في آياته الكريمة.

الإرهاب في المفهوم الغربي:

إن تهمة الإرهاب المعاصر تعني حسب التوجه الغربي للمصطلح الإسلام تحديداً، وأسهمت بشكل كبير في انتشار مقولة (الانحسار الإسلامي)، وأصبح المسلمون يعانون من صعوبات في الحركة والتنقل وممارسة الشعائر الدينية، والإعلان عن انتماءاتهم بشكلٍ

---

(1) ينظر البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته6 ، المنشور في وسائل الإعلامالمقروءة والمسموعة والمرئية

صريح (1) وقد منحت وسائل الإعلام الغربية هذا المصطلح إمكانيات كبيرة جدا، ولصقت به كلّ مآسي المجتمعات وهمومها، كما وعمدت وبشكل مطرد إلى سحب هذا المصطلح بوصفه تهمة توجه إلى الإسلام والمسلمين.

فكل ما يصدر من السلوكيات الإسلامية سواء كانت: عملا خيرياً، أو منتديات للعبادة، أو مدارس لحفظ القرآن الكريم، أو ملجأً لحفظ الأيتام ورعايتهم، أو جامعات لتدريس العلم، وتطوير أدواته، أومركز للدراسات والبحوث، كلها تشكل حسب الأجندة الأمريكية ميادين خطرة تشجع على الإرهاب وتمارسه، وانطلاقاً من ذلك وجب محاربتها، أو تفكيك بنيانها، كي لا تطال المدنية العالمية، والحريات الأمريكية. (2)

والإرهاب بمعناه المتداول الآن هو استخدام تكتيكات إرهابية لتنفيذ البرامج المتطرفة، على حد تعبير (تيم ويرث) مستشار وزارة الخارجية الأمريكية. والإرهاب هو استخدام العنف بطريقة غير قانونية أو التهديد بالعنف ضد الأشخاص أو الممتلكات من أجل دعم أو تحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو لإكراه الحكومات والأفراد والجماعات لتعديل سلوكهم أو سياساتهم(3). أما الدكتور "أولسن" الذي ذكر في مذكرته المقدمة إلى الكونجرس الأمريكي حول الجماعات الإسلامية إذ اعتبرها مجموعات إرهابية وتهدد المصالح الأمريكية ويجب مواجهتها بقوله: " يجب علينا أن ننظر إلى الإرهاب على أنه سمة شبه دائمة من سمات المنطقة، وتعد الولايات المتحدة هدفا أساسيا من أهداف هذه الجماعات. وأن الدافع إلى استخدام الإرهاب ضد الولايات المتحدة باقيا(4). وفي رأي مشابه له اعتبر "أغسطس ر. نورتون" أن الإرهاب لا يقتصر على جماعة معينة فكلها الجماعات إرهاب ية سواء كانت تدافع عن حق أم عن باطل (5).

---

(1) الخطاب الإسلامي المعاصر بين الأصولية والإرهاب -د. محمد سالم سعد الله

(2) الخطاب الإسلامي المعاصر بين الأصولية والإرهاب -د. محمد سالم سعد الله

(3) وكالة الإعلامالأمريكية، نشرة الأنباء العربية، 1993/2/5.

(4) فريد هاليداي: الأمة والدين في الشرق الأوسط، ترجمة: عبد الإله النعيمي، ط1، دار الساقي، بيروت، 2000، ص236.

(5) فريد هاليداي: الأمة والدين في الشرق الأوسط، ترجمة: عبد الإله النعيمي، ط1، دار الساقي، بيروت، 2000، ص407.

فالإرهاب في المصطلح الغربي المعاصر لا يُفرّق بين المحقق والمبطل. فمقاومة المحتل والرد عليه تسمى إرهاباً عندهم، والاستسلام له يسمى سلاماً وتعاوناً، ولذا فإن الأجندة الأمريكية حاولت بشكلٍ نشط لصق تهمة الإرهاب بحركات التحرر الوطنية في بقاع العالم شتى، وركزت في ذلك على حركات المقاومة في الدول الإسلامية انطلاقا من مقاومة أبي سياف وجماعته لطغيان حكومة الفلبين، مرورا بمقاومة المحتل الأمريكي في أفغانستان والعراق، وصولا إلى حركات المقاومة ضد الكيان الصهيوني في لبنان وسوريا فلسطين، وقد دفعت هذه التهمة الإعلان العالمي للجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقد في نيويورك في 14 أيلول 2005 وبضغطٍ من الحكومة الأمريكية بإسقاط حق الشعوب في مقاومة المحتل.

وهكذا" فإن قضية الإرهاب أُخرجت من سياقها وجرى تهويلها وتشويهها ولا يعني بأي حال الانتقاص من الخطورة الأخلاقية والإنسانية للظاهرة الإرهابية. ولكن يبدو حقا أن هنالك ميلا لتضخيم المسالة وتشويهها. فالولايات المتحدة خلال السبعينات والثمانينات بالغت كثيرا في القضية وصورتها على أنها تهديد عالمي موحد"[1]. وجرى تشويه صورة الإسلام والمسلمين من خلال توظيف مفردة الإرهاب في هذا الشأن ويلاحظ أيضا أنه غالبا ما يتم الحديث عن الإرهاب إلا والشرق الأوسط هو محوره.

وقد أراد مشيعوا هذا المصطلح سيادة الرعب والخوف، وابتزاز الحكومات والشعوب، وتحقيق المآرب، وجني المكاسب. فهو مصطلح قدّم خرافة العدو الوهمي، ومنح الغرب استراتيجيات جديدة تتجاوز حقوق الإنسان، وتعطل بعض القوانين، وتقيد بعض الأحكام التي تمنح الإنسان المقيم والوافد حرية العمل والحركة والتنقل ونحو ذلك. يقول الباحث الأمريكي ريموند هامدن: "أن الإسلاميين هم إرهابيون، ليس لأن الإرهاب ي يحمل بندقيةً أو مسدساً، ولكنه يحمل أفكاراً مضادة للمدنية الغربية"[2]

أهم ملامح ظاهرة الإرهاب الإسلامي من منظور الغرب:

- النظر للإسلام وإلى الثقافة الإسلامية عموماً على أنها عقيدة جامدة تسير على وتيرة واحدة لا تغيير فيها ولا تجديد ولا تنّوع ولا تقبل التعدد واختلاف الأراء.

---

(1) فريد هاليداي، المصدر السابق، ص75.

(2) ينظر: الإسلام والكونجرس: حقائق ووثائق حول ما أسماه الأمريكيون بحركة الأصولية الإسلامية، أحمد إبراهيم خضر، ط1، دار المعالم الثقافية،الرياض، 1994: 354

- الإدعاء بأن الثقافة الإسلامية تختلف كلياً عن الثقافات الأخرى وأن المسلمين متشددون ويتقيدون بحرفية النصوص الدينية.
- تصوير الإسلام بأنه خطر يهدد العالم على غرار النازية والشيوعية وأن الأصولية الإسلامية تشكل أكبر خطر يهدد السلام العالمي.

وفي خطابٍ للأمير الحسن بن طلال أمام المؤتمر الثاني حول الأديان في أسبانيا، عام 1997 يقول:«ليس هناك من دينٍ آخر يشكل ثقافة أي مجتمع آخر قد عانى من الاتهامات وتصويره بصورة شيطانية بقدر ما يعانيه الإسلام والثقافة العربية في عيون العالم[1] ويقول باحث آخر: "أن الإرهاب ليس مسألة يمكن تفاديها، فهي بدعة نسجها خيال الخصوم السياسيين والأنظمة القمعية، ولكنه مع ذلك أصبح في الشرق الأوسط قبل سواه موضوعا للتشويه والتحريف، حتى يكاد يتعذر إجراء مناقشة متوازنة حوله"[2]

الفرق بين الصحوة والإرهاب والتطرف:

ربما يكون اصطلاح التطرف أقرب لمفهوم الإرهاب والعنف، منه إلى مفهوم الصحوة، وأن كان لا يعني نفس الشيء تماماً. فالتطرف سياسياً يعني الدعوة الفردية والجماعية إلى إجراء تغيير جذري في النظام الأقتصادي والسياسي والاجتماعي في البلد. والمتطرفين في نظر الغرب هم جميع المسلمين بغض النظر عن بلدانهم أو الجماعات التي ينتمون إليها أو لغاتهم أو قضاياهم أو مشاكلهم[3] "فلدى الولايات المتحدة اعتقاد بأن المتطرفين هم جماعات مثل حماس وحزب الله أو أية جماعات أخرى تحاول أن ترفض عملية السلام وتحاول إعاقتها عن طريق العنف". ومما يميز التطرف من وجهة نظر الغربيين هو الجمع ما بين الدين والقضايا الوطنية والسياسية مثل فلسطين أو لبنان، وهو بالتالي يهدد المصالح الأمريكية وموجه بالأساس ضد الغرب وأمريكا وإسرائيل[4].

---

(1) المنتدى، منتدى الفكر العربي، متابعات فكرية، العدد، ص9.

(2) ينظر : الأمة والدين في الشرق الأوسط، فريد هاليداي، ترجمة : عبد الإله النعيمي، ط1، دار الساقي، بيروت، 2000 : 74

(3) أبو عرقوب، مرجع سابق، ص81.

(4) وكالة الإعلامالأمريكية، نشرة الأنباء العربية، 1993/7/3.

لذا فقد ربط الغرب بين حركة الصحوة الإسلامية الحديثة والإرهاب، ففي كثير من الكتب والدوريات والمقالات الصحفية والمحاضرات التي كتبت والتي أُلقيت في السنوات القليلة الماضية كانت هناك محاولة مكشوفة لتشويه سمعة المد الإسلامي المتصاعد في المنطقة. وفي هذا الأطار يرى أمير عبد العزيز أن: "الأفتراء على الداعين للإسلام، العاملين على استئناف الحياة الإسلامية من جديد، لهو –في الحقيقة – افتراء على الإسلام نفسه، وذلك من أجل أن تزعزع العقيدة في نفوس المسلمين، ومن أجل أن تحمل الأذهان صورة شائبة وبشعة من دين الإسلام كما يتصور الناس في جميع أنحاء العالم لأن هذا الدين قد بني على الإرهاب وأنه يدعو في أحكامه ومقاصده إلى الإرهاب، وأن الداعين إلى الإسلام ليسوا غير إرهاب يين ينشرون الذعر في البلاد"(1).

وإذا كان الغرب لا يميّز بين المسلمين أتباع الصحوة الإسلامية، ويصفهم جميعاً بالتطرف والإرهاب، لتحقيق أهداف سياسية. فإنه مما يؤسف له أن نجد مثل هذه الأقوال تصدر عن أشخاص ينتمون للإسلام والعروبه. يقول الدكتور حامد نصر أبو زيد :"الحقيقة أن الناظر في الفرق بين المعتدل، والمتطرف من الخطاب الديني لا يجد بينهما تغايراً أو اختلافاً من حيث المنطلقات الفكرية،أو الأليات. ويتجلى التطابق في اعتماد نمطّي الخطاب على عناصر ثابتة في بنية الخطاب الديني بشكل عام، عناصر أساسية غير قابلة للنقاش أو الحوار أو المساومة"(2).

وإزاء هذه النظرة السلبية للخطاب الإسلامي بشكل عام، وللمسلمين وصحوتهم بشكلٍ خاص، فإنه لا بُد لنا من ضرورة التفرقة بين فكر الصحوة، والفكر المتطرف، ومنطلقات الأول، ومنطلقات الثاني:

1- الصحوة تعني الإسلام الحي المتحرك، ومنطلقها هو النص قرآناً وسنة، أما منطلق التطرف فهو أقوال البشر، من رؤساء الفِرق وعلمائها، بالتقوُّل على الإسلام، والتطاول عليه، والقول على الله ما ليس له به علم.

---

(1) أمير عبدالعزيز، افتراءات على الاسلام والمسلمين، ط1، دار السلام للطباعة، القاهرة، 2002، ص5

(2) الاصولية في الحركات الإسلامية،والحل..زهير قوطرش في السبت 23 اغسطس 2008

2- الصحوة تعني الالتزام بالوسطية، وبالحكم الشرعي أمراً ونهياً، وهي محمودة ومطلوبة شرعاً. أما التطرف فهو مذموم منهي عنه شرعاً، ويعني الخروج عن حد الوسطية والاعتدال إلى الغلو، والتنطع والتشدد.

3- الصحوة تمثل سماحة الإسلام في الدعوة إليه، وهي التزام بما ألزم الشرع أمراً ونهياً، أما التطرف فهو إلزام بما لا يلزم شرعاً، ومِن سماته العنفُ والغلظة.

4- الصحوة تعني حياة الإسلام واقعاً، والتطرف آفة الدين وعلة التدين معاً، لأنه يجعل ما ليس شرعياً أمراً شرعياً، ولذلك فإن المنطلقات الفكرية للتطرف، تختلف في أصولها ومبادئها عن منطلقات الصحوة[1].

ويتضح لنا مما سبق مِن توضيحِ معنى الصحوة الإسلامية والتطرف، أن بينهما نوعاً من التضاد، فلا يجتمعان أبداً، ذلك أن الصحوة بمفهومها الإسلامي الصحيح ترفض التطرف، وتنطلق في ذلك من أحاديث الرسول (صلّ الله عليه وسلم) وأفعاله، ومن النهي الصريح في القرآن الكريم عن الغلو، وتحذير الرسول (صلّ الله عليه وسلم) منه. كما أن التطرف في مضمونه خروج عن الوسطية، التي هي خاصية إسلامية، ولذلك فإن الجمع بينهما أمرٌ غير مستقيم. أن المرء إما أن يكون مسلماً ملتزماً، وإما أن يكون متطرفاً، ولا واسطة بينهما، والخلط والخطأ أنما يقعان في تصوُّر الناس، وفي أحكامهم غير المنصفة ولا الدقيقة، ويمكن تلخيص سمات التطرف التي تميزه عن التجديد والصحوة بالآتي:

1- أن المتطرفين في معظم الأحيان يجهلون العلم بمراتب الأحكام، فيضعون المندوب في مقام الواجب أو السنة، ويخلطون بين المكروه والحرام، ويترتَّب على ذلك قلبُ الأحكام الفقهية، فيهتمون بالمندوب والسنّة على حساب الفرائض والواجبات، ويتشددون في المكروه على حساب المحرَّمات. وصدق رسول الله (صلّ الله عليه وسلم)عندما قال: "يخرج من ضئضئي هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، والله لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد".

---

(1) بين الأصولية والتطرف- د. محمد السيد الجليند- 2008/11/11م

2- الاستبداد بالرأي، والتعصب، والتحامق مع المخالف، وقد يكون ذلك في معظم الأحيان عن جهل وقلة علم، وإعجاب كلٍّ منهم برأيه، واحتقار الآخرين، وهذه كلها مواقفُ تتنافر مع روح الإسلام ونصوصه.

3- أنهم يقرنون بين الخطأ والأثم، دون تفرقة بين مَن يخطئ عن جهل، ومن يخطئ عن قصد، ولا بين المجتهد المخطئ، والمتعمد في خطئه، مع عدم الاعتراف بالآخر، وسوء الظن بالأخرين، واتهامهم في عقيدتهم، والطعن في آرائهم.

4- الحكم على المجتمعات بالجاهلية والكفر، لعدم تطبيق شريعة الله واللجوء إلى تشريع البشر عند وضع القوانين، والجهاد المسلح لتقويض أركان النظام الحاكم وإقامة المجتمع المسلم محله.

5- الهجرة من أرض الاستضعاف إلى أماكن جديدة لتكوين نواةٍ للمجتمع المسلم، ثم العودة لإقامة المجتمع المسلم في الدولة وأن كان هناك بعض الجماعات تنادي باعتزال المجتمعات الحالية والتبرّؤ منها.

6- الطعن في العلماء، والتشويش عليهم، واتّهامهم في كثيرٍ من الأحيان، والميل والجنوح إلى التشدد، والتعسير على الناس، وإلزامهم بما لا يلزم.

7- التكفير للحاكم والمجتمع بدون ضوابط. والمعلوم أن الحكم بالتكفير له ضوابط وأصول، مَن تَخَطَّاها في الحكم على الأخرين فقد باء بإثمها[1]

(1) بين الأصولية والتطرف- د. محمد السيد الجليند- 2008/11/11م

الفصل الخامس

الأصولية المسيحية وحربها الصليبية على الإسلام

منذ ظهور الأصولية المسيحية البروتستانتية في القرن السادس عشر، وهي تضع نفسها في حربٍ مع كل المذاهب المسيحية الأخرى كاثوليك وأرثوذكس، كما وضعت نفسها في الصدارة في الحرب الصليبية الجديدة ضد الإسلام من أجل تحقيق النبوءات التوراتية بإقامة إسرائيل، تمهيداً لعودة المسيح وقيام معركة هرمجيدون، وبدأ ما يسمونه العصر الألفي السعيد. ولذلك فقد خدمت حركة الإصلاح الديني البروتستاني، إبّان القرن السادس عشر، التوجهات اليهودية – الصهيونية وأتاحت الفرصة لنهوض اليهودية "القومية"، عبر التغيرات اللاهوتية التي جاءت بها وأبرزها:

- الترويج لفكرة أن اليهود أمة مفضّلة، والتأكيد على ضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين.
- إعطاء وزن كبير للغة العبرية، باعتبارها "اللسان المقدس" واللغة التي أوحى الله بها لشعبه.
- ازدهار دراسة "الكابلاة"[1] وما يرتبط بهذا من ظهور مناخ روحي وديني وثقافي يتسع للتفسيرات الحرفية وللقراءات التأويلية للكتاب المقدس.

وقد أوجدت هذه المسائل وأمثالها، أرضاً مناسبة لنمو الصهيونية الدينية، وساعد العامل الديني وما شهده "عصر التنوير" بعد ذلك، من محاولات "عقلانية الطابع" تستهدف نقل فكرة "العودة اليهودية" إلى فلسطين إلى حيز التفسيرات العلمية. وهكذا ظهرت الممارسات العملية للفكر الأصولي في الغرب، قبل ظهور هذا التحديد التاريخي للكلمة. وربما نجد البدايةَ الأولى للممارسات العملية للفكر الأصولي في موقف البروتستانت من نصوص التوراة، ومحاولة جذب المسيحيين إلى الأصول التوراتية، للإيمان بها، والاعتقاد فيها، خاصة ما جاء في هذه النصوص من نبوءات تبشِّر بميلاد إسرائيل، واستعادة أرض الميعاد، ثم عودة المسيح

---

(1) مذهب في تفسير الكتاب المقدس يقوم على افتراض أن كل كلمة وكل حرف فيه له معنى خفيا.. والمذهب يرسم طريقة عددية في التفسير والتأويل وبعض فنون السحر والتنجيم .الكابالا هي واحدة من أعقد الفلسفات الدينية إنها تتعمق برموز غامضة وباطنية في طبيعة الله والكون.أنظر: الموسوعه العربية الميسرة

ثانية ليحكم العالم من أورشليم القدس، بحيث أصبح البروتستانت، خاصة في بريطانيا وأمريكا على قناعة تامة بذلك، وارتبطت عندهم عودةُ المسيح الثانية بقيام دولة إسرائيل، وأصبح من الواجب عليهم - تبعاً لذلك، وتحقيقاً لهذه النبوءة - أن يعملوا جاهدين لإقامة دولة إسرائيل ومساندتها، وصار ذلك واجباً دينياً مقدساً عند البروتستانت، وهذا يفسر لنا ميلادَ هذا التعاطف الكبير بين الصهيونية والبروتستانت من جانب، ووقوف الأصولية المسيحية ضد أي حق من حقوق العرب في استعادة أرضهم وحقهم المشروع، من جانبٍ آخر.

ومن هنا فإن العداء الغربي، الأمريكي والبريطاني بالذات، للعرب والمسلمين، ووجود اتجاهات صهيونية لدى بعض المسيحيين ليس أمراً جديداً، أو حدث فقط بعد قيام دولة إسرائيل، كما يظن البعض، بل وجدت مثل هذه النزعات الصهيونية- أي المؤمنة بتوطين اليهود في أرض فلسطين – لدى المسيحيين الأصوليين البروتستانت، منذ القرن السادس عشر الميلادي، أي بعد قيام حركة الإصلاح البروتستانتية، ولم تتحول تلك الرغبات والأماني إلى تيار قوي إلا في القرنين الأخيرين، حيث بدأت بعض الجماعات، والجمعيات، ورجال دين بارزين، في أوساط المسيحيين الغربيين، وخاصة بين الأصوليين من البروتستانت، تطالب وتعمل بكل قوةٍ وحزم بلزوم عودة الشعب اليهودي إلى أرض الميعاد، وأنها وطنه الأبدي..؟، مما أوجد بذور العداء للاسلام والمسلمين لأنهم العائق أمام تحقيق هذا الحلم.

يقول ميلتون في قصيدته (الفردوس المفقود):"إن الله سيشق لليهود طريق البحر ليعودوا فرحين مسرورين إلى وطنهم، كما شق لهم طريق البحر الأحمر ونهر الأردن، عندما عاد آباؤهم إلى أرض الميعاد". وكتب تشارلز تشرشل عام 1841م، وهو أحد أنصار الصهيونية المسيحية، رسالة إلى رئيس المجلس اليهودي في لندن يقول:"إن استعادة اليهود لوجودهم كشعب في فلسطين، أمر ميسور إذا توافر عاملان اثنان: أولهما أن يتولى اليهود أنفسهم وبالإجماع طرح موضوع العودة على الصعيد العالمي، وثانيهما أن تبادر القوى الأوروبية إلى دعمهم تحقيقاً لهذا الهدف". وتعد هذه الرسالة من الدعوات الأولى لقيام الصهيونية اليهودية[1].

([1]) للكاتب العديد من المؤلفات في مجال الاصولية المسيحية، مثل كتاب الصليبيون الجدد الحملة الثامنه، وموسوعة الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – المهارسة – سبل المواجهة) 4 اجزاء

وفي القرن التاسع عشر نشر القس "وليم بلاكستون" (1841 – 1935) وهو من أبرز دعاة قيام إسرائيل في فلسطين، كتابه "المسيح آتٍ" الذي صدر عام 1878م. وفيه يقرن مجيء المسيح الثاني أو عودة المسيح إلى الأرض بعودة اليهود إلى أرض فلسطين. واعتبره اليهود أب الصهيونية الأميركية لتشديده على عودة اليهود إلى أرضهم. وأسس في شيكاغو سنة 1887 منظمةً أسماها البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل، والتي تحولت فيما بعد إلي: الزمالة اليَسُوعية الأمريكية، ومازالت تباشر نشاطها الصهيوني المسيحي إلى اليوم، وهو الذي نادى بفكرة: "أرضٌ بلا شعب يجب أن تعطى لشعبٍ بلا أرض"، وهو الذي بعث إلى هرتزل نسخةً من التوراة، ووضع خطوطًا تحت النصوص التي تشير إلى استعادة اليهود لأرض فلسطين، والنصوص الأخرى التي تشير إلى عودة المسيح ثانية[1]. وقد زاد التقارب المسيحي اليهودي من أيام هرتزل، ونما وتطور، وأثمر على يد بلفور، وعدُه المشؤوم بميلاد إسرائيل. وترتَّب على هذا الموقف إعادةُ تفسير التوراة ونصوصها، وبخاصة ما يتصل منها بمعتقدات المسيحية البروتستانتية، من عودة المسيح، وبناء مملكة الألف عام السعيدة، وما تلا ذلك من عَبْرَنة أو تهويد للبروتستانتينية.

ويعتقد الأصوليون المسيحيون أن ميلاد دولة إسرائيل سنة 1948م، واحتلال إسرائيل للقدس كاملة سنة 1967م – من أبرزَ الأشارات التاريخية لتحقيق نبوءة عودة المسيح ثانية، مما زاد في تمسك المسيحية بنصوص التوراة، اعتماداً على ما أشاعته بينهم الأصولية المسيحية من ضرورة الإيمان بالتوراة، كجزءٍ أساس من العقيدة المسيحية. وساعد الوضع المتردي للعرب، وسيطرة إسرائيل على القدس كاملةً لأول مرة منذ أكثر من ألفي عام – على الترويج لهذه النبوءة، وضرورة الاعتقاد بصحة الأصول التوراتية التي اشتملت على هذه النبوءة، والعودة إليها كمرجع عَقَدِي لإدارة شؤون الحياة في الأصولية الصهيونية والمسيحية على حد سواء. وترتب على ذلك زيادةُ عدد الأصوليين البروتستانت في الغرب، الذين يعملون على مساعدة الصهيونية.

الأصولية المسيحية وفكرة عودة المسيح:

تحتل فكرة عودة المسيح إلى الأرض، مكاناً رئيساً في الفكر الأصولى المسيحى. وتقوم هذه الفكرة على أساس الأعتقاد بأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض ثانية ليقيم مملكة الله على

---

(1) الصهيونية غير اليهودية – ريجينا الشريف ص 187

الأرض والتى ستدوم ألف عام (العصر الألفي السعيد)، حيث سيحكم العالم من مقره في مدينة القدس. وقد فهم معظم الغرب المسيحي أن عودة الشعب اليهودي إلى الأرض التي أعطيت له كميراث هي الخطوة الأولى نحو مجيء المسيح. ومن هنا ابتدأت فكرة إنشاء إسرائيل، ونمت معها الأفكار الأصولية مع الزمن رويداً رويداً ودخلت إلى عقول كبار المفكرين والكتاب، وبالتأكيد السياسيين والرؤساء، ونشأت مذاهب متفرقة متطرفه.

وقد بينا في دراسات عديدة كيف أن الأصولية المسيحية وأتباعها كانوا أول من دعا إلى إعادة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة إسرائيل فيها. وقد قرن هؤلاء الأصوليون القول بالعمل، فسعوا إلى تحقيق ذلك بشتىّ الوسائل، سواء بإرسال الرسائل للملوك والحكام لحثهم على إنجاز هذا العمل، أو عن طريق إنشاء الجمعيات والمنظمات التى قامت بالدراسات وجمع التبرعات لتوطين اليهود في فلسطين. كما أن بعض أتباع الحركة الأصولية المسيحية كانوا أول من أنشأ مستعمراتٍ في فلسطين لتكون نواة أولى لتوطين اليهود فيها.

فمنذ فجر التاريخ الأمريكي وعبر القرون الماضية كان هناك دائماً بين الأميركيين الإنجيليين هاجس التشبه بإسرائيل العهد القديم، وكان هناك ميل مسيحي قوي للإعتقاد بأن مجيء المسيح المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهوديه، حيث لم يكن ذلك الرأي إجماعياً بين اللاهوتيين المسيحيين، ولكنه كان يشكل جزءاً من مصفوفة التاريخ الفكري الأمريكي، التي كانت تتضمن دائماً خيطاً من العصر الألفي السعيد في الفكر الأمريكي المسيحي. وقد كان مجيء كارتر إلى البيت الأبيض ثم ريغن وبوش تأكيداً على المكانة المتميزة للصهيونية الأصولية المسيحية في الولايات المتحده، ودليلاً على تغلغل الفكر الأصولي في المجتمع الأمريكي[1]. ولهذا فإن الأصولية المسيحية منذ نشأتها عملت بكل طاقاتها من أجل استعجال هذه العودة والتمهيد لها.

وقد قام الأصوليون المسيحيون بهذه الأعمال في وقتٍ لم يكن اليهود يفكرون أصلاً في العودة إلى فلسطين، لأنهم كانوا يعتقدون أن عودتهم يجب أن تتم بمعجزة إلهية وليس بفعل بشرى. ولكن بظهور التيار المسيحى الأصولى أمكن تعديل هذه الفكرة، بحيث أصبح للقوى البشرية دور في إعادة اليهود إلى فلسطين، وهذا ما حدث عندما ظهرت الحركة الصهيونية على يد

([1]) الأصولية المسيحية الأمريكية- دراسة في الأبعاد الفلسفية- بقلم "جورج المصري - مجلة الإنسان، ع.(8)، محرم 1413، أغسطس 1992 ص.:42-46."

هرتزل، حيث أنه وجد الأرض أمامه ممهدة لإنشاء الدولة اليهودية، ووجد المساعدة والعون والتشجيع من الحركات الأصولية المسيحية واتباعها. وتمكنت الحركة الصهيونية من الحصول على وعد بلفور وتسهيل الهجرة إلى فلسطين في ظل الانتداب، وأخيراً تم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في عام 1948.

وهذه الأحداث لم تكن لتحدث لولا مساعدة التيار الدينى المسيحى الأصولى وأتباعه. فبلفور ولويد جورج وويلسون وترومان وكافة الزعماء الغربيين الذين لعبوا دوراً رئيسياً في قيام دولة إسرائيل، لم يفعلوا ذلك إلا انطلاقاً من إيمانهم بطروحات التيار الدينى الأصولى. وفي العصر الحاضر تدفق المهاجرون إلى إسرائيل واستمر الدعم البريطانى والأمريكى اللامحدود لإسرائيل في كافة المجالات، حيث لعب التيار الدينى الأصولى دوراً رئيسياً في ذلك. وكان كافة الرؤساء الأمريكيين من المؤمنين والمتحمسين للأفكار الأصولية وآخرهم جورج بوش الإبن وأوباما[1]. ويكفي أن نشير إلى أن كافة الرؤساء الأمريكيين منذ جورج واشنطن وحتى الآن هم من البروتستانت الأصوليون، ولم يشذّ عن هذه القاعدة إلا جون كيندى الرئيس الكاثوليكى الوحيد الذى ثم اغتياله.

التيار الدينى الأصولى المعاصر:

تبلورت الاتجاهات الأصولية داخل الكنيسة الأمريكية، بعد حرب 1967م، حيث يركز الأصوليون في فهمهم للعهد القديم على موضوع مركزي منتشر في كل كتبهم، وهذا الموضوع هو إسرائيل وشعبها المختار من قبل الله كعنصر مقدس، والدفاع عنه ضد الذين يحيقون به (المسلمون)، وطلب إغاثة الرب له. بالإضافة إلى ملكية هذا الشعب الأبدية للأرض الموعودة المقدسة وهي فلسطين. وقد أثَّر الموقف الأصولي للكنائس الأمريكية على الرئيس الأمريكي "ريغان"، فتحدث بنصوص التوراة، وعن نبوءة العودة التاريخية لإسرائيل، كما تحدَّث الرئيس الأمريكي "كارتر" في مارس 1979م: أن إسرائيل وأمريكا يتقاسمان تراثاً واحداً، وهو نبوءات التوراة بعودة المسيح وإسرائيل. ووجد الأصوليون في هزيمة العرب 1967م تحقيقًا

(1) راجع كتابنا الحملة الصليبية على العالم الاسلامي والعالم (اربع اجزاء) - مكتبة حسن العصرية، لبنان

لنبوءات التوراة، لأن القدس عندهم هي المدينة التي سيحكم عيسى - عليه السلام- العالمَ منها[1].

ومنذ ثمانينات القرن الماضي صعد وتنامى التيار الأصولى المسيحي، وصار يشكل أكبر قوة متنامية مؤيدة لإسرائيل على المسرح السياسي الأمريكي، وخاصة بعد أن امتد نفوذه إلى عقول وجيوب الملايين وامتلك شبكة تلفزيونية وإذاعية هائلة وبتقنية متقدمة للغاية، واستخدم الأساليب الاستعراضية الدينية في التلفزيون أو ما تسمى الآن (الكنيسة التلفزيونية) أو الديانة في الأوقات المناسبة[2]. وقد ساهمت عدة أمور في نمو هذا التيار، أهمها على الاطلاق، قيام دولة إسرائيل. فكما أن الأصولية المسيحية ساعدت كثيراً في قيام دولة إسرائيل، فإن قيام إسرائيل في حد ذاته وباعتباره حدثاً تاريخياً من وجهة نظر الحركة الأصولية المسيحية، ساهم هو الآخر في نمو التيار الدينى الأصولى المعاصر بشكل كبير وذلك من خلال:

1- اعتقاد أتباع هذا التيار أن قيام إسرائيل دليل على صدق معتقداتهم الدينية. فهم لا يرجعون قيام إسرائيل إلى حالة الضعف العربى والتآمر الدولى، البريطاني منه والأمريكي بالذات، بل يفسرونه على أساس أنه جاء تحقيقاً لنبوءات التوارة. يقول القس "جيري فالويل" مؤسس جماعة "الأغلبية الأخلاقية": "أن من يؤمن بالكتاب المقدس حقاً يرى المسيحية ودولة إسرائيل الحديثة مترابطتين على نحوٍ لا ينفصم، أن إعادة إنشاء دولة إسرائيل في العام ألف وتسعماية وثمانية وأربعين لهو في نظر كل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد" [3].

كما أنهم يفسرون كافة الأحداث التى شهدها المنطقة وكانها جاءت تصديقاً لما ورد في التوراة. وخير مثال على ذلك هو إحدى المنشورات الأصولية التي وزعت بعد حرب 1967، والتى حاولت تفسير ما حدث في الشرق الأوسط على أنه بمثابة تحقيق لما هو مكتوب في النبوءات التوراتية. فقد زعم هذا المنشور أن الكتاب المقدس لم يتنبأ بالانتصارات الإسرائيلية

---

(1) البعد الديني في السياسة الأمريكية، دراسة في الحركة المسيحية الأصولية"، د. يوسف الحسن، ط: مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت، 1990م ص 79.

(2) من أوراق واشنطن - يوسف الحسن - ص 121

(3) صهيو مسيحية أم صهيو أميركية؟".. -مأساة فى استعمال الكتاب المقدس.. استغلال المشاعر الدينية فى إنشاء دولة صهيونية- القس رياض جرجور- ألقيت هذه الكلمة، فى ندوة فكرية فى مركز الإمام الخمينى الثقافى. بيروت، فى 8 "أبريل" 2003 ونشرت فى كتيب خاص.

على العرب واحتلال القدس فحسب، بل تنبأ أيضاً بتوقيت هذه الأحداث. وقد أنهى كاتبوا المنشور كلامهم بالقول: أن النصوص المقدسة برهنت على صحتها فيما يتعلق بالأحداث حتى الآن، مما يقوى الحجة فيما يتعلق بالأحداث المستقبلية أيضاً [1]. ويمكن قياس كافة الأحداث التى حدثت بعد ذلك، مثل توقيع معاهدة السلام، وحرب لبنان وتدمير العراق واحتلاله، والحرب على ليبيا وسوريا واليمن، وحتى انهيار الاتحاد السوفيتى، حيث يجد الأصوليون لها تفسيرات ونبوءات توراتية.

2- تركيز زعماء هذا التيار من خلال منظماتهم ومؤسساتهم الدينية والاعلامية، على إظهار قيام إسرائيل بمظهر البينة أو العلامة على قرب مجئ المسيح، ليبسط حكمه وسلطانه على العالم أجمع من مقره في القدس[2]. وهذا أدى إلى تنامي وازدياد أتباع هذا التيار بشكل كبير، حيث سعوا جميعاً إلى استعجال هذه العودة، من خلال العمل على تحقيق النبوءات الواردة في العهد القديم. فمثلاً تدفق المهاجرون الجدد إلى إسرائيل، والذى لعبت فيه الإدارة الأمريكية دوراً رئيساً، لم يأتِ نتيجة لرغبة أمريكا في الدفاع عن حقوق الإنسان كما كانت تدعى، بل جاء تلبية لمعتقدات أصولية تعتقد أنه لابد من تجميع اليهود في فلسطين تمهيداً لعودة المسيح المنتظر. والإصرار الأمريكى على استبعاد موضوع القدس من مفاوضات السلام بحجة بحثها في المرحلة النهائية، لا يمكن فهمه إلا انطلاقاً من رؤية التيار الأصولى المسيحى المعاصر للوضع النهائى لمدينة القدس، والتى يجب أن تكون مدينة موحدة وعاصمة أبدية لإسرائيل، والمدينة التى سيعود إليها المسيح ليبسط من خلال مقره فيها، حكمه على العالم بأسره، والذي سيدوم الف عام !

وحتى الهجمة الشرسة التي تعرضت لها العديد من الدول العربية والإسلامية (العراق- أفغانستان- السودان- ليبيا - سوريا- اليمن)، ودعم الغرب وأمريكا، لفوضى ما سُمّى بالثورات العربية لا يمكن تفسيرها على أساس أنها تطبيقاً لقرارات الشرعية الدولية، أو دعم لرغبات الشعوب في الحرية والاستقرار، بل يمكن فهمها فقط على أساس أنها تطبيق حرفي للنصوص التوراتية ونبوءات، وردت في العهد القديم توعدت مضطهدى إسرائيل بالدمار والخراب. فبابل العراق هى التى سبت اليهود ودمرت هيكلهم، ولذلك يرى أتباع هذا التيار

---

(1) اسرائيل الكبرى - د. اسعد روق - ص 605 - 607

(2) اسرائيل الكبرى - د. اسعد روق - ص 219

الدينى الأصولى أنه لا بد من الانتقام من كل مضطهدى إسرائيل تنفيذاً لما ورد في التوراة! وأيضا فإن الوضع الصعب الذى تعيشه مصر الآن، ليست إلا تنفيذاً للعنات التى جاءت في التوراة. أما ليبيا واليمن وسوريا والعراق وغيرها من الدول العربية، فهم من قوى الشر التى ستهاجم إسرائيل في آخر الزمان، ولذا يجب تدميرها استعداداً للمعركة الفاصلة.

3- تركيز وسائل الإعلام الغربية وزعماء التيار الأصولى المسيحى وحتى الزعماء الإسرائيليين على استخدام التعبيرات التوراتية لوصف الأحداث التى صاحبت وأعقبت قيام إسرائيل. فمثلاً تصدرت وسائل الاعلام الغربية عناوين مثل "وأنتصروا في اليوم السابع، اضرب يا صهيون، حرب إسرائيل المقدسة، عملية السيف البتار، داود وجوليات" صفحات كثير من الصحف والمجلات الغربية التى كتبت عن الانتصار الإسرائيلى في عام 1967[1]. كما أن كثير من الزعماء الإسرائيليين وبالذات مناحيم بيغن، وشامير ونيتنياهو، كانوا يحرصون خلال مقابلاتهم بوسائل الإعلام الغربية، على استخدام التعبيرات والمصطلحات التوراتية لعرض وجهة نظرهم، وكل ذلك ساهم في تغذية ونمو التيار الدينى الأصولى المسيحى المعاصر.

4- سعى كثير من زعماء التيار الدينى الأصولي وبالذات في أمريكا، إلى ربط مصير أمريكا بمصير إسرائيل. فهذا جيرى فالويل زعيم منظمة "الأغلبية الأخلاقية" والذى يبلغ عدد اتباعها ما يقارب الأربعين مليون يقول: "لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل وتبقى في عالم الوجود. والرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهودى[2]. وهذا أيضاً مايك إيفانس، قسيس بدفور يذيع برنامجاً تلفزيونياً ولمدة ساعة كاملة بعنوان "إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء"، حيث ادّعى فيه بأنّ تخلّي إسرائيل عن الضفة الغربية وغيرها من الأراضى المحتلة بعد حرب 1967، سوف يجر إلى دمار إسرائيل ومن بعدها الولايات المتحدة[3].

5- وصول تيار اليمين الأصولي إلى الحكم عام 1976، بوصول الرئيس كارتر إلى البيت الأبيض، ثم وصول اليمين السياسي إلى الحكم مع نجاح الرئيس ريغن عام 1980. إذ بنى هذا

---

(1) اسرائيل الكبرى - د. اسعد روق ص 604

(2) من يجرؤ على الكلام - بول فندلي - ص 314

(3) المصدر السابق - ص 394-395.

اليمين برامجه المختلفة على مبادىء دينية[1]. وفي نفس الوقت جاء وصول اليمين الصهيوني ممثلاً في الليكود إلى الحكم في الكيان الصهيوني، مما أعطى المشروعية للتطرف الديني ولاستخدام الإشارات والرموز التوراتية لتبرير الاستراتيجيات الصهيونية. ولذا قال مناحيم بيغين أمام 800 من الإنجيليين المجتمعين في القدس (1979/6/6) لست أخجل من تأسيس حق إسرائيل في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) على أساس وعود إلهية.

الأصولية المسيحية ومعركة هرمجيدون:

لم يقتصر الحماس والنشاطات التى تعمل على تحقيق النبوءات التوراتية وتسريع المجيء الثاني للمسيح سعيا وراء أنشاء المملكة الألفية السعيدة، على المستوى الشعبي أو على مستوى الكهنوت فقط، ولكن تجاوزه إلى الزعماء السياسيين وكبار القادة[2]، وبإمكاننا أن نلمس هذا من جانبين:

الجانب الأول : هو النشأة الأصولية لبعض السياسيين، والتي أنعكست على قراراتهم وأنشطتهم. ولعل التركيز هنا على رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية مرده ما لاقته الحركات الأصولية التي نبتت وتجذرت في الذهنية الأوروبيةبصفة عامة والإنجليزية بصفة خاصة من رواجٍ شعبيّ مذهل في الأرض الجديدة.

الجانب الثاني: هو سعي بعض رجالات الدين لممارسة العمل السياسي تحقيقاً لمعتقداتهم، فنجد الحالة الأمريكية تمثل أيضا خير نموذج حيث أن النخب الأصولية بها قد تمكنت من التمتع بالدعم السياسي والإداري والاقتصادي من قبل أبرز الأحزاب السياسية، فبات لهم سلطة على الساسة والمشرّعين، وسكان البيت الأبيض، وبالتالي على عمليات صنع القرار السياسي، وصنع الرأي وتوجيه المواقف، خاصة إذا علمنا أنهم سيطروا على أهم مؤسسات التأثير الاعلامى والكنيسة[3].

---

(1) الأصولية المسيحية الأمريكية- دراسة في الأبعاد الفلسفية- بقلم "جورج المصري - مجلة الإنسان، ع.(8)، محرم 1413، أغسطس 1992 ص.:42-46."

(2) محمد فاروق الزين، المرجع السابق الذكر، ص 273

(3) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية دراسة تحليلية نقدية- كريمة بلخضر – رسالة ماجستير – جامعة الجزائر 2006

وبصفة عامة، نجد أن أولئك الوعاظ وغيرهم يخاطبون جمهوراً من المؤمنين يصل إلى 115 مليون من الأمريكيين عبر ما يزيد على50 محطة تلفزيون لا تبثّ إلا البرامج الدينية بالإضافة إلى (1400)محطة إذاعية. أما الكنيسة، فيمكن القول بأن سيطرتها تتجسد في توجيه الأفراد والجماعات، حيث للكنائس نفوذ على البرامج الدراسية، كما أنها مسؤولة على برامج تذاع عبر الراديو والتلفزيون، والنشرات الإخبارية والصحف التي تصل إلى الملايين، كما أنها تدير مئات الجامعات والندوات وعددا ضخما من المدارس الابتدائية والثانوية، وبالتالي، ومن خلال هذه الإمبراطورية الإعلامية، بإمكاننا القول بأن هذه النخبة الأصولية قد وعت بأن سيطرتها على وسائل الاعلام سيمكنها من تعبئة المجتمع من ناحية، ما يسمح لها بالتأثير والضغط على السلطة للحصول على تشريعات تتماشى مع معتقداتها وتصوراتها، القائلة بأن اليهود شعب الله المختار، وأعطاهم الله الأرض المقدسة، وهو يبارك من يباركهم، ويلعن من يلعنهم [1].

ولعل الأكثر من هذا هو دخول الأصوليين اللعبة السياسية مباشرة، إذ جربوا ذلك في الانتخابات الرئاسية، ودعموا المرشح الديمقراطي "جيمي كارتر"، وساهموا كقوة تصويتية في نجاح "ريغان" الذي اختار عدد منهم لتولي مراكز مهمة في الإدارة[2]. كما دعموا "بوش الأب" في رئاسة 1988، والأهم من كل هذا ما قام به القس " بات روبنتسون" في بداية التسعينات،عندما رشح نفسه للرئاسة الأمريكية، وأنشأ "الائتلاف المسيحي"، الذي دخل في تحالف مباشر مع الحزب الجمهوري منشئين بذلك ما يسمى الائتلاف اليميني المسيحي[3] "ليصبح بذلك أهم القوى الدينية السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية بحكم تأثيرها الديني، السياسي والاجتماعي في الحياة العامة، كما في الكونغرس، ودوائر صنع القرار، خاصة في سنوات التسعينات وما بعدها، إذ بدا هذا التأثير واضحا من خلال توجيه الرأي العام والسياسة الأمريكية ضد العرب والمسلمين، ولكن لصالح إسرائيل والصهيونية. وقد صرح "روبنتسون" قائلاً: نحن، المسيحيين، نعرف من صميم قلوبنا أن الله يقف بجانب إسرائيل،

---

(1) محمد فاروق الزين، المرجع السابق، ص254

(2) محمد كمال إيهاب، المرجع السابق، ص 141

(3) محمد فاروق الزين، المرجع السابق، ص255

وليس بجانب العرب الإرهاب يين، كما أيد غزو بيروت في 1982، وضرب ليبيا في 1986، والعراق في 1991، وشارك في عملية تهجير يهود إثيوبيا الفلاشا إلى إسرائيل[1].

ويوجد في الولايات المتحدة أكثر من 200 طائفة داخل المذهب البروتستانتي وهم بحدود مئة مليون أميركي. وأكثر هذه الطوائف تشدداً، هي الطائفة التدبيرية، وأشهر دعاتها بات روبرتسون، وجيري فالويل، وجيم بيكر، وآخرون.. وجميعهم يبشرون بعودة المسيح بعد إعادة بناء هيكل سليمان.. وبعضهم يرسمون تلك العودة على شكل حرب عظيمة بين الخير المطلق (إسرائيل وأنصارها من الأصوليين المسيحيون) والشر المطلق (المسلمون وأنصارهم) ويسمونها "هرمجدون" وهي اسم عبري، معناه جبل مجدو وهو موقع تنبأ كتاب الرؤيا أنه سيتحول إلى ساحة للحرب يجتمع فيه كافة ملوك الأرض في يوم قتال الرب (رؤيا 16-16)[2]، حيث تتعرض إسرائيل لهجوم عنيف من الشعوب المجاورة (المسلمين) ويتحول 144 ألف يهودي إلى المسيحية، وينتشرون لتحويل بقية الشعوب إلى المذهب الإنجيلي، وحين تبدأ الحرب يرتفع المؤمنون فوق أرض المعركة، بينما تذوب البشرية الخاطئة في أتون المعركة، بعدها ينزل المسيح ومعه المؤمنون ويسودون الأرض لمدة ألف عام حتى قيام الساعة[3].

ولما كان لاهوت (هرمجدون) في صلب اهتمامات بعض المتهودين وعلى رأسهم (جيرى فالويل) الذى يقوم بتسيير رحلات منظمة إلى الأراضى العربية الفلسطينية، فإن غريس هاليسل اطّلعت أثناء إحدى رحلاتها مع جماعة فالويل على نمط تفكير أتباعه، ومنهم (أوين) الذي شرح لها ضرورة تدمير أحد أكثر الأماكن الإسلامية قداسة في مدينة القدس، إلا وهى قبة الصخرة المشرفة التى يُجلّها أكثر من بليون مسلم في جميع أنحاء العالم. وأضاف (أوين) أن النبوءة تتطلب تدمير اليهود لقبة الصخرة المشرفة لبناء الهيكل اليهودى على أنقاضها، وأن الإرهابين اليهود الذين خططوا لقصف المسجد الأقصى بهدف تدميره ومحوه من الوجود كانوا

---

(1) محمد كمال إيهاب، المرجع السابق، ص 146)

(2) شهود يهوه - بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلموذ اليهودي - تأليف/ حسين عمر حماده - دار قتيبه 1990- ص145

(3) النبوءة والسياسة 39

أبطالا، وأن المشرفين على (مؤسسة هيكل القدس) أرسلوا خمسين ألف دولار للدفاع القضائى عن الإرهابيين الذين أدينوا بالتآمر على تدمير قبة الصخرة. [1]

وتشير دراسة هالسل على أن الذين يعتقدون بهرمجدون يضمون بين صفوفهم الأغنياء والفقراء والمشهورين والمغمورين، ومنهم بعض أباطرة النفط والغاز وتجار الأسلحة وبارونات صناعة البوظة، وقد أرسل هؤلاء مئات الآلاف من الدولارات لمساعدة الحركات السرية الإرهابية الصهيونية. وتذكر هالسل أن الكثيرين من أتباع عقيدة هرمجدون يؤمنون أن (دولة إسرائيل الحديثة وأرض صهيون التوراتية متطابقتان). وأنه ينبغى تخليص كل (أراضى إسرائيل المقدسة) من النيل إلى الفرات وتمليكها لليهود[2].

وتضيف هالسل أنها لا ترغب بانتقاد بعض الأصوليين المؤمنين بالإنجيل الذين أسسوا العديد من الجامعات والمشافي الكبيرة والكنائس العديدة، ولكنها تتساءل إن كان في ذهن هؤلاء القوم وهم يقومون بمثل هذه الإنشاءات الحضارية، أية فكرة عن تدمير هذا العالم وتسليمه لليهود بعد ذلك. ومع ذلك تشير الاستفتاءات والمسوح الاحصائية، أن 39٪ من الشعب الأمريكى يعتقد بتدمير الأرض بهرمجدون نووية. وأن 61 مليون امريكى يستمعون بانتظام إلى الوعاظ الذين يؤكدون أنهم لن يستطيعوا عمل شيء لمنع الحرب النووية في حياتنا، بل أن أحدى محطات التلفزيون الأمريكية التابعة لشركة شبكة الإذاعة المسيحية (سى. بى. أن) والعاملة في جنوب لبنان، تقدم أخبارها التلفزيونية من المنظور الهرمجدونى السابق.

ومن بين الآلاف الأربعة من الأصوليين الإنجيليين الذين يحضرون سنوياً مؤتمرات الإذاعيين الدينية الوطنية، هناك ما يقارب ثلاثة الآف دهرى يؤمنون أن المحرقة النووية هى القادرة فحسب على إعادة المسيح المنتظر إلى الأرض. وتبث هذه القناعة ألف وأربعمائة محطة دينية في أمريكا. وأن غالبية الآلاف الثمانين من القسيسين الذين يذيعون من أكثر من أربعمائة محطة إذاعية هم من الدهريين. كما أن معظم مدارس الإنجيل في الولايات المتحدة الأمريكية تعلم لاهوت هرمجدون حسب رؤية (ديل كرولى) الابن. وهناك مائة ألف طالب يدرسون في

(1) قبل أن يهدم الأقصى – عبد العزيز مصطفى. ص 89

(2) المبشرون البروتستانت، والنية القاتلة- جريس هالسيل- ص 58

هذه المدارس الإنجيلية، يؤمنون بهرمجدون، وسيخرجون إلى العالم ويصبحون قساوسة مبشرين بهذه العقيدة[1] .

وفي يونيه 1982 وبعد ثلاثة أيام من بدء الغزو الصهيونى للبنان، شرح (بات روبرتسون) من خلال برنامجه التلفزيونى بنادى السبعمائة والذى يصل إلى اكثر من 16 مليون عائلة، أى إلى 19٪ من مجموع المشاهدين الأمريكيين شرح أهوال معركة هرمجدون الوشيكة، حتى أنه أعاد النبوءة التى أعلنها في يناير 1982 والتى أكد فيها أن حساب العالم سيحل في خريف 1982، وأن القضاء النهائي سيحل بالاتحاد السوفيتى. لأنهم سيقومون بمغامرات عسكرية ستجلب نهايتهم. وليوضح (بات روبرتسون) نبوءته ذهب إلى السبورة تتبعه آلة التصوير التلفزيونية ليحدد موضع (دول الشرق الأوسط) على الخريطة، معيداً صياغة نبوءة حزقيال بقوله: في العصور القادمة عندما تتم إعادة تجميع إسرائيل من الأمم، سأتسبب في حدوث شيء ما. هذا الشيء أنني سأضع الكلابات في أفواه التحالف الذى سيقوده شخص شيطاني، والدول التى ستكون معه هى بيت توغارما (يقصد أرمينيا)، وبوت (يقصد ليبيا)، وروش (يقصد الحبشة)، ونحوم (يقصد اليمن الجنوبية)، وفارس (يقصد إيران). وتابع روبرتسون قائلاً: كل شيء جاهز ويمكن حدوثه في أي وقت. ومن المؤكد أن شيئاً كهذا سيحدث بحلول خريف 1982 وبهذا تتحقق نبوءة حزقيال[2].

ويضيف روبرتسون: "إن الولايات المتحدة الأمريكية موجودة في نص حزقيال. وإننا ننتظر المعركة النهائية المحتومة". ولقد حذا حذو روبرتسون العديد من الأذاعيين الذين يُبشّرون بلاهوت هرمجدون في الإذاعة والتلفزيون ومن على المنابر، وهذا التبشير يتضمن أن الرب كان يعلم منذ البداية، أننا الأحياء اليوم، سندمر كوكب الأرض. وجدير بالذكر أن روبنسون يمتلك محطة وإذاعة تلفزيون الأمل في جنوب لبنان والتي تبث برامجها من منظور لاهوت هرمجيدون، كما أنه شارك مع الجيش الإسرائيلي بقيادة المجرم (شارون) في غزو لبنان"[3].

---

(1) شهود يهوه - بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلموذ اليهودي - تأليف/ حسين عمر حماده - دار قتيبه 1990 - ص 170

(2) النبوءه والسياسة – ص28

(3) الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني – الأب مايكل برير – ترجمة احمد الجمل وزياد منى ص 65

رونالد ريغان، والحكايات الخرافية عن هرمجدون

كما أسلفنا، فإن الاعتقاد بمعركة مجدو، وأنها وشيكة الوقوع قد سيطر على قطاع عريض من البروتستانت، ومنهم أشخاص اعتلوا أعلى كراسي المسئولية في العالم، ومن هؤلاء الرئيس الأمريكي (رونالد ريغان). يقول الأمريكي (أندرولانج) مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية ومقيم بواشنطن: "لقد أجريت دراسة عميقة عن ريغان والاعتقاد بمجدو، ووجدت أن ريغان قد نشأ على ذات نظام المعتقدات، التي نشأ عليها كل من (كلايد، وجيرى فالويل، وجيمى سواجارت) ومبشرين آخرين، وأن لدى ريغان اعتقاد بهذا اليوم على الأقل إلى وقت قريب من توليه الرئاسة". وقد عقد (لانج) مؤتمراً صحفياً، نظّمه معهد الدراسات المسيحية، قال فيه: "أنني وآخرين من المعهد أردنا التحقق في أمر ريغان وأيديولوجية مجدو بالنظر إلى إمكانية أن يعتقد رئيس ما، شخصياً، بأن الله قد قدر سلفاً حرباً نووية، هي إمكانية تثير عدداً من الأسئلة المخيفة. فهل سيؤمن رئيس معتقد بهذه الإمكانية بجدوى التفاوض على نزع السلاح حقاً ؟ وهل سيكون إذا وقعت أزمة نووية واعياً ومتعقلاً ؟ أم أنه سيكون تواقاً للضغط على زرٍ ما شاعراً بذلك أنه يحقق تخطيط الله المقدر سلفاً لنهاية الزمن ؟!!"[1]. كما نشرت صحيفة (الغارديان) البريطانية نقلاً عن صحيفة (الواشنطن بوست) الأمريكية دراسة جاء فيها: "أنه يجب أن نشعر جميعاً بالقلق عندما يتحدث الرئيس الأمريكي (ريغان) عن إرادة الله والمعركة الفاصلة بين الخير والشر على أرض الشرق الأوسط في حياة هذا الجيل. وكرر (ريغان) اعتقاداته حول نهاية العالم من خلال معركة هرمجدون التي ستنشب في الشرق الأوسط خمس مراتٍ في أربع سنوات[2].

وبعد ستة أسابيع من تنصيب (ريغن) ذكر (جيرى فالويل) أن ريغن متفق معه حول نبوءة التوراة حول هرمجدون، وأن المحرقة النووية ستقع خلال أقل من ستين عاماً، وأنه سيتم في هذه الحرب تدمير روسيا بالأسلحة النووية، وأن المسيحيين في الاتحاد السوفيتي سيبتهجون وسيصعدون إلى السماء في غمضة عين، وبهذه الطريقة سينجون من المحرقة. ويعتقد (فالويل) أن دمار الاتحاد السوفيتي سيتم عندما يتحرك نحو الشرق الأوسط وخاصة إلى إسرائيل. وفي

---

(1) النبوءة والسياسة – جريس هالسيل – ترجمة محمد السماك ص44

(2) المسيح القادم (مسيح يهودى سفاح) – جورجي كنعان ص41

أكتوبر (تشرين) 1983م كشف ريغان النقاب عن أن معركة مجدو ليست فقط عقيدة لا تزال تسكن قلبه، بل أنها لا تزال تشغل باله. فقد اتصل هاتفياً مع (توم داين) من اللجنة المركزية الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة، التي هي أقوى مجموعة ضغط قوية لإسرائيل، ليوجه له الشكر على جهوده لإقناع الكونغرس بإعطاء (ريغن) تفويضاً بالاحتفاظ بمشاة البحرية الأمريكية في لبنان لمدة ثمانية عشر شهراً. وقال (داين): إن (ريغان) قال له "كما تعرف.. ؟ إنني أستند إلى أنبيائكم القدامى في العهد القديم، وإلى المؤشرات التي تخبر بمجدو، وإني أتساءل إذا كنا الجيل الذي سيشهد ذلك.. لا أعرف إذا كنت لاحظت أياً من هذه التنبؤات، ولكن صدقني أنها تصف الوقت الذي نمر به"[1].

وعندما أصبح ريغان رئيساً اتخذ في عام 1983م الترتيبات لحضور الزعيم الأصولي (فولويل) مجلس الأمن القومي، ليناقش مع كبار موظفي أمريكا خططاً لحرب نووية مع روسيا، كما وافق ريغان على أن يخطب (هال ليندسي) مؤلف كتاب كوكب الأرض العظيم الفائت أمام مخططي وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) حول احتمالات نشوب الحرب النووية مع روسيا. وفي العام 1983م استخدم (ريغان) تعبير "الإمبراطورية الشريرة" إشارة إلى الإتحاد السوفيتي، بمعنى أن السوفييت من قوى الشر التي تدعم قوى الظلام، التي تحارب تحت لواء الوحش عدو المسيح في معركة تل مجدو الرهيبة، حيث يفترض في تلك المعركة أن تقاتل إسرائيل وحلفاءها من قوى الخير، إلى جانب المسيح عند مجيئه الثاني[2].

وعندما يستعيد المرء أحداث الماضي القريب، يصاب بالذعر كيف أن أقوى أمة على وجه الأرض متحالفة مع إسرائيل، وآمن رئيسها بلاهوت تل مجدو، وتطلع واستعد بجد ونشاط لتحقيق النهاية الرهيبة. فلم يكن أقل من معجزة أن انتهت ولاية ريجان دون انفجار حرب نووية بسبب نبوءات أصر أصحابها على تحقيقها قسراً. غير أن ما نخشاه حقيقة من تسلط أو إغراء هذه النبوءات، هو ما ذكره (أرنست نأجل) عن التنبؤ المحقق نفسه. وهو الذي يتألف من تنبؤات لا تصدق على الوقائع الفعلية، أو الوقت الذي تصاغ فيه هذه التنبؤات، غير أنها

---

(1) النبوءة والسياسة – جريس هالسيل. ترجمة محمد السماك ص51

(2) زعماء ودماء. ايمن ابو الروس ص104

تغدو صادقة بسبب الأفعال التي تتخذ كنتيجة مترتبة على الاعتقاد بصحة تلك التنبؤات[1].

وهنا يقول روبرت جيوبت: أن من النتائج الجانبية المرعبة للاعتقاد بأن الله قضى مسبقاً بهرمجيدون، هو أنه يصبح من اليسير (خلق) الحالة الموصوفة، بحيث أن التفسير يقود إلى تحقيقها. ويقول (ستيفن أولبري) مؤلف (مناقشة النهاية الكارثية): "أن القضية الحقيقية هي الكيفية التي يجرى فيها تفسير نبوءة نهاية الزمن التى تكون كل توقعاتنا، بحيث أنها تجعل الحرب النووية تبدو تحقيقاً شريراً لقدر إلهي"[2].

محور الخير.. ومحور الشر (أبناء النور وأبناء الظلام)

كان الرئيس الممثل (رولاند ريغان) من أوائل الرؤساء الأمريكيين، الذين استخدموا تعبير إمبراطورية الشر، بصوره علنية فجة، حيث كان يقصد بها الاتحاد السوفيتي السابق وحلفائه، بسبب اعتقاده الديني من أن روسيا ستهاجم إسرائيل في معركة هرمجيدون، ثم تبعه بعد ذلك كثير من الساسة في استخدام هذا التعبير. ولكن جاء أخيراً الرئيس (جورج بوش الابن)، وكرس هذا المفهوم وأضفي عليه بعداً عالمياً بعد أحداث سبتمبر، وذلك في خطابه عن حالة الاتحاد في يناير 2002م عندما قسم العالم إلى قسمين، أشرار (المسلمون) يحاربون أمريكيا، وأخيار يقفون معها. بل تعدى هذا الأمر ووصف دول بعينها بأنها تمثل محور الشر (العراق وإيران وكوريا الشمالية)، أو ما أسماها بالدول المارقة. وإذا كان لابد من محاربة الشر فهذا لا يمكن إلا بواسطة الخير. والقوى المنضمة إلى الخير هي في معسكر الأخيار. أن هذه التبسيطة الثقافية تسمح لأنصار الحرب الأخلاقية بأن يبرروا الغاية بكل الوسائل المتاحة"[3].

إن إحدى خصائص محور الشر الأساسية على الطريقة الأمريكية، هي أنه ذو شكل متغير فهو يتمثل حيناً بليبيا وإيران، وحيناً بسوريا. وفي سنة 1990م كان العراق، ثم بمقتضى الظروف صار الصومال، ثم حماس أو واحدة من قبائل الفلبين. ويشمل هذا التصنيف أكراد حزب العمال الكردي ولا يشمل أكراد حزب الاتحاد الكردي، الذين يتمتعون بدعم وكالة المخابرات المركزية. وفي السنوات الفائتة نالت القوى المسلحة الثورية الكولومبية FARC

---

(1) صدام الحضارات – صامويل هتنجتون –ترجمة طلعت الشايب. تقديم د. صلاح قنصوه ص25– الناشر: سطور – 1998

(2) يد الله – غريس هالسيل ص110

(3) خطورة أمريكا – ملفات حربها المفتوحة في العراق. نويل مامير، باتريك فاربيار – ترجمة ميشال كرم ص85

شرف التسجيل على هذه اللائحة، التي يظهر فيها بين حين وآخر كل من السودان واليمن، حسب الظروف. أن محور الشر هو كناية عن جردة انطباعية، تعود علة بقائها إلى مصالح سيد البيت الأبيض المتقلبة[1].

وبالرغم من أن الكثيرين بدأو ينظرون بريبة وشك إلى مثل هذه التعبيرات، إلا أن ذلك لا يجب أن يعمينا عن الأبعاد الفكرية والدينية الراسخة الجذور لمثل هذه التعبيرات، والتي حفل بها التاريخ الأمريكي منذ بداياته. ففي بلد للدين فيه نفوذ كبير على السياسة، فإن مفردة (الشر) مرتبطة بمفردة (الشيطان)، وبهذا المعنى يستخدم الدين لمواصلة أهداف غير نبيلة، على عكس ما يُزعم، حيث أن من يجسدون هذا الشر تغيروا عبر الحقب الزمنية.. في الأول كان الهنود هم الذين يجسدون هذا الشر، ثم عوضوا فيما بعد بالأفرو أميركيين، لكن هؤلاء تركوا منصبهم للفوضويين الذين تبعهم الشيوعيون. أما اليوم فوجوه الشر هي العراق وإيران وكوريا الشمالية[2]، والعرب والمسلمون عامة، أما وجوه الخير فهي بالطبع أمريكيا وإسرائيل والدول البروتستانتية التي يشع منها النور في عالم تغمره الظلمة؟!.

وهذا التقسيم للعالم إلى خير وشر، مستمد في الأساس من معتقدات دينية يؤمن بها المسيحيون البروتستانت، حيث يعتقدون انطلاقاً من إيمانهم بكل ما ورد في التوراة وسفر الرؤيا، أن هناك قوة شريرة يسمونها (أبناء الظلام) ستقدم يوماً على حرب ضد قوى الخير ممثلة في إسرائيل وأشياعها من دول العالم البروتستانتي (أبناء النور)، وهم يضمون المسلمين ودول أخرى إلى جانب قوى الشر.

ومن الطريف أن زعماء التيار الديني البروتستانتي الأصولي مثل (فالويل وروبنسون وغيرهم)، يسمون دولاً بعينها ويجعلونها في مصافِ القوى الشريرة التي ستشهد معركة مجدو. منها ليبيا وأثيوبيا!! وتقول (جريس هالسل) أن حركة الربط بين قصص الكتاب المقدس، وأسماء دول أو شعوب في عالمنا المعاصر، هي حركة قوية وقديمة، والكثير من المبشرين يكررون دائماً أن أعداء أمريكا هم أعداء الصهاينة، وبحسب نبوءة الكتاب المقدس ستقوم روسيا والصين بغزو الكيان الصهيوني مثلاً، وأن على أمريكا أن تقود معركة رهيبة تضع حداً

---

(1) خطورة أمريكا – ملفات حربها المفتوحة في العراق. نويل مامير، باتريك فاربيار – ترجمة ميشال كرم ص85

(2) المجتمع الأميركي بعد 11 سبتمبر. المؤلف :صوفي بودي جندرو – ط1 2002 –الناشر: مطبوعات [المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية] – باريس كامبردج بوك ريفيوز

للتاريخ الإنساني ضد 12 دولة تملك السلاح النووي، وأن الكتاب المقدس يحوى نبوءات تهز الدنيا ! ومعركة هرمجيدون يمكن أن تقع في أي وقت لتحقيق نبوءة حزقيال، وعلى أمريكا أن تكون مستعدة للنهاية، التي اقتربت، وسيبدأ من الآن مسلسل حروب صغيرة، يتم فيها قتل نصف البشرية قبل هرمجيدون[1].

فمثلاً يقول القس (فالويل) زعيم الأغلبية الأخلاقية: "أن النبي العبراني (حزقيال) تنبأ قبل 2600 سنة بقيام أمة شريرة إلى الشمال من فلسطين، قبيل موعد المجيء الثاني للمسيح. وقال: "أننا نقرأ في الأصحاحين 38 و39 من سفر حزقيال، أن تلك الأمة سيكون اسمها (روش)، مكتوب هكذا في الأية 2 من الأصحاح 38 من سفر حزقيال من الكتاب المقدس بالحرف (روش)، بل وأن حزقيال يحدد بالاسم مدينتين من مدن (روش) هما (ماشك) (وتوبال). وكل هذا في الأية 2 من الأصحاح 38 أيضاً، والاسمان قريبان للغاية من اسمي موسكو وتبلسك: ماشك موسكو، وتوبال . تبلسك، وكلا المدينتين من المدن العاصمية الرئيسة في روسيا اليوم. وقد ذكر حزقيال أيضاً، في الأية 3، أن تلك الأمة ستكون معادية لله، ولذا فإن الله سيعاديها. وقال حزقيال أيضاً أن روسيا، روش ستغزو إسرائيل في آخر الأيام، وذلك في الأية 8، ثم قال أن ذلك الغزو سيكون بمساعدة حلفاء روش، وذلك في الآيتين 5،6، وحدد أولئك الحلفاء بالاسم: إيران (التي كنا نسميها فيما مضى فارس) وجنوب أفريقيا أو الحبشة، وشمال أفريقيا أو ليبيا، وأوروبا الشرقية (المدعوة بجومر هنا في حزقيال 38) وقوزاق جنوب روسيا واسمهم في ذلك الأصحاح توجرمه.[2]

حرب يأجوج ومأجوج

تقول عقيدة هرمجيدون أن هناك معارك ستقع للتمهيد للموقعة الكبرى، ومنها حروب يأجوج ومأجوج، وترى أن يأجوج المذكور في حزقيال هو روسيا، وأن حزقيال قد أخبرنا عن مصير الوثنيين في الأيام الأخيرة وهم جيران الكيان الصهيوني وآخرين بعيدين عنها، "نعم لم تكن هناك روسيا أيام حزقيال، ولكن الله يعرف أنها كانت ستتواجد" وسوف يهاجم يأجوج

---

(1) يد الله. جريس هالسيل 34

(2) لو قارنا أسماء الدول التي وردت في الفقرة السابقة بالهجمة الشرسة التي تشنها أمريكا على الدول العربية والإسلامية فإننا سنلاحظ تشابه كامل بين ما ورد في النصوص التوراتية وبين ما تقوم به الإدارة لأمريكية على ارض الواقع، بحيث يمكن القول أن التوراة أصبحت المرجع الرئيس لرسم سياسة الإدارات الأمريكية المتعاقبة.

الصهاينة، وسيغضب الرب كما يقول حزقيال وسفر الرؤيا، وستكون نار غضبه هي الصواريخ الحديثة التي ستدمر 4/5 الروس الشيوعيين، وسيتم القضاء أيضاً، على بقية الأمة الروسية هناك أي مأجوج، وستقدر السلطات الصهيونية على ذلك بمعونة حلفائها أميركا وبريطانيا الذين سوف يستخدمون قبرص.

ويشير سفر دانيال إلى سفن راسية في (شيتيم) التوراتية التي هي قبرص (30/11)، وسوف تنضم دول كثيرة إلى روسيا، ومنها ألمانيا التي ستتعرض للدمار هي الأخرى، ولن يكون هناك سلام مع روسيا حتى يعود المسيح ويجلس على عرش داود، والشعب الروسي هو العدو رقم واحد للكيان وبالتالي للرب. وستكون المحنة الكبرى أقرب منها للهولوكوست، لأنها ستكون انتقام الرب من عالم غير مؤمن، والمحنة هي من أجل الصهاينة، وقد اتفق العهد القديم والعهد الجديد على حدوثها وملامحها (زيفانيا 1/18 ملاخي 4/1) أن نار غضبه سوف تبتلع الأرض كلها وسيكون حريق الهولوكوست النووية كالفرن.

المبشرون البروتستانت والنية القاتلة

في كتابها (يد الله) عالجت هالسل باقتدار قضية التوظيف السياسي الذي يصل إلى حد الابتزاز للنبواءت الدينية، وهو عبارة عن إجابات على أسئلة جمعتها المؤلفة من سلسلة مقابلات شخصية مع مسئولين من فعاليات دينية، ومراجع كنسية أمريكية مختلفة. وتتصدى فيه (جريس هالسل)، لظاهرة المنصّرين التوراتيين التلفزيونيين، الذين يمثّلون اليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي يُعرف إعلاميًّا بـ (الصهيونية المسيحية) وهي الظاهرة التي تجسد أغرب وأسوأ أشكال الدجل السياسي الديني في العقد الأخير، ربما على مستوى العالم كله، والتي صنعها عدد من المنصّرين التوراتيين الذين احترفوا تقديم برامج تليفزيونية عن النبوءات التوراتية، التي تبشر بقرب نزول المسيح المخلص ونهاية العالم فيما يعرف بمعركة (الهرمجدّون). واستطاعوا من خلال نشاطهم – الذي يُعدّ أكبر وأهم حركة تنصير في تاريخ المسيحية، إقامة ما يعرف بـ (حزام التوراة(، والذي يتكون من مجموعة ولأيات الجنوب والوسط الأمريكي، والتي تكونت فيها قطاعات واسعة من المسيحيين المتشددين دينياً، والمؤمنين بنبوءة الهرمجدّون، أو نهاية العالم الوشيكة والمرتبطة بنزول المسيح المخلص من الشر والخطيئة.

وتكشف (جريس هالسل) في كتابها عن أن هناك اقتصاديات ضخمة تقوم على هذه النبوءة، التي تُدِرّ مليارات الدولارات سنوياً على نجوم التنصير التوراتي، الذين يمتلكون عشرات المحطات التلفزيونية والأذاعية في أمريكا وأنحاء العالم، وأبرزهم (بات روبرتسون) الذي يطلق عليه لقب (الرجل الأخطر في أمريكا)، فقد أسس وحدة شبكة البث المسيحية CBN، وشبكة المحطة العائلية أحدى أكبر الشبكات الأمريكية، كما أسس التحالف المسيحي الذي يُعَدّ الأوسع نفوذاً وتأثيراً في السياسية الأمريكية، بما مكّنه من الترشيح في الانتخابات الأمريكية بفضل ملايين الدولارات، التي يحصل عليها كتبرعات من أتباعه ومشاهدي نبوءاته التلفزيونية[1]. كذلك (بات بيوكاتن) الذي كان مرشحاً لانتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة عن حزب الإصلاح. وتُعَدّ برامج هؤلاء المنصرين التوراتيين من أمثال: (هالويل)، (وجيري فالويل)، (وتشارلز تايلور)، (وبول كراوسي)، (وتشال سميث)، (وروبرتسون)، (وبيوكاتن) من أكثر البرامج جماهيرية في الولايات المتحدة. كما تشهد أشرطة الفيديو والكاسيت، التي تحمل هذه البرامج رواجاً رهيباً، في أوساط الطبقة المتوسطة الأمريكية[2].

وينتشر المنصّرون التوراتيون في معظم أنحاء الولايات المتحدة، في عدة الآف من الكنائس التي يعملون في كهانتها، عبر مؤسسة الزمالة الدولية لكنائس الكتاب المقدس. ويؤمن أتباع هذه النبوءة، بأنهم شعب نهاية الزمن، وأنهم يعيشون اللحظة التي كتب عليهم فيها تدمير الإنسانية، ويؤكدون قرب نهاية العالم بمعركة الهرمجدّون، التي بشّرت بها التوراة، والتي سيسبقها اندلاع حرب نووية تذهب بأرواح أكثر من 3 مليارات إنسان! وتبدأ شرارتها من جبل الهرمجدون، الذي يبعد مسافة 55 ميلاً عن تل أبيب بمسافة 15 ميلاً من شاطئ البحر المتوسط، وهو المكان الذي أخذ أكبر حيز من اهتمام المسيحيين بعد الجنة والنار![3]

وتحلّل (جريس هالسل) كيف أفرزت هذه الأصولية المسيحية أكثر من ألف ومائتي حركة دينية متطرفة، يؤمن أعضاؤها بنبوءة نهاية العالم الموشكة في الهرمجدّون، وترصد سلوك وأفكار هذه الحركات الغريبة، التي دفعت ببعضها إلى القيام بانتحارات جماعية من أجل التعجيل بعودة المسيح المخلّص وقيام القيامة، ومنها جماعة (كوكلس كلان) العنصرية، والنازيون

---

(1) الدين والثقافة الأمريكية – جورج مارسدن – ترجمة صادق عودة ص 283

(2) – المبشرون البروتستانت، والنية القاتلة- جريس هالسيل- ص 87

(3) يد الله. تأليف جريس هالسل. ترجمة محمد السماك

الجدد، وحليقو الرؤوس، وجماعة (دان كورش) الشهيرة، والتي قاد فيها أتباعه، لانتحار جماعي بولاية تكساس من أجل الإسراع بنهاية العالم، وكذلك القس (جونز) الذي قاد انتحاراً جماعياً لأتباعه في (جواينا) لنفس السبب، وقد كان (ماك تيموثي) الذي دبّر أنفجار(أوكلاهوما) الشهير من المنتمين لهذه الجماعات. وتشير الاستفتاءات والمسوح الأحصائية فيما يتعلق بمعركة هرمجيدون إلى أن 39٪ من الشعب الأمريكي يعتقد بتدمير الأرض بهرمجدون نووية. وأن 61 مليون أمريكي يستمعون بانتظام إلى الوعاظ الذين يؤكدون أنهم لن يستطيعوا عمل شيء لمنع الحرب النووية في حياتنا[1].

التراث الذي تركه الكتاب المقدس للعرب والمسلمين

يمكن للمرء الاستنتاج أن النبوءات الواردة في كتاب الرؤيا، كانت تمثل وقت كتابتها، مشاعر فئات من المسيحيين تجاه مضطهديهم، وجُلّهم من المحرومين والمعدمين والمتذمرين والناقمين والمُعادين للسلطة، وحتى القابلين منهم للاشتراك في عمليات تخريب أو عصيان مسلح[2]. "والمثير للدهشة في نبوءات المجيء الثاني، ونهاية التاريخ، والمشاعر المترتبة عليها، أنها كانت العامل المؤثر تاريخياً في تكييف مشاعر وسلوك المسيحيين الأصوليين، تجاه الشرق الأوسط وسكانه من العرب والمسلمين، حيث سوغ هؤلاء الأصوليون لأنفسهم استخدام أبشع الوسائل والأسلحة الفتاكة لتحقيق أهدافهم، بسبب التفسير البشري لسفر الرؤيا الذي عبثت فيه أهواء البشر وفهمهم القاصر، بحيث كان تفسير سفر الرؤيا يتردّى من سيء إلى أسوأ كلما تقدم الزمان وتعاقب على تفسيره مختلف الأشخاص[3]. والواضح أن الوعاظ الأصوليين من آمثال (جيري فالويل) نجحوا في أن يجعلوا من رؤيا يوحنا نوعاً من التقديس لإسرائيل، عملت على تشويه رسالة المسيح بشكل سافر. والنتيجة البحتة لكل ذلك أن الأصوليين المسيحيين في الغرب جعلاً من تقديس إسرائيل ديانة جديدة لهم، تعلو على ديانة المسيح الحقيقية، فقد تعمد الوعاظ الأصوليين، ونجحوا في أن يجعلوا من رؤيا يوحنا وسيلة هائلة

---

(1) المبشرون البروتستانت، والنية القاتلة- جريس هالسيل- ص 58

(2) المسيحية والاستشراف والإسلام – محمد فاروق الزين. ص252

(3) الصليب والهلال – المؤلف: محمد عارف زكاء الله – الناشر: ذي آذرز، كوالالمبور- الطبعة: الأولى/2004 – الجزيرة نت

لمساعدة إسرائيل، فكان أن تكيفت السياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط عموماً، ونحو فلسطين خاصة، لدرجة أن جعلت مصير أمريكا مرتبطاً بمصير إسرائيل.

فالأصوليين المسيحيون في أمريكا، يؤمنون إيماناً شديداً، بأن اليهود هم شعب الله المختار وأن الله تعالى أعطاهم الأرض المقدسة، وأنه تعالى يبارك الذين يباركون اليهود ويلعن الذين يلعنونهم، والأصوليون الغربيون كأجدادهم منذ ألفي عام، لم يداخلهم اليأس إطلاقاً من تحقق نهاية فورية للتاريخ، هذه النهاية التي ستبدأ بمعركة تل مجدو في فلسطين، والمفترض أن تكون المعركة النهائية والفاصلة بين قوى الخير بقيادة المسيح العائد، وبين قوى الشر بقيادة عدو المسيح. وبالطبع سيخرج المسيح من المعركة الرهيبة ظافراً، وبنتيجة هذا النصر الحاسم سوف يقيم مملكة الله على الأرض فعلياً وليس مجازاً، ثم يحكمها بنفسه لمدة ألف عام من مقر قيادته في القدس، ولابد لليهود عندئذٍ من الإقرار بعيسى مسيحياً لهم، فيتحولون إلى المسيحية، ويشتركون مع المسيح في حكم العالم خلال تلك الألفية السعيدة، التي سُيقيدّ فيها الشيطان ثانية في نهاية الألفية كي لا يعود لخداع العالم في أركان الأرض الأربعة[1].

من هو عدو المسيح (وحش الرؤيا) ؟

صورة الشخص الشيطاني أو عدو المسيح، تعتبر من الصور النمطية في العقلية الأمريكية الأصولية، حيث ترتبط هذه الصورة بالاعتقاد بأن عدو المسيح سيقود قوى الشر في المعركة الأخيرة مترئساً جميع شعوب العالم. وقد قام الأصوليين المسيحيون بإسقاط هذه الصورة على القادة والزعماء الذين يعادونهم. ففي القرن السادس عشر، وصف (مارتن لوثر) و(جون كالفن) مؤسسا الكنيسة البروتستانتية، البابا بأنه عدو المسيح، وفي القرن الحالي، وصف كلاً من (هتلر وموسولينى وستالين) بأنهم أعداء المسيح. وبعد انتهاء الحرب الباردة، وبروز الأتجاهات الأمريكية باتخاذ الإسلام عدواً بديلاً، أصبح الاعتقاد لدى الأصوليين المسيحيين بأن عدو المسيح لابد أن يكون مسلماً، وأطلقوا هذه الصفة على الزعيم العراقي الراحل (صدام حسين). "فمنذ صلاح الدين حتى حُكْم صدام حسين والمسيحيون الأصوليين يرون الزعماء

---

(1) سفر الرؤيا 8/20

الإسلاميين كمسيح دجالٍ أو على الأقل نظيره"[1]. وبعد اعدام صدام حسين، ومعمّر القذافي، بالتأكيد حل بشار الأسد على رأس القائمة.

التفسير السياسي للتوراة

"إذا صح القول بأن ما كانت ترمي إليه الحملات الصليبية في العصور الوسطى، هو تنظيم العالم بحسب ما يمليه الكتاب المقدس، فإنه يصح القول أيضاً بأن ما يرمى إليه الصليبيون الجدد في القرن العشرين هو إعادة تنظيم الشرق المتوسطي، بل والعالم، بحسب ما يمليه الكتاب المقدس، بحيث يتوافق مع رؤية اليمين الأصولي المسيحي للنظام العالمي الجديد، الذي وضعته مؤخراً زعيمة الأمبريالية الحديثة الولايات المتحدة الأمريكية"[2]. وهذه الرؤية الأمريكية، تتماشى مع الرغبة في السيطرة على الأرض -والتي سطرها حاخامات اليهود في توراتهم- وهى ليست ببعيدة عما يخطط له الصهاينة والأصوليون المسيحيون في العصر الحاضر، بل لا نجأوز الصواب إذا قلنا أن كل من يريد فهم ما يُرجى وما يراد بالمنطقة، لا بد أن يطلع بداية على ما حوته التوراة من خطط قديمة لشعوب المنطقة.

فاليهود والأصوليون الأمريكيون يدركون أن البحر البشرى الضخم الذي يفترش الأرض التي لم تنتقل ملكيتها بعد لليهود، هم العرب والمسلمون.. كما يعرفون أن يهوه أمر منذ زمن أرميا: "بهلاك كل ممالك الأرض التي على وجه الأرض "وحدد بالاسم... كل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية" (أرميا 2625:24). ودعونا نقارن المخططات والمؤامرات التى تحيكها الأصولية المسيحية والصهيونية العالمية بما حوته التوراة اليهودية.

مصير مصر

كشفت مقالة نشرتها مجلة كيفونيم (توجهات)، التي تصدرها (المنظمة الصهيونية العالمية) في القدس، عن خطط إسرائيل الاستراتيجية في عقد الثمانينات وما بعدها، تجاه المنطقة العربية، ومما جاء فيها بشأن مصر: "لقد غدت مصر، باعتبارها كياناً مركزياً، مجرد جثة هامدة، لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار المواجهات التي تزداد حدة بين المسلمين والمسيحيين. وينبغي أن يكون

---

(1) عالم بوش السري/ الديانة والمعتقدات الأعمال والشبكات الخفية- اريك لوران- ترجمة سوزان قازان – ص93 – ط.1.- بيروت، لبنان دار الخيال، 2003.

(2) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي – جورجى كنعان. ص183.181

تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة جغرافياً هو هدفنا السياسي على الجبهة الغربية خلال سنوات التسعينات. وبمجرد أن تتفكك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية، فسوف تتفكك بالمثل بلدان أخرى، مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد... ومن ثم فإن تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر، بالإضافة إلى كيانات إقليمية أصغر وأقل أهمية، من شأنه أن يفتح الباب لتطور تاريخي لا مناص من تحقيقه على المدى البعيد، وإن كانت معاهدة السلام قد أعاقته في الوقت الراهن"[1].

وهنا نرى أن توقيع مصر لاتفاقية السلام مع إسرائيل لم تشفع لها وتستثنيها من مخططات اليهود والصهاينة المسيحيون، الذين يدركون أن هذه الاتفاقية ليست إلا فتره للهدنة، ليتمكنوا خلالها من الانقضاض على الدول العربية، بسبب عزل مصر عن محيطها العربي، باعتبارها تشكل مركز الثقل في المواجهة، ليأتي حسابها الكبير بعد ذلك تنفيذاً لأوامر التوراة اليهودية للانتقام من المصريين، الذين اضطهدوا اليهود وأخرجوهم من مصر. هذه هي خطط الصهيونية الاستراتيجية تجاه مصر والسودان وليبيا، والتي تبدو كتطبيق حرفي لما ورد في التوراة في مواضع كثيرة، وتعالوا نقارن.

نبوءة بشأن مصر

احتلت مصر مكاناً مركزياً في التفكير اليهودي، لأسبابٍ متعددة منها الحضاري والسياسي والدينى، حيث كانت الحضارة المصرية القديمة من أعرق الحضارات التى ظل بنو إسرائيل يحسدونها على ما وصلت إليه من ازدهار وقوة، انعكس على نفوذها وسلطانها في المنطقة كلها، بينما كان اليهود مجرد قبائل رحل لا دور حضاري لهم. يضاف إلى ذلك أن مصر شهدت نزوح اليهود إليها، ثم خروجهم من أرض مصر بقيادة النبي موسى، وتيههم. و"في الأزمنة الأخيرة لإسرائيل، زمن أنبياء أرميا وأشعيا، وقبل زمنٍ من تدمير الهيكل على يد طيطس الروماني وتشتيتهم في بقاع العالم، وقف أنبياء إسرائيل على عتبات النهاية، يتنباون بعودة المجد السليماني، وقيام دولة إسرائيل مره أخرى، وأنها حينذاك ستسود العالم، لكن قيامها كان

(1) مجلة كيفونيم، القدس، العدد 14 فبراير 1982ص59،49 نقلا عن كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية– روجيه جارودى ص271– تقديم محمد حسنين هيكل – دار الشروق– ط1 1998

يشترط أولاً وأخيراً خراباً تاماً لمصر وإذلالا لها، وهو ما يفصح عن التكوين النفسي والعقلي ومدى التشوه، الذي لحق بنفوس القوم تجاه مصر"[1].

وُيعبّر يهوه الرب عن حقده اللاهب على مصر بكلمات يصغر عما فيها من صور حاقدة شائنة ملتاثة، كل ما في الدنيا من كلمات البذاءة والتوقح والذم والتحقير. يقول أشعياء: "ها هو الرب قادم إلى مصر يركب سحابة سريعة، فترتجف أوثان مصر في حضرته، وتذوب قلوب المصريين في داخلهم. وأُثير مصريون على مصريين فيتحاربون، ويقوم الواحد على أخيه، والمدينة على المدينة والمملكة على المملكة، فتذوب أرواح المصريين في داخلهم، وأبطل مشورتهم، فيسألون الأوثان والسحرة وأصحاب التوابع والعرافين. وأسلط على المصريين مولى قاسٍ، فيسود ملك عنيف عليهم. هذا ما يقوله الرب القدير. وتنضب مياه النيل، وتجف الأحواض وتيبس. تنتن القنوات، وتتناقص تفرعات النيل وتجف، ويتلف القصب والأسل. وتذبل النباتات على ضفاف نهر النيل والحقول والمزروعات كلها تجف، وكانها لم تكن مخضرة. فيئن الصيادون وطارحو الشصوص في النيل وينوحون ويتحسر الذين يلقون شباكهم في المياه. ويتولى اليأس قلوب الذين يصنعون الكتان الممشط، ويفقد حائكو الكتان الفاخر كل أمل. ويُسحق الرجال ... ويكتئب كل عامل أجير".

ويضيف أشعياء فيقول: "رؤساء صوعن حمقى، ومشورات فرعون غبية. كيف تقولون لفرعون نحن من نسل حكماء، وأبناء ملوك قدامى؟ أين حكماؤك يا فرعون ليطلعوك على ما قضى به الرب القدير على مصر؟ قد حمق رؤساء صوعن وانخدع أمراء نوف وأضل مصر شرفاء قبائلها. جعل الرب فيها روح فوضى، فأضلوا مصر في كل تصرفاتها، حتى ترنحت كترنح السكران في قيئه. فلم يبق لعظمائها أو أدنيائها ما يفعلونه فيها. في ذلك اليوم يرتعد المصريون كالنساء خوفاً من يد الرب القدير، التي يهزها فوقهم. وتغدو أرض يهودا مثار رعب للمصريين، فيعتريها الفزع من ذكرها، لأن الرب القدير قد قضى قضاءه على مصر" (أشعياء 19، 17.1).

ويقول يهوه بلسان حزقيال: "هاأنذا عليك يا فرعون ملك مصر، فأجعل حذائي في فكيك، أتركك في البرية، بذلتك طعاماً لوحوش البر ولطيور السماء. هاأنذا أجلب عليك سيفاً

([1]) رب الزمان – سيد محمود القمني – ص 44

واستأصل منك الإنسان والحيوان وتكون أرض مصر مقفرة خربة وأجعل أرض مصر خرباً خربة مقفرة، لا ثمر فيها رجل إنسان ولا رجل بهيمة. أشتت المصريين بين الأمم وأبدّدهم في الأراضي"[1]. أما أرميا فقد وقف يعبر عن مكنون كل إسرائيلي تجاه مصر[2] في قوله: "أخبروا مصر، وأسمعوا في مجدل، واسمعوا في نوف (منف) وفي تحفنيس، قولوا أنتصب وتهيأ الآن، لأن السيف يأكل حواليك.. نادوا هناك فرعون ملك مصر هالك.. نوف تصير خربة وتحرق فلا ساكن.. ها أنذا أعاقب آمون نوف وفرعون مصر وآلهتها والمتوكلين عليه" (ارميا إصحاح 46).

هذا هو مصير مصر كما تريده التوراة اليهودية الحاقدة، وغيره الكثير الذي يعمل الصليبيون الجدد على إخراجه إلى ارض الواقع، والذي لا يقل عما جاء بحق بابل وآشور والفلسطينيين، لأن مصر احتلت مكاناً خاصاً ورئيساً في الفكر اليهودي، وذكريات الخروج من مصر والتيه في سيناء... الخ، سجلها اليهود في ثوراتهم الحاقدة، وتوعدوا المصريين بالدمار والقتل وكل أصناف الويلات كما جاء في النص السابق. فمن الحرب الأهلية وتقسيم مصر.. إلى إبطال المشورة وتسليط ملكٍ قاسٍ على المصريين، بل يصل الحقد اليهودي على مصر إلى حد تمنى جفاف مياه النيل وتلف الضرع والزرع.

وأعتقد أنه ليس صدفة أن تتطابق هذه الرؤية التوراتية مع ما جاء في التقرير السالف الذكر، وما يُخطَط لمصر على أرض الواقع. فالمحاولات الإسرائيلية الأمريكية لخلق فتنة طائفية في مصر على أشدها.. وإسرائيل وصلت إلى بوابة البحر الأحمر في جزيرتي حنيش الكبرى والصغرى، وهي تثبت أقدامها في أعالي النيل ومنطقة البحيرات. وفي المستقبل القريب سوف يدور الصراع حول المياه.. والنيل والبحيرات هي المخزن الاستراتيجي الهائل لمصر وللأمة العربية، وقد بدأت أولى فصول المؤامرة على مياه النيل بإعلان بعض الدول الأفريقية رغبتها في إعادة النظر في توزيع حصص مياه النيل، وكما نعلم فقد بدأت أثيوبيا إنشاء سد النهضة، حيث ستكون مصر والسودان من أكبر المتضررين من ذلك. وفي نفس السياق يتم تهديد الحدود الجنوبية لمصر وهى السودان، من خلال ما يحدث في جنوب السودان، وفي دارفور وأريتريا، حيث الأيادي الصهيونية الأمريكية واضحة في كل ما يحدث هناك من مؤامرة كبرى ليس على

---

(1) المسيح القادم.. مسيح يهودي سفاح – جورجي كنعان – ص144

(2) رب الزمان – سيد محمود القمني – ص 45

السودان فقط، بل على مصر أيضاً وعلى الأمة بأكملها. وكان المفروض أن تفيق الأمة وأن تتقارب وتتوحد، ولكننا نقرأ العكس، وهنا لابد أن نشير إلى أن توقيع مصر لاتفاقية السلام، وتعاون قيادتها التام مع أمريكا في مجالات عديدة لن يشفع لمصر، وسيأتي اليوم الذي سينقلب فيه أصدقاء اليوم إلى أعداء، كما حدث مع كثير من الدول قديماً وحديثاً، والمسألة ليست إلا استفراد بالدول العربية واحدة تلو الأخرى، ولكن المصير واحد كما حددته التوراة الحاقدة، بل أن أحقاد اليهود ومؤامراتهم، وصلت إلى درجة تمني أن يتم ضرب الدول العربية بعضها ببعض كما حدث في العراق.

دينونة مصر بيد ملك بابل

لم يبخل النبي حزقيال على مصر، وهو يوجه كلام الرب الإسرائيلي إلى الفرعون المقبل حيث يقول: "وأوحى إلى الرب بكلمته قائلاً: يا ابن آدم، تنبأ وقل: هذا ما يعلنه السيد الرب: ولولوا قائلين: يا لليوم الرهيب ! أن يوم الرب بات وشيكاً، يوم الرب قريب، أنه يوم مكفهر بالغيوم، ساعة دينونة للأمم، إذ يجرد سيف على مصر، فيعم الذعر الشديد أثيوبيا، عندما يتهاوى قتلى مصر، ويستولى على ثروتها، وتنقض أسسها. ثم تسقط معهم بالسيف أثيوبيا وفوط ولود وشبه الجزيرة العربية وليبيا وشعوب الأرض المتحالفة معهم. حقاً يسقط مناصر مصر، وتذل كبرياء عزتها، فيتهاوى بالسيف سكانها من مجدل إلى أسوان، يقول السيد الرب. فتصبح أكثر الأراضي المقفرة وحشة، وتضحي مدنها أكثر المدن خراباً ! فيدركون أني أنا الرب حين أضرم ناراً في مصر، وينهار جميع حلفائها. في ذلك اليوم يسرع رسلي إلى أثيوبيا المطمئنة ليثيروا فيها الرعب في يوم هلاك مصر، الذي لابد أن يتحقق.

لأني سأُفني جماهير مصر بيد نبوخذ نصر ملك بابل. إذ يقبل هو وجيشه، أعتى جيوش الأمم، لخراب ديار مصر، فيجردون عليها سيوفهم، ويملأون أرضها بالقتلى. وأُجفف مجاري نهر النيل، وأبيع الأرض لقومٍ أشرار، وأخرب البلاد فيها بيد غرباء. أنا الرب قضيت. ثم أحطم الأصنام وأزيل الأوثان من ممفيس، ولا يبقى بعد رئيس في ديار مصر، والقي فيها الرعب. وأخرب فتروس، وأضرم ناراً في صوعن، وأنفذ إحكاماً في طيبة. وأصب غضبي على سين حصن مصر، وأبيد أهل طيبة. وأضرم ناراً في مصر، فتقاسي سين أشد الألم، وتتمزق طيبة شر تمزيق، وتتعرض ممفيس للرعب في كل يوم. ويتساقط بالسيف شبان أون فيبسته، ويسبى بقية سكانها. ويظلم النهار في تحفنحيس،عندما أحطم أنيار مصر هناك، وتتلاشى كبرياء

عزتها. أما هي فتغشاها سحابة وتسبى بناتها. وهكذا أنفذ أحكاماً في مصر، فيدركون أني أنا الرب"(سفر حزقيال– 30)

فهذا الحقد الذي صبه حزيقيال على مصر ليس إلا جزء يسير مما امتلأت به التوراة اليهودية الحاقدة، والتي يسعى اليهود والأصوليين المسيحيون إلى إخراجها إلى أرض الواقع، حيث أن أهم ما في النص التوراتي السابق هو إشارته إلى أن دمار مصر سيكون على يد ملك بابل، أي العراق. وبالطبع هذا الأمر ليس مستبعداً في ظل الوضع الحالي في العراق، والتي وصلت فيه حكومة عميله للاحتلال لسدة الحكم، مستعدة لعمل أي شيء، خدمة للأجندة الصهيونية. كما أن موقف القيادة المصرية، التي يعتبره كثير من العراقيين والعرب، بأنه كان متآمراً بصورة فاضحة مع الأمريكان منذ بداية غزو الكويت، وحتى احتلال بغداد، يمكن أن يسهل حدوث مثل هذا الأمر مادام الجميع يتم توجيههم في النهاية من واشنطن وتل أبيب لتطبيق السيناريو التوراتي المعد مسبقاً بغض النظر عن كل اتفاقيات السلام التي وقعت مع الحكومات العربية.

ريغان وليبيا

في ضروب الهذيان التي امتلأت بها أدمغة المتنبئين والعرافين اليهود، واكتظت بنتائجها صفحات العهد القديم، كان هذيأن عن "لهابيم" (ليبيا الآن)، وكيف أن لهابيم هذه من الأمم الكثيرة التي ستزحف جيوشها على أورشليم المدينة المحبوبة، وعلى أرض إسرائيل أمة القديسين[1]. وهنا يروى (جيمس ملز) الذي كان رئيساً لمجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا، ضمن مقالة نشرتها له مجلة (سان رييجو) في أغسطس 1985م: أن ريغان سأله أثناء مأدبة حضرها، عما إذا كان قد قرأ الفصلين (38، 39) من (حزقيال). فأكد ملز لريغان أنه قد قرأ بالفعل، وناقش فقرات حزقيال التي تتحدث عن يأجوج ومأجوج، وعندئذ تحدث ريغان بحرارة عن تحول ليبيا إلى الشيوعية!! وأصر على أن هذا علامة تدل على أن يوم معركة مجدو ليس ببعيد، "لأن تحول هذه الدولة إلى الشيوعية يجعلها من القوى الشريرة، التي ستنضم مع الجيش الشرقي الكبير ضد إسرائيل"[2]

---

(1) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص386

(2) النبوءة والسياسة – جريس هالسيل ص48

ولذا فإنه منذ عام 1986م والجماهيرية الليبية تعتبر العدو الدولي الأول بالنسبة لريغان، وحسب رواية (جيمس ميلز)، فإن ريغان كان يكره الجماهيرية الليبية باعتبارها أحد أعداء (إسرائيل) الذين تذكرهم النبوءة، وبالتالي فأنها عدوة يهوه. وهنا يتضح أنه عندما ضرب ريغان ليبيا عام 1986م بحجة تفجير (كباريه) أمريكي في ألمانيا، كان الهدف الوحيد هو إضعاف ليبيا قبل دخولها المعركة ضد إسرائيل، التي سيقودها المسيح! "وكان المطلب الرئيس لإطلاق الكراهية من عقالها متوفراً، وهو كون ليبيا (أيراب)، أي عرب. أما المبرر الأخلاقي، أي الشرارة المشعلة لفتيل تفجير الكراهية فكان الإرهاب . بطبيعة الحال، لم يقف (ريغان) ليقول للعالم أنه كره ليبيا، لأنها (عدوة الله)، ومن الأمم التي رأى حزيقيال أنها ستزحف بجيوشها المتحالفة مع جوج ومأجوج لتحارب إسرائيل أو معركة هرمجيدون، لا لشيء إلا لأن خبراء وزارة الخارجية الأمريكية أوعزوا إلى من كان لهم تأثير عليه، أن يقنعوه بألا يقول ذلك. ولذا استُعيض عن حكاية هرمجيدون بمسألة الإرهاب . فذلك مبرر سامق ومقبول دولياً بما فيه الكفاية، ويصلح كساتر جيد لعملية اغتيال أمه تحت غطاء الدفاع عن الحضارة كما نعرفها، وإعلاء حكم القانون الدولي، في غمار توجيه ضربه وقائية إلى أمه أعتقد رئيس الولايات المتحدة أنها ستكون من الأمم (التي كرمل البحر) التي ستسير في صفوف يأجوج ومأجوج، أو يوم الهول الكوني لتحارب إسرائيل"[1]. وكلنا يعرف الآن ما وصل إليه حال ليبيا من حرب أهلية ونهب لثرواتها وتشريد لأهلها، والذى ثم على أيدى الصليبيين الجدد وأعوانهم من الأعراب والمستعربين والمتأسلمين.

تقسيم لبنان

إذا كان هذا هو ما تخبئه التوراة لمصر وليبيا، والتي يسارع الأصوليين المسيحيون وصناع القرار في أمريكيا إلى إخراجه إلى أرض الواقع، فإن نصيب لبنان في هذا المجال لا يقل عن ذلك، حيث يتوعد التقرير السالف الذكر لبنان بالقول: "بالرغم مما يبدو في الظاهر، فإن المشكلات في الجبهة الغربية أقل من مثيلتها في الجبهة الشرقية. وتعد تجزئة لبنان إلى خمس دويلات.. بمثابة نموذج لما سيحدث في العالم العربي بأسره"[2]. أما لماذا وكيف ؟.. فقد

---

(1) المسيحية والتوراة شفيق مقار ص390

(2) مجلة كيفونيم، القدس، العدد 14فبراير 1982ص59.49 نقلا عن كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية– روجيه جارودي ص271.

أجاب الغزو الصهيوني الأمريكي الهمجي، المتكرر على لبنان، ومحاولات تقسيمه إلى دول طائفية، على هذا السؤال منذ فترة، والجميع يعرف قصة هذا الغزو الإجرامي واندحاره علي يد المقاومة اللبنأنية البطلة. أما لماذا ؟ فكما قلنا سابقاً فلنبحث في ثنأيا التوراة اليهودية الحاقدة.

نبوءة ضد صور

يقول أشيعياء: "ولولي يا سفن ترشيش، لأن صور قد هدمت، فلم يبقَ بيت ولا مرفأ. تماماً كما بلغكم النبأ وأنتم في أرض قبرص.... وعندما يذيع النبأ في مصر، يتوجعون لأخبار صور. أعبروا إلى ترشيش، انتحبوا يا أهل الساحل، هذه مدينتكم المبتهجة التي نشأت منذ القدم، والتي تنقلها قدماها للتغرب في أرض بعيدة ؟. من قضى بهذا على صور واهبة التيجان، التي تجارها أمراء ومكتسبوها شرفاء الأرض؟ أن الرب القدير هو الذي قضى بذلك، ليحط من كبرياء كل مجد، وليذل كل شرفاء الأرض. أمخرى عباب البحر يا ابنة ترشيش كما يخترق النيل أرض مصر، إذ زال مرفاك من الوجود. بسط الرب يده على البحر، وزعزع ممالك، أصدر أمره على كنعان كي تدمر حصونها، وقال: "لن تعودي تعربدين أيتها العذراء، التي فقدت شرفها، يا بنة صيدون هبي واعبري إلى قبرص، ولكنك لن تجدي هناك راحة... تأملي في أرض الكلدانيين وانظري إلى شعبها، فهم وليس الأشوريون الذين سيجعلون صوراً مرتعاً للوحوش، وسينصبون حولها أبراجهم، ويمسحون قصورها على وجه الأرض، ويحولونها إلى خراب. انتحبي يا سفن ترشيش، لأن حصونك قد تهدمت". (أشعياء 23، 18.1)

أما لمإذا كل هذا الحقد والكراهية والرغبة في الآنتقام التي صبتها التوراة على صور؟ فتجيب التوراة علي ذلك.. لأن صور الشريرة، قالت على أورشليم هه قد أنكسرت، ومصاريع الشعوب قد تحولت إلى. امتلئ إذا خربت (هي) ". (حزقيال 26: 2.1). وبطبيعة الحال لم تقل صور ذلك لأحد وبخاصة لحزيقيال القاعد هناك عند نهر الخابور، لكن يهوه قرأ طبعاً ما دار في خلد صور.. وقرر أنه سينتقم من صور أنتقاماً رهيباً لشماتتها في أورشليم.

والذي حدث هو أن صور لكونها مدينة ساحلية حصينة ظلت بمنجاة عن الاجتياح والاستسلام لغزوات البابليين والأشوريين.. ولهذا كانت صور مصدر حسد لازدهار تجارتها وثرائها. ولهذا قرر حزيقيال أن يهوه سيخرب صور، ويمرغ أنفها في الرغام: لأنه هكذا قال الرب يهوه: "حين أصيرك يا صور مدينة خربة كالمدن غير المسكونة.. وأجلسك في أسافل الأرض أو الخرب الأبدية مع الهابطين في الجب لتكوني غير مسكونة.. أصيرك أهوالاً ولا

تكونين، وتطلبين فلا توجدين بعد إلى الأبد يقول الرب يهوه" (حزقيال19!:2126). وهكذا تفجرت كل ضروب الحسد والإحباط والغيظ في دماغ حزقيال وتدفقت كالحمم البركانية لتصب صنوف النقمة وضروب المقت لكل من كانت له يد في رخاء الجار المحسود صور. فالمسألة ضلت باستمرار، مسألة أحقاد واشتهاء، وكراهيات وجشع، صيغت كلها صياغات إلهية، وأضيفت عليها قداسة ظلت نابية لما أغرقت فيه من دنيويات وشراهات إنسانية. ولكن تلك الألهيات تكتسب، بمرور الزمن، قداسة كثيفة.. وعندما تصل إلى الأجيال اللاحقة، عبر موصل إنسان آخر من موصلات القداسة، تصبح ذات فعل مدمر بحق"[1].

غزو لبنان مستمد من التوراة

إن ضراوة التنبؤات التي صبتها التوراة على صور، يأخذها الأصوليين المسيحيون علي محمل الجد، ويفعلون كل ما بوسعهم لإخراجها إلي أرض الواقع. ففي عام 1983م نظم المبشر (جيرى فالويل) رحلة إلى فلسطين، لإطلاع المسيحيين على الأماكن المقدسة هناك، وخصوصاً الأماكن اليهودية التي تتعلق بالعقائد التوراتية، وهناك نظم لقاءات مع قادة سياسيين ودينيين في إسرائيل، ونظم لهم لقاء مع (موشى أرينز) وزير الدفاع الإسرائيلي أنذاك، (وهو كان في السابق سفيراً لإسرائيل في أمريكيا، وولد في أمريكيا)، وحدثهم (أرينز) في ذلك اللقاء فقال: "أن غزو لبنان 1982 كانت بإرادة إلهية، فهي حرب مقدسة، مستمدة من العهد القديم، وهذا يؤكد النبوءة، إذ أن هذا الغزو يمكن أن يعنى أن معركة مجدو قد اقتربت". وحينها أصدر الأصوليين بيانًا قالوا فيه: "إن معارضي الغزو لا ساميون، وأن من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها، وعن شعبها، بالوسائل التي تراها مناسبة، واتصل (فولويل) الأصولي بمناحيم بيجن وقال له مبروك على النصر الذي جعلنا فخورين بإنتاج الطائرة أف –16 (التي قتلت ألوف الفلسطينيين واللبنانيين وفيهم المسيحيون)"[2].

تقسيم سوريا والعراق وتحطيم قوتهما

وُصف العراق في الكتب اليهودية القديمة بأقبح الصفات، ونعت يوحنا العراف بابل في رؤياه، بأنها "أم العاهرات ونجاسات الأرض" ومنذ ذلك الوقت، أصبحت بابل (العراق)

([1]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص298.299.

([2]) معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل – باسل حسين ص 5554

رمزاً لكل رذيلة، ولكل شيء بغيض عند اليهود وعند الأصوليين المسيحيين. وما من شك في أن يوحنا العراف كان متشرباً روح العهد القديم، في النص الحاقد الذي يتحرق فيه شوقاً لسحق رؤوس الأطفال البابليين بالحجارة. فقد جاء في المزامير 137/8-9 " طوبى لمن يجازيك يا بابل كما جازيتنا، طوبى لمن يمسك أطفالك ويسحقهم على الصخور"

فحين عجزت جماعة بني إسرائيل الصغار الشأن، عن قهر الأقوام والأمم، واستعبادها، وبالتالي لم يستطع قضاتهم وملوكهم تحقيق وعود يهوه، أخذت تستعر ألسنة الخيبة في صدورهم، وصاروا يتلمظون مرارة الفشل الذي ظل يرافقهم دائماً. ونهشت أكبادهم ضراوة الذل الذي عانوه (على زعم التوراة) في حياة العبودية في مصر، وفي أرض كنعان. فأوكل أحبارهم أمر النيل من الأقوام، والأمم إلى إلههم يهوه. وقد تمثل الوقوع بهم في أشكال من الضربات، اشتهوا أو تمنوا أنزالها بالأقوام والأمم الأخرى.

وخذ مثلاً من هذه الضربات قول يهوه (الرب) بلسان النبي أشعيا عن بابل: "أنزلي وأجلسي على التراب أيتها العذراء ابنة بابل. أجلسي على الأرض بلا كرسي يا ابنة الكلدانيين، أنك لا تعودين تدعين ناعمة ومترفة. اكشفي نقابك .. شمري الذيل .. اكشفي الساق.. اعبري الأنهار، تنكشف عورتك وتري معاريك.. اجلسي صامتة وادخلي في الظلام يا ابنة الكلدانيين لأنك لا تعودين تدعين سيدة الممالك". ويضيف رب الجنود: "واقطع من بابل اسماً وبقية ونسلاً وذرية، واجعلها ميراثاً للقنفذ واكنسها بمكنسة الهلاك. وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم، وعمرة لا تعمر إلى الأبد، ولا تسكن إلى دور فدور لا يخيم هناك أعرابي، ولا يربض هناك رعاة، بل تربض هناك وحوش القفر ويملأ البوم بيوتهم، وتسكن هناك بنات النعام، وترقص هناك معز الوحش. وتصيح بنات أوى في قصورهم، والذئاب في هياكل تنعمهم"(1)

ومثلاً آخر من هذه الضربات قول يهوه (الرب) عن دمشق بلسان النبي أشعيا: "هوذا دمشق تزال من بين المدن. وتكون رجمة دم مدن عر وعير متروكة، وتكون للقطعان ويزول الحصن من أفرايم، والملك من دمشق وبقية الأمم". ويعبر يهوه (الرب) عن حقده على دمشق بلسان النبي أرميا قائلاً: "ارتخت دمشق والتفتت للهرب. أمسكتها الرعدة وأخذها الضيق،

(1) المسيح القادم.. مسيح يهودي سفاح – جورجي كنعان – ص138.137

والأوجاع كمخاض. يسقط شبانها في شوارعها، ويهلك كل رجال الحرب في ذلك اليوم، يقول رب الجنود وأشعل ناراً في سور دمشق"[1].

وهذا الذي ورد في التوراة صيغ بطريقة أخرى في التقرير الصهيوني السابق الذكر، الذي يقول بشأن سوريا والعراق: "وينبغي أن يكون تقسيم كل من العراق وسوريا إلى مناطق منفصلة، على أساس عرقي، أو ديني، أحد الأهداف الأساسية لإسرائيل على المدى البعيد. والخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف، هي تحطيم القوة العسكرية لهذين البلدين. فالبناء العرقي لسوريا يجعلها عرضة للتفكك، مما يؤدى إلى قيام دولة شيعية على طول الساحل، ودولة سنية في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، بالإضافة إلى كيان درزى قد ينشأ في الجولان الخاضعة لنا، وقد يطمح هو الأخر إلى تشكيل دولة خاصة، ولن يكون ذلك على أي حال إلا إذا انضمت إليه منطقتا حوران وشمالي الأردن. ويمكن لمثل هذه الدولة، على المدى البعيد أن تكون ضمانة للسلام والأمن في المنطقة. وتحقيق هذا الهدف في متناول يدنا"[2].

أما عن العراق فيضيف المقال: "أما العراق، ذلك البلد الغنى بموارده النفطية، والذي تتنازعه الصراعات الداخلية، فهو يقع على خط المواجهة مع إسرائيل. ويعد تفكيكه أمراً مهماً بالنسبة لإسرائيل، بل أنه أكثر أهمية من تفكيك سوريا، لأن العراق يمثل على المدى القريب أخطر تهديد لإسرائيل"[3]. وبالطبع لا حاجة بنا إلي مزيد من التوضيح للحقد اليهودي والمسيحي الصهيوني علي العراق، والذي نشهده منذ 25 سنة على أرض الواقع، لأنه قربة دينية يتقرب بها المسيحيون الأصوليون لليهود وللرب، آملين أن تتحقق رؤيا يوحنا! راكبين ظهر الولايات المتحدة المقتنعة برؤيا يوحنا والمترسخة في أذهان وأرواح الأمريكيين على مدى القرون، فمنذ قام يوحنا بوصم بابل في رؤياه بـ"أم العاهرات ونجاسات الأرض"، أصبح العراق مرتبطاً في أذهان اليهود والمسيحيين الأصوليين في الغرب بكل أوصاف الرذائل والفساد... واليوم نجد في الغرب وفرة في الكتب التي تصرح بالعلاقة بين عراق اليوم، وبين بابل أم العاهرات ونجاسات الأرض، ومن أشهرها: كتاب شارل تايلور "صدَّام بابل

---

(1) المصدر السابق – ص140

(2) مجلة كيفونيم، القدس، العدد 14 فبراير 1982ص59.49 نقلا عن كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية– روجيه جارودى ص271

(3) المصدر السابق

العظيمة" - وكتاب شارل داير "صعود بابل"، الصادر عن ندوة دالاس اللاهوتية، وعلى غلافه صورة صدام حسين. وحتى بعد هزيمة العراق، وقتل الملايين من أطفاله وسحقهم وتدمير بنيانه، ما زال شارل تايلر يعتقد "أن العراق قد يبرز من جديد بدور بابل أم العاهرات، وأن صدام نفسه قد يعود إلى الظهور بصورة وحش الرؤيا عدو المسيح..."[1]

حقد يهوه على الفلسطينيين

كان حقد يهوه على الفلسطينيين ناراً آكلة، لا ترحم أحداً، ولا تبقي على شيء. فالرب يمد يده عليهم ويقطع كبرياءهم ؟ ويرسل ناره على سور غزة فتأكل قصورها، ويقطع الساكن من أشدود وماسك القضيب من أشقلون، وأرد يدي على عقرون فتهلك بقية الفلسطينيين". ويقول بلسان أرميا: "يصرخ الناس ويولول كل سكان الأرض بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين..لأن الرب يهلك الفلسطينيين، أتى الصلع على غزة، أهلكت أشقلون، آه يا سيف الرب حتى متى لا تستريح ؟ كيف يستريح والرب قد أوصاه على أشقلون ؟ وعلى ساحل البحر هناك واعده". وبلسان حزقيال يقول الرب: "هاأنذا أمد يدي على الفلسطينيين.. وأجري عليهم نقمات عظيمة وأقطع كبرياء الفلسطينيين". كما يقول بلسان صفنيا: "فتكون اشقلون للخراب، وعقرون تستأصل.. يا كنعان أرض الفلسطينيين أني أخربك بلا ساكن"[2].

نبوءة بشأن أدوم (الأردن)

قرر كهنة اليهود منذ القدم بأنهم سيأخذون بثأرهم من أرض بابل، وهي العراق ومن أرض أدوم ومؤاب وبني عمون، وهي الأردن. وانظر إلى قولهم في المزمور المائة والسابع والثلاثين: "اذكر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم القائلين: هدوا.. هدوا حتى إلى أساسها. إنه يقول: لما جاء نبوخذ نصر ملك بابل ليخرب أورشليم كان أهل أدوم ومؤاب شامتين في اليهود وفرحين بعذابهم". والمقصود بأدوم هم سكان الأردن، أو العرب بني إسماعيل عليه السلام؟[3].

---

(1) محمد فاروق فارس الزين ص 251

(2) المسيح القادم.. مسيح يهودي سفاح – جورجي كنعان – ص141

(3) عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النبوءة والسياسة –احمد حجازي السقاص91

وهنا يغرق يهوه (الرب) بنهر من الحقد والضغينة، فيقول عن ربة بني عمون (عمان الأردن الحالية) بلسان أرميا: "وتصير ربة بني عمون خراباً. وتحرق بناتها بالنار. أصرخن يا بنات ربة. وتنطق بمسوح .. أندبن وطوفن بين الجدران، لأن ملكهم، يذهب إلى السبي هو وكهنته ورؤساؤه معا. هاأنذا أجلب عليك خوفاً من جميع الذين حواليك وتطردون.. وليس من يجمع التائهين". وبلسان حزقيال يقول الرب: "هاأنذا أمد يدي عليك، وأسلمك غنيمة للأمم. واستأصلك من الشعوب وأبيدك من الأرض". وبلسان عاموس، قال الرب: "أضرم ناراً على سور ربة فتأكل قصورها. ويفيض حقد يهوه (الرب) على مملكة أدوم كنهرٍ لا تستوعبه ضفتاه". ويقول يهوه بلسان أشعيا: "هوذا على أدوم ينزل الرب.. للرب سيف قد امتلأ دماً.. أن للرب ذبيحة في بصرة، وذبحاً عظيماً في أرض أدوم.. أن للرب يوم انتقام.. وتتحول أنهار أدوم زفتاً وتربها كبريتاً، وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً ليلاً ونهاراً، لا تنطفئ إلى الأبد، يصعد دخأنه من دور إلى دور تخرب"[1].

نبوءة بشأن الجزيرة العربية

بالرغم من أن كثير من حكام العرب، كانوا ولا يزالون خدم للاستعمار والصهيونية، ومكّنوا للأمريكان والبريطانيين من السيطرة علي أرض العرب، بداية من تآمرهم علي الخلافة الإسلامية، ومروراً بخيانة وتآمر بعضهم وتعاونهم الكامل مع أعداء الأمة، ومحاربة كافة المشاريع الوحدوية والنهضوية للأمة العربية، وأخيراً تآمرهم الواضح والفج على العراق وليبيا وسوريا واليمن ومصر وفلسطين، ودعمهم للتنظيمات الإرهابية (القاعدة – النصرة – داعش)، بالرغم من كل ذلك لا يخفي البريطانيون والأمريكان والصهاينة كراهيتهم واحتقارهم لهؤلاء. فهذا (لورانس) عميل المخابرات البريطانية في الجزيرة العربية خلال الحرب العالمية الأولى، والذي لقبوه زوراً وبهتاناً لورنس العرب، يقول: "كم أتعبني هؤلاء العرب، إنهم تجسيد للساميين المنحطين، إن العقل العربي شاذ وغارق في الظلمة والكآبة والاعتزاز المفرط بالنفس، ويفتقر إلى قواعد المنطق". وعن دوره في قيادة الثوار العرب ضد العثمانيين، كتب يقول: "بما أنني لست مغفلاً فقد كان واضحاً منذ البداية أنه في حال فوزنا

---

(1) المسيح القادم.. مسيح يهودي سفاح – جورجي كنعان – ص140

بالحرب، فستصبح الوعود التي قطعناها للعرب، حبراً على ورق"[1]. وهذا ما حدث، حيث قلب الإنجليز ظهر المجن للعرب مرات عديدة، ولكن العرب لم يستوعبوا الدرس ولم يفهموا، أن وعد الإنكليزي مهما كان صادقاً مضموناً، سوف يخلفه بمجرد أن يتعارض مع مصلحته، التي لا تعرف حدوداً، وأن أسلوب الحرب الإنكليزية لا يعرف معنى للرحمة أو للشرف أو للمواثيق أو للتردد.. ولقد حفظ الهنود ذلك الدرس غيباً، ولكن حين لا تنفع الدروس والعبر"[2].

ولكن هل يفهم العرب الدرس الآن بعد كل ما حدث معهم قديماً وحديثاً، والتي كان آخرها وعود حرب تدمير العراق، والتي جاءت تنفيذاً لنبوءات توراتية حاقدة، عملت إدارة بوش الأول والثاني على تنفيذها بحذافيرها على العراق. فمن المفارقات هنا، أن الهجمة الشرسة التي تعرّض لها العراق الشقيق قد تم تحديد جهتها بناء على نبوءة توراتية، حيث تنبأ بها أشعياء وحدد اسمها (عاصفة الصحراء) وحدد منطقة المهاجين لبابل في يوم الرب، بأنها ستكون الجنوب (الكويت والسعودية) إذ يقول: "وحي من جهة برية البحر كزوابع في الجنوب. عاصفة. يأتي من البرية. من أرض مخوفة. وقد أعلنت لي رؤيا قاسية"[3].

أما الرؤية القاسية التي يعنيها أشعياء فهي خاصة بهؤلاء العرب الذين حددت مصيرهم التوراة بقولها: "ستبيتين في صحارى بلاد العرب يا قوافل الددانيين، فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاربين بالخبز، لأنهم قد فروا من السيف المسلول، والقوس المتوتر، ومن وطيس المعركة. لأنه هذا ما قاله لي الرب: في غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، وتكون بقية الرماة، الأبطال من أبناء قيدار، قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم"[4] (سفر أشعياء 21، 17.13). وفي جبل سعير يقول يهوه (الرب) هاأنذا عليك يا جبل سعير،

---

(1) المسيحية والإسلام والاستشراف. محمد فاروق الزين ص275

(2) حق التضحية بالآخر. تأليف منير العكش. ص68

(3) عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النبوءة والسياسة. أحمد حجازي السقا ص224

(4) تعلن التوراة هنا أن بابل ستسحق القبائل المجاورة ددان وقيدار وهم تجار بين بلاد العرب وترشيش. والنبي يصور حالهم. وقد هربوا عن طريق تجارتهم (بسبب الحرب) ولجأوا للصحراء ينشدون الأمان في القفر. وهؤلاء الهاربين من آلام ضيقات الحرب ينادون أهل تيماء ليقدموا لهم يد المعونة، وهم يكادون يهلكون عطشاً وجوعاً.

أجعل مدنك خربة، وتكون أنت مقفراً وأستأصل منك الذاهب والأيب، وأملأ جبالك من قتلاك" (سفر حزقيال) .[1]

وباختصار أن الضربات الحاقدة، التي قال أنبياء بني إسرائيل أن إلههم يهوه أنزلها، أو هو على وشك إنزالها بالأقوام والممالك التي عاش بنو إسرائيل في ظلها، أو احتكوا بها مثل ممالك مصر بابل أشور، صيدون، صور، دمشق.. وممالك الكنعأنيين مثل أدوم بني عمون مؤاب.. ومدن الفلسطينيين مثل غزة أشقلون وعقرون هي كثيرة جداً، إلى درجة أن ضربات يهوه (الرب) شملت أمم الأرض بأسرها، كما يقول النبي أشعيا: "أن للرب يهوه سخطاً على كل الأمم، وحمواً على كل جيشهم، قد حرمهم (دفعهم إلى الذبح) فقتلاهم تطرح، وجيفهم تصعد نتانتها، وتسيل الجبال بدمائهم". وكثرة اللعنات الحاقدة تجعل قارئ التوراة يخلص إلى نتيجة مفادها، أن تنبوءات أنبياء التوراة كانت أشبه بشلال لعن متدفق، لدرجة أن (اللعنة أكلت الأرض) كما يقول النبي أشعيا"[2].

هذا ما تخبئه التوراة للعرب كافة، وهذا ما كشف عنه الصهاينة عبر مجلتهم كيفونيم.. دمار وقتل وتخريب وإذلال. وهذا الحقد والغل الذى جاء في التوارة تجاه شعوب المنطقة وحضارتها، بل وتجاه الأغيار أينما كانوا، يكشف عن الوجه العنيف والحقود والدامي لإله اليهود (رب الجنود).

ومع أن الحقيقة الأولى التي يمكن أن يُعبِّر عنها الإنسان العاقل عندما يحاول جاهداً أن يتفكر في وجود الله هي أن هذا الإله حاشا أن يكون عنيفاً، لأن العنف غريب عنه، وأنه متعالٍ عن الغضب والحسد والانتقام. فالله، في كل الاحتمالأت، لاعنف محض. ويعلِّمنا العقل، إذن، أن الآلهة التي تتحالف مع عنف البشر وتقرهم عليه وتأمر به أحياناً تقطن حتماً في مَجْمع الآلهة الباطلة. وهكذا فإن "رب الجنود" هو جَزْمًا إله باطل، والإله الحق، بمقدار ما في وسع الإنسان أن يعرفه، لا يمكن إلا أن يكون "إلهًا أعزل". عندما يُقوِّل الإنسان إلهاً أنه يقر البشر على عنفهم، فهذا قطعاً ليس كلام الله يعبِّر عن نفسه، بل كلامُ بشر عن الله، وهو كلام بشر مخطئ في كلامه على الله. فالإنسان يحتاج دومًا إلى تبرير عنفه، وعندما يؤمن بإله، فأنه يحتاج إلى إقناع نفسه بأن إلهه يبرر عنفَه. أن ضرورة عزل الله من سلاحه، لهي فريضة فلسفية وثقافية

---

(1) المسيح القادم.. مسيح يهودي سفاح – جورجي كنعان – ص143

(2) المصدر السابق – ص146

وسياسية. فهي لا تخص المؤمنين فحسب، بل جميع المواطنين الحريصين على بناء عالم مطمئن[1].

اليمين المتطرف والحرب الصليبية

اعتمد الرؤساء الأمريكيون بدءاً من (جورج واشنطن) فصاعداً على الحس الديني، ليس للتأثير على عقول أبناء الشعب فحسب، بل على أفئدتهم أيضاً، لتأييد الأهداف الرئاسية. "فالدين والسياسة شكلا نسيجاً متداخلاً عبر تاريخ الولايات المتحدة منذ الفترة الإستعمارية، وحتى وقتنا الحاضر"[2]، حيث وجدت الطبقة السياسية الأمريكية الحاكمة أن أفضل طريقه للتأثير في الجمهور، من خلال استحضار الدين وجعله مكوناً أصيلاً في الممارسة والثقافة السياسية الأمريكية. فكما يقول جاري ويلز: "أن الدين كان محور أزماتنا السياسية الكبرى، التي كانت أزمات أخلاقية دائماً، مثل مساندة الحروب ومعارضتها، والعبودية، وقوة الشركات، وحقوق الإنسان، والمبادئ الجنسية، والغرب، والمذهب الانفصالي الأمريكي، ومزاعم الإمبراطورية" [3]

وهنا يرى البعض أن نقطة الامتزاج الروحي بين أيديولوجيا اليمين المتطرف، وبين المرجعيات الدينية المسيحية الأصولية المتهودة، قد وصلت إلى ذروتها في سبعينيات القرن العشرين المنصرم، إذ يأخذ في اعتباره الحقبة (الريغانية)، التي بدأت مطلع الثمانينات من ذلك القرن، حيث أفسح هذا الحلف المقدس المجال إلى تنامي الشعور بالفوقية، وتبلور فكرة ونزعة السيطرة على العالم، باعتبار أن الأمة الأمريكية هي الأمة الأنقى والأميز والأرقى قيماً وحضارة، والأجدر بقيادة العالم على الطريقة الأمريكية الرائدة، في إشاعة الخير ومحاربة الشر"[4]

---

[1] الأصولية ترجمة: محمد علي عبد الجليل – مراجعة: ديمتري أفييرينوس –معابر- http://www.maaber.org/nonviolence_a/Integrisme_a.htm#_ftn1

([2]) (حسن، 2002، ص295)

([3]) (هنتنجتون، 2009، ص117) .

([4]) (الصياد، 2003، 15، فبراير) .

المحافظون الجدد في أمريكا

أن أبرز ما يميز المشهد الأمريكي حاليا ما يمكن تسميته "مثلث الرعب"، وهو التقاء الجمهوريين مع أتباع الفكر المحافظ مع أنصار اليمين الديني المتطرف بشكل غير مسبوق، وهو ما أفرز محافظين "جدداً"[1]، حيث يُعدّ تيار الأصولية الصهيونية مزيجاً من تياريّ الأصولية الدينية واليمين المحافظ (السياسي). وقد نشأ التيار الأخير في ثلاث حركات أمريكية معاصرة هي الكالفينية التى نشأت في الثلاثينات استجابة للأزمة العالمية الاقتصادية، والتوتر الدولي بسبب انتشار الفاشية والحرب الأهلية الأسبانية، وكانت ضد الرأسمالية الكبيرة ومع الجنرال فرانكو في مطاردته للشيوعيين الأسبان. وتنسب الحركة الثانية (المكارثية) إلى السناتور مكارثي وقد نشأت في الخمسينات،استجابة لتعاظم قوة الشيوعية في أمريكا أو بالأدق استجابة لما أسماه مكارثي "المؤامرة الشيوعية الداخلية" التي أدت إلى ضياع الصين. وقد وجه مكارثي نقداً عنيفاً لسياسة أيزنهاور في عامي 1952، 1951 بدعوى أنها تنطوي على سذاجة في تجاهل تأثير الشيوعية في المؤسسات الحكومية[2]. أما الحركة الثالثة فهى جمعية جون برس التى نشأت في الستينات، في مراكز الأصوليين في هرتسون وبوسطن ولوس أنجلوس، إستجابة لفشل الجمهورين في مناهضة السياسة الاشتراكية في أمريكا وغايتها مكافحة الشيوعية بالأسلوب الشيوعي. وقد تأسست بالإضافة إلى هذه الحركات دوائر بحث عديدة تعادي الشيوعية بقيادة القساوسة الإنجيليين، وتنشد كشف أسرار الأيديولوجية الماركسية ومنع الولايات المتحده من الانزلاق نحو الشيوعية.

ويعتقد تيار اليمين الجديد أن السياسة نشاط عملى وليس نشاطاً عقلياً تأملياً وأنها يجب أن تتكيف مع الطبيعة البشرية وليس مع العقل. وغاية السياسة هى المحافظة على المجتمع، وينطوى هذا المعنى على مسألتين: الأولى: حماية البناء الاجتماعى والملكية الخاصة، والثانية: حماية النظام السياسي الاجتماعى. وقد قال رسل كيرك في كتابه "العقلية المحافظة من بيرك إلى أليوت" الصادر عام 1960 "لقد قرننا المحافظة على الكنيسة القائمة والأرستقراطية القائمة

---

(1) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجيةRSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار - 1 نيسان 2011

(2) إمبراطورية الشر الجديدة. عبد الحي زلوم. القدس العربي 2003/2/3

والديمقراطية القائمة". ثم نوّه بأن هذه المؤسسات ينبغى المحافظة على كلٍ منها على النحو الذى وجدت عليه، وقد يكون من الضروري في بعض الأحيان إجراء إصلاح في جزء من هذه المؤسسات، ولكن بهدف المحافظة على خصائصها الذاتيه[1].

المحافظون الجدد".. منظرون لخراب العالم

"المحافظة في الغرب كأيدلوجية هي نسق من الأفكار المتنوعة، تشكل حالة ذهنية وفلسفة سياسية تنفر من التغيير السريع والأبتكار، وتسعى جاهدة لتحقيق التوازن والنظام، وفي الوقت نفسه تجنب التطرف، ونشأت أصلا كرد فعل ضد عصر التنوير، ودعت إلى الإيمان في العقيدة أكثر من العقل، والتقاليد أكثر من البحث الحر، وتفضل التسلسل الهرمي على المساواة، والقيم الجماعية على الفردية، والإلهي أو القانون الطبيعي على القانون العلماني، وتؤكد وقائع المحافظة على الوضع الراهن، وتؤيد التوزيع السائد للسلطة والثروة والمكانة الاجتماعية. والمحافظة تلقت صيغتها الكلاسيكية في أعمال رجل الدولة البريطاني إدموند بيرك، الذي أعلن رفضه لمبادئ الثورة الفرنسية، وقدم فلسفة شاملة للمجتمع والسياسة، ككل عضوي، يتكون من الأفراد الذين يؤدون أدواراً ووظائف مختلفة. في هذا المجتمع، ويرى أن النخبة الطبيعية تكون بحكم المولد، والثروة، والتعليم، ويرفض بيرك مبادئ المساواة والتمثيل الشعبي، والسيادة الشعبية. كما أنه رفض حق الاقتراع وحكم الأغلبية.[2]

والمحافظون الجدد".. مجموعة سياسية أمريكية، تميل إلى اليمين المسيحي المتطرف، آمنت بقوة أمريكا وهيمنتها على العالم. وهم ليسوا ساسة فقط بل كتاباً نافذين، ومفكرين استراتيجيين، ومحاربين قدامى، وجمهرة من المثقفين أكثر تطرفاً من كل ألوان الطيف الفكري والثقافي الأمريكي الحالي. وهم جماعة لصيقة الصلة بإسرائيل، وحليفة متعصبة لها، ذات ميول صهيونية مغلفة بعداء شديد للعرب والمسلمين، حددت مسار السياسة الخارجية الأمريكية في عهد جورج دبليو بوش، وعملوا على بلورة سياسة تجيز استعمال قوة أمريكا العسكرية

(1) الأصولية المسيحية الأمريكية- دراسة في الأبعاد الفلسفية- بقلم "جورج المصري - مجلة الإنسان، ع.(8)، محرم 1413، أغسطس 1992 ص.:42-46."

(2) المحافظون الجدد، قراءة في خرائط الفكر والحركة – أميمة عبد اللطيف- ص 5- مكتبة الشروق الدولية – ط1 2003

للوصول إلى أهدافها، من دون النظر إلى أية اعتراضات.. إذ يعتقد المحافظون الجدد أنهم يملكون الحقيقة وحدهم، وأن قوة الأسلحة التي يملكون تفرض نفوذها على الجميع.

ويؤمن المحافظون الجدد بدور "القوة العسكرية" كأداة أساسية لمواجهة التحديات والنزاع في العالم. والعلاقات الدولية بالنسبة لهم تقوم على القوة، كما أن السلام الحقيقي أنها يأتي فقط نتيجة للانتصار في الحرب، وليس بالدبلوماسية أو العدالة. وخلال السنوات الأخيرة ساند المحافظون الجدد عدداً من الأفكار التي اكتسبت رواجاً واسعاً في واشنطن، وعلى رأس هذه الأفكار "الإيمان بأن أمام أمريكا فرصة غير مسبوقة لإعادة صياغة النظام العالمي" نابعة من حالة الفراغ التي يعيشها العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وهو فراغ يجب أن تملأه أمريكا من خلال الدور "الرسولي" الحتمي الذي يجب أن تضطلع به.

ويكنّ المحافظون الجدد قدراً كبيراً من الرفض لدور المنظمات الدولية، والقانون، وجهود الحد من التسلح، وبشكل خاص يناصبون "الأمم المتحدة" العداء، حيث يرون أن القوة العسكرية يجب أن تبقى أساساً رئيسا للسياسة الخارجية. وقد آمن الجدد بأنهم قادرون على التدخل العسكري لإعادة تشكيل الدول كالعراق وأفغانستان ولبنان وإيران، وجعلها نموذجاً لقدرة أمريكا على التدخل ومساعدة الأصدقاء والتغيير، ولهذا جرى الترويج لمبدأ السيادة الوطنية المحدودة، أو حتى إلغاؤها عندما تتعارض مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية. وفتح الأمريكيون الباب لحملات عسكرية تأديبية على دول مستقلة وأعضاء في الأمم المتحدة، كما وصل بهم الحال إلى تهميش دول كبرى ذات دور أساسي وفاعل في العالم كالصين، وروسيا.[1]

وقد صرح (ولفويتز) في الإرشاد الذي قدمه حول التخطيط الدفاعي، والذي يتعامل مع النظام العالمي الجديد: أن هدفنا الأول هو الحيلولة دون نشوء منافس جديد سواء في أراضي الاتحاد السوفييتي سابقاً، أو في أي مكان آخر يمثل تهديداً كذلك، الذي كان يمثله الاتحاد السوفييتي. لذا فإن النظام العالمي الجديد يدعو إلى الحفاظ على القوة الأمريكية أحادية الجانب، وهذه تتطلب من الولايات المتحدة أن تظهر روح القيادة اللازمة لتأسيس وحماية نظام جديد يحمل في طياته الوعد بإقناع منافسينا المحتملين بأنه لا يتعين عليهم، ولا حاجة

([1]) المحافظون الجدد".. منظرون لخراب العالم- علي عبدالعال- مأرب برس- الثلاثاء 25 سبتمبر-أيلول 2007

لهم، بأن يلعبوا دوراً أكبر من الذي يلعبونه الآن، أو أن يسعوا إلى معاداة الأخرين حتى لو كان ذلك في سبيل حماية حقوقهم ومصالحهم الشرعية[1].

وتؤكد الاستراتيجية الإمبريالية الكبرى على حق الولايات المتحدة في شن حرب وقائية على هواها. وقائية وليس استباقية، أي أن الحرب يمكن أن تكون لإزالة تهديد محتمل، أو مختلق وملفق، وهي حروب وأعمال تندرج في خانة جرائم الحرب[2]. وقد جاء في استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة لعام 2001 ص5-6 المقدمة، القول: في حين أن الولايات المتحدة ستسعى باستمرار للحصول على دعم المجتمع الدولي، فإننا لن نتردد في التحرك وحدنا، إذا ما اقتضت الضرورة، لممارسة حقنا في الدفاع عن النفس بالتصرف استباقياً. أن البشرية اليوم تمسك بيديها الفرصة لتحقيق انتصار أكبر للحرية على جميع هؤلاء الأعداء. وترحب الولايات المتحدة بمسؤوليتها للقيادة في هذه الإرسالية العظيمة (التي تؤكد على رسالتنا). ولكن مسؤوليتنا أمام التاريخ واضحة: أن نرد على جميع هذه الهجمات، والتخلص من الشر العالمي".[3] ومن بين ما يؤمن به المحافظون الجدد أن من واجبهم التعجيل بعودة "المسيح" إلى الأرض، لتحقيق نبوءة الكتاب المقدس "بشن الحرب على المسلمين والاستيلاء على كل الأراضي المقدسة". وهم ينظرون بعين التطرف إلى الأخر ويرونه، أياً كان عدواً يجب استئصاله.

وحول المكونات الأساسية لفكرهم، يقول (ستيفن هلبر) و(جوناثان كلارك) مؤلفا كتاب "المحافظون الجدد والنظام العالمي": أنها تشمل الإيمان العقدي والصراع بين الخير والشر. إذ دعا مفكرهم ليو شتراوس إلى بناء أمريكا كقوة كبرى تحارب الشر في العالم. وفي مجال الاقتصاد، تبنى المحافظون الجدد "الليبرالية الجديدة" التي تستند إلى فرض (الأمركة) على نظام العولمة، وما تتضمنه من تدويل واسع على صعيد الإنتاج والتبادل. كما تبنوا سياسة

---

(1) إمبراطورية الشر الجديدة - عبد الحي زلوم -القدس العربي- 2003/2/28م

(2)الهيمنة أم البقاء.. السعي الأميركي للسيطرة على العالم. نعوم تشومسكي. ترجمة سامي الكعكي. بقلم/ إبراهيم غرايبة2004/7/29م

(3) الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية اليمين المسيحي وكيفية مواجهته -بقلم: دوان أولدفيد: أستاذة مشاركة في العلوم السياسية في جامعة نوكس. قدمت نسخة هذا البحث في الاجتماع السنوي لجمعية العلوم السياسية الأمريكية الذي انعقد في الفترة ما بين 31.28 آب/2003.- مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية

اجتماعية منحازة لصالح الأثرياء، على حساب مصالح الفقراء.. ورفضوا الثورة الثقافية والتعددية الثقافية وحقوق الأقليات. وكان الرئيس الأمريكي، جمي كارتر، قد نبه في كتابه: "القيم الأمريكية المعرضة للخطر" إلى أن المحافظين الجدد الذين روجوا لفكرة أنه إما أن تكون معنا أو أن تصبح ضدنا، أصبحوا بفلسفتهم الإمبريالية يشكلون أكبر خطر على سمعة الولايات المتحدة في العالم. (1)

مجموعة الهوس الديني

من الخطأ الاعتقاد بأن هذا الجنون الأمريكي، قد بدأ مع وقوع أحداث 11 سبتمبر 2001م، فمن الثابت أن المشروع الأمبريالي الأمريكي كان موجوداً وممارساً. فقط أدت الأحداث الإرهابية يوم 11 سبتمبر إلى تسريع عجلته مع تسخين الرأي العام الأمريكي لقبوله(2). فهجمات 11 سبتمبر لم تفجر فقط مركز التجارة العالمي ومبنى البنتاجون، ولكنها فجرت أيضاً الهوس الكامن داخل العقل الباطن للمجتمع الأمريكي (3)، وشهدت الولايات المتحدة موجة من الجنون، هي الأسوأ بين كل ما شهدته في تاريخها، حيث كانت مجموعة الرئيس الأمريكي (جورج بوش) في مرحلة السعي لتبرير حرب شاملة مجنونة، وقد وجدت في أحداث 11 سبتمبر فرصة لهذه الحرب المخطط لها قبل سنوات. (4). والجانب المقزز في هذه الحرب، هو النفاق الديني، الذي يغطي به المحافظون الجدد إرسال الجنود إلى القتال، وتعميم فكر سوريالي مثل أن الله أوكل إلى أميركا إنقاذ العالم، وكل من يجرؤ على المساءلة سيجد نفسه في تهمة لا يستطيع الخروج منها، كالعداء للسامية، والعداء لأميركا، والإرهاب (5).

---

(1) المحافظون الجدد" ..منظرون لخراب العالم- علي عبدالعال- مأرب برس- 25 سبتمبر- 2007
http://marebpress.net/articles.php?id=259210:31

(2) الانحياز الأمريكي لإسرائيل. دوافعه التاريخية والاجتماعية والسياسية ص 207.

(3) أحداث 11 سبتمبر – الأكذوبة الكبرى – محمد صفي ص189- دار الاحمدى للنشر – الطبعة الاولى 2003

(4) الكاتب على قناعه تامه بان احداث سبتمر افتعلتها امريكا لتبري حملتها الصليبية على العالم الاسلامي. (لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة كتابنا حملة بوش الصليبية على العالم الاسلامي. مكتبة حسن العصرية

(5) ذهنية الإرهاب..لماذا يقاتلون بموتهم؟. جان بودريار وآخرون- ترجمة بسام حجار–ط1 2003 - الدار البيضاء، المركز الثقافي- الجزيرة نت

ووفق هذه الرؤية فإن دور (ملاك الرب) الذي تضطلع به أميركا لا بد أن يكون مزدوجًا: يد ممدودة لمصافحة الأصدقاء والأوفياء، قبضة حديدية لردع الأشرار وحصرهم في معقل شرهم، (فإما معنا وإما مع الإرهاب)، حسب تعبير (بوش الابن) ولا مكان لمنزلة ثالثة، هذه الرؤية توفر مساحة كبيره من الرضا الأخلاقي عن النفس، فهي لا تفعل سوى أنها تؤدي واجبها. وباستثناء الهزيمة المذلة في فيتنام (60 ألف قتيل أمريكي)، فإن أمريكا يطيب لها أن تتصور أنها تؤدي دور (الشريف) في أفلام الكاوبوي، وتفخر دوماً بنتائج تدخلاتها بدءاً من الفلبين، ومروراً بألمانيا النازية، وانتهاءً باليابان التي أجبرتها لصالحها على أن تكون ديمقراطية وتحديثية على الطريقة الغربية، وهي كما تفخر بتدخلاتها العسكرية، تفخر بتدخلاتها الاقتصادية، بحصارها للدول الأبليسية الممثلة بمحور الشر (حصر دودة الشر) في شرنقتها[1].

تحالفات المحافظين الجدد

أن المحافظون الجدد هم أناس "متحمسون وحضورهم دائم لخوض معارك جديدة، ويقاتلون بفرح واندفاع.. أنها كوكبة من الرجال والنساء صنعها التاريخ، وصاغتها الأفكار، اعتقدوا بسلطة الأفكار في حين كانت أوروبا تعلن موت الأيدولوجيات، كان عندهم ثقة بالموهبة الأمريكية الخارقة، إذ الكل يعتقد أن لأمريكا مهمة عليها إتمامها، وأنها تحمل القيم العالمية المتكيفة والملائمة لرغبات الشعوب.. ولذا يحق للمحافظين الجدد التكبر على الآخرين، إذ تمكنوا بعد اعتداءات عام 2001، بعدة أشهر من السيطرة على السياسة الأمريكية[2]. وقد التقت أجندة المحافظين الجدد منذ ظهورهم مع اليمين الأمريكي والتيار المسيحي المتطرف، إذ تحالفوا مع "الجناح اليميني" في الحزب الجمهوري، وجماعات "الأصولية المسيحية" القريبة جداً من اللوبيات اليهودية، حيث تتوافق أجندة المحافظين الجدد مع أجندة متطرفة أخرى، هي أجندة الأصوليين في اليمين المسيحي الأمريكي. ومن خلال تعاون اليمين الأمريكي مع الجدد في بناء شبكة واسعة من الجماعات الفكرية النشطة، نمى تيار المحافظين الجدد داخل الجامعات والمؤسسات الفكرية والبحثية الأمريكية.

---

(1) صناعة الإرهاب. د. عبد الغني عماد – ص1،1.4،5 – دار النفائس – ط1 2003.

(2) امريكا المسيحانية (حروب المحافظون الجدد- الان فوشون، دانيال قرنه- ترجمة موريس شربل – ص 5 وما بعده – دار الجليس –جروس برس طرابلس 2005

ولم يكن الجدد ليسيطروا على مقاليد صنع السياسة بأمريكا دون موافقة ضمنية من قوى اليمين، خاصة وأن تلك القوى كانت تملك أفكاراً بعضها أكثر تشدداً من بعض أفكار المحافظين أنفسهم. حيث ينطلق (المسيحيون المتدينون) في رؤيتهم للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط والعالم، من منطلقات دينية خطيرة، تؤمن بأن العالم وأمريكا يسيران بسرعة إلى نقطة صدامية تمثل نهاية العالم، من خلال حرب تأتي على الأخضر واليابس، يكون مركزها الشرق الأوسط، ويقودها العالم كله ضد أمريكا وحلفائها وعلى رأسهم إسرائيل. ولذا فإن (الإنجليكيون) لا يثقون في المنظمات الدولية، ولا يؤمنون بقضايا مثل الحد من التسلح أو تخفيض النفقات العسكرية الأمريكية، لأن أمريكا بالنسبة لهم تستعد لحرب طاحنة لا رادّ لها. كما أن النخب الأمريكية (المحافظة التقليدية) انعزالية بطبيعتها لا تثق في المنظمات الدولية أو في العالم الخارجي، ولا تؤمن إلا بالقوة الأمريكية وزيادتها المستمرة وبناء المزيد منها.

إسرائيل في وعي الجدد

تعد السمة المميزة التي ظلت تجمع المحافظين الجدد هي حبهم ودعمهم وولاءهم لإسرائيل، واتهامهم من يخالف مواقفهم في تأييد الدولة العبرية بالعداء للسامية، الذي يعني كراهية اليهود بسبب دينهم أو ثقافتهم أو أصلهم. فالمحافظون الجدد الذين نابذوا العالم كله تقريباً العداء، استثنوا منه إسرائيل الدولة الصهيونية التي ثمحور حولها تفكيرهم، معتبرين أن المصالح الأمريكية والإسرائيلية يجب أن تكون متماثلة. وقد أجهد المحافظون الجدد عقولهم في تلفيق الدلائل لإثبات أن ما هو في مصلحة إسرائيل هو في مصلحة أمريكا، وذلك لإخفاء مشاعرهم الحقيقية التي تقدم الولاء لإسرائيل على الولاء للولايات المتحدة. ويخلص بات بيوكانن (وهو من المحافظين التقليديين) في كتابه "أين أخطأ اليمين؟" إلى أن أيديولوجية المحافظين الجدد تنطلق من مبدأ أساسي وهو تطابق مصالح أمريكا مع إسرائيل، وبالتالي فهم يدفعون الولايات المتحدة إلى محاربة أعداء الدولة العبرية.. وقد دفعوا أمريكا إلى شن الحرب على العراق[1]

([1]) المحافظون الجدد".. منظرون لخراب العالم- علي عبدالعال

وقد وطد صقور السياسة الخارجية الموالين لإسرائيل من المحافظين الجدد، مراكزهم بقوة داخل إدارة جورج بوش الابن، فتمكنوا بمساعدة مؤسسات الأبحاث اليمينية من رسم سياسة أمريكا الخارجية، وخصوصاً في الشرق الأوسط، بما تقتضيه المصالح الصهيونية. ولقد تعلَّم جنرالات إسرائيل والولايات المتحدة كيف يتعرفون على بعضهم البعض، وذلك بفضل جهود المحافظين الجدد واللقاءات المُتبادلة التي ينظمها "المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي"JINSA"، وهو مؤسسة تفرض على كبار العاملين فيها متابعة كافة الحلقات الدراسية والندوات المتعلقة بأفكار وأطروحات فيلسوف المحافظين ليو شتراوس.[1]

العالم الإسلامي في أجندة اليمين المتطرف والمحافظون الجدد

من أسباب العداء الصاعد للإسلام التعريف الضيق للتاريخ الأمريكي كمصدر للشرعية والهوية الأمريكية وزعم "المحافظة على التقاليد الأمريكية" فضلاً عن الحاجة للبحث عن عدو. فالمحافظون بنوا رؤية الذات عبر تمييزها عن الأخر، وفعلوا ذلك مع تنامي أفكارهم في الستينيات ضد الشيوعية، وبعد تراجع قوة الشيوعية صار الإسلام عدواً مثالياً. وهناك سبب أخر للعداء للإسلام، هو التحالف المحافظ مع اليمين المتشدد الديني، وبخاصة أصحاب الرؤى الأصولية الإنجيلية الألفية التي تؤمن بقرب نهاية العالم، وتبشر بعودة المسيح وتدعم إسرائيل كي تعجِّل بمجيئه كما تقول تأويلاتها للإنجيل، فلا بأس بذبح وإبادة الفلسطينيين لو كان هذا هو الثمن، وتقطيع أوصال العالم الإسلامي إذا كان هو القوة الرئيسية التي تقف في مواجهتها[2]

من هنا فإن التركيز على العالم الإسلامي له جذوره العقائدية التي يبني عليها المحافظون الجدد منطلقاتهم الجديدة التي تتناسب وعالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر، وذلك ضمن أهداف إستراتيجية وأسباب عقائدية وسياسية، من بينها الحفاظ على بقاء إسرائيل، ووجودها كقوة مهيمنة ضمن المجال الحيوي للمنطقة العربية الإسلامية . فبعد الهجوم على برجي

---

(1) المحافظون الجدد، قراءة في خرائط الفكر والحركة – أميمة عبد اللطيف– ص35– مكتبة الشروق الدولية – ط1 2003

(2) دراسة منشأ الحركات الاصولية وتداعياتها–.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الإستراتيجية(RSSC)) المؤتمر الإقليمي الأوّل القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 آذار – 1 نيسان 2011

التجارة في نيويورك أعلن جورج بوش مباشرة أنها "حرب صليبية"، ولم تكن زلة لسان مثلما قالوا، بل هي إستراتيجية مؤصّلة سلفاً، بدأت بالحرب النفسية ضد العرب والمسلمين، من خلال الحملات ضد الإسلام والعروبة، ثم الحرب الاعلامية والثقافية ضد ثقافتهم ومناهجهم التربوية، ثم الحرب العسكرية باحتلال قسماً من بلدانهم، ثم بوادر الحرب الدينية والحضارية التي يُروجون لها الآن.

ويعتقد المحافظون الجدد أن العالم الإسلامي عموماً والشرق الأوسط خصوصاً، هما نقطة انطلاق أمريكا في سياستها لإعادة بناء النظام العالمي الجديد. إذ يربط الجدد بين النازية، والشيوعية، والحركات الإسلامية، وهو ما تجلى في خطب جورج بوش، حين يربط بشكل تعسفي ومجرد بين هتلر ولينين وحماس وحزب الله وما يصفه بـ (الإسلام الفاشي) في حزمة وأحدة. ويرى (أيليوت كوهين) أحد أكثر أكاديميي المحافظين الجدد تأثيراً، أن العالم يعيش الآن حرباً عالمية رابعة ضد العالم الإسلامي.

فهم يتهمون ديناً كاملاً بإنه يحرض على العنف ويخلق جواً ثقافياً يقود إلى الإرهاب، ومن ثم يؤمنون بأن الخطر الأساس الذي يهدد أمريكا هو خطر الإرهاب الذي تقوم به جماعات مسلمة بالأساس. يقول ريتشارد بيرل:"أن السياسة الوحيدة الممكنة للغرب وللولايات المتحدة، في كل حال، هي سياسة المواجهة طويلة الأمد ومتعددة الأشكال مع العالمين العربي والإسلامي". وفي رده على سؤال لمراسل صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية، حول السبب الذي من أجله شنوا الحرب على العراق يقول وليام كريستول، أحد المراجع المؤثرة في عقل بوش وأحد صناع فكرة غزو العراق: أن هذه الحرب تهدف أول ما تهدف إلي تشكيل وبناء شرق أوسط جديد، فهي حرب لتغيير الثقافة السياسية في المنطقة بأكملها. ويضيف كريستول: بعد ما حدث في 11 سبتمبر2001 استيقظ الأمريكيون ليكتشفوا أن هذا العالم أصبح مكاناً خطيراً، ولهذا بحثوا عن مبدأ أو عقيدة تتيح لهم مواجهة هذا العالم الخطير، والعقيدة الوحيدة التي وجدوها هي تلك التي يتبناها المحافظون الجدد، وتقوم على تغيير الثقافة السياسية للمنطقة، وأيجاد نظام عالمي جديد، والاستعداد لاستخدام القوة لبناء وتأسيس هذا النظام

الجديد. وعلى هذا الأساس كانت حرب العراق لبناء النظام العالمي والشرق الأوسط الجديد.[1]

وفي أوائل مارس من 2007، نظم عدد من كبار المحافظين الجدد الموالين لإسرائيل، ما سمي بمؤتمر "القمة الإسلامية الإصلاحية" في الولايات المتحدة، بهدف "علمنة الإسلام" و"إعادة تفسير القرآن" بتفريغه من مضمونه. وعقد المؤتمر بمشاركة وجوه علمانية بارزة، ومسئولي إعلام ومخابرات غربيين. وفي بيان صحفي قال المنظمون: أن المؤتمر سيناقش التفسيرات العلمانية للإسلام، وأهمية توسيع مساحة النقد والحاجة لنقد القرآن. ويقول البيان: أنه يهدف إلى صياغة "إسلام عصري" من خلال إعادة تفسير الإسلام بأسلوب "عصري". وعلى الرغم من أن موضوع النقاش في المؤتمر هو "إصلاح الإسلام" فإن أغلب المتحدثين، كانوا من غير المسلمين، بل من العلمانيين أو ممن تحولوا عن الإسلام، ثم تخصصوا في مهاجمته[2]. وكل ما تقدم يؤكد أن ما يسعى إليه المحافظون الجدد ليس فقط أحداث عملية تحول سياسي في دول الشرق الأوسط المسلمة، وإنما اللعبة النهائية التى يسعون إليها هي عملية إصلاح داخلي وشامل للإسلام[3]، هذا إذا لم يكن القضاء عليه نهائياً.

المحافظون الجدد والفوضى الخلاقة

تمثل "الفوضى الخلاقة" نظرية المحافظين الجدد في التعامل مع العالم من حولهم. إذ تعني الفكرة باختصار إغراق الجماهير بالفوضى كي تتمكن الصفوة من ضمان استقرار وضعها. فحسب ليو شتراوس أحد أساطين المحافظين الجُدد وفيلسوفهم، فإن السلطة الحقيقية لا يمكن ممارستها إذا ما بقي المرء في حالة ثبات، أو حافظ على الوضع الراهن، بل على العكس، ينبغي العمل على تدمير كل أشكال المقاومة، وهي أيضاً فكرة تحويل مناطق واسعة من العالم إلى مناطق غير مأهولة. فبالنسبة لمنظِّري "الفوضى الخلاقة يجب سفك الدماء من أجل الوصول إلى نظام جديد في المناطق الغنية بالثروات. وهي فكرة ثم تكريسها باعتبارها سياسة

---

(1) المحافظون الجدد، قراءة في خرائط الفكر والحركة – أميمة عبد اللطيف- ص 26- مكتبة الشروق الدولية – ط1 2003

(2) المحافظون الجدد".. منظرون لخراب العالم- علي عبدالعال

(3) المحافظون الجدد، قراءة في خرائط الفكر والحركة – أميمة عبد اللطيف- ص 20- مكتبة الشروق الدولية – ط1 2003

أمن قومي أمريكية، ومن أهم افتراضاتها وتوصياتها هي أن النمو السكاني خاصة في دول العالم الثالث يعتبر تهديداً للأمن القومي الأمريكي وحلفاءه الغربيين، لأنه سيؤدي إلى استهلاك الثروات المعدنية هناك من قبل تلك الشعوب. وهذا الأمر يعتبر تهديداً للأمن القومي الأمريكي وحليفاتها، من الدول الصناعية التي تعتمد في بقائها وتطورها مستقبلاً على تلك الموارد المعدنية في تلك البلدان، والحل هو تدمير تلك الدول القائمة من أجل إنشاء كيانات ضعيفة يسهل توجيهها والتلاعب بثرواتها ومقدراتها.

ولإعطاء صورة واضحة عن نوايا ومخططات المحافظين الجدد نشرت مجلة "إكزكتف أنتلجنس ريفيو" تقريراً حول اجتماع عقد في واشنطن لمناقشة "الحرب العالمية الرابعة"، حضره وتحدث فيه أبرز منظري المحافظين الجدد في إدارة بوش، شاركوا جميعاً في الاجتماع الذي عقد برعاية أحدى أكثر الجماعات الصليبية المحافظة الجديدة تطرفاً، وهي "لجنة الخطر الداهم"، ومؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات. وكلا المنظمتان أعلنتا من قبل أن "الإسلام" هو العدو العالمي الجديد الذي يجب أن تتم هزيمته من خلال ما يسمونه الحرب العالمية الرابعة، التي بدأت وتجري الآن حسب وجهة نظرهم. والمسألة التي ثم عرضها في الأجتماع هي أنه إلى أن يتم القضاء على جميع "الدول الراعية للإرهاب "، إما عن طريق الحروب أو الانقلابات أو الأشكال الأخرى من تغيير الأنظمة، فإن الولايات المتحدة ستكون في حرب أبدية، وأهم عامل في هذه المرحلة "الإرادة لخوض القتال".

يقول (ليندون لاروش) المرشح الديمقراطي السابق للرئاسة: "أن هدفهم هو ليس إخضاع مناطق معينة سياسياً كمستعمرات، بل إزالة جميع المعوقات التي تقف في طريق النهب الحر للكوكب (الأرض) ككل. أن نيتهم هي ليست فتح أراضي جديدة، بل تحقيق إزالة كل بقايا السيادة القومية وتقليص عدد سكان العالم من البشر إلى أقل من مليار نسمة... فهدفهم في أفغانستان والعراق على سبيل المثال، هو ليس السيطرة على هذين البلدين، بل إزالة أمم قومية عن طريق إطلاق قوى الفوضى والدمار. هكذا سيكون من قبيل خداع النفس بشكل كبير اعتبار فشل العمليات العسكرية في العراق، كفشل لنية إدارة بوش. فنيتها هي التدمير الذاتي لآخر بقايا سيادة الدولة القومية، وهذا ما يحققون فيه نجاحات كبيرة"[1]

([1]) لاروش: "المحافظون الجدد وإدارة بوش لم يفشلوا في العراق" خطتهم هي التدمير والفوضى وإزالة معالم الدولة القومية- كتبت التقرير ميشيل ستاينبيرغ.
موقع المحرر- http://www.al-moharer.net/moh199/larouche199.htm

وتحت عنوان: "كسر نظيف: إستراتيجية جديدة لتأمين مملكة (إسرائيل)"، ثم صياغة وثيقة في العام 1996، على يد مجموعة من مفكري المحافظين الجدد، تضمنت مشروعاً استعمارياً واسعاً للشرق الأوسط، وقد هيئت من قبل فريق من الخبراء جمعهم ريتشارد بيرل، ثم أعطيت لبنيامين نتنياهو. وباختصار فإنها تمثل أفكار وأطروحات الصهيوني فلاديمير جابوتينسكي، إذ دعت الوثيقة إلى: إلغاء اتفاقيات أوسلو للسلام، والقضاء على الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، وضم الأراضي الفلسطينية، إلى جانب الإطاحة بصدام حسين لزعزعة استقرار سوريا ولبنان في سلسلة من الأحداث. وتفكيك العراق وإقامة دولة فلسطينية على أراضيه. واستخدام إسرائيل كقاعدة تكميلية لبرنامج حرب النجوم الأمريكي.

الفصل السادس

الغرب وظهور مصطلح الأصولية الإسلامية

شكلت الصحوة الإسلامية المعاصرة التي اكتسحت مساحات واسعة من الخارطة العالمية، فزعاً حقيقياً لدى دوائر الهيمنة الغربية والعالمية، حيث ظلت تؤرق مراكز القرار العليا في تلك الدوائر، لما لتلك الصحوة من تأثيرات واسعة على مسار السياسة الغربية، ومنذ السبعينات وعلى إثر تنامي ظاهرة الإحياء الإسلامي وازدياد عمقها في المجتمعات الإسلامية، وازدياد ظهور الحركات الإسلامية في العالم، ذهبت الدوائر الغربية إلى التحري عن الأيديولوجيا والمفهوم الذي تقوم على أساسه تلك الظاهرة المتنامية، بالإضافة إلى الدراسة التي تقتضي مجابهة هذا التيار الإسلامي بطرق ووسائل متعدة، حيث ثم نعت ظاهرة الإحياء الإسلامي بالأصولية الإسلامية في الكتابات الغربية. وقد أتى استخدام مثل هذا المفهوم الذي لا يرتبط بخصائص الحركة الإسلامية وسماتها الذاتية، محمّلاً بانحيازات أيديولوجية واضحة. فغالباً ما تؤكد الدراسات الغربية على أن الجماعات الأصولية الإسلامية تدعو إلى التشدد والتمسك بالقديم وترفض بل تعادي العلم والحداثة!، ولا شك أن هذا الاستخدام يتضمن نظرة تشويهية للحركة الإسلامية الإحيائية، بل للإسلام عموماً.

وعندما ظهرت ملامح الصحوة الإسلامية المعاصرة في مختلف المجالات، وجد الغرب أن تلك الصحوة الإسلامية تشكل تهديداً مباشراً على مصالحه التي يجب ضمان استقرارها الدائم في تلك البقع التي ينشط فيها «التيار الأصولي» على حد قولهم، وذلك وفق الخط المرسوم والمعدّ سلفاً من قبل مراكز القرار تلك، التي ترى كذلك ضرورة مواجهة هذا التيار «الأصولي الإسلامي» عبر أساليب متعددة، تتنوع من التغلغل المخابراتي في تلك البلاد ودعم حكوماتها بكل ما تملك من وسائل القمع والإرهاب، بالإضافة إلى شن حرب إعلامية مكثفة ضد جماهير الصحوة الإسلامية، من أجل الحد من اتساع هذا التيار وامتداد تأثيراته[1].

---

(1) جعفر الموسوي -الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية

الغرب ودراسة الصحوة الإسلامية :

اتجه الغرب بكل إمكانياته وتقنياته الهائلة لدراسة الصحوة الإسلامية، يرصدها ويجمع المعلومات عنها ويحللها ويفسرها ويستنطقها بالتنبؤات عن المستقبل، ويضع الخطط المضادة ليقضي عليها، فتدفق سيل هادر من الدراسات والمقالات والتحقيقات والمؤتمرات التى تقف وراءها مئات الجامعات والمراكز والمعاهد والأقسام والمؤسسات العلمية، والعديد من المكاتب والإدارات واللجان المتخصصة، التى نشطتها أو أنشأتها وزارات الخارجية والدفاع وأجهزة الأمن القومى والاستخبارات[1].

وقد استخدم الغرب تلك الدراسات والتقارير لتشويه الحقائق مرة وأخرى لإثارة الحرب النفسية عبر تقارير وكالاتها، حيث يبدو هذا اللون واضحاً عليها من خلال متابعة دقيقة لمحتوى تلك التقارير ومصطلحاتها التي تروج لها، من أجل لصق الطابع الإرهابي على تلك التيارات الإسلامية، التي تتبنى ضرورة تطبيق الإسلام منهجاً ونظاماً وفق الشريعة الإسلامية [2]. ففي حين أن تطبيق "الشريعة" هو شعار كل الحركات الإسلامية، مقابل التشريعات ذات المصدر الإستعماري الإنجليزي أو الفرنسي، التي لم تكن تأخذ بالحسبان هوية الشعوب الخاضعة، ولم تكن على وجه الخصوص قائمة على أي معنى للحياة. بالمقابل فإن "تطبيق الشريعة الإسلامية "، بالنسبة للغرب، لم يكن يعني سوى قطع يدي السارق وفرض الحجاب الأسود على النساء من الرأس إلى القدمين، ولا يرى الغربيون في الشريعة سوى نقيض ما يسمونه "الديمقراطية".[3]

أن اهتمام الغرب بالصحوة الإسلامية لا يعنى أن الغرب لم يكن مهتماً، أو كان غافلاً عما يجري في العالم الإسلامي. فهذا الاهتمام يعود إلى قرون عديدة منذ الحروب الصليبية، بل منذ ظهور الإسلام. فقد مثّل ظهور الإسلام وانتشاره السريع تحدياً كبيراً للغرب المسيحى الذى فقد أجزاء شاسعة من إمبراطوريته بفضل الفتوحات الإسلامية . لهذا أخذ الغرب يدرس هذا الدين ليس من أجل اعتناقه، ولكن من أجل حماية المسيحيين من خطر انتشاره بينهم. ثم جاء

---

(1) الاصولية في العالم العربى - ريتشارد هرير كميجان -ترجمة عبد الوارث سعيد - ص 9

(2) جعفر الموسوي -الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية

(3) بحث في الأصولية الدينية- لطفي حداد- مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية- موقع أركامانى صفحة كوش الجديدة- 2005

فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها عن طريق الغزو العسكرى ليعزز هذا الاهتمام، ويضع ملامح جديده لطريقة التعامل الجديدة مع الإسلام، من أجل تطويعه أولاً، والقضاء عليه أن أمكن.

ثم جاء تنامي ظاهرة الصحوة الإسلامية المسيّسة، وتصاعد أدوارها وتأثيراتها السياسية والاجتماعية في العديد من الدول العربية، خاصة في أعقاب اندلاع الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، وأصبحت تشكل تحدياً للنظم الحاكمة في العديد من هذه الدول. لذا فقد حظيت تلك الحركات باهتمام كبير من قبل العديد من الباحثين العرب والأجانب، وكذلك من قبل مراكز البحوث العربية والأجنبية المعنية بالدراسات العربية والشرق أوسطية والإسلامية، وما ترتب عليه ظهور عدد كبير من الكتب والدراسات والتقارير التي تناولت الإسلام والسياسة في الوطن العربي من مداخل عدة ورؤى مختلفة، تحت قائمة طويلة من المسميات والعناوين مثل: الأحياء الإسلامي، الانبعاث الإسلامي، الصحوة الإسلامية، الأصولية الإسلامية، الإسلام السياسي، التطرف الإسلامي، الحركات الإسلامية الراديكالية، الجماعات الإسلامية المسلحة، الإسلاموفوبيا، وغير ذلك من المسميات. ولا يتسع المجال للتفصيل في تعريفات هذه المفاهيم كما وردت في أدبيات حركات وتيارات الصحوة الإسلامية المسيّسة، ولكنها تشير في معظمها إلى ظواهر تعكس أشكال وتجلّيات العلاقة بين الإسلام والسياسة في الوطن العربي، كما أنها تعتبر محملة بالعديد من الانحيازات القيمية والأيديولوجية مما يجعلها موضع خلاف وتنازع شديدين، مما يحد من الأهمية النظرية والتحليلية لمعظمها[1].

وقد أصبح موضوع دراسات الشرق الأوسط في الغرب يُعدّ الآن من أبرز العناوين التي تتم تحتها عملية الرصد والدرس والتحليل للعالم الإسلامي عامة والعربى خاصة من كافة الجوانب، من العقيدة إلى زراعة البساتين. وقد تطورت هذه الدراسة بشكل هائل منذ الحرب العالمية الثانية، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. ويكفي أن نعرف أن عدد المتفرغين للبحث في هذا المجال في جامعات أمريكيا وكندا، كان 363 عام 1969، فأصبح 670 عام 1986. وأن عدد أعضاء رابطة دراسات الشرق الأوسط في أمريكيا عام 1977، كان 823 عضواً موزعين على 19 مجالا تخصصياً، ثم وصل عام 1986 إلى 1582 عضواً موزعين على 39 مجالا، أهمها مجالات التاريخ والسياسة والأدب واللغة والدين والاقتصاد وعلوم الإنسان

(1) الأصولية الإسلامية معركة البحث عن الهوية - محمد العواودة

والاجتماع والقانون، التى استأثرت باهتمامات 80٪ من هؤلاء الأعضاء. ويوجد في الغرب حوالى 262 دورية جادة غير حكومية باللغة الإنجليزية وحدها تصدر منها 40 في الولايات المتحدة ومثلها في بريطانيا[1].

ولطالما شكلت «الصحوة الإسلامية » عنواناً عريضاً لدراسات طويلة، اضطلع بها كتّاب غربيون، سلطوا الضوء خلالها على تنامي وبروز ظاهرة الأحياء الإسلامي وفق ما يتوافق مع منطلقاتهم ونزعاتهم وأيديولوجياتهم، فأغلب ما يكتب في الغرب عن الإسلام والإسلاميين لم ينطلق من باب البحث العلمي النزيه، وإنما هو عمل مخطط توجهه وتدعمه الحكومات والشركات والمؤسسات الغربية طبقاً لمصالحها، وكثيرٌ من الباحثين مجندون لتحقيق هذه الغايات. وفي هذا الصدد يقول «نورمان دانييل»: «رغم المحاولات المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتّاب المسيحيين من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا كلياً عنها كما قد يتوهمون[2].

دراسة الأصولية الإسلامية :

منذ أكثر من عشرين سنة، يفكر باحثون وصحفيون ومستشارون سياسيون، جاهدين في ما يسمى "الأصولية الإسلامية "، التي تجسدت في مخيلة الغرب بآية الله الخميني والثورة الإسلامية الإيرانية التي قادها، ودخلت إلى العالم مثل كابوس، ومست المصالح الحيوية للغرب في الشرق الأوسط. وكانت ردود الفعل التى أثارتها ولا تزال تثيرها قد أنعشت المتخيل الغربي السلبي عن الإسلام وضخمته اكثر[3]. وقد كُتب عن هذه الظاهرة عدد لا يحصى من المقالات والنصوص والدراسات. وبحسب ألبرشت متسكر، فأن أحدى الباحثات وهي "هانا لوكه" رصدت الكتابات الصادرة بالألمانية بين عامي 1967 و1990 فأوردت 604 عنوان، القسم الأكبر منها صدر بعد 1979 تاريخ قيام الثورة الإيرانية. وإضافة إلى ذلك فهي تورد قائمة تجمع المصادر والدراسات عن الموضوع نفسه الصادرة باللغة الإنجليزية

---

(1) الاصولية في العالم العربى - ص 11

(2) جعفر الموسوي -الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية

(3) الفكر الاسلامى - محمد اركون- ص36

والمنشورة بين عامي 1988 و1994 وتضم 1246 عنواناً. ولكن حتى ذلك لا يعد إلا جزءا بسيطاً من الأدبيات التي كتبت عن هذا الموضوع.

ويعتقد راينهارد شولتسه أن المرء سيكون بحاجةٍ إلى سنواتٍ لكي يحضّر لائحة تتضمن عناوين الكتب والدراسات الصادرة عن ما يسمى الأصولية الإسلامية . وهذا الكم الهائل من الأدبيات يطرح سؤالا مزدوجاً: هل يحتاج هذا الأمر كل هذا الجهد لفهم ظاهرة "الأصولية الإسلامية "، أم أننا أمام تكرار وإعادة تكرار واسعة ومملة؟ وهل -في المقابل- قيل كل شيء عن هذا الموضوع؟ أياً ما كانت الأجابة، يظل السؤال الأكثر جدلاً هو: "بأي شكل تم تناول الموضوع؟"[1].

وفي مقدمة كتابه الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية يطلعنا ألبرشت متسكر، على سبيل المثال، على كيفية معالجة الأصولية الإسلامية في سوق الكتب الألمانية، ويرى أن هناك الكثير من الدراسات عن شتى جوأنب هذه الظاهرة، إلا أنها تبقى مستعصية على القراء المهتمين غير المختصين. لذا فإنه ليس من الغريب أن يرجع القارئ الذي يهتم بموضوع الأصولية الإسلامية إلى كتب الصحفيين المعروفين في وسائل الاعلام ولا سيما التلفزيون "كخبراء" في الشرق الأوسط والإسلام. ويذكر متسكر العديد من الأمثلة للبرهان على سطحية هؤلاء، حيث يسعون إلى تفسير كافة مشاكل المنطقة انطلاقاً من الدين، وتأكيدهم أن الإسلام دين عنف ويسعى دوماً إلى توسيع دائرة نفوذه، والإسلام ليس قادراً على الحياة بسلام جنباً إلى جنب مع فئات غير مسلمة[2]. وهكذا نرى كيف أن الساحة تبقى خالية للهواة والصحفيين الذين ينخرطون في تشكيل صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين معتمدين على الأحداث الجارية ومنغلقين دائمًا داخل إطار المدة القصيرة لا الطويلة للتاريخ وعلم التاريخ[3].

---

(1) الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية- ألبرشت متسكر- ط الأولى 2000- خدمة كامبردج بوك ريفيو- الجزيرة نت (ص 11-12).

(2) الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية- ألبرشت متسكر- ط الأولى 2000- الناشر: لاموف، غوتينغن- ألمانيا- خدمة كامبردج بوك ريفيو- الجزيرة نت

(3) الفكر الاسلامي - محمد اركون- ص41

أسباب اهتمام الغرب بالحركات الإسلامية المعاصرة

من خلال تتبعنا لبعض ما يكتب ويؤلف وينشر من طرف المفكرين الغربيين، يبدو واضحاً أن الغرب متخوف من "الصحوة الإسلامية" هذه، بل أن بعض المفكرين الغربيين يرون أن هذه الصحوة ستكون لا محالة هي "الثورة العالمية الثالثة التي ستهيمن مستقبلاً على الثورتين الشيوعية والرأسمالية، لأن هاتين الثورتين لم تقدما للبشرية شيئاً يصلحها، ويقيّم اعوجاجها، بل أنهما أساءتا لكرامة الإنسان بنشر الظلم والطغيان والفساد بتقديس المادة والعلمانية مع إهمال العدالة الاجتماعية والجانب الروحي[1]. ولذا فإن بعض المفكريين مثل روجيه جارودي يتحدثون عن عودة أو رجعة الإسلام كقوة عظيمة، وكتب عن ذلك أحد المفكرين الألمان "باول شمتز" كتابه الشهير "الإسلام قوة الغد العالمية" - على الأقل - عددياً وروحياً وباعتباره بديلاً من النظم والأيديولوجيات التي سقطت، والأخرى التي تواجه الأزمات. وكذلك كتب عن ذلك مفكر ألماني آخر هو مراد هوفمان" كتابه "الإسلام كبديل"[2]

وبالرغم مما تقدم، فإن هناك في الغرب من يحمل المسلمين عموماً مسؤولية عدم الاستقرار والاضطرابات الحالية، التي استمرت على رغم ما يسمونه انتهاء عهد الحرب الباردة، ولذا ظهرت في السياسة الغربية نظرية وجود عدو دائماً أو خطر يستوجب الحذر والمواجهة، فجاءت فكرة صراع الحضارات لصموئيل هانجتون، ونهاية التاريخ لفوكاياما، وهذا يعنى أن هذا الاهتمام الهائل من الغرب بدراسة العالم الإسلامي، أن دل على شيء، فإنما يدل على أن الغرب لازال يفكر بعقلية صليبية متعصبة تحاول القضاء على الإسلام وتدميره بكافة الوسائل. فهذه الدراسات ليست من باب البحث العلمي النزيه مهما ادعى الغرب ذلك، وأنما هى عمل مخطط توجهه وتدعمه الحكومات والشركات والمؤسسات طبقاً لمصالحها. وكثير من الباحثين مجندون لتحقيق نفس الغايات التى تجند لها الجيوش، وإن كان سلاح العلماء أفتك من أسلحة العسكريين.

---

(1) الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1 - جمادى 2 1404/ مارس 1989 -تصدر عن وزارة الاوقلاف المغربية
http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6152

(2) الإسلام السياسي والأصوليةد. محمد إبراهيم الفيومي

وقد لعبت هذه الدراسات ولازالت تلعب دوراً رئيساً في صياغة وتشكيل التصورات والمواقف الغربية الحاقدة على الإسلام والعالم الإسلامي. فوزارات الخارجية والدفاع وغيرها من الدوائر الحكومية ترسم سياستها تجاه العالم الإسلامي بناءً على هذه الدراسات، وبالتنسيق والتشاور مع فريق من المستشرقين المتفرغين لهذه الأعمال. والفرد الغربى العادى يستقى معلوماته ويحدد مواقفه عن العالم الإسلامي استناداً لهذه الدراسات. وقد ازداد اهتمام الغرب بشكل كبير بالحركات الإسلامية المعاصرة خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، حيث ساهمت عدة أحداث وقعت على الساحة الإسلامية في زيادة هذا الاهتمام أهمها: [1]

1- قيام الثورة الإسلامية في إيران

2- اغتيال الرئيس السادات على يد مجموعة إسلامية.

3- الهجمات الاستشهادية والكفاح المسلح ضد إسرائيل والقوات الأمريكية والفرنسية في لبنان.

4- مقاومة الاحتلال السوفيتى في أفغانستان وانهياره عام 1990.

5- الاستيلاء على المسجد الحرام في مكة المكرمة والأضطرابات في المنطقة الشرقية في السعودية والبحرين والكويت.

6- المعارضة المسلحة لحزب البعث في سوريا، والمظاهرات في الجزائر وتونس والمغرب.

كل هذه الأحداث زادت من اهتمام الغرب بالحركات الإسلامية المعاصرة لأنها كانت مؤشر على تحوّل نوعي في طريقة عمل بعض الحركات الإسلامية، حيث ظهر تبنيها للعمل الجهادى كوسيلة لإحداث التغييرات المطلوبة في المجتمعات الإسلامية، هذا بعكس بعض الحركات الإسلامية السابقة عليها، والتى ركزت دعوتها على العمل الفكري النظري البحت. فإحياء مفهوم الجهاد كان هو الأساس الذي جعل الغرب يستجمع قواه ومؤسساته لدراسة هذه الحركات تمهيداً للقضاء عليها، لإن إحياء هذا المفهوم شكّل تهديداً حقيقياً على المشروع الصليبى الغربى في المنطقة العربية والإسلامية (إسرائيل). ومن هنا سارع الغرب إلى مؤسساته الاستشراقية والتبشيرية لكي تقوم بالدراسات اللازمة لمواجهة هذه الحركات،

---

[1] الاصولية في العالم العربى - ريتشارد هرير كميجان -ترجمة عبد الوارث سعيد - ص 19

اعتماداً على خبرتها الطويلة في هذا المجال. فظهرت كثير من الدراسات الغربية عن هذه الحركات والتى كان هدفها الأول والأخير القضاء على هذه الحركات من خلال:

1- تشويه صورة هذه الحركات بشتى الوسائل كالاتهام بالتطرف والعنف والجمود والتعصب والرجعية، وتصيّد الأخطاء وتضخيمها وتعميمها، والحكم على معتقداتها ومفاهيمها بمقاييس تجربة الغرب المرة مع الكنيسة، أو بمقاييس المذهبية الإلحادية.

2- الخلط بين الجماعات المخلصة وسواها من الجماعات أو الادعاءات الزائفة، والسعي إلى تخويف الغرب حكومات وشعوباً من الإسلام والإسلاميين ومن دعوة العودة إلى الحكم الإسلامي، وتخويف حكومات البلاد الإسلامية والأقليات غير الإسلامية والتكتلات المناهضة للإسلام، من الظاهرة الإسلامية .

3- تحسين صورة التيارات والحركات والدعوات والمذهبيات المجافية والمعادية للاسلام، ودعمها وتزكيتها لدى الأنظمة الحاكمة لتكون أداة لضرب الحركات الإسلامية .

4- تركيز وسائل الاعلام الغربية والعربية، على بعض الشخصيات وتلميعها، ليقوموا بالإدلاء ببعض التصريحات أو الفتاوى والآراء التى تسئ للإسلام الصحيح، والأمثال كثيرة، بحيث أننا نستطيع القول، أن هناك تغييب للشخصيات الإسلامية الحقيقية والتى تمثل الغالبية، في حين يتم التركيز على شخصيات صنعتها المخابرات الغربية والعربية والزّج بها لتتصدر ساحه الدعوة والافتاء والحديث باسم المسلمين.

5- الدفع بحركات وتنظيمات عميلة للمخابرات الغربية، ودعمها بكل الوسائل لتقوم بأعمال منافية لتعاليم الإسلام السمحة، لخلق حالة من الرفض والاستنكار والاشمئزاز تجاهها، وكل ذلك ينعكس سلبياً وبطريقة مدمرة على الإسلام وعلى أية تنظيمات وحركات إسلامية معتدلة تعمل على إحياء الأصلام الصحيح.

6- تقديم الصحوة الإسلامية من خلال مجموعة من المصطلحات التى ولدت في بيئة الغرب، وحملت بمعان ومفاهيم متأثرة بتجارب الغرب وقيمه ونظرته للدين والحياة، مثل الأصولية والخلاص واليمين واليسار والرجعية والتقدمية والحداثة والنضالية والتحررية والإحياء والإصلاح والانبعاث وغيرها.[1]

---

(1) الاصولية في العالم العربى – ريتشارد هرير كميجان –ترجمة عبد الوارث سعيد – ص 11-12

ولم تغفل الدراسات الغربية في كل المحاور التي تحدثت بها، عن الحركات الإسلامية إلى أن تضمن تلك الدراسات تحذيرات مستمرة إلى مراكز القرار في الإدارات الغربية السياسية، تطلب فيها ضرورة الوقوف بوجه «المد الأصولي» الزاحف من بلاد الإسلام، بل تعلنها وبصراحة في ضرورة وحتمية المواجهة مع امتدادات هذا الزحف من أجل اجتثاث جذوره. فصحيفة التايمز البريطانية وفي أعقاب محاولة الاغتيال التي تعرض لها وزير الداخلية المصري في 1993، حرصت كل الحرص على تهويل خطر الإسلاميين عبر افتتاحيتها، حيث قالت: «أن الأصولية الإسلامية تسعى حالياً إلى تنفيذ ثورة عالمية لا تستهدف الحكومات الإسلامية المعتدلة بل تتعدى ذلك إلى العالم الغربي، لذا يتوجب على الغرب الوقوف بوجه هذه الظاهرة الخطيرة !

موقف مفكري الغرب من الصحوة الإسلامية

مصطلحات ومفاهيم عديدة أطلقتها الدراسات الغربية وهي تمضي في دراسة الظاهرة الإسلامية المتنامية، وقد تنوعت تلك المصطلحات في نعت كل ما يتصل بهذه الظاهرة، فهم حينما يتعرضون إلى وصف الإسلام الذي يحمل مبادئه الإسلاميون، تتعدد المفاهيم والمصطلحات في وصفه، حيث تصنف الكتابات الغربية الإسلام، في ثنائيات طبقاً لمعايير لا تنبع من داخله، بل هي خارج إطاره، فبالنسبة لموقف بعض القوى والتيارات الإسلامية من عملية التحديث، هناك الإسلام التحديثي والإسلام التقليدي، وبالنسبة لقضية التغير وأساليبها، هناك الإسلام الراديكالي أو الثوري وهناك الإسلام المحافظ أو التقليدي، وبالنسبة للقوى الاجتماعية المرتبطة بالإسلام هناك إسلام النخبة أو الإسلام الرسمي أو الإسلام من أعلى، وإسلام الجماهير أو الإسلام الشعبي أو الإسلام من أسفل.

وهذه المفاهيم التي استخدمت لوصف الظاهرة الإسلامية تتغلغل في أوساط الأمة لتزحف بكل الاتجاهات شرقاً وغرباً، وبتعابير مختلفة، ومنها: الأصولية الإسلامية، الغضب الإسلامي، الهبة الإسلامية الهياج الديني. وهناك من نظر إليها باعتبارها ظاهرة سياسية إسلامية، في حين التبس الأمر على بعض الباحثين الغربيين فتساءلوا هل هي صحوة إسلامية أم نبوءة جديدة يدّعيها بعض عناصر النخبة؟، هذا في الوقت الذي وصمها البعض بالإرهابية، وما أكثر من عزفوا على هذا الوتر من أجل خلط الأوراق. وبالإضافة إلى تلك المفاهيم والمصطلحات، هناك مفاهيم ومصطلحات أخرى كانت تصف جماهير الصحوة

الإسلامية وأعضاء الحركات الإسلامية ومنها على سبيل المثال: «التقليديون، المتطرفون، السلفيون الإرهابيون، الراديكاليون". كما ميزت أغلب الدراسات الغربية بين المسلم والإسلامي، فالأول هو الذي يعتنق الدين الإسلامي ولديه هوية إسلامية، بينما الثاني هو الذي يجعل من بين أهداف حركته بناء دولة إسلامية. وهكذا قدم الكتّاب الغربيون الصحوة الإسلامية من خلال مجموعة من المصطلحات التي ولدت في بيئة الغرب وحمّلت بمعان ومفاهيم متأثرة بتجارب الغرب وقيمه ونظرته للحياة والدين، في حين أن الإسلام منهج حياة وعقيدة راسخة وهذا ما يسلم به حتى الذين هم خارج الدائرة الإسلامية [1].

وبالرغم من أن غالبية الباحثين الغربيين عملوا على تشويه الصحوة الإسلامية ومحاربتها، إلا أن هناك العديد منهم لم يستطع أن يتجاوزوا العديد من الأمور التي ترتبط بصميم المفاهيم الإسلامية، خاضعين بذلك إلى منطق الأمر الواقع والتسليم بما هو مفروغ منه على طاولة الحوار والتحليل. ولقد جعلت الصحوة الإسلامية المزيد من رجال السياسة الغربية، يبحثوا ويراجعوا أوليات وعوامل انبثاق الصحوة، وهذا ما حدا بسفير ألمانيا في المغرب «مراد هوفمان» أن يعد كتاباً تحت عنوان «الإسلام هو البديل» يطرح فيه الإسلام المنهج الصالح والأمثل لإنقاذ البشرية من عذاباتها.

والباحثون الغربيون يلحظون تأثيرات الصحوة الإسلامية على واقع المسلمين والعالم أجمع، حيث يمدون أبصارهم نحو المستقبل لكي يشيروا إلى ما يمكن أن يفعله الإسلام يومها دون أن تأسرهم اللحظة الموقوتة فتميل بهم صوب رؤية تشاؤمية إزاء موقف الإسلام في العالم. فالباحث الغربي «بوازار» مثلاً يشير إلى احتمال قيام نهضة مستقبلية في عالم الإسلام تستمد قوتها من طابع الرسالة الإسلامية الإجمالي وأثره الحاسم في وجدان المؤمنين. ومما يزيد من إسلامية الصياغة المستقبلية للنهضة المنشودة، فإن «بوازار» يلحظ أن الاضطراب النفساني الذي تعانيه الحضارة الصناعية والمادية واضح تماماً، والإسلاميون في طريقهم للحصول على ضمانة ذاتية تسهل لهم اكتشاف أشكال سياسية واقتصادية أصيلة متوافقة مع روح التنزيل بشأن الجماعة، ويكون تطبيقها بالتالي أيسر على صعيد الممارسة العملية.

---

(1) ريتشارد هرير دكمجيان: الأصولية في العالم العربي، ص:12

وآرنولد توبيني يستقرىء أيضاً ما يمكن أن يقوله التاريخ بصدد مستقبل الإسلام ثم يصدر حكمه «فإذا كان للسوابق التاريخية أي معنى عندنا وهي إشعاعات الضوء الوحيدة التي يمكن أن يلقيها على الظلمات التي تكتنف مستقبلنا، فإنها تنذر بأن الإسلام قادر على التأثير في المستقبل بأساليب عدة تسمو على فهمنا وادراكنا. أما «بورغا» في كتابه «الإسلام السياسي.. صوت الجنوب» فهو يدعو علانية إلى التعامل بواقعية مع الإسلاميين ويقول: «أن هذه اللحى وهذه الحجب لا تُخفي وراءها كائنات هابطة إلينا من المريخ، بل أننا لا نستطيع أن نلصق بهؤلاء صفة «التعصب أو التطرف»، أنهم اللاعبون الجدد في حلبة السياسة وسنضطر يوماً للاعتراف بذلك»[1].

ولعل أنصف كاتب غربي في إطار هذه الصحوة الإسلامية هو المفكر والفيلسوف الفرنسي المسلم "روجيه غارودي. فالذي يقرأ كتابه الأخير "مبشرات الإسلام" يرى أنه وقف موقفا موضوعيا تجاه الغرب، وما يقوم به من عداء للإسلام والمسلمين، حيث يرى أن لا إصلاح أنسب لالإنسانية من الإصلاح الشامل الذي سوف يأتي عن طريق الدعوة الإسلامية بدليل أن ما وصل إليه المسلمون في صدر الإسلام لم يكن عن طريق السلاح والقوة بقدر ما كان عن طرق التضحية والإيمان ونكران الذات..". أما كتاب "الإسلام والغرب" الذي ألفه أخيرا "ميشال للون" فهو كتاب جدير بأن يقرأه كل الذين يهتمون بهذه الصحوة حتى يتأكد أكثر من تساؤلات الغرب وتخوفاته من هذه الصحوة.. ولذا نجد أن الغربيين بقياد الصهيونية العالمية يضاعفون كل مكأيدهم ضد الإسلام والمسلمين بدعم حركات التبشير، وحركات الماسونية الهدامة المغرضة.. [2]

الموقف الأمريكي من الحركات الإسلامية :

منذ أن ظهرت الحركات الإسلامية على الساحة السياسية، وأخذت تعمل للعودة بالإسلام إلى قيادة المجتمع، أخذ الغرب ممثلًا بالولايات المتحدة الأمريكية ينظر بعين الريبة والحذر إليها، ولم يتوانَ عن استخدام أية طريقة ممكنة لكي يتخلص منها، أو على الأقل أن يحتويها،

---

(1) جعفر الموسوي - الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية

(2) الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1- جمادى 2 1404/ مارس 1989 -تصدر عن وزارة الاوقلاف المغربية
http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6152

لذلك ظهرت كثيرٌ من الاتهامات الغربية والأمريكية الباطلة، التي تتهم الإسلام والمسلمين. فتارةً يُتهم الإسلام بأنه إرهابي، وأصولي، وأخرى بأنه متطرف، ومتعصب، في محاولة لربط الحركات الإسلامية بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة، التي خاضت صداماً طويلاً مع الكنيسة، انتهى بغلبة السلطة المدنية، وتحديد دور الكنيسة، وتحجيم دورها[1].

يقول كلاً من"جراهام فوللر" وإيان ليسر" في مقدمة كتابهما: "الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة ": "لقد ظلت الأصولية الإسلامية القوة الوحيدة تقريبا المناهضة للغرب على مدى العقدين الأخيرين، لاسيما بعد تهاوي الحركة الشيوعية"[2]. وفي المنظار نفسه يرى "فؤاد عجمي" في المذكرة التي قدمها إلى الكونجرس الأمريكي وخاصة إلى اللجنة المنبثقة منه برئاسة "لي هاملتون" حول ما يسمى بـ"الأصولية الإسلامية " قال: "أن المشكلة الحقيقية التي تواجهها أمريكا هي الإسلام والتطرف الإسلامي، وأن القضية الأساسية هي قضية المواجهة بين الإسلام والغرب"[3]

أما (أليسوا) فيشير في كتابه "اختفاء الهلال"، إلى أن الأمريكيين قد ورثوا عن أوربا المسيحية شبح الإسلام كدين ولد من طغيأن، يؤيد القمع الديني والسياسي والجمود الأقتصادي، وبناء على هذه الفرضية، لم يهتم الأمريكيون بها إذا كان هذا الوصف للإسلام صحيحاً أم لا، ولكنهم أخذوا به لأنه مناسب لهم سياسياً.[4] ويكشف أليسوا أن استطلاعاً للرأي أجراه معهد جالوب سنة 1994م- لمقارنة آراء الشعب الأمريكي وزعمائه الذين يتولون مراكز رفيعة - عن الإسلام، أن شريحة من الأمريكيين تبلغ 36٪ قالت: أن توسع الأصولية الإسلامية يمثل خطراً بالغاً على المصالح الحيوية الأمريكية، وفي المقابل أوضح الأستطلاع أن الزعماء الأمريكيين أكثر ميلاً من الجمهور لاعتبار الأصولية خطراً، إذ أجاب 52٪ بأنها تهدد المصالح الأمريكية. [5]. يقول ريغان الرئيس الأسبق لأمريكا: "لا أعتقد أنكم تستطيعون

---

(1) انظر إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية: ا.د. عمر سالم عبد الله العبيدي، 5-8 بتصرف.

(2) محمد دكير، الإسلام والغرب: عشر السنوات من المواجهة – المثاقفة، مجلة الكلمة، العدد 26، السنة 7، شتاء، بيروت، 2000، ص158.

(3) احمد إبراهيم خضر، الإسلام والكونجرس، ص113.

(4) انظر: شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين- دار الفكر المعاصر بيروت- ط2- 1998 (1 http://syriagate.com/nihadsiress/jaridah/mak-018.htm .)

المغالاة في تقدير أهمية ظهور الأصولية الإسلامية بالنسبة لبقية العالم في القرن المقبل، خاصة إذا وضعت أشد عناصرها تعصباً -وهذا يبدو ممكناً- يدها على أسلحة نووية وكيماوية، ووسائل إطلاقها ضد أعدائهم" وقد أوحى تجار السياسة من المستشرقين للمؤسسات الأمريكية بالتوصيفات التالية:

"لا بد من دعم أي جهة تسعى إلى محاربة هؤلاء الأصوليين الإسلاميين، حتى لو تطلّب ذلك دعم القمع، وانتهاك حقوق الإنسان، وإضعاف العملية الديمقراطية والتحالف مع الشيوعيين بل حتى المنظمات الإرهابية... كذلك لا بد من اتباع سياسة نشطة قادرة على احتواء وإضعاف ما يمكن اعتباره مكاسب حققها الإسلام الأصولي... من خلال كفاح عسكري تقدمي ضد الإسلاميين لا اعتذار فيه، وعدم المطالبة راهناً في الشرق الأوسط بالديموقراطية، حتى تخمد حركة المد الإسلامي المزاحم، أو يتم قمعها من قبل الآنظمة الشمولية المتسلطة المدعومة من أمريكا".[1]

أما المعادين للإسلام وللحركات الإسلامية، فإنهم يشككون في مصداقية هذه الحركات التي تود أن يسمح لها بالدخول في انتخابات حرة نزيهة. فتتساءل جوديث ميللر:" لماذا يجب التشكيك في جدية الإسلاميين في التزامهم بالحقيقة والأسلوب الديموقراطي." وتجيب: "باختصار السبب هو التاريخ العربي والإسلامي وطبيعة نشوء هذه المجموعات" وهذه ليست آراء ميلر وحدها بل هي تستشهد بالباحث اليهودي - مدير مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا-مارتن كريمر، وكذلك آراء أستاذه برنارد لويس التي ترى أن الحركات الإسلامية بطبيعتها لا يمكن أن تكون ديموقراطية أو تقبل بالتعددية أو المساواة أو مؤيدة للغرب. وهكذا تغلب الأراء السلبية على دراستنا للاستشراق الأمريكي، لأنها هي الآراء النافذة في الغرب رغم صدور بعض الآراء التطمينية بأننا: "لا نعادي الإسلام، والإسلام دين عظيم"[2].

---

(1) ينظر في هذا السياق كتابا رسول محمد رسول: الغرب والإسلام قراءة في رؤى ما بعد الاستشراق، وكتاب فواز جرس، أمريكا والإسلام السياسي: صراع حضارات أم تضارب مصالح، فهما من الكتب التي تكشف عن خبايا السياسة الأمريكية تجاه عالم الإسلام، وتفسر الكثير من المواقف الغامضة والغريبة للسياسة الأمريكية تجاه ما يجري في الشرق العربي الإسلامي.

(2) مدارس الاستشراق الاهتمام بالحركات الإسلامية "الأصولية"- مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق 2005- د. مازن مطبقاني- http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=41

الاستشراق الأمريكي والصحوة الإسلامية

بعد أن ظهرت الحركة الإسلامية بثقل بارز على الساحة السياسية أخذ الغرب ممثلاً بالولايات المتحدة ينظر بعين الريبة والحذر إليها فجعلها نداً له ولم يتوانَ عن استخدام أية طريقة ممكنة لكي يتخلص منها أو على الأقل أن يحتويها، لذلك ظهرت كثير من الاتهامات الغربية الأمريكية التي تتهم الإسلام والمسلمين في أغلب القضايا والأمور فتارة يتهم بأنه إرهابي وأصولي ومتشدد ومتطرف ومتعصب ومتحجر ودمويّ...وغيرها من التهم الزائفة التي درج عدد من الكتاب والمفكرين وكبار الساسة الغربيين إطلاقها جزافا على الإسلام والمسلمين[1].

فقد أراد أتباع المدرسة الاستشراقية الانكلوسكسونية البريطانية والأمريكية على الدوام، حشر العرب أمام أحد اختيارين لا ثالث لهما: إما أن تظلوا أبناءً لهذا الإسلام، وحينئذ لن يكون ثمة تطور، وإما أن تتطوروا ولن يكون ثمة إسلام" ومثل هذا الحكم ينطلق، كما نرى، من قناعة تقول أن الإسلام والتطور موجودان على طرفي نقيض.

من هنا يأتي تركيزنا على الاستشراق الأمريكي وموقفه من الصحوة الإسلامية، لأن أمريكا الآن تشكل رأس الحربة في الحرب على الإسلام، وتجند بالتالي الدول الأخرى بكافة الوسائل للمشاركة في هذه الحرب، وذلك انطلاقاً من حرصها على إنجاح حربها الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي، والمتمثل بزرع إسرائيل في المنطقة، لاستعجال عودة المسيح وقيام معركة هرمجيدون، كما وضحنا سابقاً. ومن هنا كان الاهتمام الأمريكي بالمنطقة وبكل ما يدور فيها، حيث تسعى الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، جاهدة اليوم لترسيم حدود الاستعمار الجديدة للشرق الأوسط، والتي تعتمد الغزو الفكري والثقافي والتبعية الاقتصادية، وتعتمد أيضاً هدم الهوية الإسلامية تاريخاً وحضارة.[2]

ولم يكتفِ الاستشراق الأمريكي بدراسة الإسلام وصلته بالتصوف وغيرها من القضايا التي اهتم بها الاستشراق التقليدي، بل انتقل إلى دراسة المجتمعات الإسلامية ذاتها دينياً

---

(1) إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية -إعداد: أ. عمر سالم سعد الله العبيدي -بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة" -المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م

(2) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

وسياسياً واجتماعياً وثقافياً... كما درس العلاقة بين الشعوب والمجتمعات الإسلامية والخلافات القائمة والكامنة فيها، ومدى صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق. كما ركز المستشرقون على ما أسموه بالإسلام السياسي والحركات الإسلامية ومناقشة برامجها وطموحاتها...

ومهما كان موقف الاستشراق الأمريكي من الحركات الإسلامية أو من الإسلام فإنما هيَ نوع من العداوة يتولى تكبيرها مجموعة من الأصوات النافذة في الولايات المتحدة، حيث يرى أحد الكتاب أن "الحروب الصليبية التوراتية لم تنته ولن تنتهي فإن أنهيناها نحن بتسامح الإسلام لم ينهوها ولن ينهوها بنفوسهم الوارثة لأحقاد الصليبية، ومن ظن غير ذلك بعد وضوح الأدلة فقد فقدَ عقلَه" فقد أخذت تلك العداوة، شكل الحرب النفسية:"وأبرز علاماتها حرب النعوت والأوصاف والمصطلحات"[1].

لذا فقد أخذ الاستشراق المعاصر على عاتقه مهمة التحرش ضد القوى المناوئة للفكرة الأمريكية، وعلى رأس هذه القوى، الشيوعية والإسلام، أما وأن الشيوعية اليوم قد أندحرت، فإن الإسلام قد بقي ليمارس الاستشراق المعاصر ضده التشويه والتحريض! وما زالت هذه الصورة المشوهة المشحونة بالعداء تتنامى في الدراسات الاستشراقية، وفي وسائل الاعلام بوجه عام، وفي أمريكا بوجه خاص[2] وقد تمحور النشاط الاستشراقي الأمريكي حول السبل التي تتيح للولايات المتحدة بسط هيمنتها على المنطقة العربية والعالم الإسلامي، فأصبح كل ما يطلب إلى الاستشراق أن يؤديه، هو مساعدة المؤسسة الأمريكية على إنجاز تطلعاتها في الهيمنة على مقدرات الشرق، وضمان الحماية الكاملة لإسرائيل[3]، مما أدى إلى تعاظم دور الاستشراق الجديد، باقتصاره - تقريباً - على تقديم المعطيات اللازمة لاتخاذ القرارات الاستراتيجية

---

(1) سعيد بن سلمان. "حرب النعوت والألقاب ومفهوم الأصولية بين التصحيح والتسطيح." في مجلة الباحث. عدد60، تشرين الأول 1993م

(2) مازن مطبقاني ص55

(3) الاستشراق الأمريكي..طبيعته وخلفياته- د. رشيد بلحبيب- مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق-
http://www.madinacenter.com/Searchers.php?step=1&SID=9

والسياسية في الدوائر الأميركية الحاكمة، وخاصة على صعيد السياسة الخارجية. وقد ترتب على ذلك "انخفاض الاستشراق إلى استخبارات"[1].

ففي أواخر عام (1985) ثم كشف النقاب عن تعاون المستشرق اليهودي نداف سفران مع وكالة المخابرات المركزية الأميركية، وكان هذا الكشف "فضيحة" في الأوساط الأكاديمية بسبب تلقيه مبلغ 45 ألف دولار من المخابرات الأميركية لتمويل ندوة في جامعة هارفارد حول "نمو المشاعر الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط" وتبين كذلك أن المخابرات الأمريكية دفعت 107 آلاف دولار مقابل قيام سفران بتأليف كتاب عن المملكة العربية السعودية. ولدى شروع سفران في بحثه، كلف أحد أساتذة الجامعة العبرية في القدس (البرولفسور آفير) بإجراء بحوث ميدانية بالتعاون مع الطلبة العرب، ودراسة الصحف السعودية والخليجية المتوفرة في "معهد ترومان لأبحاث الشرق الأوسط" التابع للجامعة العبرية، بيد أن الطلاب العرب في الجامعة المذكورة رفضوا التعاون مع البرفسور الإسرائيلي. وبعد افتضاح المسألة، أجرت جامعة هارفارد تحقيقات مع سفران، وأقيل على إثرها.

بهذه الطريقه تتغذى الاستخبارات الأمريكية بالمعلومات عن المنطقة العربية والعالم الإسلامي، يضاف إلى ذلك قنوات أخرى متعددة أهمها:

- إرسال بعثات دراسية إلى المنطقة، للوقوف على طبيعة ظاهرة أو مسألة معينة وجمع المعلومات الكافية، وقراءاتها، ثم التوصل إلى استخلاصات بشأنها.
- العمل الاستخباري المباشر (مواد بحثية - معلومات خام - تقارير خاصة..الخ).
- الكتابات التي تظهر في المجلات العلمية المتخصصة المعنية بشؤون الشرق الأوسط والعالم الإسلامي والسياسة الخارجية، والمواد المنشورة في مختلف الصحف والمطبوعات العربية.
- الندوات وحلقات البحث التي تعقدها المؤسسات البحثية الأميركية، والتي يتم خلالها إفساح المجال لتناول أي موضوع مدروس من مختلف جوانبه، (مؤتمرات سنوية، تنظيم أيام دراسية -لقاءات محدودة)

---

[1] ادوارد سعيد- الاستشراق- ص (290/291)

- التقارير والدراسات التي تعدها مراكز ومؤسسات الأبحاث العاملة في الميادين الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وتبرز أسماء مثل: معهد بروكنغز - معهد سفن سبرنغز - أميركان انتربايز انستتيوت - مركز الدراسات الأستراتيجية والعلاقات الدولية التابع لجامعة جورجتاون - معهد هوفر لأبحاث الحرب والسلام التابع لجامعة ستانفورد - كلية الدراسات الدولية العليا بجامعة جون هوبكنز - مركز دراسات الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا - المركز العالمي للسلام في الشرق الأوسط - مؤسسة دراسات الشرق الأوسط، وعشرات الهيئات والمعاهد التابعة للجامعات والدوائر الحكومية الأمريكية، وكذلك الأقسام واللجان البحثية المرتبطة بالمنظمات السياسية والاجتماعية وسواها. ويمكن رصد اهتمام أمريكي بالحركات الإسلامية بالحديث عن بعض المؤتمرات والندوات حول الحركات الإسلامية " الأصولية " وعرض بعض الكتابات البارزة في هذا المجال:

أولاً: تحولات أساسية في الدول والمجتمع في الشرق الأوسط: المؤتمر السنوي لمؤسسة راند للدراسات الاستراتيجية سبتمبر 1992م.: كان من أبرز الموضوعات التي طرحت في هذا المؤتمر الإسلام والديمقراطية ومدى تقبل الإسلام للآراء المخالفة أو التعددية ومسألة حقوق الإنسان. وقد تحدث في المؤتمر عدد كبير من خبراء الشرق الأوسط، حيث عرضت في الندوة بعض الآراء الإيجابية التي حاولت أن تلفت الانتباه إلى مكانة الحركات الإسلامية وقدرتها ونجاحها في القيام بدور بديل لمؤسسات الدولة في توفير الحاجات الأساسية للمواطنين.

ثانياً: الأصولية والسياسة العامة وصياغة العالم الجديد عام 1993م: هذا المؤتمر جعل الأصولية في الأديان المختلفة مجالاً للبحث، وهو مشروع قامت به جامعة شيكاغو قسم اللاهوت، واستغرق خمس سنوات وهدفه "محاولة فهم الأطر التاريخية والمعاصرة للحركات الأصولية والطبيعة الاجتماعية والسيكولوجية والدينية لها، والنتائج التي تترتب على وصول هذه الحركات إلى السلطة وتأثيرها على الحكم والحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية والثقافية، ويهدف المشروع إلى إعداد بنوك معلومات عن الأصولية وحركاتها والتي يمكن استعمالها بواسطة صنّاع القرار السياسي للتصدي للظاهرة الأصولية "[1]

---

(1) مؤتمر عام حول مشروع الأصولية" في مجلة شؤون الشرق الأوسط، المجلد الأول،عدد 3،ربيع / صيف 1414/1993 ص 86-94

تاريخ ظهور مصطلح الأصولية :

قد تداول الإعلاميون العرب مصطلح الأصولية الإسلامية بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 -، ومن بعدهم الباحثون والمحللون الناطقون بالعربية، كما استعملته الأوساط السياسية والاعلامية والثقافية في الغرب، للإشارة إلى حالة اليقظة الإسلامية الراهنة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي. والحقيقة أن هذا المصطلح بما يحمله من دلالات سياسية وفكرية، لا يعبّر تعبيراً دقيقاً توحي به لفظة (الأصولية) الرائجة حالياً، وخاصة لجهة ما يتضمنه هذا المصطلح من معاني الرجعية المعادية لكل تقدم، بل أصبح النعت بالأصولية بمثابة شتيمة سياسية[1]. حيث قام الغرب، بقذف الدول التي استعصت على أن يجرها إلى فلكه، بلقب "الأصولية "، ويتعقبها ويتعقب الأحزاب ذات القاعدة الشعبية التي تتخذ الإسلام إطاراً ومنهجاً، فيرهبها ثم يتقول عليها بأنها أصولية، ويعني بها التجريم والإرهاب والوحشية والدموية ومجافاة التحضر وفق معناها الكنسي في القرون الوسطى، ويظل يتعقب النافرين منه بإعلان الحرب عليهم[2]

ولكن تتبع الكتابات الإسلامية القديمة والحديثة، لن يسعف الباحث في العثور على أي ذكر لمصطلح الأصولية الإسلامية في أي منها، ولكن هذا المصطلح أصبح خلال العقود الأخيرة من أكثر المصطلحات تداولاً في وسائل الاعلاموالكتابات الغربية والمتغربة، التى حأولت وصف نشاط الحركات الإسلامية المعاصرة. فقد ظهر هذا المصطلح أول ما ظهر في أواخر السبعينات من القرن الماضي على أيدى مستشرقين وباحثين غربيين مهتمين بالعالم الإسلامي وبالخصوص بمظاهر الصحوة الإسلامية المعاصرة[3]. وقاموا بترويجه من خلال كتاباتهم ومحاضراتهم ومؤسساتهم الأستشراقية.

وقد أكد المستشرق الروسي (فيتالي ناوومكين) أن مصطلح (الأصولية الإسلامية) مصطلح أطلق في الغرب، ففي محاضرة ألقاها المستشرق الأمريكى د. مالكوم كير بتاريخ 1980/3/30 بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، بعنوان (حركة الإحياء

---

(1) الأصولية بين المفهوم الاسلامي والمفهوم الغربي بقلم:د. سامي عطا حسن. تاريخ النشر: 2010-09-15

(2) الإسلام السياسي والأصوليةد. محمد إبراهيم الفيومي-
http://alarabnews.com/alshaab/GIF/18-01-2002/5.htm

(3) راجع جريدة القدس الصادرة بتاريخ 1993/6/30 (هل الاسلام يمثل خطراً على الغرب)

الإسلامي ومظاهرها المعاصرة)، استخدم هذا المستشرق المتخصص في دراسة الحركات الإسلامية المعاصرة، هذا المصطلح مرتين في محاضرته، حيث قال في المرة الأولى: ما أريد أن أوضحه هو أن هؤلاء الأصوليين يختلفون عن السلفية التى مضى عليها قرن من الزمان. إنهم لا يريدون حلاً وسطاً ويتخذون خطوة إيجابية في اتجاههم نحو العالم الخارجى، بل يعملون ضده. فهم يقولون أنهم ليسوا في حاجة إلى سماع الموسيقى الغربية أو شرب الخمر، لأن عندهم كل ما يحتاجون إليه في بلدهم وتقاليدهم. فهم فخورون بتراثهم ورافضون لأى شئ خارجى، وهم مصممون على اختلافهم مع العالم الخارجي. وفي موقع آخر يقول د. مالكوم كير: في نفس الوقت نجد أن الإسلاميين الأصوليون، يقولون أن مشكلة الاشتراكية العربية ومشكلة القومية اليوم، أنه ليس لها جذور في داخلنا، بل أنها موجهة نحو الأخرين[1].

ونحن هنا لا نريد أن نناقش المضمون العام لكلام د. مالكوم، بل أن ما يهمنا هو استخدامه لمصطلح الأصوليين والإسلاميين الأصوليين في حديثه عن الحركات الإسلامية المعاصرة، هذا بالرغم من أن جميع الذين حضروا هذه المحاضرة وناقشوه في مضمونها لم يستخدموا هذا المصطلح، كما أن عدد مجلة السياسة الدولية الذى نشرت فيه هذه المحاضرة والذى كان مخصصاً بكامله لدراسة حركة الأحياء الإسلامي المعاصرة، لم يرد فيه اى ذكر لمصطلح الأصولية الإسلامية إلا في الموضعين المشار إليهما في محاضرة د. مالكوم، وهذا يعنى أن تلك الفترة كانت هي بداية ظهور هذا المصطلح على أيدى المستشرقين وربما يكون د. مالكوم أول من طرحه.

وفي حادثة أخرى قام د. نداف سفران اليهودي المصري الأصل - الأمريكى الجنسية - والذى يشغل منصب مدير مركز دراسات الشرق الأوسط في هارفرد بعقد مؤتمر دولى عن الأصولية الإسلامية، وقد كشفت إحدى المجلات عن تلقيه مبلغ 45 آلف دولار من وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) لتمويل عقد هذا المؤتمر[2].

وبعد ذلك استمر تركيز الكتابات ووسائل الاعلام الغربية على هذا المصطلح والإلحاح عليه، لالصاقه بالحركات الإسلامية المعاصرة، فألف ريتشارد هرير دكميجان كتاب بعنوان

(1) مجلة السياسة الدولية - عدد يوليو 1980

(2) الأصولية في العالم العربي، دكمجيان، ريتشارد هرير، سعيد، عبد الوارث مترجم. دار الوفاء، ط1 1889 - ص 9

"الأصولية في العالم العربى" وألف منتجمرى واط كتابه "الظاهرة الأصولية وموقفها من الحداثة". وقد تأثر كثير من الكتاب العرب بهذا المصطلح الغربى فأخذوا يتداولونه في كتاباتهم، فمثلاً المستشار محمد العشماوى في كتابه الإسلام السياسى، استخدم هذا المصطلح في مقال له بعنوان "الأصولية الإسلامية" نشر في مجلة المصور المصرية بتاريخ 1987/4/3. وقد بين المستشار العشماوى في هذا المقال كيف أن مصطلح الأصولية أطلق في الأساس على بعض الفرق البروتستانتية التى دعت إلى الانسلاخ عن الحياة لتعيش في بساطة وبدائية ومشاعية. كما بين أن هذا المصطلح انتقل إلينا من خلال تأثر بعض الكتاب بالفكر الأمريكى وتعبيرات اللغة الإنجليزية، حيث نقلوا اللفظ FUNDAMENTALISM إلى اللغة العربية. وبالرغم من أن المستشار العشماوى أقر بأن هذا المصطلح لا يوافق إطلاقه على الحركات الإسلامية، إلا أنه عاد وتأثر بالكتابات الغربية واستخدم مصطلح الأصولية الإسلامية . ولم يكتفِ بذلك بل أنه ميّز بين تيارين أصوليين في العالم الإسلامي، الأول أسماه تيار الأصولية العقلية والثانى تيار الأصولية الروحية! [1].

الاتجاهات الغربية من مصطلح الأصولية :

اعتاد الكتاب الغربيون إطلاق تعبير الأصولية الإسلامية على حركة الصحوة الإسلامية في محاولات لربطها بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة التي ظهرت في الولايات المتحدة مع كل سلبياتها التي رسبتها في الضمير الأمريكي بصورة خاصة والغربي المسيحي بصورة عامة[2]. فبالقدر الذي تكال فيه الأتهامات للإسلام اليوم، تكثر المسميات وتتعدد التصنيفات التي تناط به. فقبل عشرين عاماً تقريباً أصبح يلفت نظر المتابع ويتعزز في الوعي العام انتشار كل من مصطلحي" الإسلام السياسي" و"الأصولية الإسلامية"، وما يواطئها من مسميات أصبحت تدل في مجملها على سلبية الحل الإسلامي، فضلاً عن سلبية الجماعات والأحزاب الإسلامية التي تروج له. وبقليل من البحث يتبين أن بروز هذه المسميات قد ترافق مع حركة الصعود الإسلامي وبروز عدد من الأحزاب والحركات الإسلامية على الواجهة وارتفاع

---

(1) الاسلام السياسى - المستشار محمد العشماوى - ص 129 - 130

(2) مراد وهبة: أصوليات هذا الزمان، سلسلة كتاب قضايا فكرية بإشراف محمود آمين العالم، الكتاب الثالث والرابع عشر، 1993 ص21 نقلا عن سليمان حريتاني، توظيف المحرم، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، 2000، ص355.

أسهمها في البورصات الجماهيرية، ومدافعتها للأحزاب العلمانية والحركات الوطنية ذات المشارب المختلفة التي بدأت تتراجع إلى الوراء.[1]

ويمكن القول أنه بعد الفوز الساحق للإسلاميين في انتخابات الجزائر عام 1991م والذي تطور بدوره أيضاً إلى صراع دموي طويل إثر رفض الحزب الحاكم للنتيجة الانتخابية بضغوط خارجية ولا سيما من فرنسا، كانت بداية تداول مصطلح "الإسلام السياسي"، بشكل واسع وازدهار مصطلح "الأصولية الإسلامية " في الوعي واللاوعي العالمي وبالأخص الغربي منه. وعلى هذا أصبح في العرف الدولي السائغ أن العنف الإسلامي وليد ذاك المفهوم المعني بتسييس الإسلام، وهو الذي عبّر عنه هنتجتون في كتابه صراع الحضارات "بكليانية الإسلام".

وهكذا استطاع الغرب أن يرسخ في الوعي العالمي أن العلمانية، هي المقابل الأمن لكليانية الإسلام، أو الخطر القادم من الشرق، لتبدأ عملية إحياء الأحزاب العلمانية الوطنية في العالم العربي وضخ النفس فيها من جديد لمدافعة الأحزاب الإسلامية المتصاعدة. ولكن بعد الحادي عشر من سبتمبر، تغيرت قواعد اللعبة مع الحركات الإسلامية عامة لتنتهي بهذا مرحلة التدليل والتصنيف على أساس قاعدة "من ليس معنا فهو ضدنا" لتستحيل كل ألوان الطيف الإسلامي، من إسلام عنيف أو معتدل أو حتى وأن كان وعظيا ليس له علاقة بالسياسة، وليوضع الكل في بوتقة النقد والتمحيص والاتهام بالإرهاب[2]

فعقب أحداث 11ستنمبر حدثت تحولات مأساوية، فيما يخص تناول الظاهرة الإسلامية والصحوة الإسلامية وكيفية مواجهتها سواء من الغرب أو من العلمانيين، بل الأكثر من ذلك توجيه ضربة قاضية لكل الثوابت الشرعية التي تشكل اللبنة الأساسية في الإسلام. من هنا سيطر الاتجاه (المتحامل/ الحاقد) - الذي يربط بين "الأصولية " وكل من يدافع عن حياض الإسلام ويذود عنه، والنتيجة أن هناك محاولة حثيثة لإلصاق التطرف والتزمّت بالإسلام، عن طريق تصدير مصطلح الأصولية واستنباته في مجتمعاتنا من خلال توظيف"أبواق نخبوية" ووسائل الإعلام المختلفة، حيث يمكن الثمييز بين عدة اتجاهات تنأولت المصطلح:

---

(1) الأصولية الإسلامية معركة البحث عن الهوية - محمد العواودة

(2) الأصولية الإسلامية معركة البحث عن الهوية - محمد العواودة

الاتجاه المعادي /المتحامل:(ويمثل الأغلبية): عندما ظهرت معالم الصحوة الإسلامية، ظهر هناك اتجاه غربي معادي للاسلام، حاول تقديم الصحوة الإسلامية من خلال مجموعة من المصطلحات التي وُلِدَت في بيئة الغرب وحُمِّلت بمعان ومفاهيم متأثرة بتجارب الغرب، وقيمِهِ، ونظرته للدين، والحياة، مثل: أصولية، والخلاص، والعهد السعيد، واليمين واليسار، والرجعية، والتقدمية، والحداثة، والرادكالية، والنضالية، والتحررية، والأحياء، والإصلاح، والانبعاث، وغيرها.[1] وهو الاتجاه الذي يطابق مطابقة كلية بين الأصولية والإرهاب والعنف، ويمثل هذا الاتجاه الاستخبارات الأمريكية الصهيونية ومنظريهم مثل برنارد لويس وصمويل هانتجتون وثلة من العلمانيين العرب، دون الفصل بين الإسلام في مبادئه السامية الراقية وبين تصرفات المسلمين الغالين الطائشة! وقد وصف منظر صِدام الحضارات (صاموئيل هانتغتون) الأصولية الإسلامية بأنها الإسلام السياسي الذي يدعو لإحياء قيم الإسلام، والدعوة إلى السيطرة على الأفكار والمعتقدات العالمية[2]. وعبر عن رأيه حول الأصولية بقوله: "إن الأصولية الإسلامية التي ينظر إليها على أنها الإسلام السياسي ليست سوى أحد المكونات في عملية الأحياء الواسعة للأفكار والمعتقدات والدعوة وإعادة الإخلاص للإسلام الذي تمارسه جماهير المسلمين"[3].

أما " فرانتي" فيعكس حقيقة التصور الأمريكي للأصولية بقوله: " إن الجماعة الدينية المنعوتة بالأصولية تصوَّر دائمًا كآثار دينية متحجرة.... تعيش أبداً في العصور الماضية ويستعمل الأمريكيون في الأغلب هذا التحليل المبسط لشرح أحداث في الشرق الأوسط، بسبب الغليان السياسي الذي يهدد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية (بما في ذلك حاجتها إلى النفط). ولكن مثل هذا التبسيط المبالغ فيه لا يمثل الأصولية ولا يمكنه شرح الاستحسان الواسع الانتشار للحركات الأصولية المعاصرة داخل العديد من ديانات العالم "[4].

---

(1) ريتشارد هرير دكمجيان:الأصولية في العالم العربي، ص:12

(2) ينظر: صِدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، صاموئيل هنتنغتون، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنصوه، 1988: 181

(3) صاموئيل هانتغتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: د.صلاح قنصوه، د.م.، 1998، ص181.

(4) أياد القزاز، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية التمهيدية لعلم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، العدد 278، بيروت، 2002، ص60.

الاتجاه المنصف (ويمثل الأقلية): ويرى أن تهمة الأصولية الإسلامية ولدت بوصفها مساراً سلبياً لحق بالخطاب الإسلامي، وقد أسهم هذا المسار بشكل أو بآخر في مقولة: انحسار المدّ الإسلامي، لكن ذلك لا يعني عدم وجود خطاب غربي معارض لهذه التهمة بوصفها إجحافاً بالإرث الحضاري، والمعطى الحداثي للخطاب الإسلامي، وهذه بعض الأمثلة:

- يرى مراد هوفمان (الألماني الذي أسلم) الأصولية الإسلامية باعتبارها إحياء (تجديد) الدين بالرجوع إلى مصادره الأولى، وليس تعصير الدين لكي يتفق ومتطلبات العصر الحديث وعليه قدم مفهوماً مغايراً للأصولية وهو أنها عبارة عن موقف فكرى ورؤية عالمية ترى الالتزام بالإسلام كما كان في أول عهده، وكما عرفه السلف الصالح من الصحابة منطلقاً ومثالا يحتذى به..
- يرى المستشرق الأوروبي ستيفن لاكروا أن هناك هوة فكرية بين رؤية المتخصصين في الشأن الإسلامي وما تطرحه وسائل الاعلام حتى أن الأخيرة تعمد إلى تهميش المتخصصين وتعتمد على ما يسميه فينسان جيسر في كتابه: "الإسلاموفوبيا الجديد -(خبراء الرعب الجدد) ومهمتهم تغذية المخاوف من الإسلام و(الأصولية الإسلامية).
- يشير البرشت متسكر في كتابه: "الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية" إلى أن العديد من المستشرقين الألمان يعتبرون اختصار الظاهرة على عنصرها العنيف بمثابة الوقوع في فخ التبسيط نظرًا لأن الأقلية هي التي تستخدم العنف كأداة للتغيير، وبالنظر إلى دول مثل تركيا ومصر وفلسطين والأردن ولبنان واليمن نجد الإسلاميين يظهرون كبرلمانيين أو ينشطون في المجتمع المدني أو يشكلون جيشًا للتحرير لقتال الاحتلال (لبنان وفلسطين)[1].
- يقول برنارد لويس-رغم حقده الدفين-: "والشيء الواضح أن من بين جميع الحركات الكبرى التي هزّت الشرق الأوسط في آخر قرن ونصف، كانت الحركات الإسلامية وحدها أصيلة في تمثيلها لمطامح أهل هذه المنطقة، فالليبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشيوعية والاشتراكية كلها أوربية الأصل، مهما أقلمها وعدّلها أتباعها في الشرق الأوسط. والمنظمات الإسلامية هي الوحيدة التي تنبع من تراب المنطقة، وتعبر عن مشاعر الكتل

---

(1) - حمدي عبد العزيز: الاتجاهات الغربية نحو الحركة الإسلامية، مجلة البيان العدد210، ص: 63

الجماهيرية المسحوقة. وبالرغم من أن كل الحركات الإسلامية قد هزمت حتى الآن غير أنها لم تقل بعد كلمتها الأخيرة"[1].

- يقول الخبير الأمريكي في الشؤون الإسلامية والشرق الأوسط الدكتور "جون اسبوسيتو": "إن الصحوة الإسلامية أو الأصولية الإسلامية حقيقة تعيش معنا وسوف تستمر بقوة في صياغتها لسياسة الشرق الأوسط في المستقبل القريب"[2].
- يقول تقرير للجنة الأبحاث التابعة لمجلس النواب في الكونغرس الأمريكي حول الإرهاب والحرب غير التقليدية، صدر في 1992: بأن«الأصولية الإسلامية بمعناها الحقيقي هي الالتزام السلمي وغير المؤذي بحرفية القرآن. أن الأصولية غير موجودة في الحركات الإسلامية المعاصرة التي تحمل أجندات تسعى من خلالها نحو الديمقراطية وتحرير الجماهير من الحكومات الفاسدة التسلطية". ولتوضيح ذلك يقتبس التقرير مقال آخر في مجلة الشؤون الخارجية بقلم روبين رأيت، تقول فيه: أن الحركات الإسلامية المتنوعة غالباً ما تسمى في الغرب أصولية، لكن معظم أتباعها في الحقيقة ما هم إلا أصوليون من ناحية الأجندات التي يتبنونها، فالأصولية عموماً تحث على الالتزام السلمي بالنصوص ولا تسعى لتغيير النظام الاجتماعي، وهي بدلاً من ذلك تركز على إصلاح حياة الفرد والعائلة[3].

المستشرقون وموقفهم من مصطلح الأصولية

لا تتساوى مواقف المستشرقين من إطلاق مصطلح (الأصولية) على الحركات الإسلامية . فبعضهم، نراهم وهم يتحدثون عن علاقة هذه الصحوة بـ"الماضي الإسلامي، يجعلون موقفها هذا من "الماضي" والتراث على العكس من موقف الأصوليين الغربيين من ماضيهم وتراثهم النصراني! فعلى حين تنسحب "الأصولية " بمعناها الغربي، إلى الماضي مخاصمة الحاضر والمستقبل، نجد الصحوة الإسلامية - بشهادة هؤلاء الكتاب – تتخذ من العلاقة بالماضي ومن النظر إليه ومن علاقته بالمستقبل موقفاً مختلفاً، فهي تريد "بعث الماضي" لا على النحو الذي تفعله التيارات الجامدة و"المحافظة"، وإنما بعثاً ينظر إلى هذا الماضي ليتخذ منه "هداية

---

(1) برنارد لويس:الغرب والشرق الأوسط، ص 179

(2) الإسلام والكونجرس د. أحمد إبراهيم خضر ص 17.

(3) الإسلام والكونجرس د. أحمد إبراهيم خضر، ص4.

للمستقبل"، الأمر الذي يجعل أهل هذه الصحوة- بنظر هؤلاء الكتاب ثواراً وليسوا محافظين"[1]. ونستطيع أن نرصد عدة مواقف للمستشرقين من إطلاق مصطلح الأصولية على الحركات الإسلامية :

أولاً: فمن هؤلاء المستشرقين من يرفض هذا المصطلح، ويناقش فيه، ويجد إشكالية في إطلاقه على الحركات الإسلامية عموماً. فهم يرفضون صراحة إطلاق مصطلح "الأصولية على ظاهرة الإحياء الإسلامي واليقظة الإسلامية الحديثة والمعاصرة.

- يقول المستشرق الفرنسي "جاك بيرك": أنا أرفض تعبير الأصولية لأنه آت من النزاعات داخل الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية، هناك مسلمون (العامة)، وهناك الإسلاميون الذين يشددون على قدرة الإسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشاكل الحياة اليومية، وقدرته على بناء دولة ومؤسسات: "إنها حركات تسعى إلى تقريب العالم العربي من منابعه، ولديهم خطابات تجعلهم مختلفين بعضهم عن بعض، لكنهم يلتقون في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول، وبخاصة القرآن، ويدعون إلى إعادة تأصيل القرآن باعتباره قادراً على تقديم الحلول للمشاكل التي يطرحها العالم المعاصر، يطرحون ذلك في مواجهة المجتمعات التي وضعت نفسها منذ مائة سنة في مدرسة الغرب، ولم تحقق النجاحات المطلوبة[2] !

- أما المستشرق الفرنسي (دومينيك شوفالييه) فيقول: الأصولية في فرنسا تحمل معنى التطرف الذي ميز الحركة الأصولية في الدين المسيحي، ويستخدم هذا المصطلح في الجدل السياسي الفرنسي. ولابد إذن من تعريف الحركة الأصولية الإسلامية، لأنها لا تشبة الحركة الأصولية المسيحية. فالفكر الإسلامي الأصولي يقدم نفسه بوصفه عودة إلى الأصول، بينما يقدم إلى الفرنسيين (في الصحافة ووسائل الاعلام الغربية) تقديماً يحمل بعض مواطنينا على اعتبار هذه الحركة مشابهة للحركة الأصولية الكاثوليكية بزعامة (المونسنيور لو فيفر). أن الحركة الأصولية الإسلامية مختلفة تماماً ولا مجال للمقارنة بين الحركتين".[3]

---

(1) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون 09/11/09 - د. محمد عمارة المصدر: مدارك / إسلام أونلا ين نت

(2) الأصولية.. غربية المصطلح وتضاد المضمون:د. محمد عمارة- محمد عمار -قنشر في الفجر نيوز يوم 01 - 11 -2009 -

(3) المستشرقون والإسلام معالجة منهجية خاطئة، بقلم: إبراهيم محمد جواد، (www.annabaa.org/nba51/estishrag.htm) النبأ مجلة – 2000م

• يقول المستشرق البريطاني (روبن أوستل): لدي أولاً مثل كثيرين مشكلة مع عبارة الأصولية، فهي تفتقر إلى التحديد والدقة، وتستخدم على نحو سائب جداً في وصف أفراد وجماعات وحركات وحكومات شديدة الاختلاف في العالم الإسلامي".

• أما المستشرق الروسي (فيتالي ناوومكين) فيقول: "مصطلح الأصولية الإسلامية مصطلح أطلق في الغرب، ولا ينطبق بدقة على الحياة الواقعية، ومن الأصح الحديث عن ظاهرة التحرك الإسلامي أو الإسلام السياسي مع ميل نحو التطرف. أن الإسلام السياسي ينشط اليوم، وهناك من يرى في التحرك الإسلامي نوعاً من المعارضة للحضارة المسيحية الغربية، وللقيم التي تعتبر اليوم في الغرب شمولية".

• تلاحظ المستشرقة الأسبانية (كارمن رويت): أن لفظة الأصولية مشوبة ببعض الغموض، فهي أحياناً يراد بها التمسك بمبادئ أخلاقية لا يجوز التخلي عنها، وأحياناً أخرى تأتي رديفة للراديكالية السياسية. يبدو طبيعياً أن تجد المجتمعات الأصولية هويتها في الأصولية وأن ترفض الوصاية العقائدية أو الأخلاقية من مجتمعات أو معتقدات أخرى، في هذا السياق تكون الأصولية هي الفرع الديني الطالع من جذع الأصالة بمفهومها الحضاري العام.[1]

• تقول المستشرقة الأيطالية (إيزابيلا دافليتو): نحن وعلى الرغم من وجود مظاهر أصولية كثيرة في الديانة المسيحية أو الديانات الأخرى في الغرب، لا نسمع حديثاً عن عنف هذه المظاهر الأصولية، في حين نرى هذا المنطق يطبق على العالم الإسلامي. ويقول المستشرق الإيطالي (سلفاكوري بونو): أن أي معرفة موضوعية، وأبسط نظرة إيجابية إلى الموضوع، تقتضي رفض ما سعت أجهزة الاعلام إلى ترسيخه في أذهان الناس من ربط بين الأصولية الإسلامية ومعاني التطرف والعنف وحتى الإرهاب، فالأصولية الإسلامية جوهرها الدين وأساسها العودة إلى الجذور والأصول، واعتماد المبادئ الأساسية للإيمان.

• أما "جون إسبوسيتو" فقد أعطى للمصطلح حقه عندما قال: "الأصولية الإسلامية في معناها الواسع تدعو إلى تجديد الإسلام في كلٍ من الحياة العامة والشخصية للمسلمين ممثلة في زيادة ممارسة الشعائر الدينية والإكثار من المطبوعات الدينية والبرامج الإعلامية التي تدعو

---

[1] بعنوان: المستشرقون والإسلام معالجة منهجية خاطئة، بقلم: إبراهيم محمد جواد، (. www.annabaa.org/nba51/estishrag.htm)النبأ مجلة – م2000

إلى تطبيق الشريعة وإنشاء البنوك الإسلامية وتطوير التنظيمات الإسلامية وحركات الناشطين"[1].

ثانياً: من المستشرقين من لم تقم عنده أي إشكالية في استخدام هذا المصطلح (الأصولية) فاسلموا له دون أي اعتراض، منهم (مكسيم رودنسون) و(بيارتييه) الفرنسيان، و(فردهاليداي) و(ديريك هوبوود) البريطانيان و(آرتورسعادييف) الروسي، و(سيدرومارتينيث مونتابيث) الأسباني، وغيرهم. يقول ريتشارد "دكمجيان": " أن أنسب المصطلحات للظاهرة الإسلامية هو "الأصولية الإسلامية " من حيث أنه يشير إلى البحث عن أصول العقيدة وعن أسس الدولة الإسلامية وقواعد نظام الحكم الشرعي. وهذا التركيب يؤكد البعد السياسي للحركة الإسلامية أكثر من جانبها الديني"[2].

ثالثاً: تميز البريطاني (هومي بابا)، والأسبانية (مرثيدس دبل آمو) أستاذة الأدب في كلية الأداب في جامعة غرناطة بالموقف الثالث الذي يعتبر الأصولية ظاهرة عالمية، لا تقتصر على دول العالم الثالث، بل وجدت طريقها إلى العالم الأول، حيث الأصولية الإنجيلية على أشدها في الولايات المتحدة مثلاً، وأن التطرف ليس حكراً على العالم العربي، بل هناك أيضاً التطرف المسيحي واليهودي، وأن التطرف في المجتمعات العربية والغربية خطر على حدٍ سواء.[3]

رابعاً: ذهب المستشرق الروسي (الكسندر سمير نوف) إلى أبعد من هذه المواقف الثلاثة، حين اعتبر الأصولية الإسلامية أوسع مفهوماً من التطرف والتعصب الذي يميز بقية الأصوليات، يقول:"لا يجوز الخلط بين الأصولية الإسلامية والتعصب أو التطرف لأنها تعبر عن مفهومٍ أوسع. فالأصولية الإسلامية بنواحيها السلبية، إرهاب سياسي وعنف حتى ضد المسلمين أنفسهم". أن مصطلح (الأصولية الإسلامية) في نظره يقصر التعبير على مدى عنف وإرهاب الحركات الإسلامية. [4]

---

(1) احمد إبراهيم خضر، الإسلام والكونجرس (حقائق ووثائق..حول ما اسماه الأمريكيون بحركة الأصولية الإسلامية) ، ط1، دار المعالم الثقافية، القاهرة، 1994، ص8،

(2) ريتشارد هـ. دكمجيان، المصدر السابق، ص21.

(3) المستشرقون والإسلام معالجة منهجية خاطئة، بقلم: إبراهيم محمد جواد، (بتاريخ شعبان 1421هج، www.annabaa.org/nba51/estishrag.htm)النبأ مجلة – م2000

(4) المستشرقون والاسلام–معالجه منهجية خاطئة–إبراهيم جواد– مجلة النبأ–عدد51– تشرين 2 2000–

أسباب اتهام المسلمين بالأصولية :

لا شك أن مصطلح الأصولية الإسلامية، كمفهوم قد حقق ذيوعاً واسعاً، وقد جاء هذا المصطلح من أعداء الدين للتنفير من الإسلام. وللأسف أن هذا المصطلح صار له من الشيوع بذكره الأمر العجيب، حتى من بني جلدتنا، وبهذا أصبحت الأصولية مصطلحاً يكتسب تهمةً، تُوجَّه للخطاب الإسلامي ولرواده، وغدت تطلق على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، وهناك من ربط الأصولية بالسلفية، ونعتها بأنها حركة عنف تعمل على تغيير الواقع لمصلحة الإسلام بطريقتها الخاصة، وهناك من جعلها ظاهرة هامشية وعابرة، وهي رد فعل على ضروب القهر التي تمارسها بعض القوى الغربية وأنصارها في المنطقة ضد أصحاب المشروع الإسلامي، وهناك من انتقده، وقال أنه لا أصل له في الخطاب الإسلامي[1]

وهنا نجد من حقنا أن نتساءل عن أي أساس منهجي يثم تلبيس هذا العنوان (الأصولية) بدلالاته الغربية التي توحي بالإرهاب والتطرف واستخدام العنف لجماعة أو جماعات من هذا المجموع الإسلامي الواسع، ونحن نعلم أن تيارات إسلامية جادة وفاعلة وعلى معرفة معمقة بالإسلام عقيدة وشريعة قدمت مشروعاً حضارياً متبصراً، وظهرت ونشطت من دون أن تتورط في اعتبار معرفتها بالإسلام نهائية وملزمة ومطلقة، رغم أنها كونت حولها قاعدة عريضة، ودون استخدام أدوات قوة مسلحة للتغيير، بل كانت في كل ذلك داعية إلى العودة إلى الأصول وتصفيتها مما شابها من زيادات مشَّوهة ومشَّوَهة، معتبرين أن هذه الأصول من شأنها أن تحرر المشروع الإسلامي العام من الصيغ الجاهزة والملفقة في السياسة والاجتماع والدولة، وقابلين خيار الديمقراطية وإرادة الأغلبية عبر صناديق الاقتراع، هذا الخيار الذي صادرته الأنظمة التي تزعم أنها تقوم بالتحديث وتنشد النهضة للشعوب[2].

ويمكن إجمال أسباب محاربة الحركات الإسلامية واتهام المسلمين بالأصولية بالآتي:

أولاً: خصائص الخطاب الإسلامي: مارس الخطاب الإسلامي أبجديات تكوينه المعاصر من إمكانيات عقدية مرتبطة بالسلوك الشمولي الذي يحمله، ومن مقدمات إجرائية تعتمد على تقديم الرأي، وسماع الرأي الأخر ثم مناقشته، لأن المهمة الذي اضطلع بها هذا الخطاب هي

---

(1) ينظر: المتطرفون (آراء وندوات حوار) ، عمرو عبد السميع، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1993: 354

(2) الأصولية الإسلامية": دعوة إلى التدقيق في مفهوم ملتبس- هاني فحص

مهمة كونية إصلاحية تعمل على تقريب الأخرين، وليس المساهمة في إبعادهم. فالدعوة الإسلامية هي دعوة عالمية، وليست ملكاً لأحد، وعلى هذا فقد شرع الخطاب الإسلامي لصيغ تشكله منطلقاً من إيمان وثقة عاليين في مناقشة الأخر فكراً وسلوكاً ومنهج حياة، وتقديم الحجة، وإثبات الرأي بطرائق عقلانية لا وعظية وحسب، وأخذ النتيجة المنطقية، وتبرير العلة بالمعلول. وقد قدّم لنا النص القرآني مدركات عدة حول هذه القضية، فقد حاور الله عز وجل الملائكة، وناقش إبليس في حججه، وأثبت عليه النتائج المترتبة على المقدمات المنطقية الحاصلة بين الخالق ومخلوقاته. وانطلاقاً مما ذُكِر يمكن القول أن الخطاب الإسلامي المعاصر بنى صيغ تشكله وفقاً لاستراتيجية منفتحة، ورؤية تكاملية، تُصلِح الذات أن تعرضت لمزالق، وتقوّم الأنا إن اتجهت بشكل مبالغ، وتصلح الآخر أن وقف بشكل مجابه.

أن خطاباً يمتلك أيديولوجية مرنة كالخطاب الإسلامي يحقق إمكانيات فاعلة في قيم التأثير والاستجابة الحاصلة من المجموع، فضلاً عن تكوين سلسلة من الآليات لتفعيل العمل، وتحويل النهج من الكلمة إلى الفعل، ومن القول إلى الممارسة. وعليه فقد منح هذا الخطاب رواده الجدد فرصاً هائلة لتنشيط المسلك العقلاني، ونماء التوجه الروحي، وقد دفع هذا النشاط الدول الغربية إلى رسم هالة من الدسائس حول إمكانية عرقلة مسيرة هذا الخطاب أو وقفه. ومن هنا بدأت الاتهامات تتزاي، وأخذ من يحمل سمات هذا الخطاب ودعاته، نصيبه من هذه التهم، وقد تبلوت هذه الأخيرة بعد بروز تيارات الحركات الإسلامية المسلحة في أرجاء العالم، نظراً لما يعانيه المسلمون في تلك الميادين من تقتيل وتهجير، وظهرت مصطلحات: (الصحوة الإسلامية، الإسلام المذهبي، والزحف الإسلامي، والبعث الإسلامي، والإحياء الديني، والأصولية الإسلامية، والإسلام السياسي، والإسلام الراديكالي، والإسلاموية، المتطرفون،... الخ)، ويمكن إيجاز هذه الاتهامات الكثيرة جداً بنقطتين أساسيتين هما: (تهمة الأصولية، تهمة الإرهاب). [1]

ثانياً: لقد كان أهل الأهواء يطلقون مجموعة ألقاب نكراء على أهل السنة والجماعة للتنقص والتنفير منهم، والوقيعة فيهم، والسخرية بهم. وامتداداً لسنة الصراع بين الخير والشر والحق والباطل، تستمر معركة الألقاب; فإن النبز بالمصطلح واللقب أمر من عادة المشركين والمبتدعة ضد المسلمين وأهل السنة. وقد صار النبز بالمصطلحات الناقدة من طريقة الفرق

---

(1) الخطاب الإسلامي المعاصر بين الأصولية والإرهاب -د. محمد سالم سعد الله

المنشقة عن جماعة المسلمين للتنفير من الحق والحط من أقدار أهله. يقول ابن تيمية: "وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن درباس، وذكر فيه الشافعي[ت٦٢٢] جزءاً أسماه: "تنزيه الشريعة عن الألقاب الشنيعة" كلام السلف وغيرهم من معاني هذه الألقاب، وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقبِ أهل السنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بألقاب افتروها. فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة، والمرجئة يسمونهم شكاكاً، والجهمية تسميهم مشبهة، وأهل الكلام يسمونهم حشوية، ونوابت، وغثاء وغثرا، إلى أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمي النبي صلّ الله عليه وسلم تارة مجنوناً، وتارة شاعراً، وتارة كاهناً، وتارة مفترياً"[1]

وها هو التاريخ يعيد نفسه، فاليوم كثيرٌ من الكتاب أوجدوا ألقاباً أخرى في هذا المعنى لمن تمسك بالإسلام منها "الماضوية" نسبة إلى الماضي، و"التاريخانية" نسبة إلى التاريخ القديم في الزمان الغابر، و"الأممية" نسبة إلى الرجوع إلى أمة واحدة، واعتاد الكُتّاب الغربيون إطلاق تعبير الأصولية الإسلامية على حركة الصحوة الإسلامية في محاولات لربطها بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة التي ظهرت في الغرب، مع كل سلبياتها التي رسبتها في الضمير الأمريكي بصورة خاصة والغربي المسيحي بصورة عامة.

ثالثاً: اتخاذ الإسلام عدواً بديلاً: تقول المستشرقة الإيطالية (إيزابيلا كاميرا دافليتو): الغرب كان وما يزال بحاجة إلى (اختراع) عدو حتى يضمن لنفسه خطاً دفاعياً ويظل مترفعاً ومتعالياً على ما تبقى من العالم لسنين طويلة أو حتى لعقود. كان هذا العدو متمثلاً بالشيوعية وبالمعسكر الشرقي. وعندما انهارت الشيوعية برز لدى الغرب التساؤل التالي: من سيكون عدونا المقبل؟!. وإذا به يسحب من خزانة تراكم عليها غبار الزمن صورة العدو التاريخي القديم المتمثل بِالعالم الإسلامي. لكن الغرب كان أيضاً بحاجة إلى وسيلة لإقناع مواطنيه بمصداقية هذا الاكتشاف (الجديد القديم)، لذا كان طبيعياً أن يحاول ترسيخ ملامح (البعبع) من خلال تقديم (الأصولية الإسلامية) في صورة (العدو العنيف). وبهذا التحليل أكدت المستشرقة المذكورة: أن قضية الأصولية الإسلامية واجهت تضخيماً مبالغاً فيه من قبل أجهزة الاعلام الغربي. ومن هنا فإن كل حديث غربي عن الأصولية الإسلامية إنما يستهدف

(1) الفتوح الحموية الكبرى ص٥١٩ ،٦١٦-٥١٣ مكتبة دار المنهاج الرياض ١٤٣٠، دراسة وتحقيق :د.حمد بن عبد المحسن التويجري.

الإسلام وشعوبه، سواء صدر عن زعماء سياسيين، أو خبراء عسكريين أو رجال إعلام أو مستشرقين أو مفكرين وباحثين أكاديميين[1]

رابعاً: يعتبر الغرب أن الصحوة الإسلامية –إذا ما تم توجيهها بشكل إيجابي ستعيد المسلمين إلى دينهم وأصالتهم الإسلامية - وستؤدي إلى توحيد البلاد الإسلامية على أساس الإسلام ومقومات الهوية، وبذلك تتهيأ الفرصة التاريخية لبناء دولة مسلمة قوية موحدة، وحضارة إسلامية مستقلة متميزة عن الحضارة الغربية، ولذلك هم يعملون جاهدين على وأد هذه الصحوة من خلال معرفة أسباب حياتها عن طريق الدراسات التي يسير أغلب أشغالها كل من علمانيي العالم الإسلامي ومفكري العالم الغربي[2]. ومما يجدر بالملاحظة أن الغرب يستغل بدوره ظاهرة "يقظة الإسلام" إما لينافس القوة الإسلامية كعادته، وإما ليجند قيم "الأديان السماوية" ضد المادية الماركسية، فيبعث الإله بعد موته كما يقال. [3]

خامساً: استعصاء الإسلام على الأحتواء:

اعتبر فوكوياما أن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي مازالت عصية على الاحتواء الغربي، وهذا ما ينبغي أن يحسب للاسلام لا عليه. فقد هزمت المسيحية بشقيها الكاثوليكي والأرثوذكسي، في الغرب بشهادة الناطقين باسمها، وتوارى دور الكنيسة في الحياة العملية. كذلك حققت عملية التغريب والاحتواء نجاحات واسعة النطاق في مختلف أنحاء العالم الأخرى، خصوصاً في آسيا، وهو ما أشار إليه فوكوياما. ولكن المجتمع الإسلامي رغم كل ما يعاني منه ظل متماسكاً بدرجة أو أخرى في مواجهة رياح الاجتياح والتغريب العاتية، حيث لاتزال العقيدة متمكنة من النفوس وراسخة في الأعماق على نحو تعذر اقتلاعه منذ هبت رياح التغريب طيلة القرنين الأخيرين.

والمشكلة ليست في رفض المسلمين للحداثة، ولكن في إصرار الباحثين الغربيين على اعتبار التغريب معياراً وحيداً للحداثة، ورفضهم الاعتراف بشرعية النموذج الحضاري الذي يحاول أن يبني نفسه على نحو مستقل، يتأبّى على محاولة استنساخ النموذج الغربي، وإن لم يخاصم

---

(1) المستشرقون والاسلام–معالجه منهجية خاطئة–إبراهيم جواد- مجلة النبأ–عدد51- تشرين 2 2000-

(2) نبيل غزال وإبراهيم بيدون: المرجعية الفكرية لمعدي دراسة القيم والممارسات الدينية في المغرب، جريدة السبيل العدد32، بتصرف يسير.

(3) الفكر الاسلامى - محمد اركون- ص10

القيم الإيجابية الجديرة بالاحترام في التجربة الغربية. وإن شئنا أن نتصارح أكثر ونضع النقاط فوق الحروف فلا مفر من الإقرار بأن جوهر مشكلتنا الحضارية مع الغرب يكمن في رفض التبعية وليس رفض الحداثة. وهذا الرفض للتبعية لا ينفرد به أصحاب الاتجاهات الإسلامية وحدهم، إنما هو موقف مختلف القوى الوطنية والقومية[1].

سادساً: الشموخ سمة تسم المسلمين أينما كانوا رغم ما اعترى واقعهم في فترة توقف دورهم في الريادة الحضارية، وتسلم الغرب الأوروبي مقود الحضارة المادية بفعل ما عرفه من تقدم علمي وتقني. فالإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كِبْر، وروح الثقة في غير اعتزاز، وشعور الأطمئنان في غير تواكل. وأنها تشعر المسلمين بالتبعية الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعية القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم، والطريق السوي، وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان:{ كُنتم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}[2]

الهدف من إطلاق هذا المصطلح على الحركات الإسلامية المعاصرة:

عندما اختار المستشرقون مصطلح الأصولية لإطلاقه على الحركات الإسلامية المعاصرة، فإنهم بالتأكيد كانوا يعلمون أنه لا يعبّر عن حقيقة هذه الحركات، وأن هناك مصطلحات أولى بالاعتبار من هذا المصطلح، كمصطلح الحركة الإسلامية أو الجماعة الإسلامية أو حركات الإحياء الإسلامي أو الحركات التجديدية، أو حتى تسمية هذه الحركات بمسمياتها الأصلية، كحركة النهضة أو الجهاد أو حماس أو الإخوان المسلمين وغيرها من المسميات. ولكنهم اختاروا مصطلح الأصولية في اطار حربهم ضد الإسلام والحركات الإسلامية، لأن هذا

---

(1) ا خطأ في التشخيص وفي العلاج – فهمي هويدى- جريدة الشرق الاوسط-الاثنين 08 شوال 1422 هـ 24 ديسمبر 2001 العدد 8427

(2) ا ماذا خسر العالم -بانحطاط المسلمين؟-أبو الحسن علي الحسني الندوي-ومقدمة بقلمدسَيّد قطب- ط4

المصطلح يحقق لهم بضربة واحدة كافة الأهداف التى يسعون إلى تحقيقها من خلال دراساتهم للإسلام والحركات الإسلامية المعاصرة، والتى يمكن حصرها في الآتى:

1- تشويه صورة الحركات الإسلامية، حيث أن الحركات الأصولية المسيحية التى انشقتَّ عن الكنيسة الكاثوليكية، عرفت بتطرفها واتّباعها للعنف والقتل لتنفيذ مطالبها. كما عرف عن أتباع هذه الحركات التعصب والتزمت والاتباع الحرفي لكل كلمة وردت في الكتاب المقدس. لهذا فإن المستشرقين ألصقوا مصطلح الأصولية بالحركات الإسلامية المعاصرة من أجل الإساءة إليها وتشويه صورتها، من خلال إسقاط كافة الصفات السيئة التى تميزت بها الحركات الأصولية المسيحية على الحركات الإسلامية . وبهذا وضع المستشرقون العربة أمام الحصان، فأصبحت كل حركة إسلامية حسب مفهومهم، هى حركة أصولية متعصبة متطرفة إرهابية ورجعية، حتى ولو اتبعت كافة الوسائل الديمقراطية للوصول إلى الحكم.

2- تخويف الغرب والحكومات الإسلامية والأقليات غير المسلمة، من الحركات الإسلامية، من خلال القياس على تجربة الحركات الأصولية المسيحية في الغرب، التى كانت حافلة بالعنف والتطرف والتعصب الدينى الذى راح ضحيته آلاف القتلى، وبالتالى فإن كل من يسمع بمصطلح الأصولية الإسلامية لابد له من أن يتذكر التجارب المُرة التى خاضها الغرب مع الحركات الأصولية المسيحية. ولذا فقد عمل الغرب من خلال كثير من الكتابات على تغذية المخاوف من الحركات الإسلامية، ويكفي أن نلقي نظرة على العناوين التالية: جذور العنف الإسلامي - الإسلام الصاعد قد يسيطر على أوروبا - الانتفاضة العالمية - احذروا الستالينيين الجدد - بالسلام أو بالسيف - الإسلام ضد الديمقراطية !

وهذه المخاوف المصطنعة التي افتعلها الغرب من خلال كتاباته الاستفزازية والغير موضوعية عن الإسلام والحركات الإسلامية، خلقت مناخاً عاماً أصبح فيه المسلمون والحركات الإسلامية مذنبون حتى تثبت براءتهم. وقد عملت الحكومات المحكومة بعقلية الأزمة والإعلام المحكوم بالسوق والمنشآت الساخنة، على تغذية هذه المخاوف والتصورات والنماذج النمطية التى أصبحت مرتبطة بالإسلام، وينعكس ذلك من خلال النسق الجاهز من

الجمل الاستفزازية والصراخ الدعائى الذى يتخذ عدة تعبيرات، مثل: المتطرفون الإسلاميون، الأصوليون، المتعصبون، الإرهاب الأصولى...إلخ[1].

3- عزل الحركات الإسلامية المعاصرة عن قاعدتها الشعبية، لأن إطلاق مصطلح أصولى أو أصولية إسلامية يجعل المسلم العادى يعيش بعزلة عن هذه الحركات، لأنه سينتابه شعور داخلى بأن هذه الحركات لا تمثل الإسلام الحقيقى، والمسلم العادي سيكون معذور بعض الشيء في ذلك، لأن المصطلح جديد ولم يسمع به قبل ذلك، وسيعتقد بأن هذه الحركات شبيهة بالحركات التى حاولت الانشقاق عن الإسلام. هذا بعكس ما إذا سميت هذه الحركات بمسمياتها الإسلامية التى تعارف عليها الكتاب المسلمون، كالحركات الإحيائية أو الصحوة الإسلامية، أو الجماعة الإسلامية وغيرها. فهنا سيشعر المسلم العادي بأن هذه الحركات لها مكان في وجدانه، وأنها ليست غريبة عنه فيقف معها ويدعمها بكل إمكانياته.

4- تشويه صورة الفقهاء والعلماء المسلمين وتشويه صورة أجلّ العلوم الإسلامية، وهو علم الأصول. فقد رأينا سابقاً أن ألفاظ مثل أصولى وأصوليين وأصولية، هى من الألفاظ التي ارتبطت بعلم الأصول وعلمائه. فالأصولى هو المتكلم الذي يبحث في استخراج الأدلة والأحكام من أصولها الإسلامية (الكتاب والسنة). وكما نعلم فقد درج العلماء المسلمون عند ترجمتهم لأحد الفقهاء والعلماء أن يميزوا المباحث والعلوم التى تحدث فيها هذا العالم، مضافة إلى نبذة عن حياته. وكثيراً ما نقرأ في الكتب الإسلامية المختلفة لفظ أصولي مضافاً إلى أسماء بعض الفقهاء والعلماء عند التعريف بشخصياتهم. فمثلاً الإمام الرازى هكذا عرّفه صاحب "الفتح المبين في طبقات الأصوليين": الرازى هو أبو عبد الله الفخر الرازى محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمى البكري، المفسر الأصولى صاحب المحصول، ولد سنة 544 وتُوفي سنة 607هـ [2].

ولو استخدمنا مصطلح أصولى المتعارف عليه الآن بكل ما ارتبط به من تطرف وإرهاب وعنف، فإن الإمام الشافعى وأبو حنيفة وغيرهم من الفقهاء والعلماء المسلمين الذين تكلموا في علم الأصول هم أصوليون. وسيكون الإمام الشافعى رحمه الله واضع أسس علم الأصول وصاحب مدرسة المتكلمين الأصولية، سيصبح حسب المفهوم الجديد، واضع أسس علم

---

(1) جريدة الشعب المصرية الصادرة بتاريخ 29/يوليو/1993

(2) الفتح المبين في طبقات الاصوليين - الشيخ عبد الله المراغى ج2 - ص 43

التطرف والإرهاب الدينى من خلال مدرسته الأصولية ! وهذا الأمر سينطبق على كافة العلماء والفقهاء المسلمين الذين تحدثوا في الأصول.

5- هناك الكثير من الكتب الإسلامية التى تتحدث عن علم الأصول، تحمل عناوين يمكن أن يؤدي المدلول الخاطئ لمصطلح الأصولية في وقتنا الحاضر، إلى حدوث التباس حول مضمونها، مثل: كتاب الفكر الأصولى للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، وكتاب المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأى للدكتور فتحى الدرينى، وكتاب مناهج الأصوليين للدكتور بابكر الحسن وغيرها من الكتب. وبالتأكيد فإن من سيقرأ هذه العناوين سيعتقد أنها تتحدث عن ما سمى الآن بالأصولية أو الأصوليين الإسلاميين، وهو لا يدري بأن هذه الكتب لا علاقة لها من قريب أو بعيد بهذه الأصولية المزعومة.

6- إن مصطلح الأصولية هو مصطلح فضفاض واسع، فهو كلمة حق أريدَ بها باطل، فالغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصا تحاول أن تلصق بالحركة الإسلامية وصف الحركة الأصولية بمدلولها الغربي لأنه عند سماع هذا اللفظ فإنه يتبادر نوعٌ من الكراهية الشديدة، لما لازم تلك الحركة الأصولية من تعصب وتطرف[1]. فالمصطلح يشير إلى خلفيات فكرية مرتبطة بالمدلول السلبي الذي لحق به لارتباطه بالتراث اليهودي المسيحي من حيث إشارته إلى القيم الدينية الأساسية التي يلجأ إليها المتدينون في تسيير الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد سيادة الكنيسة على مقاليد الأمور في زمن القرون الأوربية الوسطى، وعليه فإنّ المتلقي الغربي الذي تصله صفة (الأصولية الإسلامية) فإنّ مرجعياته المفاهيمية ستلجأ إلى ذاك التاريخ الكنسي المرتبط بقهر التقدم العلمي والإنساني الأوربي، ومن ثم ستصله دلالأت جامدة ومقيتة ومتخلفة عن الإسلام، وهذا ما حاول الخطاب الغربي إيصاله إلى متلقيه.[2]

7-المفروض أن مصطلح الأصولية في لغتنا العربية، وفي بيئتنا الإسلامية يُتمدَّح به، وأن يكون من عوامل الترغيب والتقريب، وليس الترهيب والتنفير، لأن كلمة أصولي وأصولية في

---

(1) إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية -إعداد: أ. عمر سالم سعد الله العبيدي- بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة" -المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م

(2) ينظر: توظيف المحرم، سليمان حريتاني، ط1، دار الحصاد، سوريا، 2000: 355

لغتنا العربية، ليست محملة بهذه المعاني وتلك الظلال الكئيبة التي صاحبتْها في ثقافة الغرب وتجربته، لأنه أصبح صفةَ ذمٍّ، وعاملاً من عوامل التنفير والترهيب[1]. هذا في حين أن مصطلح الأصولية في الإسلام مصطلح محبب وأيجابي بكل معنى الكلمة ولكنه استخدم في سياق خاطئ من قبل الغرب، فأصبح من أكثر المصطلحات والتعميمات الخاطئة شيوعاً في أدبيات الغرب ونقاشاتهم حول ظاهرة الإسلام السياسي. ومن وجهة نظر البعض، فإن هذا الاستخدام السلبي للمصطلح محاولة مقصودة لربط الأصولية الإسلامية بالأصولية البروتستانتية باعتبارهما وجهان لعملة واحدة يجمعهما معاداة العقل والعلم والتقدم العلمي والعلمانية والحرية[2].

8- إن من أهم الأهداف التي سعى إليها الغرب من خلال إلصاقه مصطلح الأصولية بالحركات الإسلامية المعاصرة، هو رغبته في إخفاء حقيقة الحركات الأصولية المسيحية المتعصبة ودورها التخريبي والعدواني الذي لعبته ولا زالت تلعبه في العالم الإسلامي بصفة عامة، وفلسطين والوطن العربى بصفة خاصة. ولذا فقد اعتاد الكُتاب الغربيون إطلاق تعبير الأصولية الإسلامية على حركة الصحوة الإسلامية، في محاولات لربطها بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة في أمريكا مع كل سلبياتها التي رسبتها في الضمير الأمريكي بصورة خاصة، والغربي المسيحي بصورة عامة، ومما يلفت النظر في هذا المجال، تركيز الخطاب الاتهامي على (الأصولية الإسلامية) دون غيرها من الأصوليات المعاصرة.

9- في إطار الحملة الصليبية الثامنة، وسعي أمريكيا إلى تنفيذ مشروعها الصليبى في المنطقة العربية، وبالذات في فلسطين، فإن أمريكيا سعت ولا زالت تسعى إلى افتعال أزمة مع الحركات الإسلامية، لأنها هى المؤهلة والقادرة على تحطيم مشروعها الصليبى الجديد. لهذا فإن الصليبيون الجدد من أتباع الأصولية المسيحية الصهيونية في كلاً من أمريكيا وبريطانيا اتبعوا أساليب ملتوية وحقيرة للمساعدة في بناء ما يسمونه الخطر الإسلامي، من خلال التقارير والدراسات الهستيرية التى تتحدث وتحذر من الحركات الإسلامية . وقد عمدت

---

(1) بين الأصولية والتطرف- د. محمد السيد الجليند- 2008/11/11م

(2) أبو عرقوب، مرجع سابق، ص12.

وسائل الإعلام الغربية إلى إضفاء بعداً درامياً إلى هذه المخاوف، عندما فرضت مصطلح الأصولية الإسلامية لوصف هذه الحركات [1].

العلماء يرفضون مصطلح الأصولية :

انتقد كثيرٌ من العلماء مصطلح «الأصولية »، وبرّروا ذلك بأنه مصطلح مشبوه اخترعه الغرب لتشويه صورة الإسلام واتهامه بأنه دين يدعو إلى التعصب ويحض على العنف والإرهاب ضد الآخر غير المسلم.

1-يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: أن كلمة الأصولية مأخوذة عن الثقافة المسيحية ولم يعرفها الإسلام أبداً في تاريخه الثقافي، إلا أن هذا المصطلح يمكن أن يطلق على الدارسين لعلم أصول الفقه، أي أن يقال فلان أصولي، أي عالم في أصول الفقه، ولكن أن يُحرّف هذا المصطلح ويقال أن المسلمين أصوليون، إنما هو اتهام استعماري يحاول المستعمرون من خلاله أن يلصقوا بالإسلام ما يشوّه تاريخه كله، بما يسمى بالأصولية البغيضة التي تعني الإرهاب والعنف واضطهاد الأديان ومصادرة الأراء المخالفة وكبت حرية المرأة ومعاداة الحضارة الغربية. ويضيف د. شاهين: عرف الغرب دائماً نوعين من الإسلام، الإسلام الذي وقف شامخاً في مواجهة الاستعمار الغربي واستغلاله لخيرات المسلمين، والإسلام الذي يقتصر الانتماء إليه على شهادة الميلاد فقط، وهذا الوضع يرضي الغرب عنه كل الرضى، لأن الغرب مستعد أن يعمل المستحيل لإبقاء الأوضاع كما هي واستبعاد الإسلام الصحيح، الذي يقف عقبةً كؤوداً في وجهه ويمنعه من التوسع والتغلغل في ديار المسلمين. وبالتالي فإن الغرب يستخدم مصطلح الأصولية الإسلامية لتشويه صورة الإسلام الصحيح، ليوصمه بكل نقيصة ويجعله مرادفاً للإرهاب والتشدد والعنف [2].

2- يقول المفكر التركي منصور حكمت: إني لا أستخدم عبارة الأصولية الإسلامية لأنها برأيي تعبير يميني، هادف ومغرض، يطرح عمداً تصويراً مخادعاً ومضللاً عن الإسلام والحركات الإسلامية المعاصرة. بيد أن ما يعد أمراً واقعياً هو نمو الإسلام السياسي. أن الإسلام السياسي برأيي حركة رجعية معاصرة لا تمتّ بصلة، إلا شكلاً، بالحركات الإسلامية

---

(1) جريدة القدس الصادرة بتاريخ 1993/6/27 (هل الاسلام يمثل خطراً على الغرب)

(2) معلماء دين: الأصولية مصطلح غربي مشبوه لتشويه الإسلامالسبت، 14-أغسطس-2004المؤتمر نت -

لأواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. أن القوى الغربية ووسائل إعلامها وعالمها الجامعي، دفعت بمقولة الأصولية للإمام لكي تفصل التيارات الإرهابية والمناهضة للغرب لهذا التيار الإسلامي عن فروعه الموالية للغرب والتصالحية. فهم يسمون المناهضين للغرب أصوليين، ويقمعون الأصولية حتى يصونوا الإسلام السياسي. أن اكثر اقسام المعسكر الإسلامي أصولية مثل طالبان والسعودية هم أقرب أصدقاء الغرب.[1]

3- يقول السيد محمد حسين فضل الله: "إن الأصولية مفهوم غربي ينطلق من خلال الأصولية المسيحية التي كانت تتحرك على أساس إلغاء الآخر، إننا لا نتبنى مصطلح الأصولية لأن الإسلام ليس حركة عنف ضد الآخرين، وإنما العنف يمثل محوراً يتحرك فيه المسلمون في مواجهة القوى التي تريد أن تقهرهم أو تلغي حريتهم. وهكذا فإن الإسلام لا يلغي الآخر ولكنه يحاور الآخر، وعندما نريد أن نقرأ القرآن نجد أنه حاور المشركين والملحدين وحاور أهل الكتاب والمنافقين، وجعل الحوار عنوان كل حركته في الدعوة إلى الله وساحة الصراع، ولكن التخطيط السياسي الغربي حاول أن يضع هذه الكلمة كعنوان للحركة الإسلامية حتى يعزل الرأي العام عن التعاطف مع هذه الحركة ليعتبرها حركة عنف وإرهاب وإلغاء للآخر وتجميداً له، باعتبار أن هؤلاء يريدون أن يعيدوا التاريخ للوراء ليفرضوا ما كان يعيشه الناس في عصر الجهل، وهكذا فإن إعطاء الأصولية عنواناً للحركة الإسلامية ينطلق من أساس محاصرة كل حركة وانتفاضة[2].

4- يقول هاني فحص: أن مصطلح الأصولية بطابعه الاختزالي والقسري المتداول قد أصبح بمثابة حقل رماية للتهم، مفتوح لاستقبال أي خطاب إسلامي لا يمكن أن يكتسب بحكم إسلاميته تعريفه وصدقيته، إلا إذا كانت الأصول منبعه، بصرف النظر عن المحطات السياسية التي يذهب إليها، حتى لو كانت هذه المحطات تقع على طريق الحداثة المتوازنة بين الجذور الإيمانية وموجبات المعاصرة والمشاركة الحضارية. ولعل أخطر ما في استعمالات مصطلح الأصولية في الحالات العربية ذات التعددية الدينية، استعماله لإثارة مخاوف المسيحية

---

(1) المسلمون وتحديات الإندماج في المجتمعات الغربية -ندوة: نمو وأفول الاسلام السياسي -حوار مجلة برسش مع منصور حكمت- تمت الترجمة عن النص الفارسي للبحث الذي نشرته لاول مرة مجلة برسش- سؤال- في عددها الثالث الصادر في صيف ٢٠٠١ .ترجمة: فارس محمود m-hekmat.com #2070ar.html

(2) جعفر الموسوي -الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية

والمسيحيين، رغم كل التطلعات الثقافية والسياسية التي تصدر عن جهات إسلامية، معبرة وذات مصداقية غير مشكوك فيها نحو الآخر، الآخر المسيحي أولاً، والمسيحي الوطني قبل أي آخر(1).

5- الدكتور عبد العظيم المطعني أستاذ الدراسات العليا في جامعة الأزهر بالقاهرة، يرفض الربط بين «الأصولية » وما يدل عليه هذا المصطلح حين يطلقه الغرب على الإسلام. فالأصولية الإسلامية لدى الغرب معناها الإرهاب والعنف. والغرب يريد أن يصور للناس أن التدين يساوي إرهاباً، وبالتالي فإنهم يبررون اعتداءاتهم على الإسلام. فمثلاً قامت الولايات المتحدة الأميركية، بسبب وجود بعض الجماعات المتطرفة، بتدمير دولة إسلامية هي أفغانستان، واتهمت المؤسسات الخيرية بأنها تدعم الإرهاب وتغذيه، وطالبت الأدارة الأميركية النظم العربية والإسلامية بوقف نشاطها(2).

أين هي الأصولية الإسلامية :

بعد أن عرفنا مصطلح (الأصولية)، وبيّنا معناه في اللغة، ومعناه عند الغرب. هل في الإسلام شيء من هذه المعاني (جمود تطرف، إرهاب، رفض التأويل، الإيمان بحرفية النصوص، رفض التطور، رفض الآخر ... إلخ) ؟!!. ومن خلال ما تقدم، يمكننا القول بأن مفهوم الأصولية في عالمنا الإسلامي هو مفهوم

ذو استعمالان:

1-الاستعمال الأول، وهو المرتبط بما يمكن اعتبارها "بالأصولية الصحية"، ذات الارتباط بالواقع الحضاري العربي منذ القدم، وهي ما يمكن تسميتها "بالأصولية العقلية" المعبرة عن التيار المعتدل، أي هي: "ذلك التيار الذي يرمي إلى العودة إلى أصول فهم الإسلام كما فهمه المسلمون الأوائل اتباعاً لأوامر القرآن الكريم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، واتخاذ هذا الفهم سبيلاً لتجديد الحياة الروحية للمسلمين، وإعادة تقديم قيم العمل والاجتهاد، والسعي للإسهام في الحضارة العالمية بدور، وتوجيهها لكي يكون الإنسان محورها والله تعالى غايتها

---

(1) الأصولية الإسلامية": دعوة إلى التدقيق في مفهوم ملتبس- هاني فحص

(2) علماء دين: الأصولية مصطلح غربي مشبوه لتشويه الإسلامالسبت، 14-أغسطس-2004المؤتمر نت

وقبلتها، هذا فضلاً عن تقدير السلطة السياسية ومؤسساتها، العلم واتجاهات الفقه، تقديراً سليماً بلا مغالأة تؤدي إلى تقديسها أو تطرف يدفع إلى إفسادها"

2- الاستعمال الثاني، فهو المرتبط بالأصولية كظاهرة مَرضية أي "الأصولية الحركية" المرتبطة بالمعنى الغربي للكلمة وبالتطرف وهي ذلك التيار الذي يتبع الحركات السياسية دون أي تجديد حقيقي للفكر الديني، وينتهج الأساليب الحزبية بغير تقديم أي برامج مدروسة، وأي نظم علمية، ويعمل على أن يكون الدين سياسة، والشريعة حزباً، والإسلام حرباً.

فالأصولية في معناها الأول هي ظاهرة صحية وأيجابية شهدتها وتشهدها البيئة الإسلامية -لا سيما في لحظات الضعف والانحطاط-، أما في معناها الثاني، فهي مجلبة للدم – من جراء اعتماد القوة والعنف- والتنفير لما تحمله من معانٍ لازمتها في الغرب، ويرفضها الإسلام جملة وتفصيلاً من تشدد وتطرف. وهكذا فإن مصطلح"الأصولية "أضحى ذا استخدامين:

- أحدهما إيجابي يعبر عن كل مظاهر الدعوة للعودة إلى أصول الدين، في لحظات الضعف والاهتزاز، أو عند مواجهة مظاهر العصرنة والجدة ومحاولة التكيف معها لمواجهة الذوبان.

-أما الاستخدام الثاني، فهو استخدام سلبي محّمل بمضامينه الغربية السلبية من جمود، وانغلاق، وتصلب،......الخ، وما يعادله في البيئة الإسلامية هو مفهوم التطرف الإسلامي، وبالتالي فالأصولية الغربية في البيئة الغربية يعادلها التطرف الإسلامي في البيئة الإسلامية لا الأصولية كظاهرة صحية متجذرة في الثقافة الإسلامية ؛ وهذا المضمون السلبي للظاهرة، وبمظهره السياسي الذي صار يطلق عليه مفهوم "الأصولية السياسية" قوامه خمسة أسس هي: الجمود والعودة للماضي والانغلاق واعتماد العنف والقوة [1]

الأصولية الإسلامية بالمعنى الغربي (السلفية الوهابية)

إن الأصولية كظاهرة في الحضارة الإسلامية بمحتواها الاستشراقي المزيف، والتى حاول الغرب صناعتها وترويجها، لوصم الحركات الإسلامية بصفات الإرهاب والتطرف في إطار حربه الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي، هي ظاهرة عممها الغرب على الثقافة الإسلامية كلها، واعتبرها أصولية تحمل معنى رفض الجديد والتمسك بالقديم، والعودة إلى الأصول

---

(1) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م ص289

ورفض الحداثة، والحرص على المظاهر والأشكال، وممارسة العنف في الداخل والخارج، وتكفير المجتمع[1]. وهذه المعاني يعادلها في البيئة الإسلامية التطرف الإسلامي. وهذا المضمون السلبي للظاهرة، وبمظهره السياسي الذي صار يطلق عليه مفهوم "الأصولية السياسية" قوامه خمسة أسس هي: الجمود والعودة للماضي والانغلاق واعتماد العنف والقوة.

وإذا حاولنا إسقاط نفس المواصفات الغربية السلبية المرتبطة بالمفهوم على التيارات المتواجدة بالبيئة الإسلامية، فإننا سنجد أن الفئة التي بإمكانها ارتداء تلك المواصفات هي فئة "المتطرفين" ليس الأصوليين – بالمعنى الإسلامي – وبالذات السلفيين من أتباع الوهابية المتطرفة وما أنبثق عنها من حركات وتنظيمات متطرفة، ومرد ذلك كله أن هذه الفئة (المتطرفين) هي التي تركت الاعتدال والتوسط، واتصفت بالغلو والتشدد في السلوك والاعتقاد والأراء، مجافية بذلك ما كانت عليه سنة الرسول (صلّ لله عليه وسلم) وحياته[2]، وهم في معظمهم من يجهل العلم بمراتب الأحكام فيضعون المندوب في مقام الواجب، ويخلطون بين المكروه والحرام مما يسبب قلباً للأحكام الفقهية. وهم أيضاً ممن يستبدون بالرأي ويتعصبون له، ويسيئون الظن بالآخرين ويتهمونهم في عقيدتهم حتى أن تعلق الأمر بفئة العلماء. وهم ممن يميلون للجنوح والتشدد والتعسير على الناس وإلزامهم بما لا يلزم، وهم ممن يقوم بتكفير الحكام والمجتمع دون ضوابط .[3]

كما أن اتباع الحركة الوهابية المتطرفة شابهوا أتباع الأصولية المسيحية الغربية في أمور كثيرة، مثل اخذهم بالتفسير الحرفي للنصوص والبعد عن التأويل، مما أدى بهم إلى حد القول بالتجسيم والتشبيه كما فعل اليهود، كما أنهم تميزوا بالعنف والقسوة في فرض فكرهم، ورفضوا كثير من تصرفات المسلمين في زمانهم ووصموهم بالشرك، مثل التوسل بالرسل والأولياء لأنهم لا يؤمنون بشفاعة أحد منهم، كما رفضوا الاحتفالات الدينية، مثل عيد المولد النبوى وغيره من الموالد الخاصة ببعض الأولياء واعتبروها شرا وكفرا، كما أنهم رفضوا التماثيل

([1]) الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية -دراسة تحليلية نقدية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية والإدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" من إعداد الطالبة كريمة بلخضر 1427ه 2005 / م 2006 -م

([2]) محمد السيد الجليند، المرجع السابق الذكر، ص 25

([3]) المرجع نفسه، ص 34

والصور واعتبروها شرك بالله، ومنعوا أتباعهم من التدخين، وحرموا الناس حب الحياة والفرح بها، وملئوا حياتهم بالخوف والترقب والتزمت، وافقدوهم الرحمة تجاه أنفسهم والآخرين.

والفكر الوهابي السلفي يتميز بالجمود، والتشدد، والتعصب، ورفض الآخر وتعدد الرأي، ويسارع لتكفير المخالف واستحلال دمه، في خلطٍ شنيع بين مواطن التقيد والالتزام، والاجتهاد والحرية، مما يستحيل معه الحوار. كما أنهم يأبون مجاراة الحياة الاجتماعية الحديثة. فقد رفض الوهابيون التجديد والعصرنة، وحاربوا التقدم العلمي، والانغلاق في إطار الماضي الغابر، واحتقار الحاضر والمستقبل معاً.

ومن هنا فإن الشيخ "محمد حسين فضل الله، كان على حق عندما ربط الأصولية بالسلفية بقوله: "عندما نستنطق الأصولية كمصطلح غربي، فإننا نلاحظ أن الغربيين يحاولون أن يعطوا الأصولية أكثر عناصر السلفية، لأنهم يجعلونها في دائرة الاستغراق في الجذور من دون الانفتاح على الآفاق.. كما يحاولون أن يعطوها صفة العنف التي تنطلق من إلغاء الآخر بالمستوى الذي تبتعد فيه عن الانفتاح عليه في دائرة الحوار[1] بما تتميز من تزمت ديني أو تطرف وغلو في المعتقد. وهو تطرف قد يدفع بصاحبه إلى حد قتل الأخر، لأنه لا ينتمي إلى دينه أو يدين بمذهبه.. فالأصولية هي رفض الآخر المختلف، وادعاء امتلاك الحقيقة الكاملة وبسبب ذلك تبرر لذاتها الأعمال العنيفة وإنهاء الآخر بطرق قاسية.

فالأصولية السلفية قوامها الحنين إلى الماضي الذي يصير معياراً ذاتياً ينكشف في ضوئه فساد الحاضر وانحطاطه، وهي تتسم كغيرها من الأصوليات بالعودة إلى الماضي، وبالرغبة في فرض قانونها عنوةً، وبادعائها امتلاك حقيقة مطلقة وناجزة في شؤون الدين والدنيا. وتعتبر نفسها حارسة الحق، إلى حد رفض تفسيرات الأخرين. والأصوليين السلفيين ليس لديهم وقت للديمقراطية أو التعددية الحزبية، أو التسامح الديني، أو الحفاظ على السلام، أو الخطاب الحر، أو فصل الدين عن الدولة.

ولعل مواصفات كهذه قريبة وأحيأنا متطابقة مع المواصفات التي رافقت الظاهرة في البيئة الغربية، لكن إذا حسمنا القول وقلنا بأن الأصولية الغربية يقابلها التطرف الإسلامي فأن

([1]) غسان بن جدو، خطاب الإسلاميين والمستقبل، حوار مع سماحة الشيخ محمد حسين فضل الله، ط1، دار الملاك للطباعة، بيروت، 1995، ص23.

المعادلة تبقى ناقصة، كون المعطيات المتوفرة في العصر الحالي تشير لوجود ما يسمى "بالأصولية الإسلامية"، بسبب ما أقدمت عليه الصحافة وكتابات علماء الأجتماع والسياسة من الغربيين والشرقيين من إضفاء لنعوت مختلفة في وصف ظاهرة العودة إلى الجذور الإسلامية، فقال البعض أنها نهضة، أو أصولية، أو يقظة، أو صحوة، وقال آخرون أنها تشدد، أو تجديد، أو عودة إلى الإسلام(1).

فعندما بدأت محاولات وجهود العودة للأصول الإسلامية النقية (القرآن والسنة) بالإضافة إلى محاولة تأصيل المفاهيم والمصطلحات الإسلامية، اعتقد كثير من المراقبين لحركية الفكر الإسلامي أن اتجاهات التأصيل، أي العودة إلى الأصول قد تشبه ما عرفته البروتستانتية من رجعة إلى الأصل، وتخلّ عن المؤسسات التقليدية، وعن التقليد والرتابة. لكن الفارق بين تأصيل المسلمين اليوم، والتأصيل البروتستانتي أن ذاك كانت مشكلته مع المؤسسة الكنسية وحسب، فأمكن له أن يفيد من سائر الحقل الثقافي والحضاري الماضي والمحيط به فيما عدا ذلك. أما حركة التأصيل الإسلامي فقد بدأت بتنحية وإزالة التجربة التاريخية الإسلامية كلها باعتبارها تقليداً وانحرافاً، ثم اعتبرت العصر كله جاهلية وضلالاً لتتجه بعد ذلك إلى القرآن والسنة لاستنطاقهما مباشرة وبدون أدوات ووسائل مناسبة. ومن هنا كان سوء الفهم على المستوى الثقافي بين الفكر الإسلامي والعالم. ومن هنا حالة الحصار التي وضع فيها ذلك الفكر نفسه.(2)

وفي العصر الحديث ظهرت حركات زعمت أنها تريد إعادة الأمة إلى عهد السلف الصالح، ولذلك يخلطها بعض الناس بالصحوة الإسلامية، هذا بالرغم من أن السلفية الحقيقية تعني العودة للمصادر الأصلية ويقبلها الكافة، ولكن هؤلاء أنهم يريدون العودة لمفاهيم ظاهرية للإسلام، ويتخذون نهجاً في الولاء والبراء يلزم المسلمين بقتال بعضهم، مع أن القتال في الإسلام للمعتدين. ويكفّرون من يخالفهم من أهل القبلة، وهذا هو ما يريده أعداء الأمة لكي

---

(1) أحمد موصللي، الإسلام والفكر السياسي والديمقراطية – الغرب -إيران، ط1 ، المغرب:المرآز الثقافي العربي، 2000.

(2) بحث في الأصولية الدينية- لطفي حداد- مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية- موقع أركامانى صفحة كوش الجديدة، 2005.

تشغل نفسها بفتن داخلية [1]، بتكفير المسلمين والإغارة عليهم وقتلهم وسلب أموالهم، وتهديم قبور أوليائهم وآثارهم.

وفي ما بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الأصولية الإسلامية ظاهرة رجعية ومضادة كليا للثّورة. استعملت أساسا من قبل الإمبريالية الأمريكية لسحق الحركات اليسارية والتقدّمية في البلدان الإسلامية . والتيار الرئيسي للأصولية الحديثة كان مستندا في الأساس إلى الفكر الوهابي السلفي المتعصب الذى انبثقت منه كافة الحركات الإسلامية المتطرفة كحركة الإخوان المسلمين في مصر وبلدان أخرى من الشرق الأوسط والجماعة الإسلامية في باكستان، ثم جاءت القاعدة وجبهة النصرة، وأخيراً داعش.

وللأسف فقد أثرت هذه الحركات وبمساعدة من القوى الإستعمارية الغربية- في كثير من الحركات الإسلامية الحديثة التى أفرخت كثير من التنظيمات التكفيرية الإرهابية التى أعاقت حركة الأمة نحو التقدم والتحرر والأزدهار، بدعوى تطبيق الشريعة والحكم بما أنزل الله، حيث ظهرت منذ أوئل السبعينات بعض من المنظمات الدينية المتطرفة التى أخذت في الانتشار والازدياد مما جعل منها خطراً يهدد الأنظمة الحاكمة والاستقرار في الدول. وقد اتبعت هذه التنظيمات منهج السرية المطلقة في حركتها وأصبح العنف هو العنصر الأساسى لتحقيق فكرها وتأمين وجودها، الأمر الذى أدى إلى زيادة خطورتها وصعوبة تتبع حركتها ومواجهتها والحد من مخططاتها الإرهابية، حتى وصلنا إلى النسخة الأكثر دموية وإساءة للإسلام على يد تنظيم القاعدة وداعش.

وبالرغم من تنوع وتعدد الرؤية الأيدولوجية للحركات الإسلامية إلا أن ما يجمعهم – كما يرى عموس بيرلومبتر- هو وجود برنامج سياسي رغم تنوع وجهات النظر الأيدلوجية لديهم، بحيث يكون الهدف الأسمى الذي يسعون إلى تحقيقه من هذا البرنامج إقامة دولة إسلامية بشكل أو بآخر. وسواء كانت تلك الجماعات الإسلامية في مصر أو الجبهة الإسلامية للأنقاذ في الجزائر أو حزب الله في لبنان أو حماس وإلى حد ما الجهاد في فلسطين والدعوة في العراق، والإخوان المسلمين والنفير الإسلامي أو جيش محمد في الأردن والأخوأن المسلمين

---

[1] الصحوة الإسلامية في هذا العصر الإمام الصادق المهدي

في سوريا، فأنهم يريدون نظاماً سياسيا تقليديا، يريدون جمهوريات إسلامية. أنهم واضحون كل الوضوح في هذا الصدد[1]، والشيء المشترك فيما بينها هو ما يلي:

- اعتبار الإسلام طبقة شاملة للحياة والدولة والمجتمع.
- اعتبار التغريب وتبني العلمانية الغربية سبباً للأزمات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المسلم.
- إن سعادة السلطة تتطلب العودة إلى الصراط الإسلامي المستقيم، وهو البديل لكل من الرأسمالية والماركسية.
- إن إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية سوف يؤدى إلى نشوء مجتمع أكثر أخلاقية وعدالة.
- من واجب جميع المسلمين التضحية والجهاد في سبيل الله [2]

وبالرغم من أننا لا ننكر أن أغلب أصحاب الاتجاه السلفي في العالم العربي يرفضون الحداثة بقيمها المختلفة، إلا أن هؤلاء يمثلون جزءاً محدوداً في الساحة الإسلامية، ولا يشكلون أغلبية بأي حالة. ومن المؤسف أن أوضاع العالم العربي سمحت بظهور أمثال تلك الجماعات، وتوابعها من جماعات التطرف والعنف على السطح، وسلطت عليها الأضواء أثناء عمليات تطويقها وتصفيتها، بينما حجبت تيارات الاعتدال التي تدعو إلى التغيير السلمي، وتتطلع إلى المشاركة في الآلة الديمقراطية. وقد حظيت جماعات التطرف تلك بتغطية إعلامية واسعة في الإعلام العالمي، حتى أصبحت صورتها هي المهيمنة على الإدراك الغربي، بحيث بدا وكأنهم وحدهم الناشطون في الساحة الإسلامية، وهذا يؤكد التواطؤ الغربي في تضخيم وتلميع تلك الجماعات، بل وصناعتها

المفاهيم البديلة لمفهوم الأصولية

إن مصطلح الأصولية الإسلامية هو آخر المصطلحات التي استمعنا طويلاً لإيقاعها، وهي تتردد على ألسنة المعلقين والمتحدثين في شئون الدنيا ونقد الدين، ولا شك أنه كمفهوم قد

---

[1]) يارد اونيل، ندوة الحزازات الأثنية والعرقية والدينية التي عقدت في جامعة جورج واشنطن، 1992، وكالة الإعلامالأمريكية، نشرة الأنباء العربية، 1).27/11/1992(

([2]) فيني مارو وليم، امتطاء النمر، ترجمة عبد الله جمعة الحاج، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1996، ص23.

حقق ذيوعًا، كجزء من التعامل مع مجتمعاتنا كمتعددات إثنية ودينية وسلالية، من خلال إعادة برمجة الفوارق وتظهيرها وتشغيلها واستيراد أو استنساخ "فوالق" تضاف إليها. وربما يريد البيروقراطيون في أجهزة المخابرات الغربية تثبيت المصطلح وتعميم تداوله، وأن يؤكدوا أن ما يسمونه ظاهرة صعود الجماعات الإسلامية هي الحامل لمشروع الدولة الإسلامية وحدها، والذي يشكل بدوره أكبر مخاطر الإرهاب في آلياته وأفكاره وتعبيراته، لكن، لماذا نقبل نحن بالمصطلح ويتم تداوله عندنا؟[1].

ولدى التأمل السريع نجد أن الإسلام، يطرح مقابل التطرف الوسطية: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(البقرة: 143)** ويطرح مقابل الجمود والتحجر المرونة والتجديد: "يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها"[2]. وطرح مقابل العنف الحكمة والموعظة الحسنة والحوار: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(النحل: 125)، ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(العنكبوت: 46)، ويطرح مقابل العداء الدفع بالتي هي أحسن: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34)، ويطرح مقابل الظلم القسط والعدل: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (الشورى: 15)، ﴿ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى إِلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: 8)، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: 58)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾(النحل: 90)، ﴿ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ (الحجرات: 9)، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: 42)، ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف: 29).**

ويطرح مقابل التجاوز والتعدي العفو والصفح والمغفرة: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(التغابن: 14)، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: 22)، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(المائدة: 13)، ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(الحجر: 85)، ويطرح مقابل التفرق والأختلاف الوحدة والأخوة والأئتلاف: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 92)، ﴿إِذْ كُنْتُم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾(آل عمران: 103)، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً

([1]) الأصولية الإسلامية": دعوة إلى التدقيق في مفهوم ملتبس- هاني فحص

([2]) سنن أبي داود (4/ 109) . صححه الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 148) .

مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال: 63)، ويطرح مقابل الأقتتال الصلح، ومقابل البغي الفيء إلى أمر الله: ﴿وَإن طائِفَتان مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإن بَغَتْ أحداهُما عَلَى الأخرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلى أَمْرِ اللَّهِ فَإن فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إن اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: 9) ويطرح مقابل التخاصم والتباعد عن أهل الكتاب التلاقي معهم على القضايا والأمور المشتركة: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: 64). ويطرح مقابل العصبيات القبلية، والنعرات الوطنية والقومية التعارف والتعاون بين الناس من جميع الأجناس والقوميات والأديان: ﴿ يا أيها النَّاسُ أنا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأنثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)[1].

كما أن الإسلام وعلومه الكثيرة -وخاصة أصول الفقه المخصص لاستنباط التعاليم الحياتية من النص- تشهد مرونة كبيرة. فمع أن الإسلام يقدم للإنسان تعاليم توجه حياته بأكملها، لكنه -من خلال علومه- يضطر على الدوام للدخول في حوار مع الواقع التاريخي، ونصوصه المقدسة تحتاج إلى التفسير. ومن هنا طورت الشريعة عدداً من العلوم كمقاصد الشريعة والقواعد الفقهية مثل: الضرورات تبيح المحظورات، والأمور بمقاصدها.. وأسباب النزول، والعموم والخصوص، والدخول في الفرز بين النصوص: ما هو تشريع وما هو غير تشريع، والتي هي فرع عن القول ببشرية محمد بن عبد الله (صلّ الله عليه وسلم)، إلى جانب نبوته، وأن نبوته لا تلغي بشريته، وأن لكلٍ مجالها.

وهكذا سمح الإسلام بالتفكير في مبادئه تفكيراً عقلانياً مع اعتبار الواقع دوماً، وتشهد بهذا نصوص عديدة من واقع حياته (صلّ الله عليه وسلم). كما أن الإسلام ليس مجرد نص جامد معلق في السماء، فحين تتم قراءة إفرازاته إنما تتم مقاربته بوصفه ظاهرة تاريخية منبثقة عن جدل النص مع الواقع من خلال حركة العقل البشري، ومن هنا يبقى على الدوام خاضعاً للمعايرة مع النص المقدس، والنقد والتقويم بتعدد الاجتهادات وتنوعها. ونتيجة لما سبق، فإن القول

(1) المستشرقون والاسلام-معالجه منهجية خاطئة-إبراهيم جواد- مجلة النبأ-عدد51- تشرين 2 2000.

بطبيعة جوهرية صلبة للإسلام، كالأصولية مثلاً، يمثل خطأ في التفكير، وتبسيطاً مخلاً لتركيبية الفكر والواقع وجدلها مع النص، كما أنه يمثل انحيازاً مسبقاً لفعل دون آخر[1].

ومما تقدم يتضح لنا أنه لم يعد مقبولاً حصر الإسلام كله فقط في تجلياته الأصولية أو المتزمتة أو الحركية، كما هو شائع جداً في الغرب. وهنا، فإننا لا ننكر أبداً حجم الضغط الاجتماعي لتلك الأيدولوجيات التى تستعير من الإسلام التقليدى مفرداته وشعاراته، ولكن ينبغى كما يقول محمد أركون، إدانة مؤامرة الصمت التي يقوم بها كل المراقبين الغربيين للإسلام المعاصر، بمن فيهم علماء الإسلاميات الأكثر شهرة. الصمت عن وجود فئات اجتماعية أخرى في المجتمعات الإسلامية غير تيار الأيديولوجيين الإسلامويين، وعدم ذكر الأصوات الدينية والفكرية الأخرى، ثم تيارات الفكر الأخرى الموجودة في هذه المجتمعات. وهنا من حقنا طرح هذا السؤال: لماذا تحظى الكتب التى تستخدم كل أساليب التبرير والتبجيل الدفاعى والهجومى بنجاح ساحق في أوساط المسلمين؟ ولماذا تحظى الكتب التى تعزو للإسلام كل أنواع الخلط والانغلاق والهلوسات والعنف العائد إلى فئات اجتماعية محددة دون غيرها بنجاح إعلامى مماثل في الغرب ؟ هكذا نرى كيف أن كلا النجاحيين يتضامنان ويتواطان في ممارسة عملية التلاعب الأيدولوجى [2].

ولذا، ومن باب سد الذرائع، طرح الكاتب ذاكر الأعظمي، تصوراً مفاده: ضرورة نبذ واستئصال مصطلح "الأصولية " من الثقافة الإسلامية باعتبار أن هذا المصطلح الرديء نشأ وارتقى وتطور في مجتمع الغرب، ويعتبر من أفضح المصطلحات التي عرفها التاريخ إلى يومنا هذا حيث يرتبط به مفاهيم العنف والشدة، والجهل والظلم، والعنصرية الدينية، والضراوة والقساوة، والتغشم والعدوان، والوحشية والبربرية، لهذا وجب على الحركات الإسلامية الاحتراز من استعمال هذا المصطلح[3]. ونرى أنه لابد من تسمية الأشياء بمسمياتها، ففي حين يوجد هناك حركات إسلامية إصلاحية أو إحيائية، فإنه لا يقبل وصف أيه حركة إسلامية بالأصولية، وحتى ما تسمى بحركات الإسلام المسلح. لذلك يجب أن تراجع

---

(1) بحث في الأصولية الدينية، لطفي حداد، مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية-موقع أركاماني صفحة كوش الجديدة-2005

(2) الفكر الاسلامى - محمد أركو نص-ص33

(3) الأصولية الإسلامية": دعوة إلى التدقيق في مفهوم ملتبس- هاني فحص

المصطلحات والتراكيب. ففي الاستعمال العربي الأصيل الذى يريد الإشارة إلى الظاهرة الإسلامية، نجد أن الأنصار المتعاطفين يستخدمون غالبًا التعبيرات الآتية: "البعث الإسلامي"، "الصحوة الإسلامية"، "الأحياء الديني".[1]

---

(1) إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية -إعداد: أ. عمر سالم سعد الله العبيدي -بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة" -المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م

الفصل السابع
الأصولية المسيحية وظاهرة الإسلاموفوبيا

شاع في الأدبيات الفكرية والسياسية العربية والإسلامية والدولية الكثير من المفاهيم والمصطلحات التي تعالج أو تعنى بـ (الهوية،العولمة،الإسلاموفوبيا،الأمركة،الإرهاب ،العنف،المقاومة،الجهاد،الحروب الصليبية،حوار الأديان،حوار الحضارات،صدام الحضارات،الحوار مع الأنا والآخر،حرب الأفكار) وكل هذه المصطلحات تدور حول معسكرين أو عالمين هما الغرب والإسلام. وهذه الفوضى في المصطلحات تحاول خلط الأوراق وإغراق العالم الإسلامي في بحار الفوضى الخلاقة التي خطط لها المحافظون الجدد بافتعال التوترات والأزمات وانتشار الصراعات ... فنحن أمام استراتيجيتين تتبناهما الدوائر الغربية وتحديداً الغرب الأمريكي وحلفاؤه .. هما استراتيجية الفوضى الخلاقة واستراتيجية التفكيك والتركيب ... الأولى تقوم على إشاعة الفوضى المفاهيمية وخلط الأوراق وتغييب الحقيقة والتركيز على تشويه الهوية الإسلامية وعدها العدو الأول للغرب ... والثانية تقوم على تفكيك الهويات الفرعية (الإثنية والطائفية واللغوية والقومية) وتغذيتها بأسباب التفرد عن الهوية الأصلية تحت مسميات الديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية والإصلاح.. بهدف تنميط التفكير الإسلامي وإخضاعه للثقافة الغربية قسراً ليتناسب مع التبشير بأمركة العالم[1].

وفي عالمنا العربي يتلاعب الإعلام المأجور لصالح الغرب (خاصة الولايات المتحدة الأمريكية) بعقول وفكر الشباب العربي المقلد للغرب.. فيروج لما يسمي (الإسلاموفوبيا) لبث روح الخوف من الإسلام، واتهام الإسلام بما هو منه براء، واتهام المسلمين بالتعصب والإرهاب والوحشية، وبالتالي هم يحاولون اللعب علي وتر التعصب والتشدد، وإثارة المسلمين واستغلال غيرتهم علي دينهم ونبيهم للترويج بالافتراءات التي يلصقونها بالإسلام

---

(1) الهوية في ظل العولمة والاسلاموفوبيا والامركة- المركز العراقي للداسات الاستراتيجية- مشاركة في ورشة العمل التي نظمها مركز الجزيرة للدراسات بلإشتراك مع مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية البريطاني ومركز دراسات مسلمي اوروبا بجامعة اكسترا بعنوان:(رؤى الارهاب والمقاومة الراديكالية) 26-27/9/2010
http://www.iraqicss.net/index.php?option=com_content&view=article&id=61:2013-09-25-09-29-14&catid=29&Itemid=321&lang=ar

والمسلمين،[1] لما يسمى بالإسلاموفوبيا. وقد نجحت الدعاية الصهيونية وأعوانها في الغرب في النهاية في ترسيخ نظرة مشوهة للإسلام، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل الأمر إلى إرعاب المجتمعات الغربية من كل ما هو مسلم حتى ظهر في الغرب مصطلح إسلاموفوبيا(Islamophobia)، أو الخوف من الإسلام، وهو يعني بالنتيجة الخوف والرعب والكره للإسلام والمسلمين[2].

الإسلاموفوبيا.. مصطلح جديد لمعنى قديم

لم تمنع كثرة القراءات وتعدد التحليلات والتفسيرات لطبيعة العلاقة القائمة بين «الإسلام والغرب» من الإتفاق على أن هذه العلاقة شهدت فصولًا ليست بالقصيرة من الصراع والاحتقان، وصلت في كثير من الأحيان إلى المجابهة العسكرية. وما كان من جوانب مضيئة في هذه العلاقة فقد بقي استثناء من القاعدة؛ لأن نقاط الاصطدام والمواجهة تفوقت كمًّا وكيفًا على نقاط التلاقي منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا. وفي فصل جديد من فصول تأزم العلاقة بين الإسلام والغرب، شهدت المجتمعات الغربية في الآونة الأخيرة موجة من الممارسات العنصرية، وأشكالا من العداء والتمييز ضد الإسلام والمسلمين، ثم إدراجها تحت مسمى «الإسلاموفوبيا[3].

وفي الواقع فإن ظاهرة الإسلاموفوبيا التى تصاعدت حدّتها بعد أحداث 11 سبتمبر، هي ظاهرة قديمة قدم الدين الإسلامي نفسه، ومن الممكن القول أن تلك الظاهرة تضرب بجذورها عميقاً في تاريخ حافل بمسلسل طويل من العلاقات المضطربة بين الغرب والإسلام، استقر فيه هذا الأخير في الذهنية الغربية بوصفه تعبيراً عن خطرٍ داهمٍ محدق يتهدد كل ما هو غربي، ربما انطلاقاً من الاقتران المتكرر الذي يمكن ملاحظته في مسيرة التاريخ،

---

(1) دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)

(2) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ص138.

(3) الإسلاموفوبيا.. أسباب البروز وإمكانات التجاوز محمد شتوان – الوعى الاسلامي- عدد569 سنة 2012- تصدر عن وزارة الاوقاف المغربية

الذي يوحي وكان هناك نوعاً من العلاقة الحتمية بين صعود نجم الحضارة الإسلامية وانحدار نظيرتها الغربية! [1].

وبالرغم من أن الاستشراق ليس مرادفا للإسلاموفوبيا، إلا أنه مهّد الطريق لها، حيث يمكن القول أن الإسلاموفوبيا هي وريثة الاستشراق الذي نجح إدوارد سعيد وآخرون في إبطال مزاعمه وإثبات زيف أمثلته ونماذجه. ويمكن القول أن الاستشراق بالمعنى الذي استدعاه سعيد، استخدم أحيانًا لشيطنة العرب كإثنية أو عرق، حيث كان الإسلام مجرد سمة ثقافية ثم أخذها في الاعتبار ودراستها في سياق أوسع لدراسة المشرق العربي وتحديده، ولذا كانت النماذج المعيارية التي أوردها الاستشراق ذات توجه إثني وعرقي. ومن هذا المنطلق، يتم النظر للعرب والفرس والأتراك كمجموعات متمايزة. فوفقاً للاسشراقيين المؤسسين البارزين من أمثال إرنست رينان، فإن كون هؤلاء جميعاً من المسلمين لا يعدو أن يكون من شطحات التاريخ، وفي هذا فالاستشراق يختلف عن الإسلاموفوبي [2].

والإسلاموفوبيا يعود تاريخ بروزها إلى عام 1910 -كفكرة مسبقة عن الإسلام وكمفهوم غير معزول عن سياق الاستشراق من منظور خلفيته الاستعمارية، حيث عرفت الإسلاموفوبيا تطورا غير مسبوق ما بين أعوام 1999 و2001 وبلغ مؤشر عدم التسامح نتيجة 69,5٪ عام 2009 وفسر ذلك بتراكم مجموعة من العوامل من بينها هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، وتفاقم الأزمة الاقتصادية والخطاب الإعلامي حول تأدية الصلاة في الطريق العام، وتناول اللحم الحلال والانتفاضة التي عرفتها ضواحي باريس عام 2005، بحيث أصبحت الإسلاموفوبيا سلوكاً عاماً لم تتوقف عند مستوى الحجاب، وأضحت تعبيراً عن رفض مجمل الممارسات الإسلامية مثل عدم تناول الخمر واللحم غير الحلال، وصوم رمضان.[3]

---

(1) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهي- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص51

(2) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهي- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص51

(3) الإسلاموفوبيا- المؤلفان: عبد العالي حاجات ومروان محمد- الناشر: لاديكوفرت- الطبعة: الأولى، 2013 عرض/بوعلام رمضاني

تعريف الإسلاموفوبيا:

بالرغم من أن مصطلح إسلاموفوبيا مفهوم ملتبِس ومطَّاط، سواءٌ على مستوى المعنَى أو مسيرة تطوُّره، إلا أنه في المحصِّلة يهدف إلى ضرْب الإسلام في جذوره. ويُعد هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة التداول نسبياً في الفضاء المعرفي، المعني بصورة خاصة بعلاقة الإسلام بالغرب، حيث ثم نحت المصطلح الذي استعير في جزء منه من علم الاضطرابات النفسية، للتعبير عن ظاهرة الرهاب أو الخوف المرضي من الإسلام، حيث أن مصطلح فوبيا أو الرهاب يعرف في علم النفس بأنه الخوف غير المبرر من شيء[1]. وهو مرضٌ اجتماعي وسياسي ظهر في الغرب، في المشهَد الأخير من عصرِنا، يشير إلى أزْمة ثِقة بالإسلام عقيدة وسلوكًا وأيديولوجيا، من قطاعات في الجماعة الغربيَّة. ومنهم مَن يرى أن "الإسلاموفوبيا" عبارة عن تفاقُم مشاعر العداء تِجاه الإسلام، وما يُصاحبه من مظاهر تعدٍّ واضحة على المسلمين وحريَّاتهم ومقدَّساتهم. وهو خوف مبالغ فيه ومَرَضي وهو نوع من المثيرات [2]، وبالتالي فأن هذا الخوف غير المنطقي مبني على تاريخ مرضي مزور. والمصطلح بحد ذاته هو دفاع عن الإسلام، لكن الظاهر هو أنه منتشر بين الغربيين.

يقول البروفيسور "جوردون كونواى رئس لجنة "رانيميد" الخاصَّة بالمسلمين البريطانيِّين والإسلاموفوبيا " يقول: أن كلِمة "إسلاموفوبيا" مبتكرة وحديثة نسبيًّا، ومن المحتمل أن تكون مشتقَّة على غرار Xinophobia إرهاب الأجانب، والكلمة الأخيرة ظهرتْ في القرْن التَّاسع مشتقَّة من الكلمة اليونانية Xenos غريب أو أجنبي، وPhobia ومعناها: الرُّعب أو الخوف، وفي قاموس أكسفورد كلمةXenophia تعْني كراهية الأجانب، أو المخاوف المرَضية من الأجانب، أو الكراهية العميقة للأجانب، وقد اكتسب هذا المصطلح معانٍ إضافيَّة في أوروبَّا في الثَّلاثين عامًا الماضية، وأصبح المقصود به في فرنسا وألمانيا مثلاً المهاجرين الأجانب من المغْرب والجزائر وتركيا ويوغوسلافيا، وعندما تُشير لجان الاتِّحاد الأوروبي إلى هذه العبارة، فإنهم يقصدون الأجانب داخل الدُّول الأوروبية، وليس الأجانب في دول العالم عمومًا.

---

(1) المنتدى، منتدى الفكر العربي، متابعات فكرية، العدد 140، ص8.

(2) للمزيد أنظر: اليكس جوارفسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، مطبعة الإعلام، الكويت، 1996، ص38.

أمَّا العبارة الجديدة المبتكَرة "إسلاموفوبيا"، فإنها تتضمَّن المخاوف بنوْعيها: مخاوف من المسلمين هنا الَّذين يعيشون داخل تلك البلاد، وبذلك فإن كثيرًا من غير المسلمين يزدادون خوفًا من الإسلام وكراهية له، وتتضمَّن التَّشبيهاتُ المتكرِّرة الَّتي تستخدم للإثارة القولَ بأن المسلمين في أوروبًا هم الطابور الخامس، ورأس الجسر، جزر غربيَّة، وحصتان طروادة، والعدو الدَّاخلي[1].

وقد انتقل مصطلح إسلاموفوبيا، بمعنى معاداة الإسلام أو الخوف من الإسلام من اللغة الإنجليزية إلى لغات العالم المختلفة بدون استثناء. ويعود أول تاريخ لاستخدام المصطلح إلى سنة 1987، وأول محاولة تعريف هذا المصطلح يرجع إلى عام 1997 عندما حدد البريطاني رونيميد تروست في تقريره " Islamophobia: A Challenge for Us All الإسلاموفوبيا تحد لنا جميعاً، وبالتالي الخوف أو الكراهية تجاه كل أو معظم المسلمين". وأول من استعمل اللفظ من الكتّاب الفرنسيّين مإليه إميل في مقال بعنوان "ثقافة ووحشية" نشره في جريدة Le Monde الفرنسية سنة 1994، إذ تحدّث عن "صنف من الإسلاموفوبيا الزّاحفة". وقد اتخذه صهيب بن الشيخ، في سنة 1998، عنواناً لباب من أبواب أحد كتبه. ثمّ وجدت هذه العبارة استخداماً دولياً كبيراً، وخاصة من جانب الجماعات الإسلامية المحافظة، مباشرة بعد الهجمات الإرهابية على مركز التجارة العالمي في 11 سبتمبر 2001.

والتعريف حسب رونيميد تروست: هو موقف إسلاموفوبي في مجموعة متنوعة من الأراء التي يُعرب عنها

- الإسلام كتلة وحدانية معزولة، جامدة وغير مستجيبة للتغيير
- الإسلام مميز وغريب، وليس لديه قيم وأهداف مشتركة مع الثقافات الأخرى. لا يتأثر بها، ولكنه يؤثر فيها
- الإسلام أدنى من الغرب، وحشي، غير عقلاني، بدائي ومتحيز ضد النساء.
- الإسلام دين يتسم بالعنف والعدوانية، مهدد، يدعم الإرهاب وفعال في حرب الثقافات

---

(1) الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفى البرجاوي- 2011/5/10 مجلّة الوعي الإسلامي

- الإسلام هو الأيديولوجية السياسية التي تستعمل لأهداف سياسية أو عسكرية[1].

ويُجمع عدد كبيرٌ من الباحثين أن ظهور هذا المصطلح ليس بحديث، لكنَّ ذيوعَه وانتِشارَه جاء مع تقارير غربيَّة (تقارير مؤسَّسة راند)، والمراكز الاستراتيجيَّة الأمريكيَّة، التي تستمع إلى آراء مفكِّريها من قبيل "صامويل هنتجتون" و "فرانسيس فوكوياما"، ومن ثَمَّ انتشر الاهتمام به على الأقلِّ بصورة ملحوظة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر[2].

وهكذا يتضح أن هذا المصطلح من إنتاج العقل الغربي المتوجس أصلاً خوفاً مما له صلة بالإسلام والمسلمين .. وقد عرف الأستاذ جهاد الخازن هذا المفهوم بقوله: "أن المصطلح إسلاموفوبيا يعني الذين يكرهون الإسلام والمسلمين"، وإضاف إلى أن هناك نوعين منهم: الأول يضم أعداءً لأسباب إسرائيلية أو دينية أو إمبريالية جديدة، والثاني الذين يصدقونهم".[3] وعلى كل الأحوال فإن المصطلح يشير إلى خوف لاشعوري وغير مبرر من مواقف أو أشخاص أو نشاطات أو أجسام معينة، وهو بذلك يصنف كمرض نفسي ينبغي علاجه. ومن أشكال هذا المرض: الخوف من الأماكن والمناطق المرتفعة -الخوف من الأجانب -الخوف من الأماكن المغلقة، وعند إضافة هذه الكلمة إلى الإسلام يصبح المعنى: «خوف مرضي غير مبرر وعداء ورفض للإسلام والمسلمين». وهذا المصطلح يعبر عن المشاعر السلبية التي تجتاح المجتمع الغربي تجاه المسلمين، والتى تترجم كسلوكيات مجحفة في حق الإسلام والمسلمين[4].

أسباب ظاهرة الإسلاموفوبيا:

ليس للخوف من الإسلام في الغرب مصدر واحد، فثمة مصادر كثيرة تتراكم على مستويات عديدة، فتفرز في مجموعها، مشاعر الكراهية والعنصرية والتعالي والتميز تجاه كل ما

---

(1) نقلا عن عبد العزيز التويجري ، في الحوار مع الذات والاخر ، دار الشروق ط1، 2009 .ص52

(2) الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفى البرجاوي- 2011/5/10 مجلّة الوعي الإسلامي

(3) نقلا عن المصدر أعلاه ، ص 53

(4) الإسلاموفوبيا.. أسباب البروز وإمكانات التجاوز محمد شتوان – الوعى الاسلامي- عدد569 سنة 2012- تصدر عن وزارة الاوقاف المغربية

له علاقة بالإسلام عقيدة وثقافة وحضارة وبشراً وتاريخاً وجغرافية. وهذه المشاعر غير السوية هي التي تتسبب في إثارة الخوف من الإسلام بحسبانه خطراً مزعوماً يهدد الغرب في أمنه واستقراره وفي هويته وثقافته وفي خصوصياته المدنية والحضارية[1].

لقد شكل الإسلام دون شك استفزازاً حقيقياً لأوروبا بطرق عديدة. فقد كان قريباً من المسيحية عقلياً وجغرافياً وثقافياً، وقد استقى من التقاليد اليهوهلينية، والأصقاع الإسلامية تقدم مجاورة للأصقاع التوراتية، وأكثر من ذلك فإن قلب المجال الإسلامي كان دائماً ولا يزال الإقليم الأكثر قرباً إلى أوروبا وهو ما سُمي بالشرق الأدنى" [2]. وكانت الجيوش الإسلامية تسيطر على أجزاء من أوروبا وحاصرت فينا، ومن هنا يمكننا تصور طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب، والتي حاول الاستشراق رسمها وانتاجها، وأسهم في أيجاد أو تعزيز المفاهيم والرؤى السلبية تجاه المنطقة، حتى أصبح الاستشراق الغربي جزءً من منظومة العمل الاستعمارية.

وإذا كانت الإسلاموفوبيا أصبحت الآن ظاهرة في الغرب، فمرد ذلك أن هناك العديد من القوى في الغرب تعمل جاهدة على دعم هذه الظّاهرة لتحقيق أطماع سياسية واقتصادية. فالعالم الإسلامي مقارنة بالغرب أضعف بكثير اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا، ولذا ففكرة أن الإسلام يمثّل خطرًا يهدّد الغرب هي فكرة ملفّقة لا سبب وراءها سوى تحقيق أهداف سياسية. أما عن أسباب تلك الظاهرة فهى متعدّدة تتفاوت في أهمّيتها وقوّتها، بعضها خارجي تحرّكه دوائر تكره الإسلام وتعاديه، والبعض الأخر داخلي نابع من المسلمين أنفسهم نتيجة تشويههم للمظهر الحضاري الرّاقي للإسلام. وإذا كان لنا أن نحدد أسباب رواج ظاهرة الخوف من الإسلام أو (الإسلام فوبيا) فإنه يمكن إجمالها بالأسباب التالية:

أولاً- احتشاد التاريخ بالكثير من وقائع الصراع بين الإسلام والغرب:

يمكن القول أن الفتوحات الإسلامية التي بدأت منذ عهد الرسول (عليه الصلاة والسلام)، وتوسعت حدودها وآفاقها على امتداد قرون طويلة لاحقة، قد شكلت بما ارتبط بها وتمخض عنها من دحر جحافل الروم وتهديم معاقل وجودهم في المناطق التي اكتسحتها راية

---

(1) الاسلاموفوبيا ، سيكولوجيا المرض السياسي ، (مادة مرشحة للفوز في مسابقة كاتب الالوكة) ، موقع اسلاميات

(2) الإستشراق إدوار سعيد ص 121

الإسلام، أولى وأبرز الخبرات المؤلمة التي تعرض لها الغرب في علاقته بالعالم الإسلامي، تلك الخبرات التي غرست بذور الخوف من الإسلام في ذهنيته، وجعلته يطور نزوعاً مرضياً يحكم تفاعله مع ذلك الدين وأتباعه. فعلى سبيل المثال، وبعد الهزيمة المنكرة التي منيت بها جيوشه الجرارة في معركة اليرموك في السنة السادسة عشرة للهجرة، التي ترتب عنها جلاء الاحتلال الرومي عن المنطقة العربية حيناً من الدهر، **أثر عن (هرقل) عظيم الروم قوله: "السلام عليك يا سوريا، سلاماً لا لقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصديق، ولا يدخلك رومي بعد الآن إلا خائفاً"**[1].

ويزخر التاريخ بسلسلة لا تكاد تنتهي من الخبرات غير السارة التي اتخذت طابعاً دموياً في كثير من الحالأت، التي كرست النظرة المرتابة- بل العدائية، من جانب الغرب حيال الإسلام وأهله، كفتح الأندلس سنة 91 هـ، ومعركة بلاط الشهداء سنة 114هـ، وفتح القسطنطينية على يد العثمانيين سنة 857 هـ ...إلخ قائمة طويلة من وقائع الصراع الدامي بين الجانبين، وهنا يبدو أن التفاعل المباشر لأبناء الغرب مع المسلمين لعقود طويلة، سواء في سياق احتلالهم بعض الديار الإسلامية إبان ما عرفت عند بعض المؤرخين بالحروب الصليبية، أو في إطار استفادتهم عن طريق رحّالتهم وطلابهم من النهضة العلمية والحضارية التي ازدهرت في كثير من مدائن العالم الإسلامي، يبدو أنه لم يكن كافياً للنجاح في تبييض الصورة القاتمة التي رسموها في أذهانهم تجاه الإسلام وأتباعه، بوصفه ديناً دموياً لا يمكن أن يقترن إلا بالعنف والتخلف والإرهاب !.

ثانياً. الجهل بالإسلام:

الواقع إن هناك جهلاً صارخاً بحقيقة الإسلام، وبخاصة في العالم الغربي، الذي يستقي معلوماته عن الإسلام من مصادر قد تفتقر كثيراً إلى الموضوعية والنزاهة والتجرد، أو الإحاطة الكافية بحقيقة الإسلام وجوهره. فالمناهج المدرسية وحتى الجامعية في العالم الغربي، ما تزال مثقلة بكمٍ هائلٍ من المعلومات المغلوطة والمضللة عن الإسلام، التي تعود في جذورها إلى نتاجات المدرسة الاستشراقية، التى لا ينقصها الكثير من التعصب والتحيز وتزييف الوقائع

([1]) تمام، أحمد. معركة اليرموك وانحسار دولة الروم، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (إسلام أون لاين) على الرابط التالي:
http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/09/article22.shtm

وليّ أعناق الحقائق لإثبات مزاعم وافتراضات قبلية عارية عن الصحة[1]. ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال، ربطت كثير من الكتب المدرسية الأصولية بالإرهاب وذلك لكي تُعطي للإسلام صورة سيئة. فمثلا يقول أحدهم:"أن البعض إرهابيون دوليون يتركون بلدهم لمهاجمة حكومات أجنبية، مثال على ذلك هم الإسلاميون الراديكاليون من الشرق الأوسط الذين فجروا مركز التجارة العالمية في نيويورك عام 1993 لأن الولايات المتحدة تقف إلى جانب إسرائيل "ويقول في فصل أخر: "يرحب اليوم الإرهابيون المسلمون الذين يحاولون قتل أعدائهم بالموت كنعمة من الله عليهم"[2].

كما لعب عامل جهل الأوروبيين للإسلام في نشر الإسلاموفوبيا بالترويج فقط للكتب التي تحمل عناوين مثيرة تنبه إلى خطر الإسلام وهذا ما يتقاطع مع مصلحة اليمين المتطرف[3]. وفي هذا الإطار، يشير أحد الباحثين إلى "أن القليل من إنتاج المستشرقين الجدد وهو كثير في حد ذاته يذهب إلى صانعي السياسة والقرار في الغرب. بينما يذهب الكثير من إنتاجهم إلى الرأي العام عن طريق أجهزة متطورة للإعلام والدعاية ليؤكد صوراً نمطية أو يشوهها".

ويشكّل الجهل بالإسلام وحمل تصورات مغلوطة عنه، مع ما يترتب عن ذلك من الحيلولة دون تشكل أرضية ملائمة لفهمه وتفهمه والتواصل الإيجابي مع معتنقيه، معلماً بارزاً من معالم الحياة في العالم الغربي. وربما كان هذا هو ما دفع عضو مجلس النواب الأمريكي السابق (بول فندلي)، الذي خبر العالم الإسلامي عن قرب، إلى أن يأخذ على عاتقه السعي إلى كسر حاجز الجهل الغربي بالإسلام، والعمل على تصحيح المفاهيم والصور النمطية الخاطئة المتصلة به، ودحض الأضاليل التي تستوطن أذهان الغربيين بشأنه، وبخاصة في المجتمع الأمريكي.

---

[1] للوقوف على الدور الخطير الذي لعبته المدرسة الاستشراقية في تزييف الوعي الغربي بحقيقة الإسلام، أنظر: سعيد، إدوارد. الاستشراق: المعرفة/ السلطة/الإنشاء،ترجمة كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 2001، ط5.

[2] إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية -إعداد: أ. عمر سالم سعد الله العبيدي -بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة" -المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م

[3] الإسلاموفوبيا- المؤلفان: عبد العالي حاجات ومروان محمد- الناشر: لاديكوفرت- ط1 2013 عرض/بوعلام رمضاني

ويجمل (فندلي) الأسباب التي تقف خلف جهل الأمريكيين، والغربيين عموماً، بالإسلام وتبنيهم صوراً نمطية مضللة عنه فيما يلي من أسباب [1]:

1. دور اللوبي اليهودي في تقديم صورة سيئة عن المسلمين، وتصوير (إسرائيل) على أنها دولة ضعيفة يهدد العرب والمسلمون أمنها ووجودها.

2. الاقتصار على الحديث عن الأخلاق اليهودية والمسيحية في المجتمع الأمريكي، بوصفها الأخلاق العالية المقبولة الجديرة بالاتباع، مع تجنب الإشارة إلى الأخلاق الإسلامية، وتصويرها بشكل سلبي منفّر في حال الحديث عنها. بحيث غدت اليهودية والمسيحية في نظر الأمريكي أنموذجاً للتقدم والحضارة والأخلاق، وأصبح الإسلام تعبيراً عن القوة المتخلفة والخطرة.

3. وسم الإسلام بالإرهاب والتعصب، واحتقار المرأة، والافتقار إلى التسامح مع غير المسلمين، ورفض الديمقراطية، وعبادة إله غريب وانتقامي.

4. تخوف الغربيين من خطر إسلامي متصاعد، وخشيتهم من الحرب الإسلامية الغربية القادمة، وتغذية الهيئات الصهيونية لتلك المخاوف، حتى لا يتراجع الدعم الغربي للكيان الصهيوني في فلسطين.

5. تركيز وسائل الاعلام الغربي على تصوير الحركات الإسلامية، وبخاصة حركات المقاومة، على أنها حركات إرهابية لا تحترم الديموقراطية وحقوق الإنسان. وعمل تلك الوسائل في بعض الأحيان على فبركة برامج يتم عن طريقها تضخيم دعوات بعض المسلمين إلى محاربة أمريكا و (إسرائيل) والغرب، وإخراج تلك الدعوات عن سياقها الأصلي.

6- يرى البعض أن" الغرب قد أساء فهم الإسلام منذ الحملات الصليبية، ويغذّي الاعلام الغربي، الرأي العام بصور مشوهة تبعث الخوف في النفوس منه، حيث يصور الإسلام بأنه يقف ضد القيم السامية ومطامع الإنسانية في تحقيق السلام والتقدم والحرية والمساواة، وبأن الصراع مع الإسلام حتمية تاريخية وإستراتيجية ومن أمثلة ذلك الفهم، نظرية (صموئيل هانتغتون)"[2].

---

[1]) مطر، جميل. "حوار الحضارات .. السياسي أولاً"، المستقبل العربي، العدد 325 (آذار 2006)، ص 57.

[2]) محمد الجيوسي، المصدر السابق، ص129.

ثالثاً. تضارب المصالح واختلاف المنطلقات القيمية:

جاء الإسلام ليشكل مشروع رؤية تجدد ما دأبت تعاليم السماء على الدعوة إليه والمناداة به مذ وجد الإنسان على الأرض، رؤية تقوم على تدمير معاقل التظالم بين البشر، ونشر قيم العدالة والأخوة والمساواة والفضيلة فيما بينهم. وبطبيعة الحال، كان من المحتم أن يصطدم ذلك المشروع بمصالح كثير من الفئات الانتهازية التي كانت تحرص على استمرار الأوضاع المختلة القائمة، بكل ما فيها من استغلال وظلم واعوجاج.

ومن المعروف أن الغرب يتبنى الكثير من السلوكيات الخاصة به، التي ترتبط في كثير منها بالنظام الرأسمالي ومبادئه البراغماتية وبكل تأكيد، لا يمكن أن تحظى مثل تلك السلوكيات بمباركة الدين الإسلامي، الذي يعدها ومثيلاتها من المحرمات التي يستدعي اقترافها التجريم والعقاب. ومن ثم، فإن من الطبيعي أن يجد كثير من أبناء العالم الغربي في الإسلام وتعاليمه تهديداً صارخاً لما يعتبرونها حريات أساسية، لا ينبغي المساس بها أو التفريط فيها!.

وتتداخل التعارضات المصلحية والحضارية لترسيم شكل العلاقة بين الإسلام والغرب إلى حد بعيد. فبينما يمكن الإقرار إلى هذا القدر أو ذاك، بأن الصراع الذي يحكم علاقة العالم الغربي بالإسلام يستند في جزء منه إلى اختلافات حضارية عميقة ضاربة بجذورها في التاريخ، كما تزعم نظرية (صراع الحضارات) الشهيرة لصاحبها المنظر الأمريكي (صامويل هنتجتون)[1]، إلا أن هناك من يرى أن طبيعة العلاقة بين الإسلاميين والغرب قائمة على عداء بين الطرفين وهو عداء متصل في طبيعة الغرب من منطلق ديني متعصب – وما الحرب الصليبية سوى تعبير عن هذا التعصب الديني. وهنالك من يذهب إلى أبعد من ذلك، ويرى أن هذا العداء الغربي تجاه الإسلام والمسلمين يسوقه إليه دوافع دينية أحيانا واقتصادية مادية أحيانا أخر وإستراتيجية سياسية حيناً ثالثاً"[2]. ويمكن القول أن جزءاً مهماً من ذلك الصراع يرتكز إلى تضارب المصالح بين الإسلام والغرب. فالحضارة الغربية قائمة على الماديات المحضة، فليست هناك عقيدة دينية يدافعون عنها، والإسلام إذا وقف أمام مصلحتهم"[3].

---

(1) أنظر صراع الحضارات.، 1996.

(2) عماد الدين خليل، إلا شبح الإسلام، مجلة قضايا دولية، العدد 353، السنة السابعة، أكتوبر، باكستان، 1996، ص34.

(3) المصدر نفسه، ص115.

رابعاً.الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين:

ليس من الخافي على أحدٍ أن الأمة الإسلامية تعاني منذ قرون عديدة واقعاً مأزوماً على مختلف الأصعدة والمستويات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهو ما ينعكس في وقوف تلك الأمة في ذيل سائر أمم الدنيا على صعيد الإسهام الحضاري والمشاركة في ارتقاء الإنسانية وتقدمها. فعلى المستوى السياسي، عصفت الحروب والنزاعات المسلحة وما تزال تعصف بأرواح الآلاف من أبناء العالم الإسلامي. وتبدو الدول الإسلامية عاجزة عن فعل الكثير من أجل إيقاف تلك الصراعات أو الانتصار فيها أو تسويتها، ولا تزال العديد من الدول الإسلامية تخضع لقوى أجنبية تصادر حريتها وتحد من إمكانات استقلالها الفعلي.

وعلى الصعيد الاقتصادي، تشير الإحصائيات إلى أن أكثر من نصف مليار مسلم يعيشون تحت خط الفقر، وهذا يعني أن أكثر من ثلث سكان العالم الذين يعيشون تحت مستوى خط الفقر هم من أبناء العالم الإسلامي، هذا على الرغم من كل ما تتمتع به دول ذلك العالم من ثروات بشرية وطبيعية هائلة[1]. الأمر الذي يوجه الأنظار إلى ما تكابده تلك الدول من استشراء الفساد وسوء الإدارة واختلال العدالة في توزيع الموارد والثروات. ليس هذا فحسب، بل أن دولاً إسلامية عديدة قد اجتاحها شبح المجاعات وافترس وحش الجوع مئات الآلاف من أبنائها. وفي المجال الاجتماعي، يمكن الحديث، بوجه عام، عن معاناة دول العالم الإسلامي من تفاوتات طبقية صارخة، وانحطاط مكانة المرأة، وتهميش دور الشباب، وضعف الاهتمام بالأطفال، ناهيك عن اهتزاز المنظومات القيمة وتخلخلها تحت وطأة القيم الغربية الغازية. وعلى الصعيد الثقافي، يبدو العالم الإسلامي منقطعاً بصورة شبه تامة عن الثورات المعرفية والمعلوماتية والعلمية التي يشهدها العالم، فيبدو الأقل إسهاماً في تلك

---

[1]) ملكاوي، أسماء. "حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الجزيرة) على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DD9C49C9-12A3-4E93-A3A7-E37389C9C711.htm

الثورات، سواء على مستوى الإبداع أو التطوير، ليغدو في أفضل الحالات مستهلكاً نهماً، وبصورة استعراضية فجة، لما تنتجه تلك الثورات من تطبيقات وتقانات! [1].

وإزاء الواقع المتردي الذي يتخبط فيه العالم الإسلامي، ومع أخذ الجهود الصهيونية والاستعمارية في تعميق ذلك الواقع وإبرازه وتضخيمه بعين الاعتبار، يغدو من الطبيعي انبعاث حالة من المماهاة التلقائية بين الإسلام من جهة، والفقر والتخلف من جهة أخرى، ليتم تحميل الإسلام جرائر ضعف أبنائه وتخلفهم. وعليه؛ يبدو أن من العسير أن يتعاطف الغربي الذي لا يعرف إلا صورة مشوهة عن الإسلام مع هذا الدين، بل أن من الطبيعي أن يتخذ منه - وهو يظنه سبباً رئيساً لتخلف أرجاء واسعة من العالم- موقفاً سلبياً عدائياً، ويولي جزءاً من اهتمامه لمحاربته واستئصال شأفته!. ولذا فإن أهم ما ينبغي على المسلمين فعله خاصة في البلدان الأوروبية هو أن يعكسوا الإسلام الحقيقي في سلوكهم، لأنك مهما حاولت أن تُروِّج لمُثل وأخلاق سامية موجودة في الإسلام، فلن تلقى من الآخر أذنًا صاغية إلا إذا رآها سلوكًا عمليًا في أرض الواقع. [2]

خامساً. تبني صورة نمطية سلبية للمسلمين:

عاش الغرب حتى يومنا الحاضر يجتر الصورة النمطية السيئة التي رسمها اللاهوتيون للإسلام والعرب منذ بداية علاقة الغرب بهما في القرون الوسطى. ورغم اختلاف وتنوع الأساليب التي صيغت بها تلك الصورة النمطية في العقل الغربي، إلا أنها حافظت على معالمها الرئيسة، لأن من مصلحة الكثيرين من أنصار التوجهات الاستعمارية والصهيونية استغلال السلوك السيء للمسلمين للنيل منهم ومن دينهم، وإثبات صحة الصور النمطية المرتسمة في أذهان الكثيرين من أبناء الغرب عنهم. وبتسليط الضوء على تلك الصور النمطية الماثلة في الذهنية الغربية عن المسلمين، فإنها تسقط على الشخصية المسلمة كماً هائلاً من الافتراءات والخيالات المريضة، فتصورها بالجشع والنهم والغباء والسفه والمكر واحتقار المرأة والتكالب

---

(1) ظاهرة الإسلاموفوبيا- قراءة تحليلية-خالد سليمان- مركز الشرق العربي للدراسات- ورقة بحثية قدمت في الأصل إلى مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر (ثقافة الخوف) ، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 24-26 نيسان/ 2006.

(2) الإسلاموفوبيا.. أسباب البروز وإمكانات التجاوز محمد شتوان – الوعى الاسلامي- عدد569 سنة 2012- تصدر عن وزارة الاوقاف المغربية

على الشهوات ..إلخ. وهكذا تبتت آراء المستشرقين هذه على الصحافة والعقل الشعبي، فالعرب مثلاً يصورون راكبي جمال، إرهاب يين معقوفي الآنوف، شهوانيين شرهين، تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية[1].

وإذا كانت هذه الثقافة السلبية معممه شعبياً في الماضي بواسطة الملاحم والشعر والخطاب الديني، فهي اليوم معممة شعبياً بواسطة وسائل الإعلام أولا، ثم بواسطة المدرسة ثانياً. وهنا فإنه يحق لنا أن نتساءل عن صلاحية وموضوعية المعرفة المتوافرة في الغرب عن الإسلام [2]. وبالذات وأن الاستشراق احتل مركزاً هو من السيادة، بحيث أنه ليس في وسع إنسان أن يكتب عن الشرق أو يُفكر فيه، أو يمارس فعلا متعلقاً به، دون أن يأخذ بعين الاعتبار الحدود المعدمة التي فرضها الاستشراق على الفكر والعمل. وبكلمات أخرى فالشرق بسبب الاستشراق لم يكن، وليس موضوعاً حراً للفكر والعمل[3]. ولعلّ المفكر العربي الفلسطيني "إدوارد سعيد" كان من أفضل الّذين شخّصوا هذه الظّاهرة في كتابه المهم "الاستشراق"، وهو الّذي يُعرِّي بموضوعية ومنهج علمي، أساليب الاستعمار في رسم الصّورة المشوّهة للعربي والمسلم بشكل نمطي مبرمج في الكتب المدرسية وأفلام السينما وكلّ وسائل الإعلام.

كما لعبت السينما العالمية ووسائل الإعلام المغرضة التي تخضع لسيطرة واضحة من جانب الدوائر الصهيونية في العالم دوراً أساسياً في ترسيخ معالم تلك الصور النمطية وتضخيمها وتعميمها، حتى غدت بمثابة الحقائق الثابتة التي لا تحتمل النقاش، التي تحكم تعاطي كثير من أبناء الغرب مع الإسلام والمسلمين!. وللحقيقة، فقد لعب بعض أبناء المسلمين أنفسهم دوراً لا يستهان به في تصديق تلك الصور النمطية الشائنة، وذلك عن طريق سلوكهم المتخلف والمنحرف أثناء تجوالهم في عواصم الدنيا، مقدمين بذلك الأنموذج الأسوأ عن الشخصية المسلمة، ومن ثم عن الإسلام نفسه!.

وقد ظلت التنميطات المعادية للعرب والتعصب ضدهم موجودة طوال عقود عديدة، عمل الاعلام وأفلام هوليود، ومجموعات الولاءات السياسية، والحكومة بل وحتى النظام التعليمي بتناغم واتساق للحفاظ على تنميطات العرب والمسلمين بصفتهم إرهاب يين، غير عقلانيين

---

(1) الإستشراق أدوار سعيد ص 131-132

(2) الفكر الاسلامى - محمد اركون ص 35،36

(3) الإستشراق أدوار سعيد ص 39

يضطهدون النساء شهوانيين يدمنون العنف، جهلة، ويتكسبون من النفط. أن هذه الصورة لم تخرج إلى حيز الوجود نتيجة مكائد المحافظين الجدد واليمين الصهيونى بعد 9/11، فقد ظلت تتداول منذ عقود مع إجراء التعديلات عليها على مرّ السنين. ففي الأفلام الكلاسيكية المبكرة كانت هوليوود تصور العرب أحياناً علي أنهم نبلاء ومشبوهون في أن مفرطو الشهوانية، بدو ذكوريون، كما صورهم (سيسل بي. دوميل) في فيلم العرب 1915 أو فيلم -الشيخ- الشهير 1921. وفي السبعينيات ومع حظر النفط وظهور حركة التحرير الفلسطينية سارعت هوليوود والاعلام المطبوع إلى تصوير العرب على أنهم أشرار يتظاهرون بالقوامة الأخلاقية وإرهابيون يساريون كما جاء في فيلم الطبالة الصغيرة لديان كيتون. ومع ظهور الإسلام القتالي، ساعدت هوليوود مرتادى دور العرض في أمريكا الشمالية على تخيل أنه بالإمكان مجابهة هذة النزعة القتالية من خلال شوارزنجر وتشاك نوريس[1].

وقد تمكّن الاعلام الغربي بتقنياته الهائلة وتأثيره الواسع من نحت صورة نمطية غاية في السلبية عن الإسلام والمسلمين، صورة تحمل كل صفات القبح والإرهاب والتخلف... وما شئت من النعوت القدحية. وقد صدر في الأونة الأخيرة كتاب جدير بالاحترام لمؤلفه جاك شاهين بعنوان: «Reel Bad Arabs العرب السيئون.. كيف تشوه هوليوود شعبًا»، اشتغل عليه صاحبه زهاء عشرين عامًا، واستقصى فيه نحو ألف شريط سينمائي ووثائقي، وقد أحدث الكتاب صدمة في الأوساط الثقافية الأميركية لأنه خرج بنتيجة مفادها أن هوليوود كانت تمارس تشويها منظمًا ومقننا لصورة المسلمين على امتداد قرن من الزمان.

إن صناعة الخبر المشوه واستغلاله أيديولوجيًا لتعبيد الطريق أمام الحملات القادمة على الإسلام قد دخل في أجندة وسائل الاعلام الغربية منذ أمد، فالمتتبع لهذا الإعلام يلاحظ أنه يقوم بتصيّد بعض أخطاء المسلمين وينشرها ويعظم من شأنها ويؤكد أن هذا هو الإسلام، فجميع وسائل الإعلام وخاصة السينمائي المرئي يصور المسلمين على أنهم مجموعة من البدو يتسمون بالهمجية والتخلف وأنهم مصدر كل بلاء، ولا تمل قنواتهم من عرض نفس الصور النمطية المكررة والمنتقاة بعناية تظهر مشهدًا خلفيًا لأناس يصلون في العراء، وتجمعات حاشدة تولول وتهدد، ونساء منقبات، ووجوه ملتحية، وأفواه مفتوحة وعيون محملقة.

---

(1) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى - ترجمة فاطمه نصر - ط1 مكتبة سطور 2012 ص251

سادساً. تصرفات مسيئة من المسلمين

هناك أمور تتعلق بالمسلمين أنفسهم، تساهم في بروز ظاهرة الإسلاموفوبيا وانتشارها، كصدور تصرفات توحي بالتزمت والإرهاب والتطرف، من بعض المسلمين، وذلك يعد من أخطر التّحديات الّتي تواجه العالم الإسلامي والّتي تقدّم أمثلة سيّئة عن الإسلام والمسلمين. لأن ذلك يشعر العرب بأنهم متخلّفون جدًّا ويعادون الحضارة الحديثة، وليس عندهم ما يقدّمونه للعالم سوى النّفط والإرهاب والتّخريب، ولذا يرى الأستاذ عبد العزيز التويجري أن مصادر تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا هي ما يصدر عن العالم الإسلامي على مستويين اثنين:

أولهما تفشي الغلو والتطرف والتعصب والفهم العقيم لأحكام الإسلام ولمبادئه ولتعليماته، وهي ظاهرة ليست هينة لها امتداداتها واختراقاتها وأنعكاساتها على صورة الإسلام في الداخل والخارج .. فبعض أشكال الخطاب الإسلامي التي تميل إلى عدائية مفرطة تجاه الغرب يجب تجاوزها وسلوك طريق أكثر اعتدالا يناسب رسالية الإسلام ووسطيته؛ فالصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين تؤول في نهاية الأمر إلى «الصد عن سبيل الله»، وهذا يوجب تحمل المسؤولية لمعالجة تلك التشوهات أو الإسهام في ذلك. وثانيهما ما تمارسه فئات من أبناء المسلمين من جرائم تُحرّمها الأديان وتُجَرمها القوانين مما يدخل تحت دائرة الإرهاب الذي ينظر إليه باعتباره (إرهابًا إسلاميًا) وهذه نظرة خاطئة قاصرة وتوصيف بعيد عن حقيقة الأمر [1]

كما أن التطبيق المتزمت للإسلام، الذي يركز على الشكل على حساب الروح والمضمون، من جأنب بعض أنظمة الحكم التي تزعم اتخاذ الإسلام منطلقاً للتشريع فيها، له نصيب في عملية الإساءة إلى الإسلام وتخويف الناس منه. إذ أظهرته تلك الأنظمة وكانه جلاد قاس متحجر يطارد الناس لسلب حرياتهم وحرمانهم من كل مظاهر البهجة، وإجبارهم على إتيان الفرائض والطقوس الدينية على الرغم منهم!، ثم جاءت التفجيرات المدوية على أهداف مدنية في عدد من البلدان الغربية والإسلامية، والتي تبنتها جماعات تزعم انتماءها للإسلام، كتنظيم القاعدة بتفرعاته وداعش، لتصب في تيار تصعيد المخأوف من الإسلام، ولتعطي

---

(1) الاسلاموفوبيا ، سيكولوجيا المرض السياسي ، (مادة مرشحة للفوز في مسابقة كاتب الالوكة) ، موقع اسلاميات

لأعدائه المزيد من المبررات لمحاربته وتضييق الخناق عليه، بحجة مسؤوليته المباشرة عن توليد الإرهاب والإرهابيين!

سابعاً. ظهور الإسلام وانتشاره في العالم

لا نبالغ إذا قلنا أن تاريخ توتر العلاقة بين الغرب والإسلام يعود إلى اللحظة التي ظهر فيها الإسلام، أي إلى القرن السابع الميلادي. فظهور الإسلام وانتشاره ودخول شعوب نصرانية في دين الإسلام، والفتوحات الإسلامية التي حررت الشرق من الاستعمار الغربي (الإغريقي الروماني) الذي دام عشرة قرون، والفروسية الإسلامية التي اقتلعت الاستيطان الصليبي الذي دام قرنين من الزمأن.. كل ذلك جعل هذه المؤسسة تصب جام غضبها وكامل حقدها على هذا الوافد الجديد الذي زاحمها في مناطق نفوذها واقتحم عليها معاقلها.

كما أن الإسلام ذاته هو دين العالم النامي، بعد أن اختطف الغرب المسيحية واليهودية وأضفي عليهما لونه الأبيض على مر القرون. ومنذ القرن التاسع عشر ظل المبشرون البروتسانت يستهدفون السكان المسيحيين من ذوى البشرة السمراء والسوداء في الشرق الأوسط، وأفريقيا وأمريكا الجنوبية (الكاثوليك في غالبيتهم) والذين اعتبروهم مسيحيين صوريين. وبالمقابل ظل الإسلام يتعرض للهجوم من قبل الغرب لأنه يعتبر دينًا عربياً، دينا لذوي البشرة السمراء والسوداء لم تتمكن الثقافة الأمريكية الأوربية من إضفاء اللون الأبيض عليه بالأسلوب الذى جسدت به المسيح شخصا أزرق العينين وموسى مسترسل الشعر كما تصورهما أفلام هيولوود.[1]

ثامناً. مبررات للسيطرة ووقف انتشار الإسلام

أصبحت الإسلاموفوبيا تشكيل أيديولوجي يتم نشره واستخدامه لتسهيل تواجد الغرب والولايات المتحدة في العالم الإسلامي، ولجعل هيمنة الولايات المتحدة تبدو ضرورية [2].
فقد استنفد الغرب مُبرِّراته لاستعمار الشرق والبلاد العربية والإسلامية في القرن الماضي، ولم تبقَ وسيلة من وسائل استغلال الدين المسيحي عَبْرَ عملية التبشير الكبيرة، التي كانت تسبق

---

(1) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى - ترجمة فاطمه نصر – ط 1 مكتبة سطور 2012 ص255

(2) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى - ترجمة فاطمه نصر – ط 1 مكتبة سطور 2012 ص363

أو ترافق الحملات العسكرية، ولم يستطع أن يجد حجة؛ لكي يعيد استعماره من جديد، فلما وجد أن نسبةً لا بأس بها من الشَّعب الأمريكي والأوروبي بدأ يكتشف حقيقةَ الإسلام، كدين سماوي، وأخذَ يدخل الإسلام جماعات ووحدانا، شَعَرَ بالخطر من أن يصلَ هذا الدين إلى أبوابه الداخليَّة، فكان عليه أن يجدَ أي وسيلة توقف زحفه على أراضيه، فلم يجد أي وسيلة أنجع من وصف الإسلام بالإرهاب، كوسيلة دفاعية وقائيَّة لوقف انتشار هذا الدين.[1]

وهكذا فإن ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب هي من الظواهر الجديدة التي اقترنت بتصاعد موجة العنصرية والكراهية للإسلام، فهي صناعة إعلامية وبضاعة سياسية تضافرت في تضخيمها جهود دوائر كثيرة معادية للإسلام والمسلمين، وقد أراد بها مروجوها والمشاركون فيها تشويه هذا الدين الحنيف لأغراض سيئة ودوافع شريرة، لعل أبرزها الحد من انتشار الإسلام الذي شهد في الربع الأخير من القرن العشرين ولايزال يشهد اتساعاً واقبالا متزايداً على اعتناقه في شتّى القارات، والدافع الثاني هو الخوف من تأثيرات العالم الإسلامي في السياسة الدولية، بسبب القضايا العادلة التي تدافع عنها الأمة الإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية التي سخّر أعداء الإسلام والحق والسلام، كل إمكاناتهم الإعلامية والسياسية لطمسها والتعتيم عليها وتحريفها عن مسارها.[2].

"الإسلاموفوبيا" مظاهرها واهدافها:

منذ بروزها الذي تزامن مع بدأيات الفتوحات الإسلامية، عبرت ظاهرة الخوف المرضي من الإسلام عن نفسها عبر جملة من المظاهر، التي تفأوتت ما بين فترة زمنية وأخرى وحيز مكاني وآخر في طبيعتها، وفي درجة سلبيتها وحدتها. ويمكن الحديث في هذا الأطار عما يلي من مظاهر وأهداف لهذه الظاهرة:

1. الطعن في رسالة الإسلام والتشكيك بنبوة الرسول (عليه الصلاة والسلام):

منذ أنبعاث رسالة الإسلام، لم تكد تتوقف الأصوات التي تشكك بصحة تلك الرسالة وصدق صاحبها (عليه السلام). فكما هو معلوم، تعرض الإسلام منذ بزوغ نجمه إلى حملة

---

(1) الإسلاموفوبيا) -سيكولوجيا المرض السياسي- سامي أحمد الموصلي رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/6342/#ixzz3tcrWd1Fb

(2) الاسلاموفوبيا ، سيكولوجيا المرض السياسي ، (مادة مرشحة للفوز في مسابقة كاتب الالوكة) ، موقع اسلاميات

شرسة من جانب كثيرٍ من قبائل العرب واليهود لمحاربته وإجهاض دعوته. حيث أسند إلى الرسول الكريم الكثير من الصفات والنعوت الباطلة التي تطعن فيه على المستوى الشخصي، وترميه بالكذب والجنون والكهانة والسحر والاستبداد والتهالك على الشهوات...إلخ. ولذا فقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون من سماه المسلمون نبيًّا، وخاتماً لسلسلة الأنبياء التي بدأت بأدم عليه السلام، رجلاً عاش حياة داعرة، وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط. ولم يتورع خيال مسيحيي أوروبا، المتعطشين للظفر والتوسع، والذي نتجت عنه أساطير وهمية عدائية، عن خلق الأكاذيب وترويجها»[1]. يقول مارتن لوثر مؤسس الكنيسة البروتستانية: «لقد استيقنت أنه لا يمكن عمل شيء أكثر إزعاجاً لمحمد أو الأتراك، ولا أشد ضررًا (من جميع أنواع السلاح) من ترجمة قرآنهم ونشره بين المسيحيين، عندئذ سيتضح لهم أي كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع» [2]

وكأمثلة عارضة على ما تقدم، كان االفيلسوف الفرنسي (فولتير) قد نشر في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي كتاباً بعنوان: (التعصب أو النبي محمد)، وصف فيه الرسول الكريم بأنه "منافق وخداع ومحب للملذات الجسدية ومستبد"[3]. وقبل ذلك بقرون، أي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، كانت ملحمة (الكوميديا الألهية) لكاتبها (دانتي) قد تطاولت على شخص رسول الإسلام وصورته بما لا يليق به. وهو ما كرر فعله قبل عدة سنوات الكاتب الهندي (سلمان رشدي) عندما نشر سنة 1988م روايته الشهيرة (آيات شيطانية)، التي حظيت وصاحبها وما يزالان بدعم الغرب وحمايته وتكريمه، بدعوى الانتصار لحرية التعبير!. وتأتي الرسومات الكاريكاتورية الغربية لتنضاف إلى قائمة الإساءات المتعمدة ضد الإسلام ورموزه.

2- إثارة النزاعات بين المسلمين:

إنَّ مراجعة تاريخيَّة هادئة لهذا العداء المستحكم ضدَّ الإسلام عامة، والعرب المسلمين خاصَّة، وتحوله إلى خوف ورُعب وهستيريا مرضية، تجعلنا محققين في اعتبار هذه المسألة ليس

---

(1) لإسلام في التراث الغربي، ص 23.

(2) الإسلام في التراث الغربي- دراسات ألمانية، ترجمة ثابت عيد، طبعة نهضة مصر القاهرة 1999 (سلسلة في التنوير الإسلامي) ص: 21

3)) نظرة الغربيين للإسلام: جانب من الدراسات الغربية التي تناولت الإسلام"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (بلاغ) على الرابط التالي:
http://www.balagh.com/mosoa/garb/uq0xm36j.htm

عارضًا مؤقتًا، بل تمتد إلى الماضي بسنوات عديدة، تتجاوز كلَّ مُعطيات العصر الحاضر، ففي وثائق محفوظة في دار الوثائق القوميَّة في باريس ما يدل على أن لويس التاسع ملك فرنسا قال "أننا لا يُمكننا الانتصار على المسلمين من خلال حرب، وإنما يُمكننا الانتصار عليهم بواسطة السياسة".[1]. ومن مُفردات هذه السياسة، كما جاءت في الوثيقة: إشاعة الفُرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدثت، فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن؛ حتَّى يكون هذا الخلاف عاملاً في إضعاف المسلمين، وعدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقومَ فيها حاكم صالح، وإفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرِّشوة والفساد؛ حتَّى تنفصل القاعدة عن القمة والحيلولة دون قيام جيش مُؤمن يُحب وطنه، ويُضحي في سبيل مبادئه، والحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة.

وإذا كانت هذه وثائق تاريخيَّة مكتوبة، فقد تَحقق على أرضِ الواقع منها الكثير من خلال إلغاء الخلافة الإسلامية، وتقسيم الدول العربية والإسلامية، وزرع إسرائيل في المنطقة، يضاف إلى ذلك أن الدول الغربية، وبخاصة الاستعمارية منها، ما أنفكت، تبدي حرصاً واضحاً على تسليط الأضواء على مواطن الاختلاف القائم على أسس دينية في العالم الإسلامي والعمل على تضخيمها وتطويرها إلى مستوى الخلاف، سعياً إلى إثارة الصراعات بين المسلمين أنفسهم من جانب، والمسلمين والأقليات غير المسلمة من جانب آخر. ثم جاءت رؤية المحافظين الجدد للشرق الأوسط والتى تقوم على أساس نظرية الفوضى الشاملة[2]، لتؤكد السعى الغربي الدائم إلى تدمير وحدة الصف الإسلامي لإضعاف المسلمين.

3- السعي إلى إخضاع بلاد المسلمين واحتلالها (سيطرة ذهنية الحروب الصليبية):

كانت الحروب الصليبية على العالم الإسلامي، قد أنطلقت بذريعة تحرير المدينة المقدسة، أي القدس، من أيدي المسلمين (الوثنيين) في زعمهم. والواقع أن المجازر التي ارتكبها (الصليبيون) في المدن الإسلامية خلال تلك الحملات قد لا تعكس مجرد الخوف المرضي من الإسلام وأتباعه، بل تعكس درجة متقدمة من الحقد والرغبة في الانتقام، حيث يبدو أن تلك الروح (الصليبية) الحاقدة على الإسلام والمذعورة منه قد ظلت تتلبس العالم الغربي حتى

---

(1) آخر ساعة"، عدد: 2106، سنة 1975.

(2) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين – ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص360

أيامنا، وربما كان هذا يفسر جزءاً من الهوس الغربي بمحاربة المسلمين وإخضاعهم إلى هيمنته. فقد ظل العالم الإسلامي محط أنظار المطامع الغربية التي تقنعت خلف الرغبة في نشر رسالة المسيح وإنقاذ ذلك العالم من تخلفه وانحطاطه!. وهو ما ترجم على شكل عشرات الحملات والمؤامرات الاستعمارية التي انتهت باحتلال معظم أرجاء العالم الإسلامي وتمزيق وحدته، بإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية عام 1918.

وتتعدد الشواهد التي تؤكد استمرارية حضور الذهنية التي انطلقت منها (الحروب الصليبية) في أعماق الكثيرين من أبناء الغرب حتى عصرنا الحديث. فعلى سبيل المثال، عندما احتلت القوات البريطانية مدينة القدس سنة 1917 بقيادة الجنرال (اللنبي) الذي كان أول غربي يدخل المدينة منذ تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي، هتف (اللنبي) معلناً: "الآن أنتهت الحروب الصليبية"[1] وعندما اجتاحت القوات الفرنسية مدينة دمشق بعد انتصارها في معركة ميسلون عام 1921، توجه قائد القوات الفرنسية الجنرال (غورو) إلى قبر صلاح الدين الأيوبي قائلاً: "انظر يا صلاح الدين ها قد عدنا"[2]. ويقال أن في جنوب فرنسا، وفي المكان الذي انطلقت منه الحروب الصليبية على وجه التحديد، جمعية تعقد اجتماعاً دورياً كل عام حتى يومنا هذا لاستحضار الأجواء التي احتضنت ولادة الحروب الصليبية، حيث يتم في الاجتماع إلقاء الخطب المحاكية لخطبة البابا (أوربان الثاني) الذي أعلن عن انطلاق تلك الحروب.[3]

وتشكل (زلة اللسان) الشهيرة للرئيس الأمريكي (جورج بوش) التي انزلق فيها إلى القول بأن حربه على الإرهاب بعد تفجيرات الحادي عشر من أيلول هي (حرب صليبية) مؤشراً مهماً على استيطان فكرة الحروب الصليبية في أذهان كثير من رجال السياسة في العالم الغربي، وتعبيراً عن إرث غربي قديم يتم توارثه[4]، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي

---

(1) مجلة الطليعة القاهرية"، عدد ديسمبر، عام 1966، ص84.

(2) لقومية والغزو الفكري"، ص84.

(3) لميلاد، زكي. نحن والعالم: من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، 2005، ص90- 91

(4) يزخر كتاب نشره جورج بوش الجد عام 1831 بعنوان (حياة محمد) بالحقد على الإسلام والمسلمين، حيث نقرأ في الكتاب: " ما لم يتم تدمير إمبراطورية المسلمين، فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم=

شهدت بعد تفجيرات 11 سبتمبر استحضاراً صاخباً لتلك الفكرة فعلى سبيل المثال، يجاهر القس الأمريكي (فيليب بينهام) بالدعوة عبر منابر الإعلام إلى إطلاق "الحملة الصليبية ضد الشر لإنقاذ الولايات المتحدة... عن طريق كشف كذبة اسمها الإسلام"، معلناً أن "النبي محمد ذبح الملايين منذ ظهوره مطلع القرن السابع"[1].

4- إضعاف العرب والعمل على عدم وحدة المسلمين: هذا ما أكده مؤتمر أوروبي عام 1907 ضم نُخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين، دام شهرًا كاملاً برئاسة وزير خارجية بريطانيا، الذي قال في افتتاح المؤتمر: "أن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضي علينا أن نبحثَ في هذا المؤتمر عن وسيلة فعَّالة تحول دون انهيار حضارتنا"، وقد خرج المؤتمر في بعض توصياته على اعتبار المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوروبا؛ ولذا عملوا على منع إيجاد أي اتِّحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط؛ لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوروبا. [2]

أمَّا أهم أهدافهم، فكان إبقاء العرب ضعفاء؛ حيث يعتقدون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية ؛ يقول مورو في كتابه "العالم العربي المعاصر"[3]: "لقد ثبت تاريخيًّا أن قوة العرب تعني قوة الإسلام، فليدمروا العرب بتدمير الإسلام"، ثم وضعوا خططًا؛ لإنشاء دكتاتوريَّات سياسية في العالم الإسلامي، وكما يقول المستشرق الأمريكي وك سميث[4]: " إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فأن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالدكتاتوريات وحدَها يُمكن الحيلولة بين الشُّعوب الإسلامية ودينها". وقد نصح رئيس تحرير مجلة تايم في كتابه "سفر آسيا" الحكومةَ الأمريكيَّة أن تُنشئ في البلاد

=وأجدادهم"، أنظر: العكش، منير. حق التضحية بالآخر.. أمريكا والإبادات الجماعية، بيروت: دار رياض الريس للكتب والنشر، 2002، ص 149.

(1) الشيشاني، مراد بطل. "المجتمع الأمريكي بعد 11 سبتمبر"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الجزيرة) على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/647C5FC5-657D-465D-A995-09D53CF8D25F.htm

(2) المؤامرة ومعركة المصير"، ص25.

(3) دمروا الإسلام أبيدوا أهله" ص68.

(4) جند الله"، ص29.

الإسلامية دكتاتوريات عسكرية؛ للحيلولة دون عودة الإسلام للسيطرة على الأمَّة الإسلامية، ومن ثَم الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره. يقول المبشر لورانس براون[1]: "إذا اتَّحد المسلمون في إمبراطورية عربيَّة، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم، وخطرًا، وأمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له، إذا بقوا مُتفرقين، فأنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير، يجب أن يبقوا مُتفرقين؛ ليبقوا بلا قوة ولا تأثير"، وهذا ما نحن عليه اليوم، كأنّنا ننفذ إستراتيجيَّة الغرب هذه حرفيًّا.[2]

إنَّ الغربَ قد شخص بدراساته مصادرَ قُوَّة المسلمين، وعمل على إضعافها في كل سياساته، فعمل على إبعاد القادة المسلمين الأقوياء عن استلام الحكم في دول الإسلام؛ حتَّى لا ينهضوا بالإسلام، وهذا ما عبر عنه خير تعبير المستشرق البريطاني مونتجمري في التايمز اللندنية عام 1968؛ حيثُ قال: "إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهرَ كإحدى القُوى السياسية العُظمى في العالم مَرَّة أخرى"[3]. ويقول المستشرق جب:"أن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مُذهلة تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجارًا مفاجئًا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الريبة في أمرها، وهي لا ينقصُها إلا وجود الزَّعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين من جديد".[4]

سيكولوجية الإسلاموفوبيا

حينما نُحاول أن نُحلل سيكولوجية الشخصيَّة الغربية المرضية، في ضوء هذا الخوف والرعب الهستيري غير المبرر عقليًّا، ونُحاول الاستفادة من علم النَّفس والطب النفسي، نجد أن مصطلح.الإسلاموفوبيا هو المصطلح الأكثر تعبيرًا عن عقدة الخوف، والهلع من انتشار الإسلام، ونفوذ قوته الدينية والثقافية والبشرية داخل المجتمعات والدول الغربية، إنَّها تدل في القواميس تحديدًا على القلق العصبي أو العصاب النَّفسي الذي لا يَخضع للعقل، ويساور المرء بصورة جامحة، من حيثُ كونه رهبة في النَّفس شاذة عن المألوف، يصعب التحكم فيها، وتدل

---

(1) جذور البلاء"، ص202.

(2) نصا عن : علاء الدين ال راشي ، هل يتحمل الغرب مسؤلية شقاء العرب والمسلمين ؟ اصول التلاقي والحوار مع الغرب ،مركز الناقد الثقافي ، مؤسسة ثقافية فنية مستقلة ، 2009 ، ص 127- 129

(3) التايمز اللندنية"، عام 1968.

(4) الاتجاهات الحديثة في الإسلام"، ص365

أيضًا على خوفٍ لا شعوري من أشياء أو أشخاص أو مواقف ليس له في الشُّعور ما يبرره أو يفسره، كما أنها تدل في الأصطلاح العام على ما ثم ترسيبه وتكريسه وإشاعته، من قلق مرضي وخوف نفسي لا شعوري لدى الغرب من الإسلام، وكل ما يتصل به، وينتعش هذا المصطلح بصورة أكبر عندما يحتد العداء الغربي للإسلام، ويظهر من خلال الإعلام الغربي[1].

ولا شكَّ أن هذا الخوف الهستيري من الإسلام لم يبقَ عند حدودِ الكلام بعد أحداث 11سبتمبر 2001، فقد عبر عن نفسه تعبيرًا واضحًا، كما يقول الأستاذ سعيد اللاوند في كتابه "الإسلاموفوبيا": "فالأوربيون مرعوبون من الوقوع في الأسر الإسلامي، ويشير الكاتب إلى أنه منذ الحروب الصليبية على الشَّرق قبل تسعة قرون إلى ما بعد هجمات 11سبتمبر 2001 لا يزال العرب - وخاصَّة المسلمين - هم الشيطان، الذي رأت بعض دوائر الغرب أن تتجنبه أو تُحاربه إذا لزم الأمر، وهو يرى أن ظاهرة الخوف المرضي من الإسلام هو حصيلة مُقدمات وأحداث مُتراكمة جعلت مَن يُدين بالإسلام مجرمًا، وإرهابيًّا، ومن ثم يتعين الحذر منه، والابتعاد عنه، وهكذا بدا العالم - خصوصًا في أوروبا وأمريكا - كانه مصاب بلوثة عقليَّة، جعلته يكره العرب والمسلمين، ويراهم أقوامًا أشرارًا ولصوصًا وفوضويين. [2]

وفيما يلي بعض المشاهد التي تتجلى فيها مظاهر الخوف والتخويف من الإسلام [3] في الدول الغربية:

- الهجمات اللفظية والجسدية على المسلمين في الأماكن العامة. ولاسيما ضد الشباب والنساء اللواتي يرتدين الحجاب، والاعتداء على المساجد وتدنيس مقابر المسلمين وذلك بالكتابة على الجدران وإلقاء القنابل الحارقة.
- انتشار صورة نمطية سلبية عن المسلمين على نطاق واسع في وسائل الإعلام، وترويج هذه الصورة النمطية والملاحظات السلبية والأحكام المسبقة في الخطب السياسية

---

(1) مجلة الوعي الإسلامي"، عدد: 491سنة 2006، ص44.

(2) الإسلاموفوبيا) -سيكولوجيا المرض السياسي- سامي أحمد الموصلي رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/6342/#ixzz3tcrWd1Fb

(3) الإسلاموفوبيا.. أسباب البروز وإمكانات التجاوز محمد شتوان – الوعى الاسلامي- عدد569 سنة 2012- تصدر عن وزارة الاوقاف المغربية

والدينية وفي المحادثات والكتابات بشكل لن يكون مقبولًا إذا كان الحديث عن اليهود أو السود على سبيل المثال.

- التميز والإقصاء من الحصول على فرص العمل، وتوفير الخدمات، واستبعاد المسلمين أفرادًا وجماعات من مباشرة الشأن العام والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
- البيروقراطية والجمود في الرد على طلبات المسلمين في التعليم والرعاية الصحية والترخيص لطلبات الحصول على المساجد، وفرض قوانين الحد من الحريات المدنية التي تؤثر بشكل غير مناسب على المسلمين.[1]
- طالت ظاهرة الإسلاموفوبيا كل الفضاءات الاجتماعية وعلى رأسها المدارس العمومية التي يمنع فيها على الفتيات ارتداء الحجاب وحتى عصاب الرأس والفستان الطويل ويفرض على الأمهات المرافقات لأبنائهن أثناء الخروجات المدرسية الظهور سافرات.
- تحول التدين إلى عامل قانوني يحول دون الحصول على الجنسية وإلى مصدر تعنيف وترهيب، وقد أخذ ذلك أبعاداً خطيرة في الأعوام الأخيرة كما بينته الاعتداءات الجسدية واللفظية التي أحصاها المرصد الفرنسي لمناهضة الإسلاموفوبيا [2]

وهكذا فإن لائحة التهم هذه التي تستقي مدادها من محبرة الحقد والعداء، والتي تعمل جهات معينة على نشرها وتعميمها، ترسم صورة قائمة عن الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية، وتسهم بالتالي في تفاقم ظاهرة الإسلاموفوبيا، وفي تغذية المشاعر السلبية المتزايدة ضد المسلمين، والتي تتجلى في مظاهر الرفض والكراهية لكل ما يمت للإسلام والمسلمين بصلة، حتى أضحى لا يمر أسبوع أو اثنان إلا وتتناقل وسائل الإعلام واقعة جديدة في مسلسل الاشتباك مع الإسلام، فمن اعتقالات عشوائية إلى منع للحجاب، ومن منعٍ للمآذن وحديث عن هدم بعضها إلى الطعن في نبي الإسلام والسخرية منه..

وفي الوقت الحاضر تتزايُد موجة العداء والكراهية للإسلام في العديد من الدول الأوربية، ويصاحب ذلك مزيدٌ من التَّضييق على المهاجرين، خاصَّة في ظل تنامي قوَّة الأحزاب اليمينيَّة

---

(1) لمزيد من التفصيل في هذه الاعتداءات ينظر تقرير منظمة حقوق الإنسان Hate Crime Survey: 2007 Islamophobiaالمنشور بموقعها الإلكتروني www.humanrightsfirst.org :

(2) الإسلاموفوبيا- المؤلفان: عبد العالي حاجات ومروان محمد- الناشر: لاديكوفرت- الطبعة: الأولى، 2013 عرض/بوعلام رمضاني

المتطرِّفة، وتتزايد الضَّغينة الغربيَّة يومًا بعد يوم للإسلام والمسلمين، لذا هم يحاولون القضاء على الإسلام، وتختلف الأساليب والهدَف واحد، وهو إصابة الإسلام في مقتل، فأمريكا استندت إلى الحادي عشر من سبتمبر، وبريطانيا تسنُّ قوانين لمحاربة الإرهاب وتقصِد بذلك الإسلام، وفرنسا تصنع من الحِجاب والنِّقاب مشكلة قوميَّة، وأيطاليا وإسبانيا تشرع قوانين للهجْرة لطرْد المسلمين، والدنمارك تسخر من رسول الإسلام (صلَّ الله عليه وسلم) واللائحة طويلة[1].

العلاقة بين"الإسلاموفوبيا" و"والديموغرافوبيا":

في إطار الاهتمام المحْموم بالتحوُّلات الديموغرافية - وبِخاصَّة في أوربَّا - توقَّع خبير الشؤون الإسلامية والشرق أوسطية "المؤرخ برنارد لويس" أن تُصبح أوربَّا إسلامية، وجزءًا من المغرب العربي قبْل نهاية القرن الحالي؛ استِنادًا إلى التحوُّلات الديموغرافيَّة التي تشْهدها القارَّة الأوربية. وفي حديث خاصٍّ لصحيفة"دي فيلت" الألمانيَّة قال: أن الأوربيين يتزوَّجون متأخِّرين، ولا يُنجبون أطفالا إلا بعددٍ قليل، بينما يبرز النَّقيض المعاكس تدريجيًّا، والَّذي يتجلَّى في حضورٍ تركي كبير في ألمانيا، وعربي كبير في فرنسا، وحضور إسلامي باكستاني في بريطانيا، وأن هؤلاء يتزوَّجون باكرًا، ويُنجبون أطفالاً بكثرة.

وسجَّل النموُّ الديموغرافي الإسلامي في أوروبَّا وأمريكا تصاعُدًا مهمًّا، حيث بلغ عدد المهاجرين من شمال إفريقيا إلى فرنسا 2,4 مليون في العام 1975، مقارنةً بأقلَّ من 100 ألفِ شخصٍ في العام 1946، كما قفز عددُ المهاجرين الأتْراك لأوروبَّا من 715 ألفًا لعام 1974 إلى 3,5 ملايين في 2005. وفي نفس الآن، رافق ذلك تضاعُف عدد العاطلين عن العمل بأوروبَّا إلى أكثرَ من 160٪ في الفترة من 1978- 1982[2].

ولَم تلبث أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن منحت هاجس الخوف على الهويَّة الأوربية من موجات الإسلام المتصاعدة بُعدًا آخر، فأصبح المسلم "عدوًّا إرهابيًّا". ولهذا قال النَّائب الهولندي -المشهور بمواقفه العدائيَّة للإسلام - "أخيرت فلدر": "أن لديَّ مخاوفَ من أن

---

(1) الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفى البرجاوي- 2011/5/10 مجلَّة الوعي الإسلامي-

(2) الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفى البرجاوي- 2011/5/10 مجلَّة الوعي الإسلامي-

الأوروبيين بدؤُوا في الآونة الأخيرة يفقدون هويَّتهم، خصوصًا بسبب تنامي هجْرة المسلمين للقارة الأوروبية، لاسيَّما هولندا. وحذر من أنه إذا ما ظلَّت معدَّلات الهجرة على النَّحو الَّذي هي عليْه الآن، فإن التَّوازُن الديموغرافي في أوروبَّا سينقلب لمصلحة المسلِمين، والقادمين من الدُّول الإسلامية".

كما نشرت صحيفة "صندي تليغراف" تحقيقًا أجْرتْه خلص إلى أن نسبةً تصل إلى خُمس سكان دول الاتحاد الأوروبي الـ27 ستصبح مسلِمة بحلول العام 2050م. وفي التحقيق أن بريطانيا، وأسبانيا، وهولندا ستملك أكبر حصَّة من المسلمين خلال فترة وجيزة، لكن ارتفاع معدَّلات الهجْرة إليها من الدول الإسلامية، مقرونًا بانخِفاض معدَّلات الولادة للسكان الأصليِّين فيها - يعني أن العدد مرشَّح للارتفاع. وأشار تحقيق الصَّحيفة إلى أن أسماء"محمد، وآدم، وريان، وأيوب، ومهدي، وأمين، وحمزة"، منتشِرة على نطاق واسع.[1]

مظاهر الإسلاموفيبيا في بريطانيا:

أن حقيقة هذا المرض لدى الغربيين لا يُمكن تجاهله، ففي تقرير عن مؤسسة بريطانيَّة تعتبر من أهم مُؤسسات تحليل الواقع العرقي في بريطانيا، يقول كونداي في مقدمة التقرير: "إذا كنت تشك في وجود الإسلاموفوبيا في بريطانيا، فأنني أقترحُ عليك قضاء أسبوع في قراءة الصحف المحليَّة والقوميَّة، كما فعلتُ أنا، وستجد أن المقالات التي تشير إلى المسلمين أو إلى الإسلام فيها تعليقات ساخرة مُتحيزة ومعادية، وهي في الغالب غير مهذبة؛ بل في بعض الأحيان تكون التعليقات وقحة، وحيث يسير الإعلام، فأن الآناس يسيرون وراءه، والمسلمون البريطانيون يعانون التفرقةَ العنصرية في أماكن الدِّراسة والعمل".[2]. ويذكر التقرير أن الإسلاموفوبيا صارت ظاهرة مُتمكنة من الأدراك العام؛ حتَّى أصبحت جزءًا من الحياة اليوميَّة بنفس الطريقة، التي كان فيها العداء للسامية في بداية القرن العشرين، وقد نظمت عناصر اليمين المتطرِّف مظاهرة عنصريَّة مناهِضة للإسلام في مدينة "نوتنجهام"

---

(1) الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفى البرجاوي- 2011/5/10 مجلّة الوعي الإسلامي-

(2) مجلة الوعي الإسلامي"، ص44.

الإنجليزية، شارك فيها 500 متظاهر، وذكرت صحيفة "الأوبزرفر": أن هذه التظاهرة تم تنظيمها بدعوى ارتِفاع عدَد الأجانب المهاجرين في بريطانيا. [1]

وقد قامت مؤسسة بريطانية تعنى بأمور حقوق الإنسان والأقليات والعرقيات في المجتمع البريطاني، في تقرير لها بعنوان: «الإسلاموفوبيا: تحد لنا جميعاً» بوضع مجموعة من المحددات أو العناصر التي متى وجدت فتم ظاهرة «الإسلاموفوبيا».. وهذه المحددات هي:

-1 النظر إلى الإسلام على أنه كتلة متجانسة أحادية جامدة لا تستجيب للتغيير.

-2 النظر إلى الإسلام على أنه كائن مستقل ليس له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى وهو لا يتأثر بها أو يؤثر فيها.

-3 النظر إلى الإسلام على أنه دوني بالنسبة للغرب.. بربري وغير عقلاني، بدائي وجنسي النزعة.

-4 اعتبار الإسلام عنيفاً وعدوانياً ومصدر خطر مفطوراً على الإرهاب والصدام بين الحضارات.

-5 اعتبار الإسلام أيديولوجية سياسية لتحقيق مصالح سياسية وعسكرية.

-6 الرفض التام لأي نقدٍ يقدم من طرف إسلامي للغرب.

-7 استعمال العداء تجاه الإسلام لتبرير ممارسات تمييزية تجاه المسلمين وإبعادهم عن المجتمع المهيمن.

-8 اعتبار العداء تجاه المسلمين أمرًا عاديًا وطبيعيًا ومبررًا[2].

مظاهر الإسلاموفيبيا في فرنسا:

في كتابهما الإسلاموفوبيا يرى المؤلفان عبد العالي حاجات ومروان محمد، أن الإسلاموفوبيا في فرنسا لم تدرس كظاهرة اجتماعية وتاريخية على نطاق واسع، خلافاً لما حدث في البلدان الأنغلوساكسونية على مستوى البحث الجامعي وذلك ما تسبب في استمرار وطغيان الإثارة

---

(1) الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفى البرجاوي- 2011/5/10 مجلّة الوعي الإسلامي-

(2) الإسلاموفوبيا.. أسباب البروز وإمكانات التجاوز محمد شتوان – الوعى الاسلامي- عدد569 سنة 2012- تصدر عن وزارة الاوقاف المغربية – الرابط :
/http://www.alwaei.com/site/index.php/569/naby/6587

الاعلامية والأحكام الأيديولوجية المتسرعة الناتجة عن أفكار مسبقة ومغرضة. ويؤكد مؤلفا الكتاب الدور الخطير الذي لعبه المثقفون في الترويج للإسلاموفوبيا كالإيطالية أوريانا فلاتشي التي وصفت المسلمين بالفئران في كتابها "الغيظ والكبرياء" الذي لاقى رواجاً كبيراً في فرنسا، وميشال أولبيك الذي قال أن "الإسلام أكثر الأديان بلاهة" وقال أننا "ننهار حينما نقرأ القرآن"، وأسمي المسلمين بـ"سكان الصحراء التافهين". وكذا أيضا كريستين تاسان التي دعت إلى منع القرآن الكريم في مقال تحت عنوان "ماذا نفعل بالمسلمين بعد منع القرآن الكريم"، وإريك زمور الذي أيد حرية إهانة الرسول (صلّ الله عليه وسلم) في رسوم كاريكاتيرية اعتبرته إرهابياً باسم حرية التعبير[1].

ويرى الكتاب أنه لا يمكن فهم ظاهرة الإسلاموفوبيا خارج سياقها التاريخي والسياسي والاجتماعي الذي يؤكد استمرار التعامل الاستعماري مع أبناء مستعمرات أفريقيا الشمالية. وهذا ما عالجه عالم الاجتماع بيار بورديو حينما تحدث عن السبب الحقيقي والخفي لبروز الظاهرة بقوله أن سؤال هل يجب قبول أو رفض الحجاب في المدارس؟ يخفي سؤالاً حقيقياً يتمثل في "هل يجب قبول مهاجري أفريقيا الشمالية في فرنسا أم لا. وقد جاء تأكيد لهذا التحليل عندما أعلنت وزيرة العدْل الفرنسيَّة "ميشيل أليوت ماري": أن الحكومة الفرنسيَّة ستمنع إعطاء الجنسيَّة الفرنسيَّة للرِّجال الذين ترْتدي زوجاتُهم النقاب.[2]

ولذا فإن إسلاموفوبيا الدولة الفرنسية العنصرية، حولت عمال مصنع سيارات بيجو ستروان المضربين إلى مسلمين متزمتين ومتشددين في الخطاب الاعلامي والسياسي على أعلى المستويات، من خلال صحافة راحت تنشر صور العمال وهم يؤدون الصلاة، ورسومات كاريكاتيرية في شكل حجاب يغطي السيارات. ويومها تحدث الباحث برونو أيتيان -الذي يمثل المدرسة الاستشراقية بحسب إدوارد سعيد ومحمد أركون- عن الإسلام الذي يتعارض مع علمانية الدولة الفرنسية والحضارة المسيحية: "الإسلام يطرح مشكلة حقيقية تجب مواجهتها"، ويومها ندد مسؤولون فرنسيون "بالعمال الأصوليين المضربين وبالشيعة"

---

(1) الإسلاموفوبيا- المؤلفان: عبد العالي حاجات ومروان محمد- الناشر: لاديكوفرت- الطبعة: الأولى، 2013 عرض/بوعلام رمضاني

(2) الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفى البرجاوي- 2011/5/10 مجلّة الوعي الإسلامي

و"بجماعات دينية وسياسية تحدد مواقفها وفق معايير لا سند لها في الواقع الاجتماعي الفرنسي"[1].

وفي واقع الأمر تضفي الإسلاموفوبيا الثقافية سمة عقلانية على نزع أهلية المسلمين للحقوق المدنية وحرمانهم منها. كما أن أثر وابل البروباجند والتعليقات والصور المعادية للعرب والمسلمين شديد الوضوح، حيث يرى الغرب أن المسلمون عازمين على تدمير العالم الحر من خلال الإرهاب والغذر وتقويض الحريات المدنية، لذا فهم غير مؤهلين في ظل الحرب على الإرهاب لاكتساب تلك الحقوق ناهيك عن استحقاقها[2].

جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا (الصهيونية والأصولية المسيحة)

أصدر مركز التقدّم الأميركيّ، وهو مركز أبحاث أميركيّ ليبراليّ التوجّه، تقريراً يوضّح مدى تطوّر شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا خلال السّنوات العشر الأخيرة، والنموّ السّريع والمتصاعد لتلك الظّاهرة، والتي تطوّرت بصفةٍ ملحوظة منذ عام 2001. فقبل عشر سنوات، لم تكن شبكة الإسلاموفوبيا بهذا الحجم، وما كانت تضمّ كلّ هؤلاء الإعلاميّين والكتّاب والسّياسيّين والقادة الجماهيريّين. ولم تكن أيضًا قد انتشرت في نواحٍ مختلفة من الحياة العامّة الأميركيّة، وخاصّة على المستوى السياسيّ الجماهيريّ. وهذا يعني أننا أمام خطر حقيقيّ متنامٍ، وهو جرس إنذار عالي الصّوت لكلّ المعنيّين بمكافحة الظّاهرة ومواجهتها، وهي التي تؤثّر يوميًّا في صورة الإسلام والمسلمين في أميركا وفي العلاقة بين الولايات المتّحدة ودول العالم الإسلامي.

وتقول الدّراسة إنّ الإسلاموفوبيا هي "خوف، أو كراهية، أو عداء مبالغ فيه ضدّ الإسلام والمسلمين، وتقوم على صور نمطية سلبيّة، وتؤدّي إلى التحيّز ضدّ المسلمين والتمييز ضدّهم وتهميشهم وإقصائهم من الحياة الأميركيّة الاجتماعية والسياسيّة والعامّة". وهذا يعني أن الإسلاموفوبيا ليست تحيّزًا عارضًا ضدّ الإسلام والمسلمين بسبب عدم المعرفة أو الجهل، وينتهي عند الشكّ البسيط القابل للزّوال في أقرب فرصة، إنما الإسلاموفوبيا خوف وعداء

---

(1) الإسلاموفوبيا- المؤلفان: عبد العالي حاجات ومروان محمد- الناشر: لاديكوفرت- الطبعة: الأولى، 2013 عرض/بوعلام رمضاني

(2) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص251

مبالغ فيهما لا يتوقّفان فقط عند مستوى الشّعور أو الفكر، بل يتخطّيانه إلى مستوى العمل من خلال الحضّ على - أو المشاركة في - تهميش المسلمين والإسلام كجماعة ودين من الحياة العامّة الأميركيّة على مستوياتٍ مختلفة وتشويه صورتهم. وتشرح الدّراسة أمثلة عديدة لكتّاب وسياسيّين وكتب وسياسات ومظاهرات وحركات جماهيريّة شاركت في ذلك.[1]

فقد عمدت المنظمات السياسية واللوبيات وجماعات الفعل السياسي ومعها المرتزقة المكارثيون والمنظرون المأجورون، والنشطاء والمواطنون العاديون، عمدوا بجد وحماس ديني إلي استهداف المسلمين الأمريكيين، والمفكرين، والطلبة المسلمين والجامعات، ومارسوا العنف ضدهم، في محاولة منهم لإشاعة مناخ من الخوف والترهيب والرقابة الذاتية. أن الإسلاموفوبيا ذريعة أيديولوجية تتيح للحكومة التحكم في السكان، المسلمين وغير المسلمين علاوة على إضفاء الطابع المؤسسي علي الإجراءات السياسية والعسكرية بالخارج[2]

وهكذا وظفت الإسلاموفوبيا كتبرير أيديولوجى لحرمان عشرات الآلاف من الحريات المدنية وتكوين ملفات عنهم والاحتجاز غير القانوني لعشرات الآلاف من المقيمين الشرعيين، والتغاضي عن اختطاف المشتبه فيهم وتعذيبهم وتشريع التجسس على المواطنين الأمريكيين ومراقبتهم والإيقاع بهم وحدوث سابقة لاغتيال مواطنين أمريكيين، وأصبحت الإسلاموفوبيا مبرواً ثقافياً مقبولاً لإرهاب المفكريين والباحثين والطلبة والناشطين والإخماد الاستباقى للمعارضة السياسية بالولايات المتحدة[3].

الإسلاموفيبيا امتداد لحركات الكراهية :

إن الإسلاموفوبيا هي امتداد لحركات الكراهية الأميركيّة. وهي حركات عديدة وقديمة قدم أميركا نفسها، وعانت منها تاريخيًّا جماعات أميركيّة مختلفة كالسّود وبعض المهاجرين وبعض الطّوائف الدينيّة المسيحيّة لأسباب مختلفة، و"للأسف المسلمون الأميركيون والإسلام هما

---

(1) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- - علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011

(2) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر - ط1 مكتبة سطور 2012 ص365

(3) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر - ط1 مكتبة سطور 2012 ص97

الفصل الأحدث في كفاح أميركيّ طويل ضدّ استخدام الآخرين رَحِمَهَاٱللَّهُكبش فداء' لأسباب دينيّة وعرقيّة وعقائديّة. وهنا يشير "بول فندلي" إلى أن "التهجم على الغرباء الأوغاد الموهوبين ليس بالأمر الجديد في أمريكا. فمنذ سنوات طويلة، حذر الساسة الساعون إلى كسب الشعبية من "الخطر الأصفر" الداهم، للحض على معارضة الهجرة من الصين. وفي فترة لاحقة، وعندما أصبح حاكم نيويورك "آل سميث" فيما بعد، أول مرشح كاثوليكي روماني للرئاسة، سرت همهمات تحذر من أنه سيأتي بالنفوذ البابوي المشؤوم مباشرة إلى البيت الأبيض. ومن بعدها جاء التهديد بـ"الخطر الأحمر" الذي رمز إلى الاتحاد السوفيتي. واليوم غالباً ما يسمى الإسلام الخطر الجديد، الآتي من وراء الأفق، الأخذ مكان الاتحاد السوفيتي البائد، بيد أنه محتفظ بقدرة مشابهة لقدرته على التغلغل والتوسع، بحسب ما يدعيه المتقَولون "[1].

وتسود الإسلاموفوميا جميع مستويات الحياة الأمريكية، من اليمين إلى اليسار، ومن المتدينين إلى الملحدين. ويمكن القول أن الرئيس السابق بوش وداعميه من الأصوليين، أشخاص يسيطر عليهم هوس الإسلاموفوبيا ويعتقدون أن كل مسلم حقير أحمق- وإرهابي. ومن الناحية الأخرى نجد أن الديموقراطيين والليبراليين يعمدون بسهولة إلي نشر التنميطات التى تستدعى لا عقلانية العرب والمسلمين وعداءهم للحداثة من أجل تبرير دعمهم لهيمنة الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية.[2] يقول عبدالقادر فهمي: "أن معظم صانعو السياسة الخارجية الأمريكية أظهروا تأثيرا مفرطا في القيم الثقافية السائدة عند صياغة سياستهم تجاه المسلمين فالتطورات الذهنية والمدركات الحسية الثقافية لمعظم الأمريكيين بشأن العرب المسلمين تمحورت حول كونهم "خطرين" أو أنهم "ليس أهلا للثقة" وغير ديمقراطيين[3].

وهكذا فإن شبكة الكراهية ليست حديثة في أميركا، ولكن قدرتها على التّنظيم والتّنسيق ونشر أيديولوجيّتها من خلال المنظّمات الجماهيريّة زادت دراماتيكيّا خلال السّنوات العشر

---

(1) بول فندلي، لا سكوت بعد اليوم، مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا، ط1، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، 2001، ص88.

(2) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر - ط1 مكتبة سطور 2012 ص40

(3) عبدالقادر محمد فهمي، مكانة الإسلام والمسلمين في الإدراك السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، مجلة العلوم السياسية، العدد 19، بغداد، 1999، ص41.

الأخيرة. أكثر من ذلك، فإن قدرتها على التّأثير في خطاب السياسيّين وقضاياهم الخلافيّة في انتخابات عام 2012 حوّلت أفكارًا كانت تعتبر في السّابق خطابًا متطرّفًا إلى تيّار عامّ رئيسيّ"[1]، و"لا يزال الإسلام في نظر كثير من الأمريكيين يمثل ثقافة عدائية، وخطراً على مصالحهم وقيمهم الثقافية. وتتجذر معظم آراء الأمريكيين عن المسلمين إلى حد ما، في الأصول الدينية للولايات المتحدة ولربما تعزى هذه الآراء أيضا إلى نزاع تاريخي بين المسيحيين والمسلمين، أي إلى مجابهة تنتقل عبر الأجيال عن طريق الأثار الأدبية، والمأثورات الشعبية، ووسائل الإعلام الجماهيرية واللغة الأكاديمية المرعبة"[2].

ومن هنا فإن الاتهامات التى توجه للعالم العربى والتنميطات عن تخلفه شكلّت الأساس التحتيّ لسياسة الولايات المتحدة الخارجية تجاهه منذ الحرب الأولى. فقد وَسمت الإسلاموفوميا العرب والمسلمين بالعداء العصامى المتطرف للسلوك الحديث المعياري، وهذه المفاهيم ليست هي قبيل الصدفة أو نتيجة فهم مغلوط أو جهل أو عزلة ثقافية أمريكية أو حتى توجه اجتماعي/ نفسى روتينى لإسقاط الصور السلبية على آخر غريب. لقد رأينا أن شبكة المنظرين الكبار للتبريرات القائمة على الإسلاموفوبيا ومهندسيها من أجل توسيع مدى الإمبراطورية الأمريكية تصل عميقا وتتخلل الإعلام وقاعات المجالس والغرف السياسية التى ترسم سياسة الولايات المتحدة[3]. ومن الواضح أن "خطراً جديدا تحاول الصحافة الأمريكية غرسه في نفوس الأمريكيين، وتروج ضده على أنه أكثر شرا من اللينية الماركسية، واعتبار الإسلام ضد الديمقراطية والعدو العالمي للولايات المتحدة "[4].

---

(1) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- - علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011

(2) فواز جرجس، الأمريكيون والإسلام السياسي (تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية) ، مجلة المستقبل العربي، عدد 17 2، 1997، ص28

(3) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص97

(4) جان فرانسوا بأيار وآخرون، تقديم وتحرير رضوان زيادة، الإسلام والفكر السياسي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000،، ص60.

تطور الإسلاموفيبيا في أمريكا:

في أعقاب حرب العراق الأولي ظهرت الإسلاموفوبيا كمزيجٍ من تحليلات الاستشراق الأكثر عنصرية واختزالا. وفيما أوجد الاستشراق متناً من المعرفة الضرورية لخلق مجال للدراسة يتبعه خلق موضوع للهيمنة، انبثقت الإسلاموفوبيا في البداية من مراكز الأبحاث ومعلقى دوائر واشنطن المغلقة. والإسلاموفوبيا ليست مبحثا مثل الاستشراق ولا تتطلب تعليماً أو تدريباً في مجال اللغات وفقة اللغة وتحليل النصوص والتاريخ والانثربولوحيا بل هى تشكيل أيديولوجي ينتقل من مراكز الأبحاث إلى جماعات الضغط ومجموعات الفعل السياسي، من أجل العزل المباشر لمسلمى الولايات المتحدة ومسلمى العالم واستهدافهم وشيطنتهم. وبتواطؤ مع الإعلام الجماهيري، وجماعات المصالح، والمعلقين والمتحدثين والمرشدين، المعلمين ومركز الأبحاث، يتم تحويل التعليقات الأيديولوجية التوجيهية إلى تحليلات- وصفية مقبولة بعامة لحقائق ثقافة العرب والمسلمين ومجتمعاتهم ودينهم. (1)

ففي عام 1990م ربط (دان كويل) نائب الرئيس الأمريكي في خطاب له أمام تلاميذ أكاديمية أنابولس التجربة الأصولية الإسلامية بالنازية والشيوعية، وقال (باب بوكانان)، المرشح الجمهوري اليميني في الحملة الرئاسية عام 1992م: "طيلة ألف عام دار الصراع حول مصير البشرية بين المسيحية والإسلام وقد يكون الأمر كذلك ثانية في القرن الحادي والعشرين. وفي عام 1992م عثر رالف برايبانتى، وهو عالم وكاتب بارز في الشؤون الإسلامية، في أحد مكاتب الكونغرس، على بحث يتضمن "معالجة للإسلام بوصفه العدو الكامن للولايات المتحدة، هي الأشمل من نوعها، والأكثر إثارة للخوف". كما حذر الأستاذ الجامعي الأمريكي (عاموس بيرلماتر) في عام 1984م، من حرب إسلامية شاملة تشن ضد الغرب والمسيحية والرأسمالية المعاصرة، والصهيونية، والشيوعية في وقت واحد(2).

وهكذا فإن أطروحة الخطر الأخضر يستمر استعمالها لتفسير الحوادث المتعددة والمتفرقة في المنطقة. فحلّت طهران مكان موسكو كمركز للتخريب الأيديولوجي والتوسع العسكري، وحل الإسلام كبديل روحي للشيوعية. وعلى الرغم من "عدم ظهور أي دليل على وجود

---

(1) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص96

(2) لا سكوت بعد.اليوم.بول فيندلى. ص87

"أممية إسلامية"، فإن تفجير المركز التجاري العالمي قد ألحق أضراراً فادحة بصورة العرب والمسلمين ووجودهم في الولايات المتحدة. فصحيفة "نيويورك تايمز" التي عمدت إلى الربط بين "المسلمين والإرهاب الداخلي في عقول أكثر الأمريكيين"، خلصت إلى أن "التفجير جعل المسلمين أهدافاً مكشوفة للمشاعر العنصرية والتمييز السياسي"[1].

وفي ديسمبر 1994م قدم فيلم وثائقي تلفزيوني بعنوان "الجهاد في أمريكا" صورة درامية للنزعة الإسلامية، وهي تضرب مباشرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وبلغ من قوة هذا القلق أنه حين انفجرت قنبلة خارج مبنى حكومي في مدينة أوكلاهوما وقتلت المئات، كانت الاستجابة المباشرة لكثير من معلقي وسائل الإعلام وللشرطة هي أن الانفجار من فعل إرهابي الشرق الأوسط، وجرى البحث عن رجال ذوي تقاطيع شرق أوسطية، وتحدث خبراء الإرهاب في التلفزيون، وصدرت دعوات إلى هجمات وقائية ضد العرب والمسلمين، ولكن كان الجناة مجانين من نبت أمريكي[2].

وهنا يجب أن نشير إلى أن شبكة الإسلاموفوبيا لم تولد في أميركا بعد أحداث 11 سبتمبر، فقد وُجدت قبل ذلك بسنوات، حيث كان " لقيم الأمريكيين الثقافية الأساسية دوراً رئيسياً في تكوين معظم المدركات الحسية لواضعي السياسة بشأن الإسلاميين، لأن التحدي الديني والفكري الذي يشكله الإسلام مازال مستحوذاً على مخيلة كثير في الغرب. فالمدركات الحسية الثقافية لمعظم الأمريكيين بشأن العرب/المسلمين أنهم خطرون وليسوا أهلاً للثقة، وغير ديمقراطيين، وأنهم همجيين، وبدائيين"[3].

وتشير الدّراسة إلى كتابات بعض روّاد "شركة الإسلاموفوبيا" ومواقفهم كستيفن إمرسون مؤسّس ومدير مركز المشروع التحقيقيّ عن الإرهاب تعود إلى النّصف الأول من تسعينيّات القرن الماضي. وكانت قفزة الإسلاموفوبيا الكبرى في أميركا على مرحلتين. المرحلة الأولى هي التالية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، إذ شهدت نموًّا واسعًا لظاهرة الإسلاموفوبيا حيث

---

(1) فواز جرجس، السياسة الأمريكية تجاه العرب كيف تصنع؟ ومن يصنفها؟، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص116.

(2) الإسلام وخرافة المواجهة -الدين والسياسة في الشرق الاوسط- فريد هاليداي- ترجمة محمد مستجير- ص 217- مكتبة مدبولي-ط1 1997

(3) clifford geertz، the interpretation of cultures (new york: basic books، 1973) p. 89، نقلا عن فواز جرجس، المصدر السابق، ص25.

امتدّت إلى عددٍ أكبرَ من الخبراء ووسائل الإعلام والحركات اليمينيّة الأميركيّة، ممّا أدى إلى تدهورٍ كبير في صورة الإسلام والمسلمين.[1] ولذا لم تتردد السلطات الأمريكية في كيل الاتهامات لدول شاع وصفها بالدول المعتدلة. كما نجد على المستوى الإعلامي، عشرات الأمثلة للخلط بين الحكومات والمنظمات والعلماء وعامة الشعوب، كلما أراد أحد الاعلاميين الأمريكيين التدليل على أن الإرهاب في المنطقة الإسلامية منتشر، وأن له جذوره في الإسلام نفسه، مما يساعد في نمو كثير من الأفكار النمطية عن الإسلام حتى في مبنى الكابيتول[2].

وبعد 11 سبتمبر وعندما شعر اليهود الصهاينة ومعهم الأصوليون المسيحيون، بأن نشاطات المنظمات العربية والإسلامية آخذة في التوسع على كل المحاور، السياسية والإعلامية، لمواجهة المد الصهيونى داخل المجتمع الأمريكى، حاول الصهاينة وأعوانهم من الأصوليون، تقييد المسلمين في المجتمع الأمريكى في أعقاب أحداث 11 سيبتمبر، حتى لا تتوسع نشاطاتهم السياسية والاعلامية، ويصبحون عاجزون عن منافسة المؤسسات السياسية والإعلامية الصهيونية.. "[3] ولذا تفجرت مستويات جرائم الكراهية ضد العرب والمسلمين وتدمير ممتلكاتهم بل وقتلهم .. وقد بينت هيومان رايتس واتش أن جرائم الكراهية ضد العرب تزايدت بمعدل 1700٪ ومضت تتدحرج ككرة الثلج على خلفية من التعليقات وكتابات الرأى المليئة بالطعن والذم التى نشرتها وبثتها جميع وسائل الإعلام المحلية والقومية.[4]

أمّا مرحلة النموّ الثانية، فهي الفترة منذ عام 2008 وحتّى الآن، حيث أن خروج الجمهوريّين من الحكم وصعود نجم الرّئيس الأميركيّ الحالي باراك أوباما أدى إلى تشدّدٍ كبير من جانب الحركات اليمينيّة الأميركيّة وتحرّر يدها في الهجوم على الإسلام والمسلمين، كما رأى بعضهم في باراك أوباما ومسلمي أميركا عدوًّا مشتركًا. إذ عمد هؤلاء إلى تصوير أوباما على أنه

---

(1) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- – علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011

(2) الاسلام عدو بديل – نبيل شبيب. إسلام أون لاين 2001/01/12م

(3) الإسلاموفوبيا: جماعات الضغط الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية – ريا قحطان الحمداني- العربي للنشر والتوزيع – القاهرة –الطبعة : الاولى 2011

(4) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين – ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص218

مسلم، أو مسلم مستتر يخفي إسلامه، أو شخص متعاطف مع المسلمين، وصبّوا غضبهم عليه وعلى المسلمين على أنهم جزءٌ من مؤامرة ضدّ أميركا".[1] ووفقا للوثائق القانونية تم احتجاز 5000 عربى ومسلم دون توجية أية تهمة لمعظمهم. تم احتجاز كثير منهم في سجون سرية وإجراء محاكمات سرية لهم، وترحيلهم أو تسليمهم لبعض الأنظمة القمعية الحليفة لسجنهم وتعذيبهم.[2]

وتشير استطلاعات الرّأي الأميركيّة إلى أن الإسلام هو أكثر الأديان التي ينظر لها سلبيًّا في أميركا في الوقت الحاضر، حيث ينظر 37٪ فقط من الأميركيّين بنظرة تفضيليّة للإسلام، وهي النّسبة الأقلّ منذ عشر سنوات، وذلك وفقًا لاستطلاعٍ قامت به شبكة ABC NEWS وصحيفة واشنطن بوست في عام 2010. وهي نظرة تُرجمت في رفض مجتمعيّ أميركيّ للمسلمين الأميركيّين، حيث تشير الاستطلاعات إلى أن 28٪ من النّاخبين الأميركيّين لا يعتقدون أن المسلمين يحقّ لهم الخدمة في المحكمة العليا الأميركيّة، ويعتقد ثلث الأميركيّين تقريبًا أنه يجب منع المسلمين من الترشّح للرّئاسة، وذلك وفقًا لاستطلاع مجلّة تايم الأميركيّة في عام 2010.[3]

وهذا الوضع البائس الذى يعيشه مسلمو أمريكا دفع رائد جرار وهو (ناشط عراقي امريكي) إلى القول: من المثبط أن تكون عربياً مسلماً تعيش في الولايات المتحدة هذه الأيام. حينما تذهب إلى الشرق الأوسط ينظر إليك على أنك دافع ضرائب أمريكي تعمل من خلال نقودك على تدمير منازل الناس. وحينما تعود إلى الولايات المتحدة يرتاب فيك بوصفك إرهابياً محتملاً وخاطف طائرات[4].

---

(1) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- - علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011

(2) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر - ط1 مكتبة سطور 2012 ص191

(3) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- - علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011

(4) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر - ط1 مكتبة سطور 2012 ص213

شبكة الإسلاموفوبيا ومن يقف ورائها

تسري خطابات الإسلاموفوبيا السائدة بجنون في أوساط اليمين الدينى والمحافظين الجدد والصهاينة[1] وتشير الدّراسات إلى أن الإسلاموفوبيا لا تنتشر في أميركا بهذه السّرعة تلقائيًّا أو كنتيجة للتوتّر الذي تمرّ به العلاقات بين أميركا وبعض الدّول المسلمة، أو بسبب التحيّزات القديمة وأخطاء الإعلام الأميركيّ في تغطية قضايا الإسلام والمسلمين، بل أنها مقصودة ويقف وراءها مجموعة من المؤسّسات اليمينيّة المتشدّدة، والتي تسمّيها الدّراسة "شبكة الإسلاموفوبيا". وهذا يعني أننا أمام عدّة مؤسّسات تعمل في تكاملٍ وعن قربٍ لنشر الإسلاموفوبيا على مستوياتٍ مختلفة، فبعضها ينتج الأفكار وبعضها يموّل، وفريق ثالث ينشر الأفكار في الإعلام، ورابع ينشرها في أروقة السّياسة وفي أوساط الجماهير، وهناك أيضًا من يترجمها في صورة سياسات وقوانين وقرارات حكوميّة.

وهذا يوضّح أن مواجهة تلك الشّبكة ليست بعمليّة سهلة، لذا يقول مؤلّفو الدّراسة أن دراستهم هي بمثابة "خطوة أولى مطلوبة لفضح تأثير المؤسّسات والأشخاص والجماعات التي تكوّن شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا". وتشير الدّراسة إلى أن شبكة الإسلاموفوبيا تتكوّن من ستّ حلقات رئيسة تتضمّن كلّ حلقة عددًا من المؤسّسات المتخصّصة.[2]

الحلقة الأولى هي حلقة التمويل، والتي تضمّ مجموعة من المؤسّسات الخيريّة التي تعمل في مجال تمويل الأعمال البحثيّة والعلميّة. وتوفّر هذه المؤسّسات ملايين الدّولارات للحلقة الثانية من حلقات شبكة الإسلاموفوبيا والتي تتضمّن مجموعة من الخبراء المعنيّين بقضايا الإرهاب والإسلام والمسلمين الأميركيّين وعلاقة أميركا مع العالم الإسلامي. ويرتدي هؤلاء الخبراء "المزيّفون" زيّ رجال العلم وقبّعات الخبراء والمثقّفين، وفي الحقيقة هم يستخدمون بعض القدرات العلميّة في انتاج أبحاثٍ ومقالات وكتبٍ غير علميّة ومليئة بالمغالطات عن الإسلام والمسلمين، وتكون هذه الموادّ القاعدة الفكريّة التي تبني عليها حلقات الإسلاموفوبيا الأخرى عملها في تشويه صورة الإسلام والمسلمين. فعلى سبيل المثال طرح هانتغتون فكرة

---

(1) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين – ستيفن شيهى – ترجمة فاطمه نصر – ط 1 مكتبة سطور 2012 ص230

(2) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا– – علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011

التصادم بين الإسلام والغرب بقوله: "أن التصادم سيتفاوت في حدته بين مختلف الحضارات، إلا أن التصادم بين الحضارة الإسلامية وباقي الحضارات سيتم بالعنف والدموية وهو بذلك يكرس هاجس الخوف المرضي من الإسلام "الإسلاموفوبيا الذي يماهي الإسلام والعنف لذلك فهو يخلص إلى أن للإسلام حدوداً دموية "[1].

والحلقة الثّالثة هي حلقة اليمين الأميركيّ المتديّن، ويلعب فيها عدد من قادة هذا التيّار دورًا بالغ الخطورة في نشر الأفكار المعادية للإسلام والمسلمين في أوساط المسيحيّين المتديّنين، وذلك بالتّعاون مع الحلقة الرّابعة وهي حلقة المنظّمات الجماهيريّة، أو منظّمات العمل السياسيّ والجماهيريّ والتّعبئة الجماهيريّة المعنيّة بنشر الخوف من الإسلام والمسلمين في أميركا. حيث يستخدمون أحدث الأساليب الحديثة (الإلكترونيّة والتقليديّة) في تعبئة الجماهير وتوحيدهم وإشراكهم في النّدوات والمؤتمرات والمظاهرات المعادية للإسلام والمسلمين في أميركا.[2]

ولعلّ ظهور المؤسّسات السّابقة وانتشارها بهذا الشّكل جديدٌ وقد يعود إلى عام 2008 بالأساس، وخطورة هذه المؤسّسات تكمن في أنها تحوّل الكراهية للإسلام والمسلمين إلى عملٍ جماهيريّ منظّم ممّا يساعد على نشره من ناحية، وعلى تحويل العداء للإسلام والمسلمين إلى حملة سياسيّة منظّمة من ناحيةٍ أخرى، وكان الإسلام والمسلمين في أميركا خطرٌ شديدٌ محدق يحتم التحرّك ضدّه بعمل سياسيّ وجماهيريّ منظّم ومعادٍ. وأعتقد أن ظهور تلك المؤسّسات بالشّكل الذي تتحدّث عنه الدّراسة نذير خطر وقلق كبيرين. ويشير التزايد الحالى فى الخطاب العنصري المعادي للمهاجرين وأيضا تزايد التشريعات ضدهم، إلى نفس الأساليب التي من خلالها تمت شيطنة المسلمين والعرب. ومما لا ريب فيه أن اليمين والمحافظين الجدد يلعبون دوراً مركزياً في الإبقاء على معايير الإسلاموفيبيا ويزودون روايات الليبراليين المعادية للمسلمين بإطار استطرادي [3]

---

(1) محمد سعدي، الجنوب في التفكير الاستراتيجي الأمريكي (نموذج أطروحة صدام الحضارات) ، مجلة المستقبل العربي، العدد 236، بيروت، 1998، ص65 وكذلك ينظر محمد عزيز، الأمريكان ورثة عنجهية روما لا ورثة حكمة اليونان، مجلة الحكمة، العدد 15 ،بغداد، 2002، ص33.

(2) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- - علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011

(3) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين - ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر - ط1 مكتبة سطور 2012 ص230- 232

أمّا الحلقة الخامسة من حلقات شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا فتضمّ الإعلام اليمينيّ الأميركيّ المتشدّد الذي يستضيف خبراءَ الشّبكة ونشطاءَها الجماهيريّين وسياسيّيها ورجال الدّين الدّاعمين لدعوتها ويحوّلهم إلى قادة رأي تُنشر أخبارهم وتُوزّع على أوسع نطاق، ويَرجع الإعلام إليهم كجزء أصيل من سعيه لتغطية الأخبار والأحداث، وبهذا تنتشر رسالة الإسلاموفوبيا ويتحوّل القائمون عليها إلى خبراء يُحتفي بهم. وهكذا يتمكن اليمين الدينى والمحافظون الجدد والمنظمات والناشطون الصهاينة، من تحويل النقاط الجذلية الرئيسية إلى حقائق مزعومة، حيث نجد أن دعاة الإسلاموفوبيا يجدون متعة كبرى في تنظيم المؤتمرات وورش العمل وأسابيع المناسبات التى تدوو حول تنويعات مختلفة مثل الفاشية الإسلامية والإرهاب الإسلامي أو الجهاد[1].

أمّا الحلقة السّادسة والأخيرة والمؤسفة فهي حركة بعض السياسيّين الأميركيّين اليمينيّين الذين تبنّوا دعاوى الإسلاموفوبيا وتحدّثوا عنها وحوّلوها أحيانا إلى قواعدَ للسّياسات وجلسات الاستماع في الكونغرس الأميركيّ، وبهذا أعطَوا شبكة الإسلاموفوبيا مزيدًا من الصدقيّة، وسعوا إلى ترجمتها إلى قوانين وسياسات، وحوّلوها إلى قضيّة سياسيّة ينقسم بشأنها السياسيّون الأميركيّون بين مؤيّدٍ ومعارض.[2] وهكذا نمت الإسلاموفوبيا على أيدى مفكرين وشبكات سياسية ومناصربن نشطاء بالكونجرس. ناهيك عن البيت الأبيض ومجلس الوزراء لتصبح وسيلة شبه عقلانية وتاريخية وثقافية مزيفة يفهم من خلالها كنه المسلمين. علاوة على ذلك فإن هذا الفهم المزعوم والزائف لنقائص المسلمين وتخلف الإسلام أكسب دور الولايات المتحدة الجديد في العالم الإسلامي أهمية كبرى بحيث تمكن المحافظون والليبراليون من الاتفاق على أن الولايات المتحدة تتحمل العبء الأخلاقى للإتيان بالحضارة إلي الشرق الأوسط.[3]

---

(1) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين – ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص232

(2) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- – علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011

(3) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين – ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص248

قيادات شبكة الإسلاموفوبيا

الدّراسة مليئة بأمثلةٍ عديدة عن أهمّ الفاعلين في شبكة الإسلاموفوبيا، وبعضهم أكثر شهرةً من الآخرين. وهناك أسماء جديدة كثيرة يصعب الوعي بها وبخلفيّاتها وبدورها إلا من قبل المعنيّين المتابعين من الدّاخل الأميركيّ نفسه، وهذا علامة على تنامي شبكة الإسلاموفوبيا المستمرّ. وهذا ملخّص لأهمّ هؤلاء الفاعلين:

أولا: فيما يتعلّق بالتمويل، تشير الدّراسة إلى سبع مؤسّسات خيريّة منحت مجموعة من مراكز الأبحاث المعنيّة بنشر الإسلاموفوبيا 42,6 مليون دولار بين عامي 2001 و2009، وهو رقم كبير يشير إلى قيمة التمويل الذي تتمتّع به مراكز أبحاث تُذْكي الإسلاموفوبيا، وبعض هذه الأبحاث معروفٌ بدعمه لقضايا اليمين الأميركيّ وإسرائيل، وبعضها أقلّ شهرةً. وتموّل مصادر التمويل ذاتها مراكز أبحاث يمينيّة معروفة مثل "هيرتاج فونديشن" ومعهد "أميركان أنتربرايز" أحد أهمّ معاقل المحافظين الجدد في واشنطن. ويقول التّقرير أن "هذه الأموال تمكّن جماعة صغيرة للغاية ومترابطة من الكتّاب والخبراء والمنظّمين النّشطاء الجماهيريّين اليمينيّين والراديكاليّين من صياغة وتشارك حزم من المعلومات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين الأميركيّين".

ثانيًا: فيما يتعلّق بخبراء الإسلاموفوبيا، يركّز التّقرير على دانيال بايبس وفرانك جافني وستيفن إميرسون وروبرت سبنسر. ولكلّ واحد منهم حكاية طويلة مع الإسلام والمسلمين في أميركا وسلسلة من الكتابات المسيئة. ويتبنّى هؤلاء أفكارًا تركّز على مهاجمة الشّريعة الإسلامية على أنها "أيديولوجيّة سلطويّة"، ويقولون أن الشّريعة هي المشكلة وأن المساجد هي "أحصنة طروادة" لإدخال الشّريعة إلى أميركا، وأن أميركا عرضة للجهاد، وأن "الجهاد الخفيّ" يسعى إلى نشر الشّريعة في أميركا.[1].

ويركّز هؤلاء في هجومهم على جماعة الإخوان المسلمين في الأساس، فيرون أنها تسيطر على منظّمات مسلمي أميركا، ويرون أن أوباما "مسلم متخَفٍّ.. وهو جزء من مؤامرة المسلمين لنشر الشّريعة في أميركا" وأنه يحظى بدعم الإخوان الذين يموّلون 80٪ من المساجد في

---

(1) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- - علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011. النصّ الكامل للدّراسة موجود على الموقع التّالي:
http://www.americanprogress.org/issues/2011/08/pdf/islamophobia.pdf

أميركا. ويرى هؤلاء أن الحلّ هو منع المسلمين الأميركيّين من "التسلّل" إلى مؤسّسات الدّولة الأميركيّة ومحاربتهم ومحاربة الجماعات الأميركيّة التي تدعمهم، لذا يشنّون هجومًا شديدًا على بعض النّاشطين المسلمين الأميركيّين وبعض الشّباب المسلم الذي يعمل في واشنطن، وعلى السياسيّين الأمريكيّين الذين يدعمونهم. وللأسف تجد هذه الأفكار طريقها من خلال حلقات شبكة الإسلاموفوبيا إلى المجتمع والسّياسة في أميركا، ونجدها تتكرّر حرفيًا وفي تنوّعات مختلفة من خلال مؤسّسات شبكة الإسلاموفوبيا الإعلاميّة والجماهيريّة والدينيّة، حيث تبث آراء الإنجيليين ومرتزقة المحافظين الجدد بالمدونات والإذاعة وتشكل جوهر خطابات التيار السائد المهيمنة عن الإسلام والعالم العربي، ثم توظف تلك الهذيانات والمناسبات التي يقيمها دعاة الإسلاموفوبيا إلى آليات أيديولوجية فاعلة، حيث تعمل في البداية على إقناع أكبر عدد من الأمريكيين، بأن الإسلام دين عنف لا عقلاني وأن المسلمين يعادون كل ما هو خير وعادل في العصر الحديث.[1]

ثالثًا: على مستوى المنظّمات الجماهيريّة، يتحدّث التّقرير عن عددٍ من المنظّمات التي أُسّست حديثًا، وعلى رأسها منظّمة "أوقفوا أسلمة أميركا" وترْأسها باميلا جيلر، ومنظّمة "تصرّفوا من أجل أميركا" ويرْأسها بريجيت جبريل، وتتعاون تلك المنظّمات مع حركة حفلات الشّاي الأميركيّ الصّاعدة. وتحوّل تلك المنظّمات أفكار خبراء الإسلاموفوبيا المغلوطة إلى حملات جماهيريّة مستخدمة أحدث أساليب التّعبئة الجماهيريّة والعمل السياسيّ، الإلكترونيّة منها والعمليّة، وتدّعي منظّمة "تصرّفوا من أجل أميركا" أنها تمتلك 573 فرعًا عبر الولايات الأميركيّة، وأنها تعدّ في صفوفها 170 ألف عضو.

رابعًا: تستفيد الحلقات السّابقة من دعم قادة اليمين المسيحيّ المتشدّدين في أميركا، حيث تركّز الدّراسة على عددٍ من القادة الكبار الذين باتوا يلعبون دورًا متزايدًا في نشر الإسلاموفوبيا في أميركا، وعلى رأسهم بات روبتسون وجون هاغي ورالف ريد وفرانكلين غرام، وهم جميعًا من القادة الدينيّين والسياسيّين المعروفين في أميركا، ولهم أتباعٌ ومريدون يقدّرون بعشرات الألاف وفقًا للتّقديرات المتحفّظة. ويتبنّى هؤلاء مقولات خبراء الإسلاموفوبيا ونشطائها، ويضفون عليها صدقيّة لدى أتباعهم.

---

[1] الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين – ستيفن شيهي – ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص280

خامسًا: يأتي دور وسائل الإعلام الأميركيّة اليمينيّة، حيث ترصد الدّراسة عددًا من الفاعلين الكبار وعلى رأسهم شبكة "فوكس نيوز"، وصحيفة "واشنطن تايمز"، ومجلّة "ناشيونال ريفيو"، وشبكة "سي بي أن" التّابعة لبات روبرتسون، وعددًا من نجوم البرامج الحواريّة الأميركيّة مثل رش ليمبو، وشون هانيتي وغلين بك، وغيرهم. وبالطّبع، تساهم تلك القنوات والأبواق الإعلاميّة في نشر أكاذيب الإسلاموفوبيا بشكلٍ سريع ومقلق من دون تدقيقٍ أو تمحيص في مصادرها وما تقوم عليه من أكاذيبَ أو حقائق.

سادسًا: يحلّ الدّور المؤسف لسياسيّين يتبنّون مقولات الإسلاموفوبيا ويردّدونها ويدعمونها سياسيًّا وتشريعيًّا، وعلى رأسهم النوّاب: بيتر كينغ، وسو ميريك، والآن وست، ورينيه آلمز، وبول برون. ويقول التّقرير أن السياسيّين يدعمون شبكة الإسلاموفوبيا بدرجةٍ كبيرة من خلال "ترويج أساطيرهم على أنها حقائق، وصياغة حملات لجمع التبرّعات السياسيّة واجتذاب ناخبين جدد بناءً على معلوماتٍ كاذبة عن الإسلام والمسلمين". ويشير التّقرير إلى عقد النّائب بيتر كينج جلسات استماع في الكونغرس في مارس 2011 بعنوان: "ما مدى راديكاليّة المجتمع المسلم الأميركيّ"، استخدم فيها معلومات مغلوطة من خبراء الإسلاموفوبيا تقول أن "80 إلى 85٪ من المساجد في أميركا يتحكّم فيها أصوليّون إسلاميون".

وفي النّهاية، بقي لنا أن نقول أن الإسلاموفوبيا في زيادةٍ في الولايات المتّحدة الأميركيّة، وهي الآن أكثر انتشارًا ممّا كانت عليه قبل عشر سنوات مضت، بل إنها زادت بشكلٍ دراماتيكيّ منذ عام 2008، وللإسلاموفوبيا تنظيمها الخاصّ، وتتمتّع بشبكةٍ من المنظّمات المتكاملة والمتعاونة في عملها وبميزانيّة ضخمة وخبراء ومناصرين.

فالمنظمات السياسية واللوبيات وجماعات الفعل السياسي ومعها المرتزقة المكارثيون والمنظّرون المأجورون، والنشطاء والمواطنون العاديون عمدوا بجد وحماس ديني إلى استهداف المسلمين الأمريكيين، والمفكرين، والطلبة المسلمين والجامعات أيضًا ومارسوا العنف ضدهم، في محاولةٍ منهم لإشاعة مناخ من الخوف والترهيب والرقابة الذاتية. [1]

---

(1) جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- - علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011. النصّ الكامل للدّراسة موجود على الموقع التّالي:
http://www.americanprogress.org/issues/2011/08/pdf/islamophobia.pdf

أخذ "عالم الجنوب" يأخذ شيئاً فشيئاً صورة "إمبراطورية الشر الجديدة " لدى الاستراتيجيين الغربيين. فبعد أن كانت الولايات المتحدة تنظر إلى العالم من خلال منظار المواجهة المركزية بين الشرق والغرب، فتفسر كل الصراعات والاضطرابات التي تحدث، في سياق المواجهة الشاملة مع الاتحاد السوفيتي السابق، حتى كان العالم الثالث مجرد حلبة للتنافس بين المعسكرين. أصبحت تنظر إلى الجنوب باعتباره المصدر الرئيس للتهديدات الجديدة، لاسيما بعد حرب الخليج الثانية، لهذا كانت الدوائر والمراكز الاستراتيجية عبر مجموعة من العسكريين والباحثين والأكاديميين تعد وبشكل متزايد تقارير ودراسات حول التهديدات المحتملة القادمة من "الجنوب" والوسائل والاستراتيجيات الضرورية لمواجهتها ومن هنا تكرس خطاب "تهديد الجنوب"[1].

فبعد انهيار المعسكر الشرقي، بدأت الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا في توجيه دفة العداء تجاه المنطقة، وبصوره فجه لم يسبق لها مثيل، وتحول أصدقاء الأمس إلى أعداء، وأخذت أمريكا في إخراج مخططاتها وأحقادها الدفينة من خزائن التاريخ العفنة، وبالتعاون مع الصهيونية العالمية، من أجل إظهار العرب والمسلمين بصوره بشعة وغير إنسانية لتبرير العدوان عليهم واستباحة مقدراتهم، حيث ساهمت عدة عوامل في صياغت هذه الصورة المرعبة للإسلام في عقول الغربيين من قادة سياسيين، ومستشرقين غير منصفين وإعلام موجه. وقد لعبت الأصولية المسيحية والصهيونية العالمية وإسرائيل دوراً واضحاً وجلياً في التحريض على الإسلام والمسلمين، حيث قامتا بعملية تشويه مستمر لصورة العرب والمسلمين، لدى الرأي العام الغربي، وبتضخيم متواصل لخطر الإسلام عموماً، وخطر الإسلام الأصولي خصوصاً، على أساس أنه البديل الحالي عن الخطر الشيوعي، الذي انحسر عن كاهل الغرب في الآونة الأخيرة."[2]. ولهذا كان على الأصوليين اختراع هذا العدو.

---

(1) محمد سعدي، الجنوب في التفكير الاستراتيجي الأمريكي (نموذج أطروحة صدام الحضارات) ، مجلة المستقبل العربي، العدد 236، بيروت، 1998، ص59، 68.

(2) كان التركيز الأصولي في مجال السياسة الخارجية الأمريكية منصباً على الخطر القادم من الشمال، كما في نبوءات حزقيال، أي خطر يأجوج ومأجوج والحلف الشرير بين (أبناء الظلام) ، ضد أبناء النور، أي إسرائيل. إلا أن الاتحاد السوفيتي قد ضاع من بين أيدي الأصوليين بانسحابه من حلبة الصراع. مما جرد المسيحيين الأصوليين من الخصم الشرير، وحرمهم من فرصة إشعال حرب نووية، تعجيلاً لهرمجيدون، والمجيء الثاني للمسيح انظر المسيحية والتوراة. شفيق مقار ص417

ومعلوم أن الأصوليون والصهاينة والإسرائيليين يدركون أن الخطر الحقيقي، الذي يتهدد كيانهم هو ظهور تيار إسلامي قوى في الدول العربية والإسلامية، وأن سقوط المشروع الصهيوني مرهون بصعود المشروع الإسلامي، ولذلك قال بن غوريون: "نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً، وبدأ يتململ من جديد". أما شمعون بيرز فيقول: "أنه لا يمكن أن يتحقق السلام -حسب الطريقة اليهودية- في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد".[1].

ونجد مشاعر مماثلة تساور العديد من المسيحيين الأصوليين في أمريكيا، فهم يعتقدون أن بقاء إسرائيل قوية جزء من مخطط الله، ويعتبرون المسلمين تهديداً لهذا المخطط، ولهذا يرى هؤلاء أن عليهم مواصلة معاداة المسلمين، لأن إسرائيل لا تزال في حالة تأهب عسكري، لمواجهة الدول الإسلامية المجاورة في غالبيتها[2]. ولهذا فإن الأصوليين المسيحيين أكثر عداوة للإسلام والمسلمين، بل وأكثر جرأة في الطعن في الإسلام، وجرح مشاعر المسلمين، من حلفائهم اليهود. كما تدل عليه تصريحات (فرانك غراهام) و(بات روبرتسون) و(جيري فالويل) حول الإسلام. وقد لاحظت الكاتبة الأميركية (جريس هاسيل) أن الأصوليين المسيحيين في أميركا "مستعدون لتقبل نقد موجه لفرنسا أو إنجلترا، أو ألمانيا، أو أيطاليا، أو الولايات المتحدة، أو أي بلد آخر في العالم، لأن ذلك شأن سياسي، أما نقد إسرائيل فهو يساوي عندهم نقد الرب ذاته"، حسب تعبيرها[3].

وبعد أحداث سبتمبر تعرض المسلمون في أمريكيا والعالم لأسوأ حملة إرهاب وتعصب وملاحقة في تاريخهم، بسبب حملة التضليل والتزييف التي قادتها إدارة بوش اليمينية المتطرفة ضد المسلمين، فبعد أحداث 11 سبتمبر في نيويورك، دعا الواعظ الأصولي (بات روبرتسون) أتباعه للصلاة "كي يمنع الرب انتشار الإسلام في أمريكا" كما قال: أن الإسلام دين تخلف ورق وعبودية، وأضاف: أن العالم الإسلامي مرتع لعمل الشيطان. وهذا الكلام الذي قاله (روبرتسون) لا يختلف كثيراً عما قاله ويؤمن به الرئيس بوش، الذي تأثر كثيراً بأفكار القس

---

(1) عداء اليهود للحركة الإسلامية زياد أبو غنيمة ص 37، 46، 47

(2) لا سكوت بعد اليوم .بول فيندلى ص12

(3) يد الله – غريس هالسل ص 80

جراهام وأصبح واحداً من مريديه المقربين وكان يبدو مقتنعاً بها يردده (جراهام) من أن المسلمين، هم الذين يشكلون الخطر الأكبر على عودة المسيح إلى الأرض، وأن هؤلاء المسلمين لا يتبعون ملة دينية، وإنها يتبعون رجلاً اسمه محمد. ووصف الإسلام بأنه دين شرير.... إلخ. وكان يقول له دائماً: أن المسيحية تعرضت للكثير من التغيير والتبديل على يد المسيحيين، الذين أرادوا تحويلها لمنافع شخصية لهم، وقد آمن بوش بهذه الأفكار، وراح يرددها أمام زوجته والمقربين منه، وكان يقول لها: المسلمون ليسوا أصحاب ديانة والمسيحيون أصحاب ديانة، تعرضت للتغيير، والرب غاضب على هذا العالم الذي غيّر دينه.

وقد وقف قادة اليمين المتدين موقفاً أكثر تشدداً تجاه الإسلام والمسلمين بعد أحداث سبتمبر، عبر عنه (فرانكلين جرام) الذي ألقى دعاء افتتاح حفل تنصيب (جورج دبليو)، وذلك خلال مقابلة أجرتها معه قناة NBC الأميركية في 16 نوفمبر 2001م إذ قال: "لا أعتقد أن هذا (الإسلام) دين رائع ومسالم.. عندما تقرأ القرآن فإنه يدعو لقتل الكفار وغير المسلمين.. من قاموا بالطيران في أبنية ليسوا طائفة مسيحية (ما).. الهجوم كان على بلدنا من قبل أعضاء بالديانة الإسلامية "[1].

الإسلاموفيبيا وصناعة صورة العدو

في تحليل استراتيجي يتناول "السياسة الواقعية في العالم الجديد" نشرته مجلة (international Affairs) في عددها الصادر بتاريخ 3يوليو 1991، حاول كاتبه استشفاف القوى التي سيواجهها الغرب في القرن الحادي والعشرين بعد انهيار الشيوعية، فقال: "... والتصادم بين الهويات الحضارية أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام. وهذا الأمر يتصل جزئيا بالتعارض بين القيم العلمانية والدينية، وجزئياً بالتنافس التاريخي بين المسيحية والإسلام، وجزئياً بالغيرة من القوة الغربية " ثم يضيف "وفي حالة الإسلام يضاعف هذا الخطر الجوار الجغرافي والعداء التاريخي وكذلك الدور السياسي الصريح الذي يلعبه الإسلام في حياة أتباعه. ثم ينتهي إلى القول: "لكل هذه الأسباب وغيرها ربها يوجد رأي واسع الانتشار في الغرب، ليس على استعداد فحسب لتأييد حرب باردة اجتماعية على الإسلام، بل وللأخذ بسياسات تشجيع على ذلك، وأن ما يقال اليوم في الغرب عن الإسلام

([1]) عقيدة جورج دبليو بوش. ستيفن مانسفيلد -عرض علاء بيومي- الجزيرة نت – 2004/5/3م

كان يقال بالأمس عن القومية العربية، فالغرب لا يفرق بين العرب والمسلمين، لا في ذاكرته الثقافية الدينية التاريخية ولا في رؤيته الحالية لمصالحه ومجال هيمنته"[1].

وفي ضوء ما تقدم ذكره فإن هنالك كثيراً من التصريحات لكبار الساسة الغربيين والأمريكيين وكذلك آراء كثير من المفكرين حول من يقول أن هناك صراعاً بين الغرب والإسلام. فمثلاً أشار القائد الأعلى السابق للناتو "جون كالفان" إلى الخطر القادم من الجنوب في صورة الإسلام. وفي محاضرة ألقاها دينز فينتر عام 1991 قال فيها: "عَرِفَ هذا القرن الذي يشرف على الأفول أطول مواجهة بين الغرب والإسلام، طالت أكثر من ألف سنة، امتدت من الحروب الصليبية إلى العصر الحديث. وبعد أن أنهى الغرب الحرب الباردة، ها هو الصراع يعود بالنسبة له إلى محوره الرئيسي، إلا وهو المجابهة مع الإسلام "[2].ويذهب "لودويغ هاغيهان" أنه لا يزال هنالك حتى اليوم مشاعر عميقة لما يرى بأنه "الجنون الإسلامي". وقد تعمقت هذه المشاعر خلال العقد الماضي عندما تم استبدال الإسلام بالشيوعية كعدو يهدد العالم الغربي، وقد تكرس الخوف من الإسلام في الغرب بسب ممارسات المتطرفين المسلمين والمسيحيين على حد سواء. وفي تأمله لانتعاش النظرة العدائية اتجاه الإسلام والمسلمين يتساءل "هاغيهان" فيما أن كان الماضي يلحق بنا الآن وتعود النظرة التقليدية إلى الإسلام كعدوٍ إلى الواجهة "[3].

وفي محاولتها تبرير حملتها الصليبية على العالم الإسلامي، لجأت أمريكا وطوال سنوات عديدة إلى استخدام مبررات مختلفة، مرة بدعوى محاربة المد الشيوعي، وأخرى بدعوى الحرص على تطبيق الديمقراطية والحفاظ على حقوق الإنسان، وأخيراً جاء الشعار الجديد، وهو محاربة التطرف الإسلامي أو الأصولية الإسلامية التي وجدت أفضل تعبير لها فيما تسميه أمريكا الآن بالحرب على الإرهاب . وهنا فإن عالم المشرقيات "جيرنوت روتر" الذي تحدث عن الحروب الصليبية، كان محقاً عندما قال: "إن الصورة النمطية الموروثة من العصور الوسطى

---

(1) محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام...والغرب، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص138-139.

(2) هايتس دينز فينتر "هل يشكل الإسلام السياسي خطرا على أوربا؟"، ترجمة صبيحة مشورب، مجلة النهج، العدد 40، بيروت، (صيف1995) ص237.

(3) ملخص كتاب المسيحية والإسلام: تاريخ المواجهات الفاشلة، لوديع هاغيهان، ط1، دارمستاد، المانيا،2001، نقلا عن موقع الجزيرة: WWW.ALJAZEERA.COM

تعود اليوم عند الغربيين كموضوعة فاعلة في خلق نظرية العدو الوهمي الجديد، وأن القرون الوسطى صورت الإسلام أنه الوليد الشهواني للشيطان"[1].

ويرى "برنارد لويس "أن فكرة الحرب المقدسة تجسد أكثر الأفكار شيوعاً وارتباطاً، في أذهان الغربيين بالفكر السياسي الإسلامي قولاً وفعلاً. فالغرب يرى في الإسلام منذ انطلاقته الأولى، ديناً مقاتلاً، لا بل عسكرياً في حقيقة الأمر ويرى في أشياعه أنهم أولئك الناس المحاربون المتعصبون والمنهمكون بنشر عقيدتهم وشريعتهم بالقوة المسلحة "[2].

وهناك مقولة للكاتب الأمريكي (كال توماس) وهو ينتمي إلى انتلاف اليمين المسيحي الذي يتخذ موقفاً صارخاً في تحيزه لإسرائيل وعدائه للعرب والمسلمين، تقول: "أن كلاً من اليمين واليسار في الولايات المتحدة يحتاج إلى أعداء، لكي يستفز بهم وبأسلوب الصدمة الكهربائية حملات جمع التبرعات .. وإن اليمين يتطلع منذ التسعينات إلى عدو يحل محل الشيوعية، وقد يكون ذلك الإسلام"[3]. ولذا يرى البعض أن مسالة الاصطدام بين الغرب والإسلام حتمية، لذا بدوا يحذّرون من الإسلام، ويذهب الكاتب اللبناني "وليد نويهض": إلى هذا المنحى فيقول: " نتيجة الحياة والسلوك بين كل من الغرب والإسلام، سيحصل الاصطدام الطبيعي والتاريخي، كما يستنتج علماء الاجتماع في الغرب على وفق بعض الفرضيات، أن هنالك معركة واقعة لا محالة. ولأن المعركة حتمية ولا يمكن تجنبها فإنهم بدوا منذ الآن يحذرون من الإسلام، وفي الوقت نفسه يحضرون للمعركة الفاصلة التي يتوقع البعض حصولها في القرن المقبل. وربما ما حصل ويحصل في الخليج وأفغانستان من تطورات، هو جزء من تلك المعركة الوهمية التي قد تحصل وربما لا تحصل ولكنهم يعملون بجد على حصولها "[4].

ولذا كانت أول مرة يرفع فيها شعار (الإسلام عدو بديل) على المستوى السياسي الغربي، في (منتدى الشؤون الأمنية الدولية) في ميونيخ عام 1991م، وكان الذي استخدم هذا التعبير،

---

(1) رسول محمد رسول، المصدر السابق، ص102.

(2) برنارد لويس، لغة الإسلام السياسي، ترجمة: عبدالكريم محفوض، ط1-، دار جعفر للدراسات والنشر، سوريا، 2001، ص119.

(3) انقلاب في السياسة الأمريكية، إعادة ترتيب الشرق الأوسط لصالح إسرائيل- عاطف الغمري. ص 81 - المكتب المصري الحديث- ط1 2004

(4) وليد نويهض، الحقد السياسي بين عقل الغرب وحياة الشرق، في العنف الأصولي(نواب الأرض والسماء)، المصدر نفسه، ص287.

هو وزير الدفاع الأمريكي أنذاك ديك تشيني. وقد لقي موقفه حينئذٍ ردود فعل شديدة، في البلدان الإسلامية، وفي أوساط ثقافية ودينية غربية، تخوّفت مما يعنيه الصدام الكامن وراء تلك الشعارات، التي وصلت إلى مستويات مؤثرة في صناعة القرار السياسي الأمريكي ذو المنطلقات الصهيونية[1]. وقد سبق رفع شعار (الإسلام عدو بديل) ظهور العديد من الدراسات والأبحاث التي قامت بها كثير من مراكز البحث والجامعات الغربية، وبالتعاون مع دوائر استخبارية غربية، بهدف التعرف على أنجع الطرق لمواجهة الصحوة الإسلامية أو ما سموها بالأصولية الإسلامية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حرصت دول الغرب، خاصة أمريكا، على أن تنشئ مؤخراً عشرات المراكز في داخل البلاد الإسلامية تحت مسميات مختلفة، لتتولى مهمة الرصد والفحص، وجمع المعلومات المباشرة، لتصب هناك في مراكز التخطيط والقرار، هذا فضلاً عن المؤسسات التقليدية القديمة، من جامعات، ومدارس أجنبية، تسهم كذلك في المهمة نفسها.

فبعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي وانحلال حلف وارسو، جرى تصعيد متعمد للعدوانية الغربية ضد الإسلام، فكتبت (كارين آرمسترونغ)، قبل عشر سنوات من إعلان (جورج دبليو بوش) الحرب الصليبية الأخيرة ضد الإسلام، قائلة: "يبدو الآن أن الحرب الباردة ضد الإسلام ستحل محل الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفييتي"[2]. وفي الأول من أيلول 1993 كرر الجنرال بأول نفس الشيء: أن الإمبراطورية السوفيتية قد حل مكانها شيء من نوع آخر مختلف – العراق وكوريا وشياطين آخرون ومخاطر ذات طبيعة إقليمية». فالأمريكيون مستعدون إذا لاستنباط مخاوف أخرى لإقناع الأمم وخاصة الأوروبية منها بتقبّل هيمنتهم العسكرية والسياسية للأبد[3].

يقول مدير معهد بروكنغرز في واشنطن (هيلموت سوننفيل): "أن ملف شمالي الأطلسي سوف يعيش، وأن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة. وستبقى هذه المجموعة متماسكة معاً من خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الفوضى أو التطرف

([1]) الاسلام عدو بديل (هدف ثابت وصياغات متغيره) – نبيل شبيب – اسلام اون لاين 2001/1/12

([2]) إمبراطورية الشر الجديدة. عبد الحي زلوم. القدس العربي. 2003/2/3

([3]) أمريكا المستبدة الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة»- ميشيل بيغنون -ترجمة: الدكتور حامد فرزات ص 212- من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2001

الإسلامي". وقال الرئيس الأمريكي الأسبق (نيكسون) في كتابه (أمريكيا والفرصة التاريخية): "يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة، وأن نمو عدد أتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيساً. وأن الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعنيف". وقد عكس (نيكسون) في كتابه هذا، صورة بشعة عن العالم الإسلامي عندما قال: "أن معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهاً إلا أن الحظ حالف بعض قادتهم، وأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثاني الاحتياطي العالمي المعروف من النفط"[1].

وفي ربيع 1990م ألقى (هنري كيسنجر) خطابا أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية، قال فيه: "أن الجبهة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم العدو الجديد للغرب، وأن حلف الأطلسي باق، ذلك أن أكثر الأخطار المهددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا من ناحيتي الجنوب (المغرب العربي والشرق الأوسط)، وهو ما أكده فيما بعد الأمين العام لحلف شمال الأطلسي (Willy Claes) والذي وصف الأصولية الإسلامية في خطاب رسمي له بأنها أعظم خطر راهن يواجه الحلف. ولهذا ألحّ، المستشرق (برنارد لويس)، على الحكومة الأمريكية بضرورة التعامل بقسوة مع المسلمين والعرب، وأعرب عن رغبته في أن تسقط الولايات المتحدة سلطتها عليهم. فوفقاً للويس، هناك غرب متقدم أنساني من ناحية، وهناك من ناحية ثانية (إسلام)[2].

وهكذا وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي اصبح الإسلام هو العدو رقم واحد في المواجهة مع الغرب إذ حل الإسلام محل الخطر الشيوعي. فسابقا وفي فترة أيام القطبية الثنائية ظهرت ما يسمى (بنظرية الإحلال أو العدو الوهمي) التي افترضها الغرب في تلك الحقبة وبعد أن بُدِدت هذه النظرية إثر أنهيار القطبية الاشتراكية عادت إلى الظهور من جديد في العام 1990"[3]. وفي هذا الأطار يذكر روتر: "أن زوال العدو من الصراع القديم بين الشرق والغرب قد أيقظ

---

(1) أمريكيا والفرصة التاريخية – ريتشارد نيكسون – ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل ص 187

(2) الحرب الأمريكية الجديدة ضد الإرهاب – من قسم العالم إلى فسطاطين – اسعد أبو خليل. ص32

(3) رسول محمد رسول، الغرب والإسلام رؤية في الاستشراق الألماني المعاصر، مجلة الكلمة، العدد 30، شتاء، بيروت، 2001، ص99.

الرغبة لدى أواسط معينة في الغرب لإيجاد عدو جديد. ولما كانت صورة الإسلام كعدو مستترة أو كامنة في الغرب منذ ألف سنة على الأقل، فقد كان من السهل أحياؤها مرة أخرى[1].ويرى "بايبس" في الإسلام "أنه في فطرته مناهض للغرب.. والإسلام خطر على الغرب، مثلما الشيوعية أبان الحرب الباردة "[2]. وفي السياق نفسه يقول (كروثمر): أن الإسلام حل محل الشيوعية كخطر استراتيجي أولي لفترة ما بعد الحرب الباردة، وأن الخطر الجديد مساو في شره لإمبراطورية الشر القديمة [3].

وانطلاقاً من هذه التصريحات والمواقف بدأ الغرب وعلى رأسه أمريكيا يستهدفون الإسلام، كطريقة بديلة للحياة، وعلي نحوٍ صريحٍ ومكشوف منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، وقبل أن تظهر على المسرح حكاية أسامة بن لادن أو داعش. وقد صرح سكرتير حلف الناتو عام 1995 أن الإسلام السياسي كان خطراً بمقدار خطورة الشيوعية علي الغرب علي الأقل[4]. وقد بلغ التحامل على الإسلام إلى درجة أن مجلة الأيكونوميست البريطانية، نشرت على الغلاف موضوعاً بعنوان: الإسلام الأيديولوجية البربرية المعادية للغرب[5].

وعلى هذا الأساس شرعت وسائل الإعلام الغربية والأمريكية، ووسائل إعلام المتغربين من العرب والمسلمين في تعبئة الرأي العام ضد الإسلام، وخطره، مستخدمة مصطلح الأصولية تارة ومصطلح الإسلام السياسي تارة أخرى، للتعبير عن هذا الخطر المحدق. فقد أشار محرر في (النيويورك تايمز) إلى أن (الأصولية الإسلامية أصبحت سريعاً التهديد الأساسي للسلام الشامل والأمن)، بينما نشرت (الأنترناشيونال هيرالد تريبيون) مقالا جاء فيه "أن التهديد الإسلامي يشبه تهديد النازية والفاشية في أعوام الثلاثينات، وتهديد الشيوعية في أعوام الخمسينات". ويفلسف صموئيل هانتنجتون هذا العداء للإسلام في إطار بلورة فكر سياسي

---

(1) المصدر نفسه، ص102.

(2) فواز جرجس، أمريكا والإسلام السياسي صراع الحضارات أم صراع المصالح؟، ترجمة غسان غصن، ط1، دار النهار، بيروت، 1998، ص44.

(3) Charles krauthammer، "Iran Orchestrator of Disorder" the Washington post، 1 January 1993. نقلا عن المصدر نفسه، ص43.

(4) إمبراطورية الشر الجديدة. عبد الحي زلوم. القدس العربي. 2003/2/3م

(5) موقع الإسلام في صراع الحضارات و النظام العالمي الجديد. محمد السماك ص 17.16

واستراتيجي معادٍ للإسلام، حينما يقول في كتابه (صدام الحضارات): "أن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية، ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة. ويتابع هذا الباحث تحليله فيعد ما يقارب سبع حضارات في العالم يستبعد حصول صدامات بينها باستثناء الحضارتين الغربية والإسلامية .[1]

نظرية صراع الحضارات

وجد الغرب نفسه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي العدو المشترك أمام فراغ كبير، أصبحت معه خلافاته وصراعاته الداخلية من دون سقف رادع، ووجدت الولايات المتحدة الأميركية نفسها فجأة دولة، بل معسكراً وترسانة من الأسلحة، بل تحالفاً دولياً بنى سياسته واقتصاده وإستراتيجيته، وثقافته، ورؤاه المستقبلية على أساس أنه يواجه عدوا يتربص به، فإذا بالعدو ينسحب بل يختفي[2]، ومن هنا جاءت نظرية وجوب اختراع عدو بديل، حيث وجد المنظّرون الاستراتيجيون في الإسلام ضالتهم، وثم صياغة صورة العدو البديل على المستوى الفكري، كما كان مع نظريتي (نهاية التاريخ) لفوكوياما، و(صدام الحضارات) لهتينجتون.

وإذا كان زوالُ الخطر السوفييتي عن أوروبَّا قد كتَب نهاية القلَق الأمريكي على أمن الحليف الأوروبي، فإن الهاجس الإسلامي يُثير قلقَها على أوروبَّا، ولعلَّنا لا ننسى مقولةَ هيتنجتون، الَّتي حرَّكتها منطلقات نفسيَّة سيكولوجيَّة محفزة على ضرورة محاربةِ كلِّ ما يمت للإسلام بصلة بدْعوى الأطاحة بـ "الأصولية الإسلامية " باسم إقْرار السَّلام العالمي؛ إذ يقول: "أن نضالنا ضدَّ الرعب الإسلامي القاتِل يعني: أن نوقظ العالمَ الَّذي يرقد نائمًا ... أننا ندْعو كلَّ الأمم والشُّعوب لكي تكرِّس انتباهَه للخطر الكامن في الأصولية الإسلامية ؛ إذ أنه خطر حقيقي وجادٌّ يهدِّد السلام العالمي .. أننا نقف على خطِّ النَّار ضدَّ خطر الإسلام الأصولي".[3]

وإذا صدّقنا ما تحدث عنه (هنتنجتون) وأسماه صدام الحضارات، نجد أنه لو أندلعت حرب عالمية ثالثة فستصبح حرباً من نوع جديد هكذا قال (هنتنجتون)، فلن يكون سببها نزاعاً

([1]) المستشرقون والاسلام–معالجه منهجية خاطئة–إبراهيم جواد- مجلة النبأ–عدد51- تشرين 2 2000-

([2]) صناعة الإرهاب .د. عبد الغني عماد – ص92 .

([3]) الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفى البرجاوي- 2011/5/10 مجلَّة الوعي الإسلامي- رابط الموضوع

: http://www.alukah.net/world_muslims/0/31772/#ixzz3vaqwdpGd

(أوروبياً – أوروبياً) ولكنها ستكون مواجهه بين الحضارات، بين المركز (وهو الغرب)، وبين الأطراف (أو المستعمرات القديمة). بل أن (هنتنجتون) يعطى أيضاً كلاً من المجموعتين صبغة دينيه: إذا سيكون الصدام بين حضارة (يهودية مسيحية) وأخرى (إسلامية كونفوشيوسيه). فالولايات المتحدة في خطتها للسيطرة على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، عينت (العدو البديل أو الشيطان) الذي يجب القضاء عليه، وهو الإسلام وحلفاؤه المحتملون، فيما يسمى بالعالم الثالث[1]. ولهذا بدأ البحث في أوائل التسعينيات عن كلمة أخرى غير الإسلام، فبدأ التركيز على (الأصولية)[2]، مع تصريحات تقول بتبرئة الإسلام كدين سماوي منها، وتثبيت فكرة أن الأصولية هي (الإسلام السياسي). وبعدها بفترة بدأ التركيز على ربط الإسلام والمسلمين والعرب بـ (الإرهاب)، حيث ترسخ هذا المفهوم في أذهان معظم الأميركيين بعد تفجير مركز التجارة العالمي في 1993م[3].

ولذا فإذا أردنا وحاولنا الدخول في عصر العولمة فالأمريكي سيبقى رافضاً لنا على حساب أننا إسلاميون، والإسلام من الديانات التي ستكون مستعدة للمنازلة والكفاح ضد أمريكا حسبما تنبأ بذلك هنتغتون في نظريته "صدام الحضارات" فالصراع صراع وجود، وصراع الوجود هذا سيكون بين العالم الغربي متمثلاً بأمريكا وبين الحضارات الدينية والثقافية متمثلة بالإسلام والكونفشيوسية، ولذلك أخذت أمريكا على عاتقها محاربة الإسلام والمسلمين والعرب ومحاولة خلق الصراعات المستمرة في هذه المنطقة وعدها منطقة مصدِّرة للإرهاب، الغرض من هذا كله هو هدم الهوية الإسلامية التي لاحظ الكثيرون أنها من الممكن أن تجد لها مؤيدين "من المقهورين والمظلومين في العالم على حساب أنها ديانة تناصر هذه الفئات".[4]

---

(1) أمريكيا طليعة الانحطاط. روجيه جارودى. ص 2625

(2) الأصولية هي مصطلح غربي أطلق في الأساس ولا يزال عل الجماعات المسيحية المتطرفة التي نشأت بعد حركة الإصلاح الديني، حيث طالبت هذه الفرق بالعودة لأصول العقيدة المسيحية، وهى الكتاب المقدس، ونادت بالتفسير الحرفي لكلماته، وقد تميز نشاط هذه الفرق بالتطرف والعنف، ورفض الأخر.

(3) صناعة الإرهاب. د. عبد الغني عماد – ص84

(4) الهوية في ظل العولمة والاسلاموفوبيا والامركة- المركز العراقي للداست الاستراتيجية- مشاركة في ورشة العمل التي نظمها مركز الجزيرة للدراسات بالإشتراك مع مجلس البحوث الاقتصادية و الاجتماعية البريطاني و مركز دراسات مسلمي اوروبا بجامعة اكسترا بعنوان :(رؤى الارهاب و المقاومة الراديكالية) 26-27/9/2010
http://www.iraqicss.net/index.php?option=com_content&view=article&id=61:2013-09-25-09-29-14&catid=29&Itemid=321&lang=ar

وبالرغم من أنه لا يوجد أي شيء يؤكد تورط الجماعات الإسلامية في حادث (أوكلاهوما سيتى)، الذي نفذته مجموعة من اليمين المتطرف عام 1995، وحادث عام 1995 ضد قطار ميامي لوس أنجلوس، والذي أعلنت جماعة مسماة (أبناء الجوستافو) مسئوليتها عنه، كذلك حادث دكتور الرياضيات (أونابومبر)، والذي كانت هوايته إرسال الطرود المفخخة، أو حتى موضوع الرجال الأحرار (فريمن) الذين قاوموا رجال الشرطة وأحد وعشرين يوماً في 1996م في أحد مزارع مونتأنا. فأن كل هذا لا يمنع أن تكون الأصولية الإسلامية بالنسبة لأمريكا هي المتآمرة الأولى والممثلة للإرهاب [1].

ولهذا تضاعفت الحملة الدعائية في الغرب ضد المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين، مع إعطاء مسلسل الجرائم الدموية في الجزائر، عنوان (الإرهاب الإسلامي). ثم في وقت متأخر نسبياً، بدأ الحديث يتركّز على تنظيم القاعدة وابن لادن، وهو ما يمكن ربطه بالحاجة إلى (رمز)، في كل حملة عداء أو ما يستحق وصف (عملية غسيل الدماغ) لصناعة صورة العدوّ، وفي يوم أغسطس 1998م أطلقت أمريكا عدة صواريخ كروز، على منشآت في أفغانستان والسودان، لتفتح ما وصفها الرئيس كلينتون بأنها حرب طويلة ضد الإرهاب [2]

نظرية هنتنغتون الجديدة ...

في أحدث كتبه يرى هنتنجتون أن العداء للإسلام والحضارة الإسلامية قد يساعد بشكل كبير في تحقيق التفاف الأميركيين المنشود، حول هويتهم الوطنية في المستقبل المنظور، حيث يطرح (هنتنغتون) رؤية لإعادة بناء الهوية الأميركية، تقوم على استشراف بعض التغيرات الجذرية الإيجابية الطارئة على المجتمع الأميركي في الفترة الأخيرة، التي من شأن تأكيدها عودة الروح للهوية الوطنية الأميركية. ويعني (هنتنغتون) بهذه التغيرات تحولين أساسيين: أولهما عودة الأميركيين للدين المسيحي، وزيادة دور المسيحية في الحياة العامة الأميركية. وثانيهما الدور الذي يمكن أن يلعبه الإسلام كعدو أساسي جديد لأميركا. ويبشر بأن العودة للمسيحية، التي تعد أحد الركائز الأساسية للهوية الأميركية، تمثل عاملاً هاماً في دعم الهوية

---

(1) المصدر السابق ص237

(2) استهداف العراق – العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية – جيف سيموند – مركز دراسات الوحدة العربية ص43

الأميركية ونشرها خلال الفترة الراهنة. كما أن الصحوة الدينية، وفقاً لتحليل هنتنغتون تصب مباشرة في الدور المساعد الذي يمكن أن يلعبه الدين على الساحة الدولية وخاصة في تعريف عدو أميركا الجديد وهو الإسلام.

وهنا يزعم هنتنغتون أن عداء أسامة بن لادن لأميركا هو عداء ديني، وأن الأميركيين لا يرون الإسلام على أنه عدو لهم، ولكن الإسلاميين المسلحين، المتدينون منهم والعلمانيون، يرون أميركا وشعبها ودينها وحضارتها أعداء للإسلام. ونتيجة لذلك يرى (هنتنغتون) أن البديل الوحيد للأميركيين هو أن ينظروا لهؤلاء الإسلاميين المسلحين بأسلوب متشابه. ثم يبدأ في وصف نفوذ الإسلاميين المسلحين، ويقول: أنهم كونوا شبكة دولية لها خلايا عبر العالم، هدفها الأساسي هو تدمير الغرب. وينهي (هنتنغتون) فكرته بتوقع دخول أميركا حروبا مع دول وجماعات مسلمة في السنوات القادمة، مما يرشح الإسلام بشكل واضح للعب دور العدو الأساسي والكبير، الذي يوحد الأميركيين ضده[1].

فرانسوا فوكوياما:

عمد فوكوياما فيما كتبه عن «نهاية التاريخ» إلى إشهار النجاح المطلق للديمقراطية الليبرالية، إلا أنه في مقاله نشرتها له مجلة «نيوزويك»، اعتبر ما أسماه «بالأصولية الإسلامية »، التي أطلق عليها أيضاً وصف «الفاشية»، عدواً للغرب أخطر من الشيوعية. وقال أن الصراع الحالي ليس معركة ضد الإرهاب ولا ضد الإسلام أو حضارته، ولكنه صراع ضد تلك «الفاشية الإسلامية ». وذكر فوكوياما أن «الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي يمكن الجدال بأن لها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة»، وقال أن الإسلام «وحده ولَّد تكراراً خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة ترفض لا السياسات الغربية فحسب، بل المبدأ الأكثر أساسية للحداثة المتمثل في التسامح الديني». وخلص إلى أن حل أزمة الإسلام المعاصر يكمن في أمور عدة، على رأسها اقامة الدولة العلمانية التي تكفل الحريات وتحقق التسامح الديني.[2]

---

(1) استهداف العراق – العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية – جيف سيموند – مركز دراسات الوحدة العربية ص43

(2) مجلة «نيوزويك» الطبعة العربية، (عدد 25/12) ، خطأ في التشخيص وفي العلاج- فهمي هويدي- الشرق الاوسط- 24ديسمبر 2001 العدد 8427

كما وأعلن المفكر الاستراتيجي الأمريكي صموئيل هنتجنتون عن ذات الأهداف، أهداف اليمين الديني والمحافظين الجدد – فقال "أننا نريد حربا داخل الإسلام حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية والعلمانية الغربية والمبدأ المسيحي فصل الدين عن الدولة.."

وهكذا حاولت تلك الأطروحات قراءة الإسلام في ضوء الخبرة الغربية أو الأميركية بوجه أخص، فكما أن الأصولية المسيحية خرجت من عباءة رفض الحداثة الغربية، فإنه اعتبر الأصولية الإسلامية خارجة من ذات العباءة. وإذ لا ننكر أن أغلب أصحاب الاتجاه السلفي في العالم العربي يرفضون الحداثة بقيمها المختلفة، إلا أن هؤلاء يمثلون جزءاً محدوداً في الساحة الإسلامية، ولا يشكلون أغلبية بأي حالة. ومن أسف أن أوضاع العالم العربي سمحت بظهور أمثال تلك الجماعات، وتوابعها من جماعات التطرف والعنف على السطح، وسلطت عليها الأضواء أثناء عمليات تطويقها وتصفيتها، بينما حجبت تيارات الاعتدال التي تدعو إلى التغيير السلمي، وتتطلع إلى المشاركة في الآلة الديمقراطية. وقد حظيت جماعات التطرف تلك بتغطية إعلامية واسعة في الإعلام العالمي، حتى أصبحت صورتها هي المهيمنة على الإدراك الغربي، بحيث بدا وكأنهم وحدهم الناشطون في الساحة الإسلامية، وهذا يؤكد التواطؤ الغربي في تضخيم وتلميع تلك الجماعات، بل وصناعتها.

لقد وضع منظّروا صراع الحضارات نصب أعينهم بن لادن ومنظمة القاعدة وجماعة طالبان وبوكو حرام والنصره وداعش، وحاكمونا جميعاً بهم، وذهبوا في ذلك إلى أن العالم الإسلامي وحده ظل يفرز حركات أصولية خلال الأعوام الأخيرة. وتجاهل تماماً تنامي دور الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة، واليهودية في إسرائيل، والهندوسية في الهند. هذه الأصوليات غضّ الطرف عنها، رغم أن تأثيرها على القرار السياسي أصبح قوياً في تلك البلدان الثلاثة. في حين أن ما يسمى بالأصولية الإسلامية مازالت خارج دائرة القرار السياسي، بل هي قوى مطاردة في العالم العربي على الأقل. ولكي يضع الإسلام والمسلمين في القفص فإنه اعتبرهم المصدر الوحيد لتفريخ الأصولية في العالم المعاصر، وهذا خطأ معرفي جسيم.

الإسلاموفيبيا خوفٌ غير مبرر يناقض الواقع:

أنَّ مراجعةً تاريخيَّة للفكر الغربي الحقيقي الذي كان سائدًا في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، تظهر لنا أن بعض الكتاب الكبار كانوا يتحدَّثون عن الإسلام، والمسلمين، ونبي الإسلام، بكل تقديرٍ واحترام، وفخرٍ واعتزاز. فقد كانت صورة الإسلام في

الغرب صورة متخيلة مبهرة لا تخلو رغم سلبياتها من بعض الإيجابيات: بلاد الشعر وألف ليلة وليلة... لكن ابتداءً من أواسط القرن العشرين بدأت الظلال تغطي ذلك الجانب الإيجابي وذلك بموازاة هجرة اليد العاملة الأفريقية والمغاربية إلى فرنسا من جهة وبموازاة تنامي حركية الإسلام السياسي ابتداء من الثورة الإيرانية وبروز حركة الإخوان المسلمين، والهجوم على برجي التجارة في نيويورك وظهور القاعدة ثم داعش.

لقد ارتبطت هذه التحولات في وعي المواطن الغربي بحالة اجتماعية واقتصادية تمثلت في الخروج من الفترة الذهبية المدعوة «الثلاثون الظافرة وبداية الدخول في نفق الأزمات الاقتصادية العالمية. فابتداءً من سنة 1980 بدأ المواطن الغربي ينظر إلى الأجنبي على أنه يزاحمه في سوق الشغل فكلما زادت حدة الأزمة الاقتصادية زادت حدة الأزمة الاجتماعية. وهكذا فإن الانتقال من الخواف (الفوبيا) إلى العُظام يرتبط ليس فقط بتحولات صورة الإسلام من خلال حركات العنف الديني، بل أيضًا وربما أساسا بالتحولات الاقتصادية العالمية وانعكاسها على المجتمعات الأوروبية على شكل أسطورة[1].

ويجب أن لا ننسى هنا العامل الأساسي الذي عمل على تأجيج العداء بين الغرب والإسلام وهو الصهيونية العالمية والأصولية المسيحية، ولذا فإننا سنجد أن هناك تلاصق وتوأمة في الأفكار والطروحات بين الأصولية المسيحية والصهيونية في شيطنة الإسلام والمسلمين ونسج القصص الخيالية حولهم لتبرير زرع الكيان الصهيوني في أرض فلسطين، ومحاربة كل ما يمتّ للاسلام بصلة، لأنهم يعلمون أن الإسلام وحده هو القادر على التصدى لهذه الهجمة الصليبية الجديدة.

من هنا فإن الخوف من الإسلام ليس له ما يُبرِّره حضاريًا، ولكن الخوف الذي لا موضوع حقيقيًا له أنما يندرج في مُحاربة الإسلام قبل أن يفهمَه المحاربون، وبهذا خلقتْ هذه الموجة من الخوف والإخافة المفتعلة مرضًا نفسيًا حقيقيًا في الغرب، وبذلك يكون من يدعون إلى الخوف من الإسلام أنما يُمارسون على شعوبهم خوفًا كاذبًا، يستدرون به عطفهم وانفعالاتهم ضدَّ الإسلام، وهو إنما دفاع عن انتشار الإسلام نفسه، كحقيقة دينية سماوية بدا عُقلاء وفلاسفة الغرب أنفسهم يعترفون بها ويؤمنون بها. إذا؛ فهذا الخوف الكاذب المفتعل إنما هو سياسة

([1]) اوروبا.. الإسلاموفوبيا إلى الإسلاموبارانويا- بقلم: محمد سبيلا- ميدل ايست أونلاين- 19-11-2015
الرابط: http://www.middle-east-online.com/?id=211721

للوقوف بوجه الحقيقة؛ كي لا تأخذ مجالها للانتشار في وسط الشُّعوب الغربية الفقيرة - نتيجة حضارتها المادية - إلى نفحة روحية؛ لكي يتوازن المادي مع الرُّوحي، والجسدي مع العقلي[1].

أن من يُلقي نظرةً مُباشرة على واقع المسلمين اليومَ في كلِّ مكان، لا يجد لديهم أي قوة يمكن أن تخيف أحدا، فليس هناك بلد من بلدانهم يستطيع أن يدافع عن نفسه ضدَّ أي قوة من قوى الغرب، ومنذ سقوط الدولة العثمانية، وتقسيم العالم العربي إلى دُويلات فرضتها مُؤتمرات ومؤامرات غربية على هذا العالم، لم يقم لهذه الدُّويلات قائمة تذكر، ولم تستطع أن تحصل على استقلالها إلا بعد أن أعطاها الاستعمار الغربي نفسه هذا الاستقلال، بعد أن وجد كلفة استعماره لها قد زادت عن الحدِّ، ووجد العالم يتَّجه إلى شكل جديد من الاستعمار الاقتصادي يُحقق له فوائد أكثر بكلفة أقل.

من هنا يتساءل الإنسان: إذا كانت الأمة العربية والإسلامية وشعوبها بهذا الضَّعف والفقر العلمي والعَسكري والاقتصادي...إلخ، فلماذا الخوف من الإسلام من قبل الغرب القوي، عسكريًا وعلميًا واقتصاديًا...إلخ؟ هل هو خوف حقيقي أو خوف مفتعل ووهمي؛ لإبقاء البلدان العربية خاصة، والإسلامية عامة تحت سيطرة هذا الرُّعب، ولكي لا ينتفض المارد المخيف الذي يخشونه؟[2]

إنه يبدو واضحاً أن الإسلاموفوبيا، أو الخوف من الإسلام هو خوفٌ مَرَضيّ وليس حقيقيًا، خوف أشبه بالمؤامرة على النفس؛ للدِّفاع عن خطر مفتعل وهمي، فمتى فكر المسلمون بإعادة الأندلس، وليس فيها مسلم واحد من العرب؟ أنه تفكير عجائبي غرائبي لدى هؤلاء، ولا يفسر إلا بالحالة المرضية فقط، أنه هستيريا الخوف، وليس الخوف العقلاني المشروع، أن هانوتو وزير خارجيَّة فرنسا الأسبق يعرف حقيقة ضعف المسلمين، ومع هذا يَخاف، فهل يخاف من الضعيف إلا المريض، وها هو يقول: "ورغم انتصارنا على أمَّة الإسلام وقهرها، فإن الخطر لا يزال موجودًا من انتفاض المقهورين، الذين أتعبتهم النَّكَبات التي أنزلناها بهم؛ لأن

---

(1) الإسلاموفوبيا) -سيكولوجيا المرض السياسي- سامي أحمد الموصلي رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/6342/#ixzz3tcrWd1Fb

(2) الإسلاموفوبيا) -سيكولوجيا المرض السياسي- سامي أحمد الموصلي رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/6342/#ixzz3tcrWd1Fb

همتهم لم تخمد بعد"؛ أنهم فعلاً مرضى، وليسوا طبيعيِّين؛ ولهذا نراهم يعبرون عن خوفهم من الإسلام باتِّهامه بأنه وباء وجذام[1].

نعم لقد استحكم مرض الإسلاموفوبيا بالسياسة الغربية تُجاه الإسلام، والساسة الغربيون يعترفون مع شيء من الدَّهشة والحيرة إنه فعلاً هناك ما يُخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي، والانتشار بسرعةٍ مذهلة، وهذا ما أثبته بعض الخبراء الإستراتيجيِّين الغربيين أنفسهم عندما اعترفوا بأن الإسلام هو أكثر الأديان نُمُوًّا، وأقواها تأثيرًا في النفوس، وأوفرها أتباعًا جدًا. والسياسة الغربية، كانعكاسٍ لهذا الخوف المرضي مع ضعف المسلمين الظاهر، عكست هذا الخوف الشديد في خططها القديمة والحديثة.

فهذه الخطط تساهم في زيادة عدائية الغربيين والأمريكيين بالذات للإسلام، ومن ناحية أخرى تحول دون استيعاب الأمريكيين للحقائق المؤسفة للإمبراطورمة الأمريكية أو على الأقل تحول دون تعرفهم علي آدمية ضحايا الأمبراطورمة. وتوضح لنا هوليوود كيف أن الخوف من المسلمين وكراهيتهم لا يعدوان في واقع الأمر أن يكونا تنويعة أخرى على ظاهرة كراهية العرب العنصرية. فمنذ بزوغ فجر السينما، ظل يضفي علي العرب مسميات غرائبية. فهم البدو المفعمون بالحيوية، أو البرابرة الذين يتسمون بالفحولة ويمتطون الإبل، أو الهمجيون الأجلاف النبلاء، ثم تغيرت فيها بعد تمثيلات العرب ليصبحوا يساريين راديكاليين علمانيين متطرفين، أو حلفاء الشيوعيين أو مشايخ النفط، ثم تطورت الصور تدريجياً في الثمانينيات لتصبح صور المسلمين العرب المتطرفين.[2]

وهكذا فإن شيطنة المسلمين والعرب عملية تهدف إلى صرف الانتباه وتحويله، بقدر ما هي عملية تبريرية، لحرب استباقية خطط الغرب مسبقاً لشنها على الإسلام والمسلمين في كل مكان. يقول "ماكسيم رودسنون" المفكر الفرنسي، أن "المسيحية الغربية قد رأت في العالم الإسلامي خطراً يهددها قبل أن يبدأ النظر إليه كمشكلة حقيقية بزمن طويل"[3]. ويؤكد

---

(1) مجلة روز اليوسف"، بتاريخ 1962/6/29.

(2) الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين – ستيفن شيهى- ترجمة فاطمه نصر – ط1 مكتبة سطور 2012 ص52

(3) فواز جرجس، الأمريكيون والإسلام السياسي (تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية) ، مجلة المستقبل العربي، عدد 217، بيروت، 1997، ص4.

الكلام السابق ما ذهب إليه "جيفاني دي ميكليس" وزير خارجية إيطاليا سكرتير عام المجتمع الأوربي – إلى فترة قبل حرب الخليج الثانية – في النيوزويك (عدد 2 يوليو 1990) الذي يرى ضرورة تقوية حلف الناتو حتى بعد هزيمة دول حلف وارسو وإلغاء الحلف نفسه لمواجهة الخطر المستقبلي وهو الإسلام "[1]. كما نشرت مجلة "شوؤن دولية" الصادرة في يونيو سنة 1990 تقول بالنص: " لقد شعر كثير في الغرب بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي ولهذا فإن الإسلام جاهز، فالإسلام مقاوم للعلمنة وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهي أقوى الآن مما كانت قبل مائة سنة مضت، ولذلك فهو من بين الثقافات الجنوبية للهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعليّ وحقيقي للمجتمعات الغربية"[2].

وهكذا يظهر أن المستهدف في الحملة القائمة هو الإسلام نفسه. فالمشهد السياسي العالمي الذي تدور إستراتيجيته منذ سنوات على اتهام الإسلام والمسلمين، وإشعال الفتن في كل بؤرة إسلامية من الصومال إلى أفغانستان إلى البوسنة إلى جنوب السودان، إلى أذربيجان إلى الشيشان، إلى طاجيكستان إلى بورما، إلى كشمير إلى فلسطين، إلى العراق إلى ليبيا إلى سوريا، كل هذا المسرح العريض يشهد بأن هناك تحريضاً مستمراً واتهاماً ظالماً بالزور والكذب، والتآمر وسعيٌ بالفتن، وبالسلاح وبالدولار في كل أرضٍ عربية وإسلامية لزعزعة أمنها وإرهابها والإيقاع بين أهلها وتشويه دينها ومبادئها، وما يجري منذ سنوات هو أفضل تمهيد وتبرير للحرب الخاتمة القادمة[3]، التى تخطط لها الأصولية المسيحية والصهيونية العالمية، منذ عقود.

وهنا يرصد المؤرخ التركي (كيريانجيل) في دراسة له أنه منذ عام 1798 م (عندما غزا نابليون مصر) وحتى عام 1953 م (عندما أطاح انقلاب عسكري أعدته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بنظام حكم محمد مصدق في إيران)، تعرض العالم الإسلامي إلى 318

---

(1) كمال الهلباوي، السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، ط1، معهد الدراسات السياسية، باكستان، 1992، ص72.

(2) محمد عمارة، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، في مجموعة باحثين، الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة "ندوة"، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001، ص270.

(3) إسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص46- كتاب اليوم / اخبار اليوم – الطبعة السادسة

هجوم عدواني من الغرب، وبين الفترة الممتدة من عام 1956م (العدوان الثلاثي على مصر)، حتى عام 1994م (العدوان الروسي على جمهورية شيشان)، أحصيت خمسة عشر هجوماً عدوانياً. والآن لا يبالغ الأمريكيون في الحديث عن حرب يمكن أن تمتد سنوات أو حتى عشرات السنين. وقد سبق (لصامويل هنتنغتون) أن أشار إلى تورط الولايات المتحدة بين عامي 1980م و 1995م، في سبع عشرة عملية عسكرية في الشرق الأوسط، كانت كلها موجهة ضد المسلمين مباشرة، ولم تحدث أية عمليات من هذا القبيل إطلاقاً من قبل القوات العسكرية الأمريكية ضد أي شعب أو حضارة أخري. فكما يرى هنتغتون: " أن صراعات المسلمين مع جيرانهم ومنافسيهم شكلت خطراً مقيما على الغرب، وليس صحيحا أن الإسلام لا يشكل خطرا على الغرب، وأن الإسلاميين فقط هم الخطر. ذلك أن تاريخ الإسلام خلال أربعة عشر قرنا، يؤكد أنه خطر على أية حضارة واجهها، ولاسيما المسيحية"[1]. وخلص (هنتنغتون) إلى القول أن المشكلة بالنسبة للغرب ليست في التطرف الإسلامي، بل في الإسلام كطريقة مختلفة للحياة اقتنع المسلمون بسمّوها وتفوّقها علي غيرها[2].

---

(1) إياد القزاز، المصدر السابق، ص78.

(2) إمبراطورية الشر الجديدة. عبد الحي زلوم. القدس العربي. 3/2/2003م

خاتمة

من الخطأ تصوُّر انحصار المعارك والحروب بيننا وبين أعدائنا في ساحات القتال ومواطن النزال وحده". فأعداء الإسلام - وهم يخوضون حربهم ضد هذا الدين وأصحابه - لا يدعون فجًا يمكن أن ينالوا به من الإسلام وأهله إلا وسلكوه، ولا تتهيأ لهم فرصة سانحة إلا وظَّفوها ورعوها حق رعايتها؛ لتكون لهم سندًا وركنًا يؤون إليه ويعتمدون عليه في حربهم الكبرى التي يريدون بها استئصال شأفة الحق.

فالدين الإسلامي بما يمتلكه من مرونة وفاعلية تجاه أتباعه وتجاه الغير دفع الدول الغربية إلى رسم هالة من الدسائس حول إمكانية عرقلة مسيرة هذا الدين أو وقفه. ومن هنا بدأت الاتهامات تتزايد، وأخذ من يحمل سمات هذا الدين ودعاته، نصيبه من هذه التهم، والتى يمكن إيجازها بتهمتين أساسيتين هما: تهمة الأصولية، وتهمة الإرهاب .

ومن بين هذه الأساليب المتبعة في الحرب على الإسلام، أسلوب يمكن أن نسميه بـ «حرب المصطلحات، حيث أصبحت المصطلحات عنصراً بنيوياً في طبيعة العلوم، ولذا ينظر لها العلماء على أنها في غاية الأهمية، ذلك لأن المصطلحات الشرعية تترتب عليها أحكام دنيوية وأخروية كمصطلح "التكفير"، "البدعة"، "الردة"، "البغاة"، "الخوارج"، "الولاء والبراء"،... إلخ.. وعلى المستوى الأخر سنجد أن مصطلح "الأصولية "، أو "الجهاد"؛ يحمل مضموناً - في نظر البعض - يناقض التقدمية والمعاصرة، والحرية والعقلانية، ويحمل بمعاني التطرف والإرهاب .

وكما لاحظنا من خلال فصول هذا الكتاب لاحظنا كيف أن الغرب قام بإطلاق مصطلحات غربية مشوهة لتشويه الإسلام وأتباعه ونشاطاتهم، مما يؤدى إلى التباس المعنى وتشويهه من خلال ربط هذا المعاني بتجارب الغرب وقيمه البعيدة كل البعد عن قيم الإسلام وتجاربه، وقد لاحظنا كيف أن معنى الأصولية في الإسلام يختلف كلياً عن معناها الغربي، وكيف أن إطلاق هذا المصطلح جاء بهدف الإساءة إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة، وفي نفس الوقت التغطية على الأصولية المسيحية المتطرفة التى تشن حربا صليبية على الإسلام منذ فترة طويلة، كان من نتاجها القضاء على الخلافة الإسلامية وتقسيم الدول العربية، وإقامة إسرائيل وتهجير سكان فلسطين، واحتلال أراضٍ عربية، وإشغال الأمة العربية والإسلامية بحروبٍ عديدة استنزفت قواها وطاقاتها المادية والمعنوية.

لقد حاولنا في هذه الدراسة، توضيح معنى مصلح الأصولية مقارنة بمصطلحات إسلامية أخرى كالصحوة الإسلامية، حيث بينا أن الأصولية بمعناها الغربي تختلف اختلافاً كليا عنها في معناها الإسلامي، بل يمكننا القول بأننا من خلال هذه الدراسة بينا أنه لا يوجد شيء اسمه أصولية إسلامية بالمعنى المتداول في وسائل الإعلام والكتابات الغربية وبعض الكتابات الإسلامية . فالمصطلح لا يعدو أن يكون محاولة لئيمة لوصم الحركات الإسلامية بصفات التطرف والإرهاب ومعاداة الحضارة الحديثة، لإبعاد الناس عن أي طرح إسلامي، ولا عطاء ذريعة للصليبية الجديدة للقضاء على الإسلام وترويضه حسب ما يهوى اليهود ويريدون.

أن أهداف الأصولية المسيحية التى تهودت، تجاه الإسلام والمسلمين وتجاه قضاياهم، واضحة لا لبس فيها في سعيها لتدمير الإسلام والمسلمين، باعتبارهم الوحيدين اللذين يمكن أن يقفوا حجر عثره في طريق مخططاتهم. ولذا فأنهم يحأولوا محاربة الإسلام بكافة الوسائل، ومنها ما يمكن أن نسميه حرب المصطلحات والألقاب.

من هنا فإن كل هذا التحشيد الإعلامي ضد ما سمي زوراً بالأصولية الإسلامية، ليس إلا حرباً على المسلمين كافة في أرجاء العالم، يشنها بالذات أتباع الأصولية المسيحية وعلى رأسهم المحافظون الجدد الذين يحكمون أمريكا الآن، من أجل التمهيد لحرب ضروس بدأت بوادرها منذ فترة من أجل اشعال المنطقة والقضاء على البقية الباقية من المسلمين، تمهيدا لعودة المسيح المنتظر كما يؤمنون.

وإذا كان لنا أن نلخّص ما عرضناه في هذا الكتاب فإننا نسجل الملاحظات التالية:

إنه بعكس ما هو شائع ومتداول في الإعلام الغربي من أن الأصولية هي توصيف مرادف للإسلام والمسلمين، وأن منشأها وجذورها هي من طبيعة عربية وإسلامية؛ فإن الأصولية وجدت ونشأت في المجتمعات الغربية وترعرعت وتطوّرت على أيدي غلاة غير إسلاميين، ووجدت بيئتها الحاضنة في غلاة المتصهينين، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتمثلت في العديد من التيارات الدينية والسياسية وصولاً إلى المحافظين الجدد الذين حكموا أميركا، ويحاولون تنظيم العالم على مقاس معتقداتهم.

كما أن الغرب قد يطلق تعبيرات ومصطلحات مختلفة تجاه الظاهرة الإسلامية، وهذه التعبيرات هي جزء من محاولة إلصاق تهم التطرف والإرهاب والأصولية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر العالم الغربي، لاسيما وأن مصطلح الأصولية الذي شاع بشكل كبير

في الوقت الحاضر بدلالته الغربية، كان يُطلق على المتشددين البروتستانت في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أثار هذا المصطلح في العقلية الغربية جملة من الحساسية والشعور بالخوف والقلق والعداء لمن يُطلق عليهم.

وقد جمع الغرب تحت هذه العباءة التي اخترعها بكلمة الأصولية مجموعة حركات سياسية تصل علاقة بعضها بالبعض الأخر إلى مستوى التضاد، فقد ضمّت الكلمة حركات الإسلام المسلح المصرية الجهاد والجماعات التي ظهرت في أوائل الثمانينيات، جنباً إلى جنب مع الجبهة الإسلامية السودانية، مع التجربة الإيرانية المعادية للإمبريالية الأمريكية والصهيونية مع حركة طالبان المتزمتة، إلى حركة التحرّر الوطني حماس، وخطورة هذا الطرح أنه يلغي القضايا وتمايزاتها، ويخلق صورة نمطية واحدة لمسلم ملتحٍ يحمل رشاشا لا يدافع عن قضاياه المباشرة وإنما يدافع عن نموذج فكري في ذهنه.

وفي معالجة الغرب لمشكلة الأصولية، فقد لوحظ أنه ثم التغاضي عن قصد عن أصوليات هي أخطر بكثير مما سموه أصوليه إسلامية، ولها سوابق إرهابية تمتد عميقاً في جذور التاريخ. أما في معرض البحث عن جذور الإرهاب وأسسه وكيفيته، فقد ثم تجاهل الأسباب الحقيقية التي جعلت مثل تلك الجماعات تلجأ إلى التطرف لمواجهة ما تتعرض له.

كما أن التعامل الغربي مع الإسلام والمسلمين امتاز بالانتقائية والسلبية والعدائية والتحيز، واتصف بتهويل بعض الظواهر السلبية في المجتمعات الإسلامية على الرغم من رفضها وإدانتها إسلامياً، فضلاً عن التعتيم الاعلامي الذي يمارسه الغرب ضد الإسلام مستخدماً فيه الحجج والمسوغات والدوافع كافة، وتحت غطاء تطبيق الشرعية الدولية في شن الحرب ضد الإسلام بحجة مكافحة الإرهاب الإسلامي أو الأصولية الإسلامية، أو محاربة المتشددين الذين يهددون الأمن والاستقرار في العالم.

إن أكثر المفكرين الغربيين يرون أن الصراع القائم بين الغرب والإسلام ما هو الاصراع قديم مستمر، صراع تاريخي حضاري حتمي لاختلاف الحضارة والعقيدة والتاريخ والسلوك والاهتمام بين الغرب والإسلام. ولما ظهرت قوة جديدة تمثّلت بالصحوة الإسلامية، حلت محل الخطر الشيوعي، أصبحت هي الخطر الجديد الذي سُميّ بـ(الخطر الأخضر)، فسعوا إلى تشويه صورته واحتوائه بشتى الطرق.

ومن كل ما تقدم نخلص إلى أن بعض أجهزة الإعلام، وبعض الدول الاستعمارية الصليبية في العالم - حريصة على أن تظل نار هذه الفتنة مشتعلةً في بلادنا، كلما خبَتْ نارها أوقدوها ثانية، لأنهم لا يجدون ذواتهم إلا في مثل هذه الظروف المضطربة، التي تموج فيها الفتن كقطع الليل المظلم، فتجرف أمامها كلَّ شيء، كما أن الجهات الخارجية، التي غَذَّتْ وتُغَذِّي اشتعالَ هذه الفتنة - متربصة بالمنطقة، وهي تمد يدها بفتيل الاشتعال من أن إلى آخر، إما في شكل تقرير مكذوب، أو معلومات مزورة، فتلتقطها بعضُ أجهزة الإعلام، وتروج لها، حتى صار الناس في حيرة من أمرهم: أين الحقيقة؟ أين الإسلام، وأين التطرف؟ أين الالتزام، وأين التحلل؟ وما معنى أن نسمي كلَّ مسلم ملتزمٍ متطرفاً؟ وما معنى أن يكون المسلم الملتزم متطرفاً؟ وما معنى أن يكون المسلم الملتزم داعيةً إلى التأخر، رافضاً للتقدم، ومحارباً لكل جديد، عقبة في طريق التنوير، كما يُرَوِّج لذلك البعض.

وهذه الحرب المستعِرة نارها والمتأجِّج لهيبُها اليوم، والتي تروم القضاء على الإسلام ومَحْو معالمه، والضَّغط الممارَس على المسلمين في العالَم باسم الإرهاب تارة، والإسلاموفوبيا تارةً أخرى، والديموغرافوبيا تارة ثالثة، هى أكبر دليل على طبيعة الحرب الصليبية الجديدة التى تشنها الأصولية المسيحة على الصحوة الإسلامية .

يقول تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتم نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون ﴾ .

وفي الحديثِ عن تميمِ الدَّاري - رضِي الله عنْه - قال: (ليبلغُنَّ هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيتَ مدَر، ولا وبَر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيزٍ، أو ذلِّ ذليل، عزًّا يعزُّ الله به الإسلام، وذلاًّ يذلُّ اللهُ به الكُفْر)

اللّهم انصر الإسلام وأعز المسلمين وأعل بفضلك كلمة الحق والدين ... اللّهم أصلح أمتنا وولاة أمورنا ووفقهم لهداك واجعل عملهم في رضاك يا رب العالمين

والحمد لله في البدء والختام

المراجع

ا. موريس – حياة لوثر زعيم الإصلاح – ترجمة القس باقي صدقه- دار الثقافة المسيحية/ القاهرة – ط2

الأب مايكل برير – الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني – ترجمة أحمد الجمل و زياد منى

ابراهيم عبدالكريم- الاستشراق و ابحاث الصراع لدى إسرائيل – دار الجليل، 1993.

إبراهيم مصطفي و آخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط 1، اسطنبول:دار الدعوة، 1989 م

ابن حزم -الفصل في الملل والأهواء والنحل- مكتبة الخانجي – القاهرة

ابن حزم الأندلسي الظاهري – الأحكام في أصول الأحكام- حققه وراجعه لجنة من العلماء، دار الجيل – بيروت، ط2، 1407هـ-/1987م

ابن خلدون، عبد الرحمن (1988): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. المحقق: خليل شحادة. ط2 دار الفكر، بيروت

ابن رشد- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة: دار المعارف، ط2

ابن منظور- لسان العرب –دار ومكتبة الهلال

أبو الحسن الندوي – ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين؟- مطبعة الإيمان، المنصورة، ط4

أبو الحسن بن على المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر- تحقيق: أسعد داغ الناشر: دار الهجرة – قم: 1409هـ

أبو الروس، أيمن (1998): زعماء ودماء. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، مصر.

أبو الفرج الجوزي- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – سنة النشر: 1415 – 1995- رقم الطبعة: 2

أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري-أساس البلاغة- تحقيق : محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- الطبعة الأولى 1998م

أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم -الناشر: دار السلام للطباعة والنشر: 2004

أبو حامد الغزالي -محك النظر في المنطق- المحقق: أحمد المزيدي دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مجموعة رسائل الأمام الغزالي، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت

أبو خليل. اسعد (2003): الحرب الأمريكية الجديدة ضد الإرهاب (من قسم العالم إلى فسطاطين). ترجمة ميرفت أبو خليل. دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت.
أبي الحسن الملطي المقرىء- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- تحقيق محمد زينهم عزب - مكتبة مدبولي مصر الطبعة الأولى 1413 هـ
أحمد إبراهيم خضر -الإسلام والكونجرس : حقائق ووثائق حول ما أسماه الأمريكيون: بحركة الأصولية الإسلامية ،، ط1، دار المعالم الثقافية،الرياض، 1994
أحمد النويري شهاب الدين- نهاية الأرب في فنون الأدب- الناشر: دار الكتب العلمية- 2004 ط 1
أحمد امين، زكي نجيب محمود - قصة الفلسفة اليونانية -القاهرة : مكتبه النهضة المصرية، إيداع 1981
أحمد بن محمد الفيومي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- المكتبة العلمية - بيروت
احمد حجازي السقا - عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النبوءة والسياسة - دار الكتاب العربي دمشق - القاهرة - ط2 2003
أحمد شلبي - مقارنة الأديان والإستشراف- مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية .
أحمد موصللي، الإسلام و الفكر السياسي و الديمقراطية - الغرب- إيران، ط 1، المغرب:المركز الثقافي العربي،2000
أحمد يسرى - الشرائع الدينية - طبعة معهد الدراسات الإسلامية - القاهرة
إدوارد سعيد - الثقافة والأمبريالية -تعريب كمال أبو ديب - دار الآداب/ بيروت - ط1 1997
إدوارد. و. سعيد - الأستشراق : المعرفة-السلطة-الانشاء- نقله إلى العربية كمال ابو ديب. بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، 1995
اريك لوران- عالم بوش السري/ الديانة والمعتقدات الأعمال و الشبكات الخفية- ترجمة سوزان قازان - ص93 - ط.1.- بيروت، لبنان دار الخيال، 2003.
أسعد رزوق -إسرائيل الكبرى، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973
الإسلام في التراث الغربي- دراسات ألمانية، ترجمة ثابت عيد، طبعة نهضة مصر القاهرة 1999 (سلسلة في التنوير الإسلامي)
أكرم ضياء العمرى - الثرات والمعاصرة - كتاب الأمه رقم (10)
ألبرشت متسكر- الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية- ط 1 2000- خدمة كامبردج بوك ريفيو- الجزيرة نت
ألكسي مالاشينكو، الإسلام الثابت الحضاري و المتغيرات السياسية، ط 1، دمشق: دار الحادث، 1999 م

إمانويل هيمان- الأصولية اليهودية - ترجمة سعد الطويل-الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعتها الأولى عام 1998
إمانيول طود - بعد الإمبراطورية: محاولة حول تفكك النظام الأميركي - كامبردج بوك ريفيوز
أمير عبدالعزيز، افتراءات على الإسلام والمسلمين، ط1، دار السلام للطباعة، القاهرة، 2002
إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابيشي (دار الطليعة، بيروت 1983).
أميمة عبد اللطيف- المحافظون الجدد، قراءة في خرائط الفكر والحركة -مكتبة الشروق الدولية - ط1 2003
الآن فوشون، دانيال قرنه- أمريكا المسيحانية (حروب المحافظون الجدد- ترجمة موريس شربل - دار الجليس -جروس برس طرابلس 2005
أنطوان نعمة و آخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة،ط 1، بيروت: دار المشرق، 2000 م
إياد القزاز، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية التمهيدية لعلم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، العدد 278، بيروت، 2002
باسل حسين - معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل -دار الأمين - ط1 / 1993
برتراند راسل - حكمة الغرب (عرض تاريخي للفلسفة لبغربية في اطارها الاجتماعي والسياسي - فؤاد زكريا- المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، كتاب رقم 62 - 1983
برنارد لويس -أين الخطأ؟.. التأثير الغربي واستجابة المسلمين- ترجمة: محمد عناني-تقديم ودراسة: رؤوف عباس
برنارد لويس- تنبؤات برنارد لويس - مستقبل الشرق الأوسط - رياض الريس ط1 2000
بكر أبو زيد - معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ- المؤلف: دار العاصمة -1996
بول فندلى- من يجرؤ على الكلام (اللوبى الصهيونى وسياسات أميركا الداخلية والخارجية) - شركة المطبوعات، 1985
بول فندي- لا سكوت بعد اليوم، مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا، ط1، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، 2001،
التطرف الدينى وظاهرة الإرهاب - مؤسسة أنماط للتنمية البشرية- 20 ديسمبر، 2013
ثابت عيد- صورة الإسلام في التراث الغربي - دراسات ألمانية - المحقق/المترجم: الدكتور محمد عمارة- نهضة مصر 1999
جاك تيني - الأخوة الزائفة - القصة المذهلة للمكائد والدبلوماسية الخفية لاخضاع البشية والسيطرة عليها - ترجمة أحمد بارودى - مؤسسة الرسال 1983
جان بودريار وآخرون- ذهنية الإرهاب ..لماذا يقاتلون بموتهم؟.-ترجمة بسام حجار-ط1 2003 - الدار البيضاء، المركز الثقافي

جان فرانسوا بايار وآخرون، تقديم وتحرير رضوان زيادة، الإسلام والفكر السياسي، ط 1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000،
جريس هالسيل – النبوءة والسياسة (الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية) – ترجمة محمد السماك – دار الشروق – ط4 1998
جلال العالم – قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله -1974
جلال صادق العظم – الاستشراق والاستشراق دار الحداثة للطباعة والنشر، 2008
جمال البنا: خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه: دار الفكر الإسلامي – 1990.
جمال السويدي، أحمد الصفتي – الصعود والأفول: حركات الإسلام السياسي والسلطة في العالم العربي – مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014
جميل زينو -توجيهات إسلامية، طبع وزارة الشؤون الإسلامية الرياض
جميل صليبا – المعجم الفلسفي، 1982
جند الله" ثقافة واخلاقا – سعيد – مكتبة وهبه – ط4 1992،
جورج بوست – فهرس الكتاب المقدس – الناشر: دار الكتاب المقدس – 2000
جورج مارسدن – الدين والثقافة الأمريكية –ترجمة صادق عودة
جورجي كنعان – المسيح القادم .. مسيح يهودي سفاح –ط 1/ 2004 – دار الطليعة - بيروت
جورجي كنعان، الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، ط 1، بيروت: بيسان للنشر و التوزيع، تموز 1995 م
جون ماري كولمباني – الكل أمريكيون ؟.. العالم بعد 11 سبتمبر 2001 - كامبردج بوك ريفيوز
جيف سيموند – استهداف العراق – العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية –مركز دراسات الوحدة العربية
جيمس كارول –الحرب الصليبية.. وقائع حرب ظالمة – ترجمة د. قاسم عبده قاسم – الجزء الثاني – مكتبة الشروق الدولية – ط1 2005
حافظ صلاح الدين، كراهية تحت الجلد، إسرائيل عقدة العلاقات العربية الأمريكية، ط 1، القاهرة: دار الشروق، 2003
حامد ربيع، مستقبل الإسلام السياسي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1983.
حسن المصطفوي -التحقيق في كلمات القرآن الكريم - دار الكتب العلمية بيروت-1430 هـ
الحسين بن مسعود البغوي -معالم التنزيل (تفسير البغوي) : دار طيبة – 1989
حسين سعد -الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط 1، مارس 2005.
حسين علي حمد – قاموس الأديان والمذاهب، ط1989،1م

حسين عمر حماده - شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلموذ اليهودي - دار قتيبه 1990

حمد فاروق الزين، المسيحية و الإسلام و الاستشراق، دمشق: دار الفكر، 2001 م، ص 292)

حميد حمد السعدون. الغرب والإسلام والصراع الحضاري. دار وائل للطباعة. عمأن 2002م .

د . محمد ربيع – أزمة الفكر الصهيوني – المؤسسة العربية للدراسة والنشر

ذرائع الإرهاب الأمريكي- غريب صابر- جريدة الخليج – عدد 9506- بتاريخ 29-5-2005م

راشد الغنوسي وحسن الترابي- الحركة الإسلامية والتحدي، مكتبة دار الفكر، الخرطوم/1980،

رسول محمد رسول، الغرب والإسلام رؤية في الاستشراق الألماني المعاصر، مجلة الكلمة، العدد 30، شتاء، بيروت، 2001،

رضوان أحمد الشيباني- الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي- دار النشر : مكتبة مدبولي

رضوان السيد- الإسلام السياسي والآنظمة العربية، مجلة شؤون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، لبنأن، العدد 41، 1995.

روبرت أ. بايكر، سير المعمدانيّين في التاريخ، – الموسوعة الحرة

روجيه جارودى – الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية–تقديم محمد حسنين هيكل – دار الشروق- ط1 1998

روجيه جارودى –أمريكيا طليعة الانحطاط – تقديم كامل زهيري- تعريب عمرو زهيري – دار الشروق- ط3 2002

روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها، تعريب خليل أحمد خليل (دار عام ألفين، باريس 1992).

رودى بارت – الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية : المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه – ترجمة مصطفي ماهر القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة، "1967.

رولاند بينتون – مواقف من تاريخ الكنيسة – ترجمة القس عبد النور ميخائيل- دار الثقافة المسيحية

ريا قحطأن الحمداني – الإسلاموفوبيا: جماعات الضغط الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية –العربي للنشر والتوزيع – القاهرة –ط1 2011

ريتشارد نيكسون – أمريكيا والفرصة التاريخية –ترجمة د. محمد زكريا اسماعيل - دمشق،سورية: دار حسان، 1983

ريتشارد هرير دكمجيان- الأصولية في العالم العربي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع –المنصورة، 1988

ريجينا الشريف -الصهيونية غير اليهودية : جذورها في التاريخ الغربى- ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز. المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب، 1985م. الدورية: عالم المعرفة ؛ 96
زكي نجيب محمود - قصة الحضارة. ول ديورانت - محيي الدين صابر،مقدم دار الجيل، 1988
زينب عبد العزيز- هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة (الحداثة والأصولية) -دار الكتاب العربي - دمشق القاهرة - ط1 2004
ستيفن شيهى- الإسلاموفوبيا الحملة الأيديولوجية ضد المسلمين - ترجمة فاطمه نصر - ط1 مكتبة سطور 2012
سعد جمعة - المؤامرة ومعركة المصير- دار الكتاب العربي 1969
سعيد عبد الله حارب - منطقة الخليج العربي أمام التحدي العقدي -نشر مكتبة الأمة بدبي ط 1985
سكراتون. فل (2004): ما وراء 11 سبتمبر. تعريب، د. ابراهيم الشهابي. الحوار الثقافي، لبنان
سليمأن حريتأني - توظيف المحرم ط1، دار الحصاد، سوريا، 2000م.
سليمان مظهر- قصة الديأنات- الوطن العربى، 1984
السماك . محمد (2000): الصهيونية المسيحية، ط3. دار النفائس، بيروت.
سيد قطب- في ظلال القرآن، دار الشروق، تفسير سورة يوسف،1990.
سيف الدين عبد الفتاح- التجديد السياسي والخبرة الإسلامية، نظرة في الواقع العربي المعاصر - رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة- كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- قسم العلوم السياسية١٩٨٧
شاحاك، ومزفنزكي- الأصولية اليهوديَّة في إسرائيل- نشر بلوتو برس ط1، 1999، ط 2، 2004).
الشاطبي - الاعتصام- تحقيق: سليم الهلالي الناشر: دار ابن عفان، السعودية ط1 1992م
شاكر النابلسي -تهافت الأصولية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت وعمان
الشعرانى- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر -دار صادر للطباعة والنشر - 2003
شلبي. أحمد (1979): المسيحية. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.
شمس الدين الذهبي - تذكرة الحفاظ- دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1 1419هـ- 1998م
الشهرستاني- الملل والنحل- مؤسسة الحلبي-2010 م.
شوقي أبو خليل، الأسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين- دار الفكر المعاصر بيروت- ط2- 1998
صادق جلال العظم- الأصولية الإسلامية- مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان 1997

صامويل هنتنجتون –صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي –ترجمة طلعت الشايب. تقديم د. صلاح قنصوه– الناشر : سطور– 1998
صوفي بودي جندرو - المجتمع الأميركي بعد 11 سبتمبر - ط 1 2002 - مطبوعات المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية– باريس كامبردج بوك ريفيوز.
طارق البشري– الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، دار الشروق 2005
عادل حمودة– صلاة الجواسيس –الفرسان للنشر – ط11 2003
عاطف الغمري –انقلاب في السياسة الأمريكية، إعادة ترتيب الشرق الأوسط لصالح إسرائيل– المكتب المصري الحديث– ط 1 2004
عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار –التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا –دار النهضة العربية للطباعة والنشر
عبد العالي حاجات، ومروان محمد –الإسلاموفوبيا– الناشر: لاديكوفرت– ط1، 2013
عبد العزيز التويجري– في الحوار مع الذات والأخر، دار الشروق ط1، 2009 .ص52
عبد العزيز مصطفي– قبل أن يهدم الأقصى –دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1990
عبد الغفار دويك– أنبياء إسرائيل الجدد رؤى اليهود للعالم و لأنفسهم، ط 1، القاهرة: ميريت للنشر و المعلومات،) . 2003 م،
عبد الغني عماد– الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربى– مركز دراسات الوحدة العربية– 2013
عبد الغني عماد –صناعة الإرهاب – دار النفائس – ط1 2003 .
عبد القادر عودة– الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة الرسالة
عبد الله البستاني– الوافي، معجم وسيط للغة العربية، بيروت: مكتبة لبنأن، 1980 م،
عبد الله التل– جذور البلاء– دار الأرشاد– 1971
عبد الوهاب المسيري – الموسوعة الصهيونية –ط1 – دار الشروق
عبد الوهاب المسيري– الأصولية اليهودية/ موسوعة اليهود واليهودية _ موقع بيت العرب للثوثيق والنظم
عبدالرحمن ابن رجب الحنبلي– المحجة في سير الدلجة– المحقق طلعت الحلواني– الفاروق الحديثية للطباعة والنشر، ط11423
عبدالرحمن حبنكة الميداني–أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير– الاستشراق– الاستعمار، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة 1420هـ– 2000م،
عبدالقادر محمد فهمي، مكانة الإسلام والمسلمين في الأدراك السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، مجلة العلوم السياسية، العدد 19، بغداد، 1999، ص41.

العكش. منير (2002): حق التضحية بالأخر (أمريكا والإبادات الجماعية). رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.
علاء الدين ال راشي - هل يتحمل الغرب مسؤلية شقاء العرب والمسلمين ؟ أصول التلاقي والحوار مع الغرب،مركز الناقد الثقافي، مؤسسة ثقافية فنية مستقلة، 2009، ص 127 - 129
على عبد الحليم - الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر - دار المنار - القاهرة 1989
على ليله – النظرية الاجتماعية لمعاصرة. دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع دار المعارف – ط 1 1981
علي الجرجاني - التعريفات - تحقيق : إبراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي – بيروت - ط 1، 1405
علي بن محمد الرباعي - الصحوة في ميزان الإسلام..وعاظ يحكمون عقول السعوديين - دار رياض الريس للكتب والنشر.
علي عبد الحليم محمود وآخرين - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - 1981 - من البحوث المقدمة إلى مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض 1396 هـ
علي عبد الواحد وافي -الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام -القاهرة : دار نهضة مصر، أيداع 1984.
عماد علي عبد السميع - الأصولية الإسلامية والأصوليات الدينية الأخرى - دراسة دينية مقارنة بين الأصولية الإسلامية وغيرها - تحقيق د. محمد أحمد دياب - دار الكتب العلمية2004-04-28
عمرو عبد السميع : المتطرفون (ندوات ودوائر حوار)، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1993م.
غريس هالسيل - يد الله (لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل اسرائيل؟!) -. ترجمة محمد السماك – دار الشروق - ط.1 2000
الغزالي. أبو حامد (1993): المستصفي. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. ط1. دار الكتب العلمية
غسان بن جدو - خطاب الإسلاميين والمستقبل، حوار مع سماحة الشيخ محمد حسين فضل الله، ط1، دار الملاك للطباعة، بيروت، 1995،
غوستاف لوبون - حضارة العرب - عادل زعيتر - د. ن، 1969
فرانسوا هايزبور - فرْطُ الإرهاب : الحرب الجديدة - مؤسسة البحث الإستراتيجي - كامبردج بوك ريفيوز

فريد الأنصاري: الفطرية: بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، منشورا رسالة القرآن، 2008،

فريد هاليداي - الأمة والدين في الشرق الأوسط- ترجمة عبد الإله النعيمي، ط1دار الساقي، بيروت 2000

فريد هاليداي- الإسلام وخرافة المواجهة -الدين والسياسة في الشرق الأوسط- ترجمة محمد مستجير مكتبة مدبولي-ط1 1997

فؤاد زكريا- الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، دار التنوير (بيروت 1985).

فؤاد زكريا – خطاب إلى العقل العربى – مكتبة مصر للمطبوعات- 1990

فواز جرجس، الأمريكيون والإسلام السياسي (تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية)، مجلة المستقبل العربي، العدد 17 2، بيروت، 1997

فواز جرجس، أمريكا والإسلام السياسي صراع الحضارات أم صراع المصالح؟، ترجمة غسان غصن، ط1، دار النهار، بيروت، 1998،

فيصل بدير عون – الفلسفة الإسلامية في المشرق- مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس- 1982-

فيليب حتي- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين – جبرائيل جبور وكمال يازجي. دار الثقافة. بيروت. 1982

فيني مارو وليم، امتطاء النمر، ترجمة عبد الله جمعة الحاج، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1996،

فينيسنت باروود . " الكلية العامة في عيدها المئوي" في مجلة المجال. العدد 253، 10 أبريل 1992،

القاعدة.. الأخوة الإرهابيون -المؤلف: بول. إل. ويليامس – ط1 2002-الناشر: ألفا بوكس، بيرسون أديوكيشينال – كامبردج بوك ريفيو- الجزيرة نت

كارين آرمسترونج- معارك في سبيل الإله: الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام – مجلة سطور ط1 2000- القاهرة

كريس هارمن -النبي والبروليتاريا – الناشر: مركز الدراسات الأشتراكية. 1996

كريمة بلخضر – الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية "دراسة تحليلية نقدية – رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية فرع التنظيمات السياسية و الأدارية بجامعة الجزائر بن يوسف بن خدة" / 2005 م- 2006

كلود جوليان – الحلم والتاريخ – مائتا عام من تاريخ أمريكا _ ترجمة نخلة كلاس دار طلاس، 1989

كلود دلماس -تاريخ الحضارة الغربية – ترجمة توفيق وهبه – عويدات، 1982

كمال الهلباوي- السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، ط1، معهد الدراسات السياسية، باكستان، 1992،
لويس بيري - تاريخ الحياة الثقافية في أميركا - ترجمة أحمد العناني. مركز الكتاب الأردني- 1990
لويس معلوف -المنجد في اللغة - الناشر: المطبعة الكاثوليكية - بيروت
مارك كورتيس -التارخ السرى لتآمر بريطانيا مع الأصوليين - ترجمة كمال السيد - المركز القومي للترجمة- ط2- عدد 2/1915- القاهرة
مازن مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ص31-32 الرياض1995-
مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط المؤلف: مكتبة الشروق الدولية سنة النشر: 2004
محمد أبو الأسعاد: السعودية الإخوان المسلمون مركز الدراسات والمعلومات القانونية
محمد أبو زهرة - أصول الفقه- دار الفكر العربي
محمد أركون-الفكر الإسلامي قراءة علمية- ترجمة وتعليق: هاشم صالح-المركز الثقافي العربي دار البيضاء - مركز الإنماء القومي، بيروت ط2 1996
محمد أسد - الإسلام على مفترق الطرق - عمر فروخ - دار العلم للملايين
محمد أسد :الطريق الي الإسلام بيروت ترجمة عفيف البعلبكي .- دهر العلم للملأيين- 1957
محمد الأمين الشنقيطي -اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- مجمع الفقه الإسلامي بجدة
محمد البنا- الكتاب والسنة - إصدارات معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة
محمد البهي - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي- مكتبة وهبة - 1383 - 1964
محمد السماك -موقع الإسلام في صراع الحضارات و النظام العالمي الجديد - دار النفائس ط.2 1999
محمد السيد الجليند، الأصولية و الحوار مع الأخر، القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، 1999
محمد العشماوى - الإسلام السياسى - مكتبة مدبولي الصغير- 1989
محمد بن أبي بكر الرازي - مختار الصحاح : - مكتبة لبنان : 1986
محمد بن جرير الطبري - تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، المحقق محمد إبراهيم - دار المعارف سنة 1967 ط 2
محمد جلال كشك- الغزو الفكري- الدار القومية للطباعة والنشر
محمد حسنين هيكل - من نيويورك إلى كابول- ط1 2002 -لشركة المصرية للنشر العربي والدولي

محمد دكير، الإسلام والغرب: عشر السنوات من المواجهة – المثاقفة، مجلة الكلمة، العدد 26، السنة 7، شتاء، بيروت، 2000.
محمد رسول الله – محمد رضا– دار إحياء الكتب 1385 = 1966.
محمد سبيلا – الصراعات الأصولية والحداثة– الرباط، سلسلة المعرفة للمجتمع، طبعة عام 2000م
محمد سعدي، الجنوب في التفكير الإستراتيجي الأمريكي (نموذج أطروحة صدام الحضارات)، مجلة المستقبل العربي، العدد 236، بيروت، 1998
محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1990 م،
محمد سعيد رمضان البوطي وطيب تيزيني، الإسلام والعصر (تحديات أفاق)، ط1، دار الفكر، سوريا، 1998،
محمد شراب – معجم بلدان فلسطين – دار المأمون للتراث/ دمشق – ط1 1987
محمد صفي –أحداث 11 سبتمبر – الأكذوبة الكبرى– دار الأحمدى للنشر – الطبعة الأولى 2003
محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام...والغرب، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993،
محمد عارف زكاء الله –الصليب والهلال – الناشر: ذي آذرز، كوالالمبور– ط1/2004 – الجزيرة نت
محمد عبده – الإسلام و النصرانية مع العلم و المدنية– بيروت : دار الحداثة، 1983.
محمد عزة دروزة – العدوان الإسرائيلي القديم، والعدوان الإسرائيلي الحديث على فلسطين – دار الكلمة للنشر، 1979
محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، التبشير والاستشراق : أحقاد وحملات، الزهراء للإعلام العربي _ ط1-1991
محمد عزت محمد عارف –أريحا المدينة الملعونة –ماذا يخطط اليهود لفلسطين حتى عام 2000 ؟ – دار الاعتصام، 1994
محمد عمارة – الإسلام السياسي والتعددية السياسية من منظور إسلامي– مركز الإمارات للدراسات والبحوث – 2003
محمد عمارة– معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام– القاهرة – دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.
محمد عمارة–الأصولية بين الغرب والإسلام– ط1– دار الشروق– 1998
محمد فاروق الزين، المسيحية و الإسلام و الاستشراق، دمشق: دار الفكر، 2001

محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : الناشر : دار الكتب المصرية: 1364
محمد قطب- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر - مكتبة السنة- ط1991م
محمد قطب- واقعنا المعاصر -1997 دار الشروق
محمد كمال إيهاب، الفرقان البديل الأمريكي للقران، القاهرة:الحرية للنشر و التوزيع، 2005
محمد محمد حسين.الإسلام والحضارة الغربية .الطبعة الخامسة بيروت 1982
محمود حمدي زقزوق- الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري- بيروت : مؤسسة الرسالة، 1985
محمود سلطان- نقد المفهوم التقليدي عن العلمانية -القاهرة 1998
محمود منقذ الهاشمي، الكارثة المنتظرة "التيارات الأصولية في الفكر الغربي المعاصر"، في مجموعة باحثين، العنف الأصولي (نواب الأرض والسماء)، ط1، دار الريس للنشر والتوزيع، بيروت، 1995.
مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ط 2، الرياض: مكتبة العبيكان، 1418 ه - 1997 م،
مراد وهبة -الأصولية والعلمانية - دار الثقافة، القاهرة، 2005
مراد وهبة: أصوليات هذا الزمان، سلسلة كتاب قضايا فكرية بإشراف محمود آمين العالم، الكتاب الثالث والرابع عشر، 1993
المستشرقون -نجيب العقيقي- ط3، دار المعارف، القاهرة، 1964 – 1965م.
مصطفي بن محمد بن مصطفي- أصول وتاريخ الفرق الإسلامية - مكتبة صيد الفوائد، 2003
مصطفي خالدي، عمر فروخ – التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية -الطبعة الثالثة – بيروت 1964
مصطفي محمود – إسرائيل .. البداية والنهاية- كتاب اليوم / أخبار اليوم – الطبعة السادسة
مقار شفيق (1992): المسيحية والتوراة. رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص.
منير البعلبكي - قاموس المورد، ط11
المودودى – الحكومة الإسلامية - تعريب أحمد إدريس- المختار الإسلامي-1980
موريس بيشوب – تاريخ أوروبا في العصور الوسطى -ترجمة على السيد على، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة- الطبعة الأولى 2005
موريس. ا (1977): حياة لوثر زعيم الإصلاح، ط2. ترجمة القس باقي صدقه. دار الثقافة المسيحية، القاهرة.
الموسوعة العربية العالمية، الحرف- العدد 2، الرياض:مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر التوزيع، 1999
موسى، سلامة: اليوم والغد، " المطبعة العصرية، القاهرة، 1927"، ط1، ص 256

موقف الأمة الإسلامية من القاديأنية : تأليف نخبة من علماء باكستان، إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام 1976.
مولاى المصطفي البرجاوي -المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي، أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! (ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي) -مريرت 2008م
ميشيل بيغنون -أمريكا المستبدة الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة»- ترجمة: الدكتور حامد فرزات - من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2001
هاشم صالح -مخاضات الحداثة التنويرية القطيعة الابستمولوجية في الفكر والحياة- دار الطليعة - بيروت 2008
هايتس دينز فينتر "هل يشكل الإسلام السياسي خطرا على أوربا؟"، ترجمة صبيحة مشورب، مجلة النهج، العدد 40، بيروت، (1995)
هملتون جيب - الاتجاهات الحديثة في الإسلام- ترجمة هاشم الحسينى- مكتبة الحياة بيروت 1966
ول ديورانت - قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي : حياة وآراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم - ترجمة فتح الله محمد المشعشع. بيروت : مكتبة المعارف، 1979
وليد محمد على - صهيونية الخزر وصراع الحضارات -دار التضامن / بيروت - ط1 1999
ويليام بلوم - الدولة المارقة. دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة في العالم -ترجمة كمال السيد
اليكس جوارفسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، مطبعة الإعلام، الكويت، 1996،
يوسف الحسن -البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1977م،
يوسف الحسن- من أوراق واشنطن - دار المستقبل العربى،ط1 1986
يوسف العاصى الطويل - الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (أربع أجزاء)- مكتبة حسن العصرية، لبنان ط1 2013
يوسف القرضاوي- مستقبل الأصولية الإسلامية ، مكتبة وهبة، ط1، 1997م.
يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي، الدوحة، د.م، 1998
يوسف هاشم الرفاعي - نصيحة إلى إخواننا علماء نجد : الناشر دار المقطم للنشر والتوزيع
الجرائد والمجلات ومواقع الانترنت:
إبراهيم أبو عرقوب، الإسلام في نظر الغرب الأمريكي، ندوة الاتجاهات الغربية نحو الإسلام، آخر ساعة"، عدد: 2106، سنة 1975.

الاستشراق الأمريكي..طبيعته وخلفياته- د. رشيد بلحبيب- مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق-
42http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=
إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية - إعداد: أ. عمر سالم سعد الله العبيدي - بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة"- المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م
الغرب بين "الإسلاموفوبيا" و"الديموغرافوبيا"!!- د. مولاي المصطفي البرجاوي- 2011/5/10 مجلّة الوعي الإسلامي- رابط الموضوع :
3/#ixzz31772/0http://www.alukah.net/world_muslims/vaqwdpGd
الإسلام وحرب المصطلحات مجلة الوعى- سنة الثامنة والعشرون العدد 329 جمادى الثاني 1435هـ، نيسان 2014م د. أحمد إبراهيم خضر
صهيو مسيحية أم صهيو أميركية؟" ..-مأساة في استعمال الكتاب المقدس .. استغلال المشاعر الدينية في أنشاء دولة صهيونية- الدكتور القس رياض جرجور- ألقيت هذه الكلمة، في ندوة فكرية في مركز الإمام الخمينى الثقافي.بيروت، في 8 أبريل2003 ونشرت في كتيب خاص ضمن سلسلة الندوات الفكرية التى يصدرها وينشرها المركز
حرب المصطلحات- د. خالد بن منصور الدريس- صحيفة المدينة السعودية -الجمعة 2012/05/25
يواقيم رزق مرقس - تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية- محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية - الإسلام السياسي والأصولية د. محمد إبراهيم الفيومي-
.htm5/2002-01-18http://alarabnews.com/alshaab/GIF/
الإسلام السياسي ومعضلة الأصولية د. شاكر النابلسي في الثلاثاء 09 ديسمبر 2008
الإسلام عام 2000 - د . مراد هوفمان- ترجمة: عادل المعلّم - مكتبة الشروق.
الإسلام عدو بديل.. هدف ثابت وصياغات متغيرة! - نبيل شبيب.إسلام أون لاين- 12-1-2001 -
9/article01/2002http://www.islamonline.net/arabic/politics/.shtml
الإسلام.. الغرب.. وإمكانية الحوار- ابراهيم محمد جواد – مجلة النبأ – عدد 39- 4- شعبان، رمضان 1420

الإسلاموفوبيا .. أسباب البروز وإمكانات التجاوز محمد شتوان – الوعى الإسلامي- عدد569 سنة 2012- تصدر عن وزارة الأوقاف المغربية – الرابط :
/6587/naby/569http://www.alwaei.com/site/index.php/
الإسلاموفوبيا)سيكولوجيا المرض السياسي) سامي أحمد الموصلي رابط الموضوع:
Fb1tcrWd3/#ixzz6342/0http://www.alukah.net/sharia/
إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية : بحث مقدم إلى مؤتمر (الإسلام والتحديات المعاصرة) المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة : 2-3/4/2007م د. عمر سالم سعد الله العبيدي.
الأصول التي قامت عليها الصحوة الإسلامية - الفجر نيوز 23 - 03 - 2010
الأصولية الإسلامية ...... إلى أين؟- موقع الدكتور محمد شحرور- دمشق - 11 كانون الأول 2000 م- htm4http://www.shahrour.org/A.
الأصولية الإسلامية ": دعوة إلى التدقيق في مفهوم ملتبس- هاني فحص
الأصولية المسيحية الأمريكية- دراسة في الأبعاد الفلسفية- بقلم "جورج المصري - مجلة الإنسان،ع.(8)، أغسطس 1992
الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي بقلم:د. سامي عطا حسن: 2010-09-15
الأصولية ترجمة: محمد علي عبد الجليل- مراجعة: ديمتري أفييرينوس-معابر-
1http://www.maaber.org/nonviolence_a/Integrisme_a.htm#_ftn
الأصولية في الحركات الإسلامية ،والحل..زهير قوطرش في السبت 23 اغسطس 2008
الأصولية ومعضلة الفقر في العالم العربيد. شاكر النابلسي في السبت 28 يناير 2012
الأصولية .. محاولة للفهم والتفسير معتز الخطيب- 5-2-2005 المصدر : الجزيرة.نت
الأصولية، غربية المصطلح وتضاد المضمون، د. محمد عمارة، مدارك، إسلام أونلا ين نت، 09/11/09
الأصولية " بين نظرة الإسلام والغرب- إعدادعبد الله بن حميد الفلاسي
إلحاق الهزيمة بالنزعة الاستبدادية الثالثة -أمير جهانشاهي- رامسي، باريس 2002- عرض أمير طاهري الشرق الأوسط -12 مارس 2002 عدد 8505
إمبراطورية الشر الجديدة. عبد الحي زلوم. القدس العربي. 2003/2/3
أوروبا.. الإسلاموفوبيا إلى الإسلاموبارانويا- بقلم: محمد سبيلا- ميدل أيست أونلاين- 19-11-2015 الرابط: 211721http://www.middle-east-online.com/?id=
إياد البرغوثي، ورقة بحث بعنوان الإسلام والغرب: إشكالية الوحدة والصراع، مقدمة لندوة الاتجاهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، الجامعة الأردنية، نوفمبر 1998.
باسم أسامة بن لادن : رولان جاكار – خدمة كامبردج بوك ريفيوز

بحث في الأصولية الدينية- لطفي حداد- مجلة الأثار والانثروبولوجيا السودانية- موقع أركامانى صفحة كوش الجديدة- 2005
بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد في الرياض في 1984/3/6
بدأيات التأسيس للفكر التكفيري – د. على الشعيبي
بين الأصولية والتطرف- د. محمد السيد الجليند- 2008/11/11 م – شبكة الألوكة- الرابط 4030/0http://www.alukah.net/sharia/
تقرير منظمة حقوق الإنسان Hate Crime Survey: Islamophobia 2007 المنشور بموقعها الألكتروني: www.humanrightsfirst.org
تمام، أحمد. معركة اليرموك وانحسار دولة الروم، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (إسلام أون لاين) على الرابط التالي:
22/article09/1422http://www.islamonline.net/Arabic/history/.shtm
الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية اليمين المسيحي وكيفية مواجهته -بقلم: دوان أولدفيد: أستاذة مشاركة في العلوم السياسية في جامعة نوكس. قدمت نسخة هذا البحث في الاجتماع السنوي لجمعية العلوم السياسية الأمريكية الذي انعقد في الفترة ما بين 3128 آب/2003.- مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية
جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أميركا- - علاء بيومي | 10 يناير، 2012- الصّادر عن مركز التقدّم الأميركي، في أغسطس 2011 النصّ الكامل للدّراسة موجود على الموقع التّالي:
08/2011http://www.americanprogress.org/issues/
/pdf/islamophobia.pdf
جريدة الأيام"، سنة 1963
جعفر الموسوي -الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية
جناية الأصولية على الإسلام-د. شاكر النابلسي في السبت 30 مايو 2009
حامد ربيع: «المتغيرات الأساسية للوظيفة الدولية لأسلوب السياسي؟: إعادة البناء الأيديولوجي» قضايا دولية، العدد 310 ديسمبر 1995، معهد الدراسات السياسية. إسلام آباد، باكستان،
الحرب العالمية الأخيرة -ما الفرق بين تنظيم القاعدة وطاقم الإدارة الأمريكية- بقلم مالك عثامنة- جريدة المرايا الإلكترونية .
الحرب المقدسة.. الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم- كارين أرمسترونغ-عرض/ إبراهيم غرايبة
الحركة الإسلامية : المفهوم والدلالات وحدة المتعدد أو الاختلاف المتوحش- المختار شفيق

حركة الإصلاح البروتستانتي (لوثر، زونجلي، كالفن) بقلم:الدكتور سامي الشّيخ محمد- دنيا الوطن : 2006-01-08- عين غزال- حيفا - فلسطين
الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية، إعداد : محمد إبراهيم الشربيني
حسن جابر، الأمة والتحديات، الانبثاق الجديد، المنطقة، عدد 106، الإتحاد اللبناني للطلبة المسلمين،
حسن حنفي، "الإسلام السياسي والإسلام النفطي"، اختلاف، عدد 5، 1993.
حمدي عبد العزيز: الإتجاهات الغربية نحو الحركة الإسلامية، مجلة البيان العدد210
حيدر إبراهيم علي، أزمة الإسلام السياسي، الجبهة الإسلامية القومية في السودان نموذجا، مركز الدراسات السودانية، 1991، ص 11.،
حيدر علي خليل، التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، ط 1، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات و البحوث)الاستراتيجية، 1997 م
خطأ في التشخيص وفي العلاج - فهمي هويدى- جريدة الشرق الأوسط-الأثنين 08 شوال 1422 هـ 24 ديسمبر 2001 العدد 8427
الخطاب الإسلامي المعاصر بين الأصولية والإرهاب -د. محمد سالم سعد الله
خطار الأصولية على العرب- د. شاكر النابلسي في الأثنين 13 يوليو 2009
خطر الأصولية الإسلامية ونفاق الأمبريالية - لال خان،-باكستان، أكتوبر 2000 - ترجمة نديم المحجوب
د. محمد عمارة، خمسون عامًا على استشهاد حسن البنا، مشروع إسلامي للنهضة الحضارية، مجلة المجتمع (الكويت) العدد، 1337، 23 شوال 1419 هـ، 9 فبراير 1999،
د.عبد الله المودن: ضبط المصطلح مطلب شرعي وعلمي: علم أصول الفقه نموذجا، مجلة الوعي الإسلامي، العدد408 –شعبان 1420هـ-ديسمبر1999م
دراسة منشأ الحركات الأصولية وتداعياتها-.د. خليل حسين - دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات الأستراتيجية (RSSC) المؤتمر الأقليمي الأول القضايا الإقليمية الناشئة: التحدّيات والرؤى المستقبلية بيروت 29 إذار – 1 نيسان 2011
دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الدكتور خالد رمزي سالم كريم (البزايعة)
رسول محمد رسول : الغرب والإسلام قراءة في رؤى ما بعد الاستشراق، سة العربية للدراسات والنشر - الشرق الأوسط 2001 العدد 8141
سعد ناجي جواد، دور الصراع العربي–الصهيوني في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، ورقة بحث مقدمة لندوة التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط،

سعيد بن سلمان "حرب النعوت والألقاب ومفهوم الأصولية بين التصحيح والتسطيح." في مجلة الباحث . عدد60، تشرين الأول 1993م

الشيشاني، مراد بطل. "المجتمع الأمريكي بعد 11 سبتمبر"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الجزيرة) على الرابط التالي:
D-465D-657-5FC5C647http://www.aljazeera.net/NR/exeres/
F.htm25D8CF53D09-995A

الصحوة الإسلامية إشكالات ومواقف وتطلعات بقلم : الدكتور طلال حاطوم

الصحوة الإسلامية تاريخا ومنهجا ودور المغرب في تدعيم أسسها- أحمد بودهان- مجلة دعوة الحق، العدد 234 جمادى 1- جمادى 2 1404/ مارس 1989 -تصدر عن وزارة الأوقلاف المغربية 6152http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/

الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية / جعفر الموسوي- موقع شبكة العراق الثقافية – 2005/6/1

الصحوة الإسلامية في هذا العصر الإمام الصادق المهدي- نشر في سودأنيل يوم 18 - 09 - 2011- 32536http://www.sudaress.com/sudanile/

الصحوة الإسلامية وتحديات الدور التربوي رضا أحمد صمدي

صراع الحضارات ، 1996.

الصياد، 2003، 15، فبرأير.

ظاهرة الإسلاموفوبيا- قراءة تحليلية-خالد سليمان- مركز الشرق العربي للدراسات- ورقة بحثية قدمت في الأصل إلى مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر (ثقافة الخوف)، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 24-26 نيسأن/ 2006.

عادل خزرون:الأصولية والإرهاب الفكري، مجلة النور، العدد440، السنة31

عداء اليهود للحركة الإسلامية زياد أبو غنيمة

عشر قضايا عن الأصولية – فريتس شتيبات ترجمة د. عبد الغفار مكاوي- المصدر: عالم المعرفة

عطية الويشي -" حوار الحضارات " (ص 210)

عقيدة جورج دبليو بوش. ستيفن مانسفيلد- عرض علاء بيومي- الجزيرة نت – 2004/5/3م

علماء دين: الأصولية مصطلح غربي مشبوه لتشويه الإسلام السبت، 14-أغسطس-2004المؤتمر نت – www.almotamar.net/news/13514.htm

غارات الغرب على الإسلام- كتبه: إبراهيم محمد جوادالعدد (42) السنة 19 - 1429هـ/ 2008م

الغزو الفكرى أدواته واهدافه في العالم الإسلامي، سلسلة مقالأت للمؤلف نشرت في جريدة الوحدة الأماراتية عام 1987

فهمي هويدي، حاضر الصحوة الإسلامية ومستقبلها، الندوة، كانون الأول 1988، جمعية لشؤون الدولية، عمان-الأردن،
قراءة في كتاب الأصولية اليهودية في إسرائيل- بشار بكور-: 2011/11/15 رابط:
F9nqHf3e3/#ixzz36017/0http://www.alukah.net/culture/
القسّ د. فكتور صدقة، الكلمة، العدد الثامن، تشرين الثاني 2000
لاروش: "المحافظون الجدد وإدارة بوش لم يفشلوا في العراق"خطتهم هي التدمير والفوضى وإزالة معالم الدولة القومية- كتبت التقرير ميشيل ستاينبيرغ.
ما هي الأصولية ؟موقع أسئلة من الكتاب المقدس وأجوبتها-
http://www.gotquestions.org/Arabic/Arabic-fundamentalism.html
المبشرون البروتستانت والنية القاتلة - غريس هالسل - كتاب مترجم نشر في جريدة الشرق الأوسط
مجلة الوعي الإسلامي"، عدد: 491سنة 2006، ص44.
مجلة روز اليوسف"، بتاريخ 1962/6/29.
مجلة كيفونيم، القدس، العدد 14 فبرأير 1982
المجموع في ترجمة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري وسيرته وأقواله ورحلاته- تأليف وجمع وترتيب عبد الأول بن حماد الآنصاري
محاضرات القس غسان حداد، تاريخ المعمدانيين في العالم- الموسوعه الحرة
المحافظون الجدد".. منظرون لخراب العالم- علي عبدالعال- مأرب برس- الثلاثاء 25 سبتمبر- أيلول 2007 10:31 2592http://marebpress.net/articles.php?id=
محمد البهي، "المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام"، مجلة الفكر العربي، السنة الخامسة ن العدد32، أبريل 1983
مدارس الأستشراق الاهتمام بالحركات الإسلامية "الأصولية "- مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق 2005- د. مازن مطبقاني-
41http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=
المدنس والمقدس.. أميركا وراية الإرهاب الدولي-المؤلف: السيد محمد حسين فضل الله- عرض/إبراهيم غرأيبة- الجزيرة نت
مركز الجزيرة للدراسات،، القسم الثقافي،، الإسلام والغرب ... الهويات القاتلة، 29-7-2007
مريم سلطان لوتاه، قراءة لما وراء ظاهرة العنف في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، العدد 119، خريف). 2004 م، ص 138
المستشرقون والإسلام معالجة منهجية خاطئة، بقلم: إبراهيم محمد جواد، (بتاريخ شعبان 1421هـ، . (estishrag.htm51www.annabaa.org/nba/ النبأ مجلة – م2000

المسلمون وتحديات الاندماج في المجتمعات الغربية -ندوة: نمو وأفول الإسلام السياسي -حوار مجلة برسش مع منصور حكمت- ثمت الترجمة عن النص الفارسي للبحث الذي نشرته لأول مرة مجلة برسش- سؤال- في عددها الثالث الصادر في صيف ٢٠٠١. ترجمة: فارس محمود -m-hekmat.com #2070ar.html

مطر، جميل. "حوار الحضارات .. السياسي أولاً"، المستقبل العربي، العدد 325 (إذار 2006)، ص 57.

معضلة الأصولية الإسلامية - هاشم صالح- دار الطليعة للطباعة والنشر/2006قراءة لعبد الله المطيري، الرياض، 2006/10/5-
.html191838/article05/10/2006http://www.alriyadh.com/

مفهوم الأصولية الإسلامية عند الغربيين، عرض ونقد نقلا عن/. أصوليةٌ بين المفهومِ الإسلامي والمفهومِ الغربيِّ- سامي عبد الرحمن- فصلية التسامح عدد 21- 2008-
494/25http://tasamoh.om/index.php/nums/view/

مكونات الثقافة الأصولية د. مصطفي حجازي

ملكاوي، أسماء. "حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات"، مقالة منشورة في الموقع الإكتروني (الجزيرة) على الرابط التالي:
-93E4-3A12-9C49C9http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DD
.htm711C9C37389-E7A3A

من التلمود، إعداد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عن/ أصوليةٌ بين المفهومِ الإسلامي والمفهومِ الغربيِّ- سامي عبد الرحمن- فصلية التسامح عدد 21- 2008-
494/25http://tasamoh.om/index.php/nums/view/

من نحن؟ تحديات الهوية الوطنية الأميركية: صموئيل هنتنغتون. عرض/ علاء بيومي. الجزيرة نت 2004.8.2م

المنار"، عدد: 1962/11/9.

المنتدى، منتدى الفكر العربي، متابعات فكرية، العدد 140، ص8.

مؤتمر عام حول مشروع الأصولية " في مجلة شؤون الشرق الأوسط، المجلد الأول،عدد 3،ربيع /صيف 1414/1993 ص 86-94

الميلاد، زكي. نحن والعالم: من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، 2005،

نبيل غزال وإبراهيم بيدون: المرجعية الفكرية لمعدي دراسة القيم والممارسات الدينية في المغرب، جريدة السبيل العدد32

نحن والاعلام الغربي، مجلة البيان، العدد (55)، ربيع الأول 1413، سبتمبر 1992

نظرة الغربيين للإسلام: جانب من الدراسات الغربية التي تناولت الإسلام"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (بلاغ) على الرابط التالي:
j.htm36xm0http://www.balagh.com/mosoa/garb/uq

هايتس دينز فينتر "هل يشكل الإسلام السياسي خطرا على أوربا؟"، ترجمة صبيحة مشورب، مجلة النهج، العدد 40، بيروت، (صيف1995) ص237.

هشام جعفر وأحمد عبد الله: ملامح ومعالم التحول في حركة الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، ورقة بحث مقدمة لندوة الإتجاهات الغربية نحو الإسلام

هل الإسلام يمثل خطراً على الغرب - جريدة القدس الصادرة بتاريخ 1993/6/27 ()

هل سيغطى إرهاب داعش على الإرهاب الإسرائيلي – د. ابراهيم ابراش

الهوية في ظل العولمة والإسلاموفوبيا والأمركة- المركز العراقي للداست الاستراتيجية- مشاركة في ورشة العمل التي نظمها مركز الجزيرة للدراسات بالإشتراك مع مجلس البحوث الاقتصادية و الاجتماعية البريطاني و مركز دراسات مسلمي أوروبا بجامعة اكسترا بعنوان :(رؤى الإرهاب و المقاومة الراديكالية) 26-27/9/2010
http://www.iraqicss.net/index.php?option=com_content&view=art
29-09-25-09-61:2013icle&id=
&lang=ar321&Itemid=29catid=&14

الهيمنة أم البقاء.. السعي الأميركي للسيطرة على العالم.نعوم تشومسكي.ترجمة سامي الكعكي. بقلم/ إبراهيم غرايبة2004/7/29م

وجيه كوثراني : (مستقبل المشروع السياسي الإسلامي :أصولية أم حزبية إسلامية) ملف مستقبل الأصولية في العالم العربي، معلومات (بيروت) العدد: 3 مأيو، 1993م.

ودیث میلر: تحدي الإسلام الراديكالي، مجلة لشؤون الخارجية، 1993، مقتبسة في وكالة الاعلام الأمريكية، نشرة الأنباء العربية، تاريخ 1994/2/27.

يارد أونيل، ندوة الحزازات الأثنية والعرقية والدينية التي عقدت في جامعة جورج واشنطن، 1992، وكالة الاعلام الأمريكية، نشرة الآنباء العربية، 1992/11/27.

يجب تفكيك منابع دعم الفكر الوهابي المنحرف-د. عبد الخالق حسين.الرابط:
http://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=150&msg=1203536060&rn=2

يوسف بدري، الأصولية مصطلح غربي مشبوه لتشويه الإسلام، على الموقع
www.alsharqalawsat.com

تعريف بالمؤلف

المؤلف يوسف العاصي ابراهيم الطويل، فلسطيني، ولد في 16-4-1959 في مدينة رفح وهو متزوج ولديه ثلاثة اولاد وبنت.

حاصل على ليسانس آداب، قسم الفلسفة من جامعة عين شمس، وعلى درجة الماجستير في العلوم السياسية، وايضاً درجة الماجستير في الفلسفة الاسلامية، ويحضر الآن رسالة الدكتوراة في السياسية بعنوان "مستقبل اسرائيل في ظل التسوية السلمية". المؤلف عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين – فرع الامارات منذ عام 1987.

كتب المؤلف:

الصليبيون الجدد .. الحملة الثامنه –غزه 1993–مكتبة مدبولي 1997

كتاب احمد ديدات بين القاديانية والاسلام – مكتبة مدبولى – 2002

الحملة الصليبية على العالم الاسلامي والعالم. دارصوت القلم العربي/ القاهرة، 2009 مكتبة حسن العصرية لبنان2014

حملة بوش الصليبية على العالم الاسلامي دارصوت القلم العربي/ القاهرة، 2009 مكتبة حسن العصرية لبنان2014

امريكيا تاريخ من الغزو والارهاب دارصوت القلم العربي/ القاهرة، 2009 مكتبة حسن العصرية لبنان2014

مواجهة الصهيونية المسيحية. دار صوت القلم العربي/ القاهرة، 2009 مكتبة حسن العصرية لبنان2014

البعد الدينى لعلاقة امريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية– مكتبة حسن العصرية لبنان 2014

النزعة النقدية في فلسفة ابو حامد الغزالي – مكتبة حسن العصرية– 2015

للكاتب العديد من الدراسات والمقالات المنشورة في الصحافة العربية ومواقع الشبكة العنكبوتية.

مشاريع الكتب والدراسات الجديدة

جذور الحرب على الاسلام

محاولات الغرب اختراق الاسلام واستغلال الحركات الاسلامية

خربشات في زمن الضياع العربي .. الانقسام الفلسطينى وفوضى الثورات العربية

مستقبل اسرائيل في ظل التسوية السلمية (رسالة دكتوراه في العلوم السياسية)

دور القيم الدينية في النهضة الاوربية (رسالة دكتوراه في الفلسفة)

فلسطين ودورها الحضاري

الاسلام والعلم

ازمة الثقافة العربية